

المدرّس

لأبوالفرج جمال الدين بن عيسى بن محمد بن جعفر الجوزي
للتوفيت سنة ٥٩٧ هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه
الدكتور مروان قباني

مشتورات

لمؤرخ أبي بصير

لنشر مكتب الشريعة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الملاحة

مبالس وعظية تستمل على الترفيب والترهيب
وخواطر النفس وأشرارها وخبائرها
ودوافع الفعلة وحب الدنيا والازصراف مع الله تعالى

تأليف

أبي الفرج جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى ٥٩٧ هـ

مطبوعة وصحيفة رطلية

الدكتور مروان قبايف



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Title: AL-MUDHIS

(A BOOK IN SERMONIZING)

Author: Abu Al-Faraj Ibn Al-Jawzi

Editor: Dr. Marwān Qabbāni

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 560

Year: 2005

Printed in: Lebanon

Edition: 2nd

الكتاب: المدهش

المؤلف: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المحقق: الدكتور مروان قبياني

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 560

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الثانية

ISBN 2-7451-5059-6



9 782745 150592

منشورات محمد كاظم الخراساني



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أي وسيلة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الثانية

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد كاظم الخراساني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: ومن الطريقه شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٤٣٩٨ - ٣٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

ص.خ. ٩٢٤ - بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

هاتف: ١١ / ٨٠١٨١٠ - ٩٦١
فاكس: ٨٠١٨١٣ - ٩٦١

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

أَمْلَأْهُ شَرًّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصنف والمصنف

المؤلف : الامام « ابن الجوزي » (★)

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

١ - نسبه : هو الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن هادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي وقد لقب جعفر بالجوزي نسبة إلى مشرعة الجوز على نهر البصرة أو إلى جوزة كانت في داره .

وهو عربي قرشي تيمي بكري يتصل نسبه بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وعرف بالبغدادي مولداً وإقامة وبالحنبلي مذهباً .

٢ - درس العلم وهو صغير ، فسمع الحديث وحفظ القرآن على الحافظ محمد بن ناصر الحنبلي ، ثم درس الوعظ على أبي القاسم الهروي وبعده صاحب الفقيه ابن الزاغوني الحنبلي (ت ٥٢٨) فأخذ عنه من فنون العلم حظاً وافراً وخصوصاً الحديث والفقه والوعظ الذي أصبح في عصر ابن الجوزي فناً له أصوله وقواعده .

(*) راجع ترجمته في :

وفيات الأعيان ١ - ٢٧٩

البداية والنهاية ١٣ - ٢٨ - ٣٠

مفتاح السعادة ١ - ٢٠٧

ذيل الروضتين ٢١ - ٢٨

ابن الوردي ٢ - ١١٨

آداب اللغة ٣ - ٩١

دائرة المعارف ١ - ١٢٥

الكامل لابن الأثير ١٠ - ٢٢٨

اليافعي ٣ - ٤٨٩ - ٤٩٢

مختصر دول الإسلام ٩ - ٢ - ٧٩

النجوم الزاهرة ٦ - ١٧٤ - ١٧٦

تذكرة الحفاظ ٤ - ١٣١

الأعلام ٢ - ٣١٦

ثم قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى وغيرهم كثير كابن منده الذين تلقى منهم علوم عصره. ومن شدة انصرافه لطاب العلم لم يكن في صغره على ما كان عليه أثرابه من حب اللهو واللعب بل انشغل في العلم وحفظه وكتابته ، وهذا لما له من نفوج عقلي إلى جانب حافظة واعية وقد قال عن نفسه (قد رزقت عقلاً وافرأ في الصغر يزيد على عقل الشيوخ) .

٣ - قال عنه ابن خلكان (١ / ٢٧٩)

« كان علامة عصره وامام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، صنف في فنون كثيرة ، منها « زاد المسير في علم التفسير » أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة ، وله في الحديث تصانيف كثيرة وله « المنتظم » في التاريخ وهو كبير وله « الموضوعات » في أربعة أجزاء ... وبالحملة فكثبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا أنه جمعت الكرايس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكرايس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كرايس ^(١) وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله عقل » .

ويقال : جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك فكفت وفضل منها «

« له أشعار لطيفة ^(٢) منها قوله يخاطب أهل بغداد :

عذيري من فتية بالعراق	قلوبهم بالجفا قلب
يرون العجيب كلام الغريب	وقول الغريب فلا يعجب
ميازيهم إن تندت بخير	إلى غير جيرانهم تطلب
وعذرهم عند توبيخهم	مغنية الحي لا تطرب «

١ - إشتهر هذا الأسلوب في مدح العلماء الذين عرفوا بكثرة التأليف كالطبري مثلاً ...

٢ - كتب الكثير من الشعر ، أنظر كتابه هذا (باب الوعظ) وسائر كتبه ...

٤ - وعُرف ابن الحوزي بحضور الذهن وسرعة البديهة وحسن التصرف والإجابات اللبقة تجاه الاسئلة المحرجة .

نقل ابن خلكان أن نزاعاً في المفاضلة بين أبي بكر وعلي قد وقع بين أهل السنة والشيعة في عهد ابن الحوزي « فرضي الكل بما يجيب به الشيخ فأقاموا شخصاً يسأله عن ذلك وسط مجلس وعظه فقال :

« أفضلهما من كانت ابنته تحته »

ونزل في الحال حتى لا يراجع في السؤال ، فقال السنية : أراد أبا بكر لأن ابنته عائشة تحت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الشيعة : أراد علياً لأن ابنة النبي فاطمة كانت تحت علي . وعلق ابن خلكان على ذلك « وهذا من لطائف الأجوبة ولو حصل بعد الفكر التام وامعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة » .

٥ - قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية :

« أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد » .

« وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو » .

« وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها منها كتابه في التفسير المشهور «بزاد المسير» وله تفسير أبسط منه لكنه ليس بمشهور . وله جامع المسانيد استوعب غالب مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي » .

« وله كتاب « المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم » في عشرين مجلداً .

« وقد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخاً » .

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التساريخ مكتوباً
٦- قال الحافظ الذهبي :

« ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل » .
وقال ابن تيمية « ذيل الروضتين لابن رجب » .
« عددت له أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك ما لم أره » .

٧- وكما شارك ابن الجوزي في علوم عصره وبرز بها ، فقد كانت له
المتزلة التي لا تُداني في الوعظ ، فاشتهر بمجالس وعظه التي كان
يحضرها أهل الحكم ويقصدها الناس من كل حذب وصوب يجتمعون
لها بأعداد كبيرة وبزحام قل نظيره^(١) .

وقد كان له اتصال بالخليفة العباسي الرابع والعشرين « المستضيء »
(حكم ٥٦٦ - ٥٧٥) فألف له كتاب « المصباح المضيء في دولة
المستضيء » ، كما أذن له الخليفة أن يجلس للوعظ في باب بدر في
قصره الذي كان يُفتح للعامة ليسمعوا ابن الجوزي .

٨- وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير مجلساً من مجالس وعظه عام
٥٨٠ هـ بعد أن ذكر له مجلساً حضره أولاً :

« ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة الخميس يباب بدر في ساحة قصر
الخليفة^(٢) ومناظره مشرفة عليه ، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد
خُصَّ ابن الجوزي بالوصول إليه والتكلم فيه لیسعه من تلك
المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحرم ، ثم يفتح الباب
للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر ، وجلس ابن
الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس » .

« فبكرنا لمشاهدته وقعدنا إلى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد
المنبر وأزاح طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطر

١ - بعض الروايات تبلغ في عدد من كان يحضر مجالسه

٢ - الخليفة وقتها كان الناصر ٥٧٥ - ٦٢٢

قرأ القرآن أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، فشوفوا ما شأوا وأطربوا ما أرادوا وبادرت العيون بارسال الدموع .

« فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع ابن الجوزي بخطبته الزهراء ، وأتى بأوائل الآيات في أثناءها منتظماً ، ومشى في الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها . وكانت الآية (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، ان الله لذو فضل على الناس)^(١) .

« فتمادى على هذا السين ، وحسن أي تحسين ، فكان يومه هذا أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكن بها « الستر الأشرف والجناب الأرف »^(٢) .

« ثم سلك سبيله في الوعظ ، كل ذلك بديهة لا روية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي قرأها القراء من قبل في المجلس ، فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين وبالتوبة معلنين ، وطاشت الأبواب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت الناس لا تملك تحصيلاً ولا تميز معقولاً ولا تجد للبصر سبيلاً » .

« ثم في أثناء مجلسه كان ينشد اشعاراً في النسيب مبرحة التشويق بديعة التريق ، تشعل القلوب وجداً ويعود موضعها الغزلي وجداً^(٣) ، فمن ذلك ما أنشده :

أين فؤادي ؟ أذابه الوجد وأين قلبي ؟ فما صبحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم بالله زدني - فديت - يا سعد

١ - غافر ٦١ .

٢ - كثر في العصر العباسي الثاني تدخل نساء الخلفاء في الحكم وخصوصاً الامهات اللواتي كان لمن الأثر الكبير في سير الأحداث في بغداد ، فلا بد إذن والحالة هذه ان تذكر النساء في الخطب وتمدح مع المدوحين .

٣ - تطالع في هذا الكتاب استشهاده في شعر الغزل والمديح التي يحول معناها إلى حب في الله .

ولم يزل يردد هذه الأبيات والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع
تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، إلى أن خاف الافحام فابتدر القيام
ونزل عن المنبر عجلًا ، وقد أطار القلوب وجلًا ، وترك الناس
على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فمن معلن بالانتحاب
ومن متعفر بالتراب ، فإيا له من مشهد ما أهول مرآه وما أسعد
من رآه .

« وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطي من امتلاك النفوس
والتلاعب فيها ما أعطى هذا الرجل ، فسبحان من يخص بالكلام من
يشاء من عباده » ا. هـ .

٩ - قال ابن عباد :

« كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله
قوة وذهنه حدة » .

وقال ابن كثير :

« وكان فيه بهاء وترفع واعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من
مقامها وذلك ظاهر في كلامه ونثره ونظمه فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا وأكايد النهج العسير الأطول
تجري بي الآمال في حلياته جرى السعيد إلى مدى ما أملا
أفضي من التوفيق فيه إلى الذي أعبأ سواي توصلًا وتغلغلا
لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا !»

ولا شك لدينا أن العلوية النفسانية التي تضيفها أجواء مجالس
الوعظ ومن ثم رؤية انبهار وتأثر عوام الناس بالموعظة وخصوصاً
المتعلقة بقضايا الموت والبعث والحساب وما شاكلها ، كل هذا
يولد لدى القائل اعجاباً بنفسه ، وهذا ما يؤثر بالتالي على أسلوب
كتابه وانشائه ووعظه ، فيجعله يحرص على الاستمرار في استعمال
وايراد غريب القول والأثر رغبة في اظهار التفوق العلمي وفي
المحافظة على مستواه المعتاد من التأثير ، كما سيأتي في كلامنا على
الكتاب . ولسنا نريد بهذا ، الغرض من مترلة ابن الجوزي في وعظه

فمثلنا يقصر عن نقد الاعلام الكبار ، ولكن قصدا التعليق على أسلوب الوعظ سواء ما كان في عصر ابن الجوزي أم في عصرنا الحاضر .

١٠- توفي أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - ليلة الجمعة ١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ و عمره نحو التسعين ، ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن الامام أحمد بن حنبل ، وأوصى بأن يكتب على قبره هذه الأبيات :

يا كثير العفو عمن	كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو	الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء	الضيف إحسان إليه

الكتاب

١ - لقد أسمى الامام أبو الفرج كتابه هذا « بالمدحش » ، وله في تسمية مؤلفاته توفيق يعبر عن ألية وإدراك عميق للأثر الذي تركه كتابته .

وفعلًا فقد أصاب في تسمية كتابه هذا ، فالكتاب مدحش وأنت لا تملك عند قراءته إلا أن تدهش ، لأسباب منها :

- لما تتعرف عليه من معلومات يندر أن تعثر عليها بمجموعها في كتب متخصصة .

- سعة علم الامام ابن الجوزي فيما تناوله من مواضيع في كتابه .

٢- الكتاب يحوي أبواباً خمسة . الأربعة الأولى منها تتناول فنوناً هي كعدة الوعظ ، لا غنى للواعظ عنها في كلامه ، ففيها كل غريب من قول وحادثة وما يحتاج المرء في مراجعته إلى وقت طويل وجهد كبير . فتطالع مواضيع اللغة ، علومها ومتشابهاتها ، وعلوم القرآن ودقائقه علم الرجال وتفاصيله والتاريخ حوادثه وعجائبه .

وهذا يؤيد قولنا أن الوعظ انما يعتمد بشكل رئيسي على اظهار هذا الطرائف التي تعني لدى الكثيرين التفوق العلمي والذي يترك

لدى نفس السامع تأكيداً على سعة علم المتكلم وإلمامه بالعديد من العلوم .

ويذكر المؤلف على عمله هذا بالخير فقد وفر على الوعاظ جهوداً عظيمة .

أما الباب الخامس ففيه مائة فصل ، كل فصل فيه ذكر موعظة ، وهي بمجموعها تعتبر ككتاب تعليم الوعظ .

٣- ومواعظه هذه فيها ما يخاطب العقل بالدليل وما يخاطب القلب بالعاطفة وفيها تظهر قدرة « الامام » الوعظية التي سمعنا عنها في الروايات المذكورة آنفاً بتناوله لفنون الوعظ العديدة ، فتتعرف فيها على معاني وأسرار الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مما يغوص في قرارة النفس ، وترى التطبيق العملي لها في قصص الصالحين والزهاد وأخبارهم وأقوالهم .

أما استشهاده بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال فقد بلغ بها منزلة ، تظهر منها كأنما جعلت ليستشهد بها لمناسبتها للمعاني المرادة في الكلام .

٤- ومما يلفت النظر في مواعظه معرفته العميقة بخواطر النفس ، فهو يقوم بعملية تحليلية للنفس البشرية ، فيستخرج أسرارها ويكشف خباياها ، فتتعرف مثلاً إلى دوافع الغفلة وحب الدنيا والانصراف عن الله ، وإلى الأسلوب المناسب للمعالجة والطريقة المثلى للتخلص من أمراض النفس .

٥- كما ندرك من خلال استشهاده بحياة النبات والحيوان اطلاعاً الواسع على خواص النباتات باختلاف أنواعها وأشكالها وأحوال انباتها بالأجواء العادية والصعبة ، وكذلك معرفته بطبائع الحيوان باختلاف فصائله وملاحظاته الدقيقة عليها مما لا يدركه إلا المختص بتلك العلوم .

٦- فمن الواضح إذن ان الكتاب لا يعالج موضوعاً واحداً في علم واحد

بل هو مجموعة مواضيع أراد منها الامام ابن الجوزي أيضاً أن يعبر فيها عن عبقريته الفذة في تناوله لعلوم عصره وابرار تفوقه فيها -وعبقريته هذه مما لا شك فيها عند أحد- وهو الذي عرف عنه حبه لتسجيل مكانته العلمية والوعظية وذلك حتى فيما كتبه هو عن نفسه .

٧- ويظهر لنا أن فصول الباب المتعلق بالوعظ هي تسجيل حيّ لمجالس وعظ عامة جلسها ابن الجوزي جمعها بعد في هذا « المدهش » وليست تأليفاً مقصوداً لهذا الكتاب فلغة الخطاب تنبئ أنه كان يتوجه بكلماته إلى من كان يجلس أمامه ، يذكره ويؤنبه ويرغبه ويرهبه . ان مواضعه في هذا الكتاب فيها كثير من جو هذا اللقاء .

٨- وغير هذا ، فان أسلوب المؤلف في الكتاب سهل مرسل حيناً وصعب أحياناً . فترى في عباراته ، سواء القصيرة أو الطويلة ، السجع المتكلف مع الألفاظ الغريبة ، حتى بالنسبة إلى أبناء وقته ، إضافة إلى الحشو المتعمد ، إلا ان هذا لا يمنع كون العبارة متينة الأجزاء رصينة المعاني .

ولا يسعنا إلا أن نسجل ، أنه بالرغم الكثير من الافتعال اللغوي الواضح في العبارات ، إلا أن الحماس الديني وحرارة الوعظ تغلبا على المظهر اللغوي وكان لهما أثرهما الروحي والنفسي الواضح، وهذا لا يستطيعه سوى من كان بمنزلة المدهش « الامام ابن الجوزي » .

د . مروان قباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وب عونك

قال شيخ الأمة وعلم الأئمة ، ناصر السنة ، نجم الاسلام جمال الدين زين الانام ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن حمادي ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

الحمد لله الذي لا منتهى لعطاياه ومنحه ، حمداً يقوم بالواجب من شكره ومدحه ، وصلى الله على أشرف نبي وأنصحته ، وعلى أصحابه وأزواجه ما استن^(١) طرف^(٢) في مرجه^(٣) .

أما بعد فاني قمت بحمد الله في علم الوعظ بأصلحه وأملحه ، وآثرت أن أنتقي في هذا الكتاب من ماحده^(٤) ، والله الموفق في كل عمل لأصلحه ، وقد قسمته خمسة أبواب :

- الباب الأول : في ذكر علوم القرآن العزيز .
- الباب الثاني : في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها .
- الباب الثالث : في علوم الحديث .
- الباب الرابع : في عيون التواريخ .
- الباب الخامس : في ذكر الوعظ . وهذا الباب مقسم ، قسم يذكر فيه القصص ، وقسم يذكر فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق .

١ - عدا

٢ - بكسر الطاء وسكون الراء : الفرس الكريم الأبوين

٣ - كفتح النشاط ٤ - جمع ملحة كسبعة : الأحاديث الحسنة

الباب الاول - في علوم القرآن

فصل

في ذكر الخطاب بالقرآن

الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهاً :

- ١ - خطاب عام (خلقكم) .
- ٢ - خطاب خاص (أكفرتم) .
- ٣ - خطاب الجنس (يا أيها الناس) .
- ٤ - خطاب النوع (يا بني آدم) .
- ٥ - خطاب العين (يا آدم) .
- ٦ - خطاب المدح (يا أيها الذين آمنوا) .
- ٧ - خطاب الذم (يا أيها الذين كفروا) .
- ٨ - خطاب الكرامة (يا أيها النبي) .
- ٩ - خطاب التودد (يا بن أم ان القوم) .
- ١٠ - خطاب الجمع بلفظ الواحد (يا أيها الانسان ما غرك) .
- ١١ - خطاب الواحد بلفظ الجمع (وان عاقبتكم) .
- ١٢ - خطاب الواحد بلفظ الاثنين (القيافي جهنم) .
- ١٣ - خطاب الاثنين بلفظ الواحد (فمن ربكم يا موسى) .
- ١٤ - خطاب العين والمراد به الغير (فان كنت في شك) .
- ١٥ - خطاب التلو وهو ثلاثة أوجه : أحدها أن يخاطب ثم يخبر (حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم) ^(١) (وما أوتيتهم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ^(٢) (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) ^(٣) .
والثاني : أن يخبر ثم يخاطب (فاما الذين أسودت وجوههم أكفرتم) ^(٤) (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم

(٣) سورة الحجرات ، آية ٧ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠٦ .

(١) سورة يونس ، آية ٢٢ .

(٢) سورة الروم ، آية ٣٩ .

جزاء وكان سعيكم مشكوراً^(١) .

والثالث : أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير (إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ليؤمنوا بالله ورسوله^(٢)) . وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو فإنهما قرءا بالياء .

فصل

في ذكر امثال القرآن

في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً^(٣) :

(في البقرة) كمثل الذي استوقد ناراً • أو كصيب ، أن يضرب مثلاً ما بعوضة • ومثل الذين كفروا • مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله • فمثله كمثل صفوان • ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله • أبود أحدكم • كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان • (وفي آل عمران) وكنتم على شفا حفرة من النار • مثل ما ينفقون • (وفي الانعام) كالذي استهوته الشياطين • (وفي الاعراف) فمثله كمثل الكلب • (وفي يونس) انما مثل الحياة الدنيا • (وفي هود) مثل الفريقين • (وفي الرعد) الا كباسط كفيه إلى الماء • انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها • مثل الجنة • (وفي ابراهيم) مثل الذين كفروا بربهم • كيف ضرب الله مثلاً ومثل كلمة خبيثة • (وفي النحل) ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً • وضرب الله مثلاً رجلين • وضرب الله مثلاً قرية • (وفي الكهف) واضرب لهم مثلاً رجلين • واضرب لهم مثل الحياة الدنيا • (وفي الحج) فكأنما خرّ من السماء • ضرب مثل • (وفي النور) مثل نوره • أعماهم كسراب بقيعة • (وفي العنكبوت) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت • (وفي الروم) ضرب لكم مثلاً من أنفسكم • (وفي

(١) سورة الإنسان ، آية ٢١ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٤٥ .

(٣) من الكتب الجامعة في هذا الموضوع : الدرر واللال في بدائع الأمثال لمحمد علي الأنسي .
فقد جمع فيه أمثال القرآن والسنة والكتب السماوية .

يس) وضرب لنا مثلاً . (وفي الزمر) ضرب الله مثلاً رجلاً ، (وفي سورة محمد - صلى الله عليه وسلم) نظر المغشي عليه من الموت * مثل الجنة . (وفي الفتح) ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل . (وفي الحشر) كمثل الذين من قبلهم * كمثل الشيطان . (وفي الجمعة) مثل الذين حملوا التوراة . (وفي التحريم) ضرب الله مثلاً للذين كفروا * وضرب الله مثلاً للذين آمنوا .

وكم من كلمة تدور على الألسن مثلاً . جاء القرآن بألخص منها وأحسن (فمن ذلك قولهم) القتل أنقى للقتل * مذكور في قوله : ولكم في القصص حيو^(١)ة .

(وقولهم) ليس المخبر كالمعاین * مذكور في قوله تعالى : ولكن ليطمئن قلبي^(٢) .

(وقولهم) ما تزرع تحصد مذكور في قوله تعالى : من يعمل سوءاً يُجْزِئْهُ^(٣) .

(وقولهم) للحيطان آذان * مذكور في قوله تعالى : وفيكم سمّاعون لهم^(٤) .

(وقولهم) الحمية رأس الدواء * مذكور في قوله تعالى : وكلوا واشربوا ولا تسرفوا^(٥) .

(وقولهم) احذر شر من أحسنت إليه * مذكور في قوله تعالى : وما نَقَمُوا إلا أن أغناهمُ اللهُ ورسولُهُ من فضله^(٦) .

(وقولهم) من جهل شيئاً عاداه * مذكور في قوله تعالى : بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفكٌ قديم^(٧) .

-
- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة البقرة ، آية ١٧٩ . | (٥) سورة الأعراف ، آية ٣١ . |
| (٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٠ . | (٦) سورة التوبة ، آية ٧٤ . |
| (٣) سورة النساء ، آية ١٢٣ . | (٧) سورة الأحقاف ، آية ١١ . |
| (٤) سورة التوبة ، آية ٤٧ . | |

(وقولهم) خير الأمور أوسطها مذكور في قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطُها كُلَّ البَسْطِ^(١) .

(وقولهم) من اعان ظالماً سلطه الله عليه : مذكور في قوله تعالى : كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَانَّهُ يُضْلَهُ^(٢) .

(وقولهم) لما انفضج رمد^(٣) مذكور في قوله تعالى : واعطى قليلاً وأكدى^(٤) .

(وقولهم) لا تلد الحية الا حية : مذكور في قوله تعالى : ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً^(٥) .

فصول في عيوب المتشابه

فصل في الحروف المبدلات

(في البقرة) فسواهن سبع سموات . (وفي حم السجدة) فقضاهن .
(في البقرة) وقلنا يا آدم اسكن . (وفي الاعراف) يا آدم اسكن .
(في البقرة) وظللنا عليكم الغمام . (وفي الاعراف) وظللنا عليهم الغمام .

(في البقرة) فانفجرت منه . (وفي الاعراف) فانبجست .
(في البقرة) بعد الذي جاءك من العلم . (وفي الرعد) بعدما جاءك من العلم .

(في البقرة) للطائفين والعاكفين . وفي (الحجر) والقائمين .
(في البقرة) وما أنزل إلينا . (وفي آل عمران) علينا .
(في البقرة) أو لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً . (وفي المائدة) لا يعلمون .

(١) سورة الأسراء ، آية ٢٩ . (٤) سورة النجم ، آية ٣٤ .
(٢) سورة الحج ، آية ٤ . (٥) سورة نوح ، آية ٢٧ .
(٣) ذكر ابن الأثير في النهاية : شوي أخوك حتى إذا أنضج رمد ، مثل يضرب لمن يصنع المعروف ثم يفسده .

- (في آل عمران) لكيلا تحزنوا . (وفي الحديد) لكيلا تأسوا .
- (في سورة النساء) وخلق منها زوجها . (وفي الاعراف) وجعل .
- (في سورة النساء) ان تبدوا خيراً . (وفي الاحزاب) شيئاً .
- (في الانعام) من إملاق ، (وفي بني اسرائيل) خشية املاق .
- (في الاعراف) فارسل معي بني اسرائيل ، (وفي طه) معنا .
- (في الاعراف) وارسل في المدائن حاشرين ، (وفي الشعراء) وابعث
- (في الاعراف) ثم لاصلبكنم ، (وفي طه) ولاصلبكنم .
- (في التوبة) يريدون أن يطفئوا ، (وفي الصف) ليطفئوا .
- (في يونس) فاتبعهم فرعون وجنوده (وفي طه) بجنوده .
- (في هود) وامطرنا عليها ، (وفي الحجر) عليهم .
- (في الحجر) وما يأتيهم من رسول ، (وفي الزخرف) من نبي .
- (في الحجر) كذلك نسلكه ، (وفي الشعراء) سلكناه .
- (في الكهف) ولئن رددت ، (وفي حم السجدة) ولئن رجعت .
- (في الكهف) فاعرض عنها ، (وفي السجدة) ثم اعرض عنها .
- (في طه) وسلك لكم فيها سبلاً ، (وفي الزخرف) وجعل .
- (في الأنبياء) وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين ، (وفي الصافات) فاردوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين .
- (في الأنبياء) وتقطعوا أمرهم بينهم ، (وفي المؤمنون) فتقطعوا .
- (في النمل) ففزع من في السموات ، (وفي الزمر) فصعق .
- (في القصص) وما أوتيتم ، (وفي عسق) فما أوتيتم .
- (في العنكبوت) ولقد تركنا منها آية ، (وفي القمر) وقد تركناها آية
- (في حم السجدة) ثم كفرتم به (وفي الاحقاف) وكفرتم به .
- (في المدثر) كلا انه تذكرة . (وفي عبس) كلا انها تذكرة .

فصل

في الحروف الزوائد والنواقص

- (في البقرة) فأتوا بسورة من مثله ، (وفي يونس) بسورة مثله .
(في البقرة) الا ابليس ابى واستكبر ، (وفي ص) الا ابليس استكبر
(في البقرة) فمن تبع هداي ، (وفي طه) فمن اتبع .
(في البقرة) واذا نجيئناكم ، (وفي الاعراف) واذا أنجيئناكم .
(في البقرة) يذبحون أبناءكم ، (وفي ابراهيم) ويذبحون .
(في البقرة) حيث شئتم رغداً ، (وفي الاعراف) حيث شئتم .
(في البقرة) وسنزيد المحسنين ، (وفي الاعراف) سنزيد .
(في البقرة) فبدل الذين ظلموا قولاً ، (وفي الاعراف) منهم قولاً
(في البقرة) وذو القربى ، (وفي النساء) وبذي القربى .
(في البقرة) وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون ، (وفي
آل عمران) والنبيون .
(في البقرة) ويكون الدين لله ، (وفي الأنفال) كله لله .
(في آل عمران) من آمن تبغونها عوجاً ، (وفي الاعراف) من
آمن به وتبغونها .
(في آل عمران) الا بشرى لكم ولتطمئن ، (وفي الأنفال) الا
بشرى ولتطمئن به .
(في سورة النساء) فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ، (وفي بني اسرائيل)
فاحشة وساء سبيلاً .
(في الانعام) ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، (وفي باقي القرآن) ما لم
ينزل به سلطاناً .
(في الانعام) ولا أقول لكم اني ملك ، (وفي هود) ولا أقول
اني ملك .

(في الاحزاب) يريد أن يخرجكم من أرضكم ، (وفي الشعراء)
بسحره :

(في الاعراف) وانكم لمن المقربين ، (وفي الشعراء) وانكم اذاً .
(في الاعراف) قال القوا ، (وفي طه) قال بل القوا .
(في الاعراف) قال ابن ام ، (وفي طه) قال يا ابن ام .
(في التوبة) ولا تضروه ، (وفي هود) ولا تضرونه .
(في هود) ولما جاءت رسلنا ، (وفي العنكبوت) ولما ان جاءت .
(في يوسف) ولما بلغ أشده آتيناه حكماً ، (وفي القصص) واستوى
(في النحل) لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ، (وفي الحج) من بعد علم .
(في النحل) وبنعمة الله هم يكفرون ، (وفي العنكبوت) وبنعمة
الله يكفرون .

(في النحل) ولا تك في ضيق مما يمكرون ، (وفي النمل) ولا تكن .
(في الحج) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ، (وفي
الم السجدة) أن يخرجوا منها اعيدوا فيها .
(في الحج) وانما يدعون من دونه هو الباطل . وفي (لقمان) من دونه الباطل .
(في الشعراء) ما تعبدون ، (وفي الصافات) ماذا تعبدون .
(في النمل) ومن شكر ، (وفي لقمان) ومن يشكر .
(في القصص) ويقدر ، (وفي العنكبوت) ويقدر له .
(في النازعات) يوم يتذكر الانسان ، (وفي الفجر) يومئذ يتذكر .

فصل

في المقدم والمؤخر

(في البقرة) وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، (وفي الاعراف)
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً .

(في البقرة) والنصارى والصابئين ، (وفي الحج) والصابئين
والنصارى .

(في البقرة والانعام) قل ان هدى الله هو الهدى ، (وفي آل عمران)
قل ان الهدى هدى الله .

(في البقرة) ويكون الرسول عليكم شهيداً ، (وفي الحج) شهيداً
عليكم .

(في البقرة) وما أهلّ به لغير الله ، (وفي باقي القرآن) لغير الله به :
(في البقرة) لا يقدرّون على شيء مما كسبوا ، (وفي ابراهيم) مما
كسبوا على شيء .

(في آل عمران) ولتطمئنّ قلوبكم به ، (وفي الانفال) به قلوبكم .
(في سورة النساء) كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، (وفي المائدة)
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .

(في الانعام) لا إله إلا هو خالق كل شيء ، (وفي حم المؤمن)
خالق كل شيء لا إله إلا هو .

(في الانعام) نحن نرزقكم وإياهم ، (وفي بني اسرائيل) نحن
نرزقهم وإياكم .

(في النحل) وترى الفلك مواخر فيه ، (وفي فاطر) فيه مواخر .
(في بني اسرائيل) ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ، (وفي
الكهف) في هذا القرآن للناس .

(في بني اسرائيل) قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، (وفي
العنكبوت) بيني وبينكم شهيداً .

(في المؤمنون) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ، (وفي النمل)
لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا .

(في القصص) وجاء رجل من أقصى المدينة ، (وفي يس) وجاء
من أقصى المدينة رجل .

أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر

باب او

تكون بمعنى التخييرة: ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة .

وتكون بمعنى الواو : أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ولا تطع منهم آنماً أو كفوراً .

وتكون بمعنى بل : لبث يوماً أو بعض يوم ، الا كلمح البصر أو هو أقرب ، فكان قاب قوسين أو أدنى .
وتكون للابهام : أو كصيب ، أو يزيدون .

باب ادنى

تكون بمعنى اجدر : وادنى ألا ترتابوا ، ذلك أدنى ألا تعولوا ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة .

وتكون بمعنى أقرب : من العذاب الأدنى ، قاب قوسين أو أدنى .
وتكون بمعنى أقل : ولا أدنى من ذلك ولا أكثر .
وتكون بمعنى ادون : استبدلون الذي هو أدنى .

باب الانزال

تكون بمعنى الحط من علو : ينزل الغيث .
وبمعنى الخلق : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، وأنزلنا الحديد .
وتكون بمعنى القول : سأنزل مثل ما أنزل الله .
وبمعنى البسط : ولكن ينزل بقدر ما يشاء .

باب الارض

الأرض تذكر ويراد بها أرض الأردن : ولا تعيشوا في الأرض مفسلين .

ويراد بها القبر : لو تسوى بهم الأرض .
ويراد بها أرض مكة : كنا مستضعفين في الأرض .
ويراد بها أرض المدينة : ألم تكن أرض الله واسعة .
ويراد بها أرض الاسلام : ويسعون في الأرض فساداً .
ويراد بها أرض التيه : يتيهون في الأرض ،
ويراد بها الأرضون السبع : وما من دابة في الأرض .
ويراد بها أرض مصر : اجعلني على خزائن الأرض .
ويراد بها أرض الحجر : فذروها تأكل في أرض الله .
ويراد بها القلب : فيمكث في الأرض .
ويراد بها أرض الغرب : مفسدين في الأرض .
ويراد بها الجنة : ان الأرض يرثها .
ويراد بها أرض الروم : في أدنى الأرض .
ويراد بها أرض بني قريظة : وأورثكم أرضهم .
ويراد بها أرض فارس : وارضاً لم تظنوها .
ويراد بها أرض القيامة : وأشرقَت الأرض .

باب الامر

الأمر يذكر ويراد به قتل بني قريظة وجلاء النصير : فاعفوا
واصفحوا حتى يأتي الله بأمره .

ويراد به النصير : هل لنا من الأمر من شيء .
ويراد به استدعاء الفعل : ويأمركم أن تؤدوا الامانات .
ويراد به الحصب : أو أمر من عنده .
ويراد به الذنب : لينوق وبال أمره .
ويراد به المشورة : فماذا تأمرون .
ويراد به قتل كفار مكة : ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .
ويراد به فتح مكة : فتربصوا حتى يأتي الله بأمره .
ويراد به الحذر : قد أخذنا أمراً من قبل .

ويراد به القضاء : يدبر الأمر .
ويراد به القول : فلما جاء أمرنا .
ويراد به الغرق : لا عاصم اليوم من أمر الله .
ويراد به العذاب : وقضي الأمر .
ويراد به الشأن : وما أمر فرعون برشيد .
ويراد به القيامة : أتى أمر الله .

باب الانسان

الانسان يذكر ويراد به ابو حذيفة بن عبدالله : واذا مس الانسان الضر .

ويراد به عتبة بن ربيعة : ولئن أذقنا الانسان منا رحمة .
ويراد به الضر بن الحارث : ويدعو الانسان بالشر .
ويراد به ابي بن خلف : أولا يذكر الانسان .
ويراد به آدم : ولقد خلقنا الانسان من سلالة .
ويراد به سعد بن أبي وقاص : ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه
وهنا .

ويراد به عياش بن أبي ربيعة : ووصينا الانسان بوالديه حسناً
وان جاهداك لتشرك .

ويراد به ابو بكر الصديق رضي الله عنه : ووصينا الانسان بوالديه
احساناً حملته أمه كرهاً .

ويراد به عقبة بن ابي معيط : وكان الشيطان للانسان خذولاً .
ويراد به بنو آدم : ولقد خلقنا الانسان ونعلم .
ويراد به برصيصاً^(١) اذ قال للانسان اكفر .
ويراد به الأخنس بن شريق : ان الانسان خلق هلوعاً .

(١) برصيصاً عابد كان من بني إسرائيل ثم وسوس . ذكره الزبيدي في تاج المعروض .

ويراد به عدي بن أبي ربيعة : أبحسب الانسان ان لن نجمع عظامه .
ويراد به أمية بن خلف : فأما الانسان اذا ما ابتلاه .
ويراد به الحارث بن عمرو : لقد خلقنا الانسان في كبد .
ويراد به الأسود بن عبد الأسد^(١) : يا أيها الانسان انك كادح .
ويراد به كلدة بن أسيد : يا أيها الانسان ما غرك .
ويراد به الوليد بن المغيرة : لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم .
ويراد به أبو طالب بن عبد المطلب : فلينظر الانسان مم خلق .
ويراد به عتبة بن أبي لهب : فلينظر الانسان إلى طعامه .
ويراد به قرط بن عبد الله : ان الانسان لربه لكنود .
ويراد به ابو جهل : ان الانسان ليطغى .
ويراد به ابو لهب : ان الانسان لفي خسر .
ويراد به الكافر : وقال الانسان ما لها .

باب الباء

الباء . وتكون بمعنى : واذا فرقنا بكم البحر .
وبمعنى عند : والمستغفرين بالاسحار .
وبمعنى في : بيدك الخير .
وبمعنى بعد : فأثابكم غماً بغم .
وبمعنى على : لو تسوي بهم الأرض .
وتكون صلة : فامسحوا بوجوهكم .
وبمعنى المصاحبة : وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به .
وبمعنى إلى : ما سبقكم بها .
وبمعنى السبب : الذي هم به مشركون ، أي من أجله .
وبمعنى عن : فاسأل به خبيراً .
وبمعنى مع : فتولى بركته ، أي مع جنده .
وبمعنى من : عينا يشرب بها عباد الله .

(١) الذي ذكره المفكرون أنه أبو الأشد بن كلدة الجمحي وسماه أبو حيان اسيد غلغل
الصحيح الأسود أبو الأشد .

باب الحق

- الحق يأتي بمعنى الحرم : ويقتلون النبيين بغير الحق .
- وبمعنى البيان : الآن جئت بالحق .
- وبمعنى المال : وليلمل الذي عليه الحق .
- وبمعنى القرآن : بل كذبوا بالحق .
- وبمعنى الصدق : قوله الحق .
- وبمعنى العدل : وبين قومنا بالحق .
- وبمعنى الاسلام : فيحقق الحق .
- وبمعنى المنجز : وعداً عليه حقاً .
- وبمعنى الحاجة : ما لنا في بناتك من حق .
- وبمعنى لا إله إلا الله : له دعوة الحق .
- ويراد به الله عز وجل : ولو اتبع الحق أهوائهم .
- وبمعنى التوحيد : وأكثرهم للحق كارهون .
- وبمعنى الحظ : والذين في أمواهم حق معلوم .

باب الخير

- الخير يذكر ويراد به . القرآن : أن ينزل عليكم من خير من ربكم
- ويراد به الانفع : نأت بخير منها .
- ويراد به المال : ان ترك خيراً .
- ويراد به ضد للشر : بيدك الخير .
- ويراد به الاصلاح : يدعون إلى الخير
- ويراد به الولد الصالح : ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .
- ويراد به العافية : وان يمسسك بخير .
- ويكون بمعنى النافع : لاستكثر من الخير .
- وبمعنى الايمان : ولو علم الله فيهم خيراً .
- وبمعنى رخص الاسعار : اني أراكم بخير .
- وبمعنى النوافل : وأوحينا إليهم فعل الخيرات .

وبمعنى الاجر : لكم فيها خير .
وبمعنى الافضل : وأنت خير الراحمين .
وبمعنى العفة : ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً .
وبمعنى الصلاح : ان علمتم فيهم خيراً .
وبمعنى الطعام : اني لما أنزلت إلى من خير فقير .
وبمعنى الظفر : لم ينالوا خيراً .
وبمعنى الخيل : أحبيت حب الخير .
وبمعنى القوة : أهم خير .
وبمعنى حسن الأدب : لكان خيراً لهم .
وبمعنى حب الدنيا : انه لحب الخير لشديد .

باب الدين

الدين : يذكر ويراد به الجزاء : مالك يوم الدين .
ويراد به الاسلام : بالهدى ودين الحق .
ويراد به العذاب : ذلك الدين القيم .
ويراد به الطاعة : ولا يدينون دين الحق .
ويراد به التوحيد : مخلصين له الدين .
ويراد به الحكم : ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك .
ويراد به الحد : ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله .
ويراد به الحساب : يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق .
ويراد به العبادة : قل أتعلمون الله بدينكم .
ويراد به الملة : ذلك دين القيمة .

باب الذكر

الذكر : يذكر ويراد به ذكر اللسان : فاذكروا الله كذا كركم
آباءكم .
ويراد به الحفظ : فاذكروا ما فيه .
ويراد به الطاعة : فاذكروني .

ويراد به الصلوات الخمس : فاذا أمنتُم فاذكروا الله .
ويراد به ذكر القلب : ذكروا الله فاستغفروا .
ويراد به البيان : او عجبتم ان جاءكم ذكر .
ويراد به الخير : قل سأتلو عليكم منه ذكراً .
ويراد به التوحيد : ومن أعرض عن ذكري .
ويراد به القرآن : ما يأتيهم من ذكر .
ويراد به الشرف : فيه ذكركم ، وانه لذكر لك .
ويراد به العيب : أهذا الذي يذكر آهتكم .
ويراد به صلاة العصر : عن ذكر ربي .
ويراد به صلاة الجمعة : فاسعوا إلى ذكر الله .

باب الروح

الروح : يذكر ويراد به الأمر : وروح منه .
ويراد به جبريل : فارسنا إليها روحنا .
ويراد به الريح : فنفخنا فيها من روحنا .
ويراد به روح الحيوان : ويسألونك عن الروح .
ويراد به الحياة : فروح وربحان : على قراءة من ضم .

باب الصلوة

الصلوة : تذكر ويراد بها الصلوات الخمس : يقيمون الصلوة .
ويراد بها صلاة العصر : تحبسونهما من بعد الصلوة .
ويراد بها صلاة الجنازة : ولا تصل على أحد منهم .
ويراد بها الدعاء : وصل عليهم .
ويراد بها الدين : اصلوتك تأمرك .
ويراد بها القراءة : ولا تجهروا بصلاتك .
ويراد بها موضع الصلوة : وصلوات ومساجد .
ويراد بها المغفرة والاستغفار : ان الله وملائكته يصلون على النبي
فصلاة الله تعالى المغفرة . وصلوة الملائكة الاستغفار .

ويراد بها الجمعة : اذا نودي للصلاة .

باب عن

ترد صلة : يسألونك عن الأنفال .

وتكون بمعنى الباء : بتاركي آلمتنا عن قولك .

وبمعنى من : يقبل التوبة عن عباده .

وبمعنى على : فانما يبخل عن نفسه .

وبمعنى بعد : لتركن طبقاً عن طبق .

باب الفتنة

تذكر : ويراد بها الشرك : حتى لا تكون فتنة .

ويراد بها القتل : أن يفتنكم الذين كفروا .

ويراد بها المعذرة : ثم لم تكن فتنتهم .

ويراد بها الضلال : ومن يرد الله فتنته .

ويراد بها القضاء : ان هي الا فتنتك .

ويراد بها الاثم : الا في الفتنة سقطوا .

ويراد بها المرض : يفتنون في كل عام .

ويراد بها العبرة : نجعلنا فتنة .

ويراد بها العقوبة : ان تصيبهم فتنة .

ويراد بها الاختيار : ولقد فتنا الذين من قبلهم .

ويراد بها العذاب : جعل فتنة الناس .

ويراد بها الاحراق : يوم هم على النار يفتنون .

ويراد بها الجنون : بآيكم المفتنون .

باب في

تكون بمعنى الظرف : لا ريب فيه .

وبمعنى نحو : قد نرى تقلب وجهك في السماء .

وبمعنى الباء : في ظلل .

وبمعنى إلى : فتنهاجروا فيها .
وبمعنى مع : ادخلوا في أمم .
وبمعنى عند : وأنا لنراك فينا ضعيفاً .
وبمعنى عن : أتجادلونني في أسماء .
وبمعنى على : في جذوع النخل .
وبمعنى اللام : وجاهدوا في الله .
وبمعنى من : يخرج الحباء في السموات .

باب القرية

تذكر ، ويراد بها اربحاء : ادخلوا هذه القرية .
ويراد بها دير هرقل : مر على قرية .
ويراد بها ايليا : واسألهم عن القرية .
ويراد بها مصر : واسأل القرية .
ويراد بها مكة : قرية كانت آمنة .
ويراد بها مكة والطائف : على رجل من القريتين عظيم .
ويراد بها جمع القرى : وان من قرية الا نحن مهلكوها .
ويراد بها قرية لوط : ولقد أتوا على القرية .
ويراد بها انطاكية : واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية .

باب كان

ترد بمعنى وجد : ومن كان ذو عسرة .
وبمعنى الماضي : كان حلاً .
وبمعنى ينبغي : ما كان لبشر .
وصلة : وكان الله غفوراً رحيماً .
وبمعنى هو : من كان في المهد صبياً .
وبمعنى صار : فكانت هباء منبثاً .

باب كلا

هي في القرآن على وجهين :

أحدهما : بمعنى لا ومنه (في مريم) اتخذ عند الرحمن عهداً كلا ليكونوا لهم عزاً كلا . (وفي المؤمنين) ، لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلا ، (وفي الشعراء) فأخاف أن يقتلون كلا ، انا لادركون قال كلا . (وفي سبا) الحقتم به شركاء كلا . وفي (سأل سائل) ثم ننجيه كلا أن يدخل جنة نعيم كلا . (وفي المدثر) ان اريد كلا * أن يؤتى صحفاً منشرة كلا . (وفي القيامة) اين المفر كلا . (وفي المطففين) قال أساطير الاولين كلا . (وفي الفجر) فيقول ربّي أهانني كلا . (وفي الهمزة) أخلده كلا .

فهذه أربعة عشر موضعاً يحسن الوقوف عليها .

والثاني : بمعنى حقاً ومنه . (في المدثر) كلا والقمر * كلا انه تذكرة (وفي القيامة) كلا بل تحبون العاجلة * كلا اذا بلغت التراقي ، (وفي النبأ) كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ، (وفي عبس) كلا انها تذكرة كلا لما يقض ما أمره ، (وفي الانفطار) كلا بل تكذبون بالدين ، (وفي المطففين) كلا ان كتاب الفجار * كلا انهم عن ربهم . كلا ان كتاب الابرار ، (وفي الفجر) كلا اذا دكت الأرض دكاً . (وفي القلم) كلا ان الانسان ليطغى * كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه ، (وفي التكاثر) كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون .

فهذه تسعة عشر موضعاً لا يحسن الوقف عليها . وجملة ما في القرآن ثلاثة وثلاثون موضعاً هي هذه : وليس في النصف الأول منها شيء وقال ثعلب : لا يوقف على كلا في جمع القرآن ..

باب اللام

اللام في القرآن على ضربين مكسورة ومفتوحة .
(فالمفتوحة) ترد بمعنى التوكيد : ان ابراهيم الحليم .
وبمعنى القسم : ليقولن ما يحبس .

وزائدة : ردف لكم .
 (والمكسورة) ترد بمعنى الملك : لله ما في السموات .
 وبمعنى ان : ليطلعكم على الغيب .
 وبمعنى الى : هداانا لهذا .
 وبمعنى كي : ليجزي الذين آمنوا .
 وبمعنى على : دعانا لجنبه .
 وعلة : ان كنتم للرؤيا تعبرون .
 وبمعنى عند : وخشعت الأصوات للرحمن .
 وبمعنى الأمر : ليستأذنكم .
 وبمعنى العاقبة : ليكون لهم عدواً .
 وبمعنى في : لأول الحشر .
 وبمعنى السبب والعلة : انما نطعمكم لوجه الله .

باب لولا

وهي في القرآن على وجهين :

احدهما : امتناع الشيء لوجود غيره . وهو ثلاثون موضعاً : (في البقرة) فلولا فضل الله عليكم ورحمته * ولولا دفع الله الناس : (وفي سورة النساء) ولولا فضل الله عليكم * ولولا فضل الله عليك ، (وفي الأنفال) لولا كتاب من الله سبق : (وفي يونس ، وهود ، وطه ، وحم السجدة ، وعسق) ولولا كلمة سبقت ، (وفي يوسف) ولولا دفع الله ، (وفي النور) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم * ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى ، (وفي الفرقان) لولا ان صبرنا عليها * لولا دعاؤكم : (وفي القصص) لولا ان ربطنا * ولولا أن تصيبهم مصيبة * لولا ان من الله علينا ، (وفي العنكبوت) ولولا أجل مسمى ، (وفي سبأ) لولا أنتم ، (وفي الصافات) ولولا نعمة ربي * فلولا أنه كان من المستبحين ، (وفي عسق) ولولا كلمة الفصل ، (وفي الزخرف) ولولا أن يكون للناس ، (وفي الفتح) ولولا رجال مؤمنون

(وفي الحشر) ولولا أن كتب عليهم الجلاء ، (وفي ن) لولا أن تداركه .
والوجه الثاني : بمعنى هلا ، وهو أربعون موضعاً : (في البقرة)
لولا أن يكلمنا الله ، (وفي النساء) لولا آخرتنا ، (وفي المائدة) لولا
ينهاهم الربانيون ، (وفي الانعام) لولا أنزل عليه ملك . لولا أنزل عليه
آية . فلولا جاءهم بأسنا ، (وفي الاعراف) لولا أجتبيتها ، (وفي
يونس) ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه . فلولا كانت قرية آمنت ،
(وفي هود) لولا أنزل عليه كثر . فلولا كان من القرون ، (وفي الرعد)
لولا أنزل عليه آية من ربه ، (وفي الكهف) لولا يأتون عليهم ، ولولا
أرسلت إلينا رسولاً ، (وفي النور) لولا اذ سمعتموه قلتم ، (وفي
الفرقان) لولا أنزل عليه ملك . لولا أنزل علينا الملائكة . لولا أنزل
عليه القرآن جملة ، (وفي الزمل) لولا تستغفرون الله ، (وفي القصص)
لولا أرسلت . لولا أوتي ، (وفي العنكبوت) لولا أنزل عليه آيات من
ربه (وفي سجدة المؤمن) لولا فصلت آياته ، (وفي الزخرف) لولا
نزل هذا القرآن . فلولا القى عليه أساورة ، (وفي الأحقاف) فلو
نصرهم الذين أخذوا ، (وفي سورة محمد) لولا نزلت سورة ، (وفي
الواقعة) فلولا تصدقون، فلولا تذكرون. فلولا تشكرون، فلولا اذا بلغت
الحلقوم، فلولا ان كنتم، (وفي المجادلة) لولا يعذبنا الله ، (وفي المنافقين)
لولا آخرتني ، (وفي ن) لولا تسبحون .

باب من

تكون صلاة : من قبل أن تمسوهن .
وبمعنى التبعض : من طيبات ما كسبتم .
وبمعنى عن : فتحسبوا من يوسف .
وبمعنى الباء : يحفظونه من أمر الله .
وليبيان الجنس : من أساور .
وبمعنى على : ونصرناه من القوم .
وبمعنى في : ماذا خلقوا من الأرض .

باب الواو

قال ابن فارس : لا تكون الواو زائدة أولاً ، وقد تزداد ثانية ، نحو : كثر . وثالثة ، نحو جدول . ورابعة : نحو قرنوة^(١) . وهو نبت يذبح به الأديم . وخامسة : نحو قمحودة^(٢) .

والواو في القرآن ، تكون بمعنى اذ : وطائفة قد أهتمهم أنفسهم . وبمعنى الجمع : وأيديكم . وبمعنى القسم : والله ربنا . وتكون مضمرة : لتحملهم قلت : المعنى آتوك وقلت ، وصلة « إلا ولها كتاب معلوم » . وبمعنى العطف . أو أبأؤنا .

باب الهدى

يكون بمعنى الثبات : اهدنا الصراط المستقيم .
وبمعنى البيان : على هدى من ربهم .
وبمعنى الرسول : فاما يأتينكم مني هدى .
وبمعنى السنة : فبهدهم اقتده .
وبمعنى الاصلاح : لا يهدي كيد الخائنين .
وبمعنى الدعاء : ولكل قوم هاد .
وبمعنى القرآن : اذ جاءهم الهدى .
وبمعنى الايمان : وزدناهم هدى .
وبمعنى الالهام : ثم هدى .
وبمعنى التوحيد : أن نتبع الهدى .
وبمعنى التوراة : ولقد آتينا موسى الهدى .

(١) القرنوة . بالقاف والراء المهملة والنون كثر قوة .
(٢) القمحودة . بفتح القاف والميم المفتوحة والهاء المهملة والذال المهملة
المضمومة والواو المفتوحة والياء . أعلى القذال خلف الأذنين .

الباب الثاني

فصل

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها

لما كانت اللغة تنقسم قسمين :
أحدهما : الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره .
والثاني : المشتمل على الكنايات والاشارات والتجوزات . وكان هذا
القسم هو المستحلى عند العرب .

نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله ، فكأنه
قال : عارضوه بأي القسمين شتم ، ولو نزل كله واضحاً لقالوا : هلا
نزل بالقسم المستحلى عندنا ، ومتى وقع في الكلام اشارة أو كناية أو
استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن .

قال امرؤ القيس :
وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل
فشبه المنظر بالسهم فحلى هذا عند السامع .

وقال أيضاً :
فقلت له لما تخطى يجوزه وأردف اعجازاً وناء بكل كل
فجعل الليل صلباً وصدرأ على جهة التشبيه ، وقال الآخر :
من كيت أجادها طابحها لم تمت كل موتها في القدور
أراد بالطابخين الليل والنهار .

فتزل القرآن على عادة العرب في كلامهم .
(فمن عادتهم التجوز) وفي القرآن : فما ربحت تجارتهم ، يريد ان
ينقض .

(ومن عادتهم الكناية) ولكن لا تواعدوهن سرأ ، أو جاء أحد
منكم من الغائط .

وقد يكونون عن شيء ولم يجر له ذكر : حتى توارت بالحجاب .
وقد يصلون الكناية بالشيء وهي لغيره . ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
(ومن عاداتهم الاستعارة) في كل واد يهيمون ، فما بكت عليهم
السماء والأرض .

(ومن عاداتهم الحذف) الحج أشهر معلومات: واضرب بعصاك
البحر فانفلق ، واسأل القرية .

(ومن عاداتهم زيادة الكلمة) فاضربوا فوق الأعناق ، (ويزيدون
الحرف) تنبت بالدهن ، (ويقدمون ويؤخرون) ولم يجعل له عوجاً
قيماً ، (ويذكرون عاماً ويريدون به الخاص) الذين قال لهم الناس ،
يريد نعيم بن مسعود ، (وخاصاً يريدون به العام) يا أيها النبي اتق الله
(وواحدلاً يريدون به الجمع) هؤلاء ضيفي ، ثم يخرجكم طفلاً (وجمعاً
يريدون به الواحد) أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة ، (وينسبون
الفعل إلى اثنين وهو لاحدهما) نسيا حوتها * يخرج منها اللؤلؤ ،
(وينسبون الفعل إلى أحد اثنين وهو لهما) والله ورسوله أحق أن يرضوه *
انفضوا إليها ، (وينسبون الفعل إلى جماعة وهو لواحد) واذا قتلتم
نفساً ، (ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل) أتى أمر الله ،
(ويأتون بلفظ المستقبل وهو ماض) فلم تقتلون أنبياء الله ، (ويأتون
بلفظ فاعل في معنى مفعول) لا عاصم اليوم * من ماء دافق * في عيشة
راضية ، (ويأتون بلفظ مفعول بمعنى فاعل) وكان وعده مأثياً * حجاباً
مستوراً، يا موسى مسحوراً ، (ويضمرون الأشياء) وما منا إله مقام
معلوم * أي من له ، (ويضمرون الأفعال) فقلنا اضربوه ببعضها أي
فضربوه ، (ويضمرون الحروف) سنعيدها سيرتها .

ومن عاداتهم : تكرير الكلام ، (وفي القرآن) فبأي آلاء ربكما
تكذبان * وقد يريدون تكرير الكلمة ، ويكرهون إعادة اللفظ . فيغيرون
بعض الحروف * وذلك يسمى الاتباع ، فيقولون ، اسوان اتوان :
أي حزين ، وشيء تافه نافه ، وأنه لثقف لقف ، وجايع نايح ،

وجل^(١) وبل ، وحياءك الله^(٢) وبياك ، وحقير نقير ، وعين جدرة بدرة^(٣) : أي عظيمة ، ونضر مضر ، وسمح لمج ، وسيف ليف ، وشكس لكس ، وشيطان ليطان ، وترقوا شذر مذر ، وشغر بغر ، ويوم عك لك ، اذا كان حاراً ، وعطشان نطشان^(٤) ، وعفريت نفريت ، وكثير بثير ، وكترلز وكن ان ، وحار جار يار ، وقبيح لقبح شقيح ، وثقة نقه ، وهو أشق أمق حبقي : للطويل ، وحسن بسن قسن ، وفعلت ذلك على رغبته ودغمه وشغمه ، ومررت بهم أجمعين اكتبين أبصعين .

فصل

وقد تأتي بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها ، (في القرآن) يُريدُ أن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ، هذا قول الملا . فقال فرعون : فماذا تَأْمُرُونَ^(٥) ، (ومثله) أنا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وإنه لمن الصادقين . فقال يوسف : ذلك ليعلمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ^(٦) . (ومثله) إن الملوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذَلةً . انتهى قول بلقيس ، فقال الله عز وجل : وكذلك يَفْعَلُونَ^(٧) ، (ومثله) من بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدَنَا . انتهى قول الكفار . فقالت الملائكة : هذا ما وَعَاَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ^(٨) :

فصل

وقد تجمع العرب شيئين في كلام فيرد كل واحد منهما إلى ما يليق به . (وفي القرآن) حتى يقولَ الرسولُ والذين آمَنُوا معه متى نصرَ الله إلاَّ إِن نَّصَرَ اللهُ قَرِيبَ^(٩) . والمعنى يقول المؤمنون متى نصر الله ، فيقول الرسول : إلا ان نصر الله قريب ، (ومثله) ومن رحمته جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ^(١٠) . فالسكون بالليل ،

-
- | | | | |
|-------|--------------------------|--------|-------------------------|
| (١) | بتشديد الكلمتين | (٦) | سورة يوسف ، آية ٥١ . |
| (٢) | بتشديد الكلمتين أيضاً . | (٧) | سورة النمل ، آية ٣٤ . |
| (٣) | بالباء الموحدة . | (٨) | سورة يس ، آية ٥٢ . |
| (٤) | بالنون والطاء . | (٩) | سورة البقرة ، آية ٢١٤ . |
| (٥) | سورة الأعراف ، آية ١١٠ . | (١٠) | سورة القصص ، آية ٧٣ . |

وابتغاء الفضل بالنهار ، (ومثله) « وتعزّروه وتوقروه وتسبحوه ^(١) » ،
فالتعزير والتوقير للرسول والتسبيح لله عز وجل .

فصل

وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان . فيبينونه متصلاً بالكلام تارة .
ومنفصلاً أخرى . وجاء القرآن على ذلك .

(فمن المتصل ببيانه) يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات .
وأما المنفصل : فتارة يكون في السورة (كقوله في براءة) قد نبأنا
الله من أخباركم ، بيانه فيها عند قوله : لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا
خيبالا .

وتارة يكون في غير السورة (كقوله في البقرة) وأوفوا بعهدي
أوف بعهدكم ، بيانه في المائة : لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأُكفّرَنَّ عنكم
سيئاتكم ، (وفي سورة النساء) يخادعون الله وهو خادعُهُمْ . بيانه في
الحديد ، قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً ، (وفي الاعراف) وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين ، بيانه في تبارك قد جاءنا نذير فكذبنا ،
(وفي الاعراف) أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، بيان النصيب في
الزمر ، ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ،
(وفي الاعراف) وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا .
بيانها في القصص . ونريد أن نمّن ، (وفي براءة) الا عن موعدة وعدّها
ايّاه : بيانها في مريم . سأستغفر لك ربّي ، (وفي يونس) وتذكيري بآيات
الله ، بيانها في نوح : ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ،
(وفي يونس) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، بيانه في حم
السجدة : تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، (وفي
ابراهيم) أولم تكونوا اقسّم من قبل ما لكم من زوال ، بيانه في

(١) سورة الفتح ، آية ٩ .

النحل : واقسموا بالله جهدَ ايْمَانِهِمْ لا يبعثُ اللهُ من يموت بلى ، (وفي ابراهيم) وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ، بيانه في العنكبوت : فمنهم من أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَدَتْهُ الصَّيْحَةُ ، (وفي النحل) وعلى الذين هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، بيانه في الانعام : حرمانا كلَّ ذِي ظُفَرٍ ، (وفي بني اسرائيل) ويدعو الانسانُ بالشر ، بيانه في الأنفال : فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ ، (وفي بني اسرائيل) لَأَحْتَبِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ اِلَّا قَلِيلًا . بيانه في الحجر : اِلا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ، (وفي مريم) أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ . بيانه في بني اسرائيل : واستفزز من استطعت منهم ، (وفي طه) فقولا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ، بيانه في النازعات : هَلْ لَكَ أَنْ تَزَكِّي . (وفي طه) ولم تَرْقُبْ قَوْلِي ، بيانه في الاعراف . أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي . (وفي النمل) فاذا هم فريقان يختصمون ، بيان خصومتهم في الاعراف : ان صالحًا مرسلٌ من ربه . (وفي الأحزاب) هذا ما وعدنا اللهُ ورسولُهُ ، بيان الوعد في آل عمران : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ . (وفي الصافات) ولقد نادانا نوحٌ ، بيانه في القمر : اِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِر . (وفي الصافات) فحق علينا قولُ رَبِّنا ، بيانه في ص : لا ملئن جهنم . (وفي الصافات) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ، بيانه في المجادلة : لاغلبن أنا ورسلي . (وفي المؤمن) أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَاحِيتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، بيانه في البقرة : وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، (وفي المؤمن) يوم التنادي ، بيانه في الاعراف : وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ . (وفي المجادلة) فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، بيانه في الانعام : وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ ، (وفي ن) اذ نادى وهو مكظومٌ ، بيانه في الأنبياء : ان لا إله إلا أنت .

فصل

وقد تذكر العرب جواب الكلام مقارناً له ، وقد تذكره بعيداً عنه وعلى هذا ورد القرآن .

(فأما المقارن من الجواب) فقلوه : يَسْأَلُونكَ عَنْ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ ، يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَقْوُ .

(وأما البعيد) فتارة يكون في السورة . كقلوه في (الفرقان) ما لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، جوابه فيها : وما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِیَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ .

وتارة يكون في غير السورة ، كقلوه تعالى (في الانفال) لو نشاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ، جوابه في بني اسرائيل : قل لان اجتمعت الانس والجن على أن یأتوا بمِثْلِ هذا القرآن لا یأتون بمِثْلِهِ . (في الرعد) ويقول : الذين كفروا لست مرسلًا ، جوابه في يس : إنك لمن المرسلين . (في الحجر) انك لمجنون . ، جوابه في ن : ما أنت بنعمة ربك بمجنون . (في بني اسرائيل) أو تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِبْرًا ، جوابه في سبأ : ان نشاءُ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كِسْفًا من السماء . (في الفرقان) قالوا وما الرحمن ، جوابه : الرحمن علم القرآن . (في ص) واصبروا على آلهتكم ، جوابه في حم السجدة : فان يصبروا فالنار مثوى لهم . (في المؤمن) وما أهدیکم الا سبیلَ الرشاد ، جوابه في هود : وما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . (في الزخرف) لولا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ، جوابه في القصص : وربك یخلق ما یشاء ویختار ما كان لهم الخیرة . (في الدخان) ربنا اکشف عنا العذاب ، جوابه في المؤمنین : ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر . (في القمر) أم یقولون نحن جمیع منتصر ، جوابه في الصافات : ما لکم لا تناصرون . (في الطور) أم یقولون تقوله ، جوابه في الحاقة : ولو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ .

فصل

واعلم أن لغة العرب واسعة ولهم التصرف الكثير فتراهم يتصرفون في اللفظة الواحدة بالحركات ، فيجعلون لكل حركة معنى كالحمل^(١)

(١) بكسر الحاء في الأول وفتحها في الثاني .

والحمل والروح^(١) والروح .

وتارة بأعجام . كالنضح^(٢) والنضح ، والقبضة^(٣) والقبضة ،
والمضمضة^(٤) والمضمضة .

وتارة يقلبون حرفاً من كلمة ولا يتغير عندهم معناها ، كقولهم :
صاعقة وصاقعة ، وجذب وجذب ، وما أطيبه وأيطبه ، وربض وربض ،
وانبض في القوس وانضب ، ولعمري ورعيلي ، واضمحل وامضحل ،
وعميق ومعيق ، وسبب وبسبس ، ولبكت الشيء وبلكته ، واسير
مكبل ومكبل ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، وناقة ضمزم وضرزم ،
إذا كانت مسنة ، وطريق طامس وطاسم ، قفا الاثر وقاف الاثر ، وقاع
البعير الناقة وقعاها ، وقوس عطل وعلط ، لا وتر عليها ، وحارية
قتين وقنت : قليلة الدر ، وشرخ الشباب وشخره : أوله ولحم خنز
وخزن ، وعاث يعيث وعثي يعثي : إذا أفسد ، وتتح عن لقم الطريق
ولقى الطريق ، وبطيخ وبطيخ . وماء سلسال ولسلاس ، ومسلسل وملساس إذا
كان صافياً ، ودقسم فاه بالحجر دمه : إذا ضربه ، وفثأت القدر
وثفأها : إذا سكنت غليانها ، وكبكت الشيء وبكبكته ، إذا طرحت
بعضه على بعض .

فصل

ومن سعة اللغة وحسن تصرفها ، ان العرب تضع للشيء الواحد
اسماءً من غير تغير يعتريه .

(فيقولون) السيف والمهند والصارم .

ويغيرون الاسم بتغير يعترى (فيقولون) لمن نزل بالركبي يملأ الدلو
مايح ، وللمستقي من أعلاها ماتح ، فالتاء المعجمة من فوق لمن فوق ،
والياء المعجمة من تحت لمن تحت .

(١) يضم الراء في الأول وفتحها في الثاني .

(٢) النضح بالحاء المهملة أقل من النضح بالحاء المعجمة .

(٣) القبضة بالصاد المعجمة في الكف وبالصاد المهملة في الأصابع .

(٤) المضمضة بالمعجمين ماأ الفم وبالمهلتين بطرف الشفاه .

وتضع العرب للشيء الواحد أسماء تختلف باختلاف محاله (فيقولون) لمن انحسر الشعر من جانبي جبهته انزع ، فاذا زاد قليلاً قالوا : اجلح ، فاذا بلغ الانحسار نصف رأسه قالوا : اجلى واجله ، فاذا زاد قالوا : أصلح ، فاذا ذهب الشعر كله قالوا : احص ، والصلح عندهم ذهاب الشعر ، والقرع ذهاب البشرة . (ويقولون) شفة الانسان ، ويسمونها من ذوات الخف : المشفر ، ومن ذوات الظلف : المقمة ، ومن ذوات الحافر : الحقفلة ، ومن السباع : الخطم ، ومن ذوات الجناح غير الصايد : المتقار ، ومن الصايد : المنسر ، ومن الخنزير : الفنطسة .

(ويقولون) صدر الانسان ، ويسمونه من البعير الكركرة ، ومن الأسد الزور ، ومن الشاة القص ، ومن الطائر : الجوجو ، ومن الجرادة : الجوشن .

(والثدي للمرأة) وللرجل : ثندوة ، وهو من ذوات الخف : الخلف ، ومن ذوات الظلف : الضرع ، ومن ذوات الحافر والسباع : الطبي .

(والظفر للانسان) وهو من ذوات الخف : المنسم ، ومن ذوات الظلف : الظلف ، ومن ذوات الحافر : الحافر ، ومن السباع والصابد من الطير : المخلب ، ومن الطير غير الصائد والكلاب ونحوها : البرثن ، ويموز البرثن في السباع كلها .

(والمعدة) للانسان بمنزلة الكرش للانعام . والحوصلة للطائر .

فصل

وتفرق العرب في الشهوات .

(فيقولون) جائع في الخبز ، قرم إلى اللحم ، عطشان إلى الماء ، عيماذ إلى اللبن ، قرد إلى التمر ، جعم إلى الفاكهة ، شبق إلى النكاح .

(ويقولون) البيض للطائر ، والمكن للضباب ، والمازن للنمل ، والسرو للجراد ، والصواب للقمل .

(ويفرقون في المنازل) فان كان من مدر . قالوا : بيت : وان كان من وبر ، قالوا : بجاد ، وان كان من صوف : قالوا : خباء : وإن كان من الشعر ، قالوا : فسطاط ، وإن كان من غزل : قالوا : خيمة ، وإن كان من جلود ، قالوا : قشع .

(ويفرقون في الأوطان) فيقولون : وطن الانسان ، وعطن البعير ، وعرين الأسد ، ووجار الذئب والضبع ، وكناس الطيبي ، وعش الطائر ، وقرية النمل ، وكور الزناير ، وناقعاء البربوع .

(ويقولون) لما يضعه الطائر على الشجر : وكر ، فان كان على جبل أو جدار فهو : وكن ، وإذا كان في كن فهو : عش ، وإذا كان على وجه الأرض فهو : افحوص : والادحى للنعام خاصة .

(ويقولون) عدا الانسان ، واحضر الفرس ، وارقل البعير ، وعسل الذئب ، ومزع الطيبي وزف النعام .

(ويقولون) طفر الانسان ، وضبر الفرس : ووثب البعير ، وقفز العصفور ، وطمر البرغوث .

(ويفرقون في أسماء الأولاد— فيقولون) لولد كل سبع : جرو ، ولولد اكل ذي ريش : فرخ ، ولولد كل وحشية : طفل ، ولولد الفرس : مهر وقلو ، ولولد الحمار : جحش وعفو : ولولد البقرة : عجل ، ولولد الأسد : شبل ، ولولد الظبية : خشف ، ولولد الفيل : دغفل . ولولد الناقة : حواز ، ولولد الثعلب : هجرس ، ولولد الضب : حسل ، ولولد الأرنب : خرنق ، ولولد النعام : رأل ، ولولد الدب : ديسم ، ولولد الخنزير .^(١) . ولولد البربوع والفأرة : درص ، ولولد الحية : حريش .

(ويفرقون في الضرب -- فيقولون) : للضرب بالراح على مقدم الرأس : صقع ، وعلى القفا : صفع ، وعلى الوجه : صدك ، وعلى الخد

(١) جمعه خنايص .

ببسط الكف : لطم ، وبقبضها : لكم ، وبكلتا اليدين : لدم ، وعلى
الذقن والحنك : وهز ، وعلى الجنب : وخز ، وعلى الصدر والبطن
بالكف : وكز ، وبالركبة : زين ، وبالرجل : ركل ، وكل ضارب
بموخره من الحشرات كلها كالعقارب : تلسع ، وكل ضارب منها
بفيه : يلدغ .

(ويفرقون) في الكشف عن الشيء من البدن ، فيقولون : حسر عن
رأسه ، وسفر عن وجهه ، واقر عن نابه ، وكشر عن أسنانه ، وابدى
عن ذراعيه ، وكشف عن ساقيه ، وهتك عن عورته .

(ويفرقون في الجماعات) فيقولون : موكب من الفرسان ، وكبكية
من الرجال ، وجوقة من الغلمان ، ولمة من النساء ، ورعيل من الخيل ،
وصرمة من الابل ، وقطيع من الغنم ، وسرب من الطباء ، وعرجلة من
السباع وعصابة من الطير ورجل من الجراد ، وخشرم من النحل .

(ويفرقون في الامتلاء) فيقولون : بجر طام ، ونهر طافح ، وعين
ثرة ، واناة مفعم ، ومجلس غاص بأهله .

(ويفرقون في اسم الشيء اللين) فيقولون : ثوب لين ، ورمح
لدن ، ولحم رخص ، وريح رخاء ، وفراش وثير ، وأرض دمتة .

(ويفرقون في تغير الطعام وغيره) فيقولون : ارواح اللحم ، واسن
الماء ، وخنز الطعام ، وسنخ السمن ، وزنخ الدهن ، وقنم الجوز ،
ودخن الشراب ، وصدى الحديد ، ونغل الأديم .

(ويقولون) يدي من اللحم غمرة ، ومن الشحم زهمة : ومن البيض
زهكة ، ومن الحديد سهكة ، ومن السمك صمرة ، ومن اللبن والزبد
شثرة ، ومن الثريد مرة ، ومن الزيت قنمه ، ومن الدهن زنخة ، ومن
الحل خمطة ، ومن العمل لزقة ، ومن الفاكهة لزجة ، ومن الزعفران
ردغة ، ومن الطين ودغة ، ومن العجين ودخة ، ومن الطيب عبقة ،
ومن الدم ضرجة وسطلة وسلطة ، ومن الوحل لثقة ، ومن الماء
بللة ، ومن الحمأة ثلثة ، ومن البرد صردة ، ومن الاشنان قضضة .
ومن المداد وجدة ، ومن البزر والنفط نمشة ونثمة . ومن البول قتمة ،
ومن العنبرة طفسة ، ومن الوسخ درنة ، ومن العمل مجلة .

(ويفرقون في الوسخ) فاذا كان في العين قالوا : رمص ، فاذا جف قالوا : غمص ، فاذا كان في الاسنان قالوا : حفر ، فاذا كان في الأذن فهو : اف ، وإذا كان في الأظفار فهو : تف ، وإذا كان في الرأس قالوا : حزاز ، وهو في باقي البدن : درن .

(ويقولون في الرياح) فاذا وقعت الريح بين ريحين فهي : نكباء . فاذا وقعت بين الجنوب والصبأ فهي : الجرياء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي : المتناوحة ، فاذا جاءت بنفس ضعيف فهي : التسيم ، فاذا كانت شديدة فهي : العاصف ، فاذا قويت حتى قلعت الخيام فهي : الهجوم ، فاذا حركت الأشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي : الزرع ، فاذا جاءت بالحصباء فهي : الحاصب ، فاذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء فهي : الاعصار ، فاذا جاءت بالغبرة فهي : الهبوة ، فاذا كانت باردة فهي : الحرجف والصرصر : فاذا كان مع بردها ندى فهي : البليل ، فاذا كانت حارة فهي : السموم ، فاذا لم تلقح ولم تحمل مطراً فهي : العقيم .

(ويفرقون في المطر) فأوله رش ، ثم طش ، ثم طل ، ورذاذ ، ثم نضخ ، ثم هضل ، وتهتان ، ثم وابل وجود . فاذا أحيا الأرض بعد موتها فهي : الحياء ، فاذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة فهو : الغيث ، وإن كان صغار القطر فهو : الققط ، فاذا دام مع سكون فهو : الديمة ، فاذا كان عاماً فهو : الجداء ، وإذا روى كل شيء فهو : الجود ، فاذا كان كثير القطر فهو : الهطل والتهتان . فاذا كان ضخماً القطر شديد الوقع فهو : الربل .

(ويقولون) هجهجت بالسبع : وشايحت بالابل : ونعقت بالغنم ، وسأسأت بالحمار ، وهأهأت بالابل — إذا دعوتها للعلف ، وجأجأت بها — إذا دعوتها للشرب ، واشليت الكلب — دعوته : وأسدته أرسلته .

(ويفرقون في الأصوات) فيقولون : رغا البعير . وجرجر . وهدر . وققب ، واطت الناقة ، وصهل الفرس ، وحمحم ، ونهم الفيل ، ونهق الحمار — وسحل . وشحج البغل . ونخارت البقرة وجأرت ،

وثاجت النعجة ، وثفت الشاة - ويعرت ، وبغم الظبي - ونزب ،
ووعوى الذئب ، وضبح الثعلب ، وضغت الأرنب ، وعوى الكلب -
ونبح ، وصأت السنونو ، وضأت الفأرة ، وفحت الأنف ، ونعق
الغراب - ونعب ، وزقا الديك - وسقع ، وصفر النسر ، وهدر الحمام
- وهدل ، وغرد المكاء ، وقبع الخنزير ، ونقت العقرب ، وانقضت
الضفادع - ونقت أيضاً ، وعزفت الجن .

فصل

وتقول العرب في الأمر : وهن ، وفي الثوب : وهى ، وفي الحساب :
غلت ، وفي غيره : غلط ، ومن الطعام : بشم ، ومن الماء : بفر ،
وحلا الشيء في فمي ، وحلى في عيني .

فصل

المراهق من الغلمان بمنزلة المعصر من الجواري ، والحزور من الصبيان
بمنزلة الكاعب ، والكهل من الرجال بمنزلة النصف من النساء ، والقارح
من الخيل بمنزلة البازل من الابل ، والعجل من البقر ، والشادن من الغطاء .
كالناهض من الفراخ ، والبكر من الابل بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة
الجارية ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة ، والبعر بمنزلة
الانسان ، والغرز للجمل . كالركاب للفرس ، والغدة للبعير . كالتاعون
للانسان ، والهاالة من القمر . كالدارة من الشمس ، والبصيرة في القلب .
كالبر في العين ، والاسباط في بني اسحق . كالقبائل في بني اسماعيل ،
وارداد الملوك في الجاهلية . كالوزراء في الاسلام ، والاقبال لحمير .
كالبطارق للروم . والقواد للعرب .

فصل

وللعرب خاص وعام .
فالبغض عام ، والفرك بين الزوجين خاص ، والنظر إلى الأشياء عام ،

والشيم إلى البرق خاص ، الصراخ عام ، والواعية على الميت خاص ،
الذنب للحيوان والبهائم عام ، والذئابي للفرس خاص ، السير عام ،
والسري بالليل خاص ، الهرب عام ، والاباق للعبيد خاص ، الرائحة
عام ، والقتار للشواء خاص .

فصل

ومن جملة المسلم للعرب : أنهم لا يقولون مائدة . الا اذا كان عليها
طعام والا فهي : خوان ، ولا للعظم عرق إلا ما دام عليه لحم ، ولا
كأس . الا اذا كان فيه شراب . والا فهي : زجاجة ، ولا كوز
الا اذا كانت له عروة . والا فهو كسوب ، ولا رضاب الا اذا كان في
القم . والا فهو : بصاق ، ولا أريكة الا للسرير اذا كان عليه قبة .
فان لم يكن عليه قبة فهو : سرير ، ولا ربطة الا اذا كانت لفقتين :
والا فهي : ملاءة ، ولا خدر . الا اذا كان فيه امرأة ، والا فهو :
ستر ، ولا للمرأة ظعينة . الا اذا كانت في الهودج ، ولا قلم . الا اذا
كان مبرياً . والا فهو : انبوب ، ولا عهن ، الا اذا كان مصبوغاً ،
والا فهو : صوف . ولا وقود ، الا اذا اتقدت فيه النار ، والا فهو :
حطب . ولا ركية الا اذا كان فيه ماء ، والا فهي : بئر ، ولا للابل
رأوية ، الا ما دام عليها الماء . ولا للدلو سجل الا ما دام فيها الماء ، ولا
ذنوب ، إلا ما دامت ملأى ، ولا نفق الا اذا كان له منفذ والا فهو :
سرب . ولا لسرير ، نعش الا ما دام عليه الميت . ولا للخاتم خاتم ،
الا اذا كان عليه فص ، ولا رمح الا اذا كان له زوج وسنان : والا
فهو : انبوب وقناة . ولا لطيفة ، الا للابل التي تحمل الطيب والبز
خاصة . ولا حمولة الا للتي تحمل الامتعة خاصة . ولا بدقة ، الا للتي
تجعل للنحر . ولا ركب ، الا لركبان الابل . ولا هضبة ، الا اذا كانت
حمراء . ولا يقال غيث . الا اذا جاء في ابانه ، والا فهو : مطر ، ولا
يقال عش ، حتى يكون عيدانا مجموعة ، فاذا كان نقباً في جبل أو حائط
فهو : وكر ووكن .

الباب الثالث

في علوم الحديث

فصل في ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم

ذكر نسبه

هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان^(١) بن اد بن ادد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن الهيمس بن النبت
ابن قيدر بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن سارغ بن ارغوة
ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ
ابن اخنوخ بن يزد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم .
وأمة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

ذكر اسمائه

هو محمد ، وأحمد ، والملاحي ، والحاشر ، والعاقب^(٢) ، والمقفي ،
ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحم ، والشاهد ، والبشير ،
والنذير ، والضحوك ، والقتال ، والمتوكل ، والقاتح ، والحاتم ،
والمصطفى ، والرسول ، والنبي ، والامي ، والقثم .

فالعاقب آخر الأنبياء ، والمقفي تبع الأنبياء . والضحوك صفته في
التوراة — لأنه كان طيب النفس فكها ، والقثم من القثم : وهو الأعطاء .

(١) حكى عن النبي أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز إلى عدنان .

(٢) هذه الأسماء وردت في صحيح البخاري ٤ / ١٦٢ .

ذكر عمومته

الحارث والزبير ، وابو طالب ، وحمزة ، وابو لهب ، والغيداق ،
والمقوم ، وضرار ، والعباس ، وقثم ، وحجل واسمه المغيرة .

ذكر عماته

أم حكيم ، وهي البيضاء ، وبرة ، وعاتكة ، وصفية ، واروى
وأمية ، واسلمت صفية ، واختلف في عاتكة وأروى وأمية .

ذكر أزواجه

تزوج خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم حفصة ، ثم أم سلمة ، ثم
جويرية ، ثم زينب بنت جحش ، ثم زينب بنت خزيمة ، ثم أم حبيبة ،
ثم صفية ، ثم ميمونة ، فماتت خديجة وزينب بنت خزيمة في حياته ،
وتوفي عن التسع البواق .

ذكر أولاده

القاسم ، وعبدالله ، وهو الطيب والظاهر^(١) ، وإبراهيم ،
وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم .

ذكر مواليه

أسلم : ويكنى أبارافع ، ابو رافع : آخر والد البهي ، احمر ، أنسة ،
أسامة ، أفلح ، ثوبان ، ذكوان ، رافع ، رباح ، زيد بن حارثة ،
سلمان ، سالم ، سليم ، سابق ، سعيد ، شقران ، واسمه صالح ،
ضميرة ، عبيدالله عبيد ، فضالة ، كيسان ، مهران — وهو سفينة ،
وقيل اسمه سفينة ، وقيل رومان — وقيل عبس ، مدغم ، نافع ، نقيع
— وهو ابو بكر ، بنيه ، واقد ، وردان ، هشام ، يسار ، أبو اثيلة ،
أبو الحمراء ، أبو ضميرة ، أبو عبيد ، ابو مويهبة ، ابو واقد : ابو
لبابة ، ابو لقيط ، ابو هند ، سابور .

(١) الطيب والظاهر لقبان لعبد الله .

ذكر مؤنثيه

بلال ، وسعد ، وابن أم مكتوم ، وابو عذرة .

ذكر كتابه

أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، أبي ، زيد ، معاوية ، حنظلة ،
خالد بن سعد ، أبان بن سعيد ، العلاء بن الحضرمي ، وكان المداوم على
الكتابة زيد ومعاوية .

ذكر نقباء الانصار

أسعد بن زرارة ، اسيد بن خضير ، البراء بن معرور ، رافع بن
مالك ، سعد ابن خيثمة ، سعد بن الربيع ، عبدالله بن رواحة ، عبدالله
ابن عمرو بن حزام ، عباد بن الصامت ، سعد بن عباد ، المنذر بن
عمرو ، أبو الهيثم بن التيهان ، ونقب النبي صلى الله عليه وسلم على
النقباء اسعداً .

تسمية من جمع القرآن حفظاً

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عثمان بن عفان ، أبي ، معاذ بن جبل ، ابو الدرداء ، زيد بن
ثابت ، ابو زيد الأنصاري ، قال ابن سيرين : وتميم الداري ، وقال
القرطبي : وعباد بن الصامت ، وأبو أيوب .

تسمية من كان يفتي

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وابن مسعود ، وإبي ، ومعاذ ، وعمار ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ،
وأبو الدرداء ، وأبو موسى ، وسلمان .

تسمية من تأخر موته من الصحابة

آخر من مات من أهل العقبة : جابر بن عبدالله بن عمرو ، ومن أهل بدر : أبو اليسر ، ومن المهاجرين : سعد ابن أبي وقاص ، وهو آخر العشرة موتاً ، وآخر من مات بمكة من الصحابة : ابن عمر ، وبالمدينة : سهل بن سعد بن معاذ ، وبالكوفة : عبدالله بن أبي اوفى ، وبالبصرة : انس بن مالك ، وبمصر : عبدالله بن الحارث بن جزء ، وبالشام : عبدالله بن يسر ، وبخراسان : بريدة ، وآخر الناظرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً : أبو الطفيل عامر بن واثلة .

تسمية فقهاء المدينة السبعة

سعيد بن المسيب ، والقاسم ، وابو بكر بن عبد الرحمن ، وخارجة ، وعبيدالله بن عبدالله ، وعروة ، وسليمان بن يسار .

منتخب من ذكر الاوائل

أول من خلق الله القلم ، أول جبل وضع في الأرض : ابو قبيس ، أول مسجد وضع في الأرض : المسجد الحرام ، أول ولد آدم : قابيل ، أول من خط وخاط : ادريس ، أول من اختن وضاف : ابراهيم ، أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية : اسماعيل ، أول من عمل القرايطيس : يوسف ، أول من سرد الدروع وقال أما بعد : داود ، أول من صبغ بالسواد : فرعون ، أول من دخل الحمام وعمل الصابون : سليمان ، أول من طبخ الآجر : هامان .

فصل

أول من سيب السوايب : عمرو بن لحي . أول من سن الدية مائة من الابل : عبد المطلب ، أول من قطع في السرقة في الجاهلية : وقضى بالقسامة - وخلع نعليه عند دخول الكعبة : الوليد بن المغيرة ، أول من قضى في الخنثى من حيث يبول : عامر بن الظرب ، أول عربي قسم الذكر مثل حظ الانثيين : عامر بن جشم .

فصل

أول ما نزل من القرآن : اقرأ باسم ربك ، أول آية نزلت في القتال : اذن للذين يقاتلون ، أول من أسلم من الرجال : أبو بكر ، ومن الصبيان : علي ، ومن الموالى : زيد ، ومن النساء : خديجة ، ومن الأنصار : جابر بن عبدالله بن رباب ، أول من هاجر إلى الحبشة : حاطب بن عمرو ، وإلى المدينة : مصعب بن عميرة ، ومن النساء : أم كلثوم بنت عتبة ، أول من بايع ليلة العقبة : أسعد بن زرارة ، أول من بايع بيعة الرضوان : أبو سنان الاسدي ، أول من أذن : بلال ، أول من بنى مسجداً في الاسلام : عمار ، أول من سل سيفاً في الاسلام : الزبير ، أول من عدا به فرسه في سبيل الله : عبدالله بن جحش ، وهو أول من دعا يا أمير المؤمنين ، أول شهيد في الاسلام : سمية .

فصل

أول ظهار كان في الاسلام : ظهار أوس بن الصامت من المجادلة ، أول خلع كان في الاسلام : خلع حبيبة بنت سهل بن ثابت بن قيس ، أول لعان كان في الاسلام : لعان هلال بن أمية مع زوجته ، أول مرجوم كان في الاسلام : ماعز ، أول من سن الصلاة عند القتل : حبيب ، أول من أوصى بثلاث ماله : البراء ابن معرور ، أول من دفن بالقيع : عثمان ابن مظعون .

فصل

أول من جمع القرآن : أبو بكر ، أول من قص : تميم ، أول من وضع النحو : ابو الأسود ، أول من نقط المصحف يحيى بن يعمر .

فصل

أول ما يرفع من الناس : الخشوع ، أول ما تفقدون من دينكم : الامانة ، أول الآيات : طلوع الشمس من مغربها ، أول من تنشق عنه

الأرض : نبينا - وهو أول من يقرع باب الجنة ، وأول شافع ، وأول مشفع ، أول من يكسي ابراهيم ، أو ما يحاسب العبد به : الصلوة ، أول أمة تدخل الجنة : أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

مفتخب في ذكر المنسويين الى غير اياتهم

فمن المنسويين إلى أمهاتهم : بلال بن حمامة ، وأسم أبيه : رباح ، ابن أم مكتوم - واسم أبيه عمرو ، بشير ابن الخصاصية واسم أبيه معبد ، الحارث ابن البرصاء واسم أبيه مالك ، حفاف ابن نذبة واسم أبيه عمير ، سعد ابن جنبه واسم أبيه بحير ، شرحبيل ابن حسنة واسم أبيه عبدالله ، عبدالله ابن بجينة واسم أبيه مالك ، مالك ابن نميلة واسم أبيه ثابت ، معاذ ومعوذ ابنا عفراء واسم أبيهما الحارث ، يعلى ابن سبابة واسم أبيه مرة ، يعلى ابن منية واسم أبيه أمية . وهؤلاء كلهم صحابة .

ومن العلماء بعدهم : اسماعيل ابن علي واسم أبيه ابراهيم ، منصور ابن صفية واسم أبيه عبد الرحمن ، محمد ابن عائشة واسم أبيه : حفص ، ابراهيم بن اهراسة واسم أبيه سلمة . محمد ابن عثمة واسم أبيه خالد .

فصل

في ذكر اسماء تساوى فيها الرجال والنساء

فمن ذلك ما تساوى فيه الاسم والنسب :

أمية بن أبي الصلت قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد أمية يسلم^(١) » ، أمية بنت أبي الصلت روى حديثها ابن اسحاق ، أمية بن عبدالله - حدث عن ابن عمر ، أمية بنت عبدالله - تروي عن عائشة ، عمارة بن حمزة - من ولد عكرمة ، عمارة بنت حمزة - وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد .

(١) رواه البخاري وسلم وابن ماجه وابن حنبل .

فضالة بن الفضل - حدث عن أبي بكر بن عياش ، فضالة بنت الفضل -
- روى عنها عبد الرحمن بن جبلة .

طلحة بن أبي سعيد المصري - روى عن القاسم بن محمد ، طلحة
بنت أبي سعيد - روى عنها ابن أبي جبلة أيضاً .

هند بن المهلب - روى عنه محمد بن الزبرقان ، هند بنت المهلب
- حدثت عن أبيها .

هبة بن أحمد شيخنا ، هبة بنت أحمد - حدثت عن أحمد بن محمود .

فصل

ومن ذلك ما يشابه في الخط ويتباين في اللفظ مع تساوي اسم الأب :
بسرة بنت صفوان - صحابية ، يسرة بن صفوان - حدث عن إبراهيم
ابن سعد ، حمزة بن عبدالله جماعة ، جمرة بنت عبدالله - صحابية ،
خيثمة بن عبد الرحمن - روى عن ابن عمر ، حنمة بنت عبد الرحمن
- أخت أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه .

فصل

ومن الأسماء التي تساوى فيها الرجال والنساء دون انسابهم : اسما
ابن حارثة - واسما بن رباب : صحابيان ، اسماء بنت أبي بكر - واسما
بنت عميس : صحابيتان .

بركة أم يمن : مولاة رسول الله - بركة أم عطا ابن أبي رباح ،
ومن الرجال : بركة بن الوليد - روى عن ابن عباس ، وبركة بن نشيط
روى عن عثمان ابن أبي شيبة .

بريدة بن الحصيص - صحابي ، بريدة بنت بشر - صحابية .

جويرية بن مسهر - يروي عن علي ، جويرية بن بشير - يروي عن
الحسن ، جويرية بن أسماء - عن نافع ، جويرية بن الحجاج - شاعر .

ومن النساء : جويرية أم المؤمنين ، جويرية بنت زياد ، جويرية بنت علقمة .

حميضة بن رقيم - صحابي ، حميضة ابن الشمرذل - تابعي ،
حميضة بن قيس - شاعر . ومن النساء : حميضة بنت ياسر ، حميضة بنت أبي كثير .

الرباب بنت البراء بن معرور ، الرباب بنت كعب - أم حذيفة ،
الرباب بنت النعمان - عمة سعد بن معاذ ، الرباب زوجة الحسين بن علي : وفي الرجال : تابعي يقال له رباب - سمع من ابن عباس .

زيد : في الرجال كثير . وزيد بنت مالك بن عميت .
عصيمة : حليف للانصار من بني أسد ، عصيمة : حليف لهم من أشجع - كلاهما شهدا بدرأ . ومن الحنساء : عصيمة بنت حبار ، عصيمة بنت أبي الأفلح - مبايعتان .

علية بن زيد - صحابي . ومن النساء : عليّة بنت شريح أم السائب ابن أخت نمر ، وعليّة بنت المهدي .

عميرة بن يثربي - قاضي البصرة لعمر بن الخطاب ، عميرة بن سعد - يروي عن علي رضي الله عنه ، عميرة بن زياد - عن ابن مسعود ومن النساء : عميرة بنت سهل ، عميرة بنت ظهير ، عميرة بنت ثابت - صحايات .

فصل

ومما يقع الاشكال فيه : اسحاق الأزرق ، واسحاق ابن الأزرق فالأول مصري - روى عنه الليث بن سعد . والثاني يروي عن الثوري :

عياش ابن الأزرق ، وعباس الأزرق فالأول بالشين المعجمة - روى عنه جعفر الفرياني . والثاني بالسين المهملة - روى عنه حماد ، هاشم ابن البريد ، وهاشم البريد : فالأول كوفي - حدث عن أبي اسحاق السبيعي . والثاني بصري - روى عنه عبد الصمد بن عبد الوارث .

منتخب من الاسماء المفردة

أحمد بن عجيان ، اثال ، اثنان ، ارطيان ، اسفع ، ايقع ^(١) ،
 افلت ، اكيل ، اخيل ، بحج ، يسمين ، بلهط ، بلج ، ببحرة ،
 ثهلان ، جاحل ، جيب ، جحدل ^(٢) ، خنفر ^(٣) ، خرباق ، ديسم ،
 رعيان ، زنيح ، ركيج ، زبيد ، سرق ، سيك ، شيب ، شتير ^(٤) ،
 شنيف ^(٥) ، شويس ، شيسم ، صبحار ، صمصم ^(٦) ، ضريك ، طيسلة ،
 عتريس ، عذافر ، عزب ، عرعره ، عسعر ، عباق ^(٧) ، فصافص ،
 فنج ، قحذم ، قريع ، كركره ، كهذل ، لبي ، لبطه ، لازره ، مراجم ،
 مشرح ، معقس ، مقلاص ، مليل ، هلقام ، المنقع ، منجل ، ياسم ،
 نبتل ^(٨) ، نسطاس ، نوسجان ، وقدان ، هيب ، هجنع ، هداج ،
 هرماس ، هسان ، ينحس ^(٩) ، يعفر ، هيطان .

منتخب من مشتبه الاسماء

أحمد : كثير : أحمد بن عجيان - شهد فتح مصر .
 أنس : كثير ، واثش جد محمد بن الحسن بن اتش الصنعاني .
 بسر : كثير ، وبسر ابن أبي أرطاة - صحابي ، ونشر هو محمد بن
 نشر الكوفي ، روى عن ابن الحنفية ، ويسر أبو اليسر - صحابي ، ويسر
 ابن انس - متأخر ، ونسر جد يحيى ابن أبي بكير - قاضي كرمان .
 بيان : كثير ، وبتان بن محمد الزاهد ، وبتان بن يعقوب ، وبتان
 هو سعيد بن بتان الايلي .
 يزيد : كثير ، وبريد بن اصرم - يروي عن علي ، وتزيد بن
 جشم - في نسب الأنصار ، وبرند هو عرعره بن البرند .
 حماد : كثير ، وحماد بن أيوب - روى عن حماد بن أبي سليمان .
 جرير : كثير ، وجرير ^(١٠) : هو عبد الله بن جرير ، وحرير بن

- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) ايقع . خ ل . | (٦) ضيم . خ ل . |
| (٢) جحدب . خ ل . | (٧) عقاف . خ ل . |
| (٣) جيمر . خ ل . | (٨) تبيل . خ ل . |
| (٤) سنيد . خ ل . | (٩) يحنس . بتشديد النون |
| (٥) شنيف . خ ل . | (١٠) هذا مصغر والذي قبله مكبر . |

عثمان ، وحرير أم الحرير - ثروي عن طلحة بن مالك ، وجريز بن صدقة الجريز - يروي عن شعبة .

جماز هو : الهيثم بن جماز ، وحبيب بن حماز ، ونعيم بن خمار ، وعياض بن حمار ، وحماز - يروي عن ابن مسعود .

خباب : صحابي ، وجباب بن المنذر - صحابي ، وجناب بن - الخشخاش - يروي عن أبي كلدة ، وجباب بن صالح ، وحاتت بن يحيى .

خبيب : كثير ، حبيب^(١) - صحابي ، وخبيب - صحابي ، وخبيب ابن النعمان بن يحيى ، وخبيب أخو حمزة الزيات .

خنيس بن حذافة - صحابي ، وهب بن حنشل - صحابي ، حيش ابن خلد : صحابي ، حيس بن عابد - مصري .

نعيم : كثير ، نغم بن سالم يروي عن أنس .

فصل

من مشقبه النسبة

الحسن البصري ، طلحة بن عمرو النصري ، الحسين بن الحسن النصري .

سفيان الثوري ، محمد بن الصلت التوزي ، محمد بن عمرو البوري ، أبو الحسين النوري .

أبو بكر الخياط ، فطر بن خليفة الخياط ، مسلم الخياط : وقد جمع مسلم هذه الصفات الثلاث : الخزاز - جماعة - ، وعبدالله ابن عون الخزاز ، وعيسى بن يونس الخزاز ، ويحيى ابن الخزاز .

أبو عمر الشيباني ، أيوب بن سويد الشيباني ، الفضل بن موسى السيناني .

فرقد السبخي^(٢) ، سليمان بن معبد السنجي ، أبو بكر السبخي ، بدر الشيعي .

(١) هذا مصنف وما قبله مكبر .

(٢) فرقد السبخي بفتح المهملة والباء الموحدة وبجاء معجمة صدوق عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ .

عامر الشعبي ، معاوية بن حفص الشعبي ، زكريا بن عيسى الشعبي ،
 حذيفة بن اليمان العبي ، عمار بن ياسر العنسي ، صعق بن حزن
 العيسي ، وتقع النسبة في المحدثين إلى هذه الألفاظ الثلاثة ، قال الحسن
 ابن سفيان النسوي : كلما ورد في الحديث عيسى فهو كوفي ، وعنسي
 فهو بصري ، وعيسى فهو مصري .

ابراهيم بن يزيد الخوزي ، محمد بن يزيد الخوزي ، محمد بن يزداد
 الجوزي ، عبد الرحمن بن علي الجوزي .

بيان احاديث اهل فيها تبين الاسماء المشتبهة

حديث

روى أبو قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى
 وَضَعَ عن المسافر شَطْرَ الصَّلَاةِ وعن الحاملِ والمُرْضِعِ يعني الصيام^(١) ،
 انس هذا هو ابن مالك القشيري .

احاديث

روى عطاء عن أبي هريرة قال : في كل صلاة قراءة ، فما أسمعنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعنا كم وما اخفى علينا أخفينا
 عليكم^(٢) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا يجتمعُ حُبُّ هؤلاء الأربعة الا في قلبِ مؤمن : أبو بكر وعمر
 وعثمان وعلي^(٣) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة^(٤) .

(١) ولقطة « .. الصوم عن المسافر وعن المُرْضِعِ والحبلِ » ، رواه أبو داود والترمذي
 والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن حنبل والنسائي والدارمي .

(٣) لم أجده هذا الحديث بنصه وروي في معناه أحاديث عدة .

(٤) رواه مسلم والاربعة ، أنظر صحيح الجامع الصغير ٢٦٣ .

وروى عطاء عن أبي هريرة : ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في
إقرأ باسم ربك (١) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، اذا مضى ثلث الليل يقول الله الا داع يُجَاب (٢) .
عطاء الأول هو بن أبي رباح ، والثاني الخراساني ، والثالث بن
يسار ، والرابع ابن ميناء ، والخامس مولى أم صبية .

احاديث

روت عمرة عن عائشة قالت : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منع نساء بني اسرائيل (٣) .
وروت عمرة أنها دخلت مع أمها على عائشة فسألتها ، ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الفرار من الطاعون ؟ قالت
سمعته يقول : كالفرار من الزحف (٤) .

وروت عمرة قالت : خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة
فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حجره فكانت أول
قطرة قطرت على هذه الآية فسيكفيكمهم الله. قالت عمرة : فما مات
منهم رجل سوياً .

وروت عمرة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينهي عن الوصال (٥) .

(١) ولفظه « سجدنا مع رسول الله (ص) في « إذا السماء انفطرت » و « اقرأ باسم ربك »
رواه مسلم .

(٢) ويقصد به حديث النزول ولفظه « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الأخير . يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني
فأغفر له » .

الموطأ ١ / ٢١٤ ، التجاري ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ، مسلم ١ / ٥٢١ .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي وابن حنبل .

(٤) ولفظه (الفرار من الطاعون كالفرار في الزحف) ابن - حنبل ٦ في ٢٥٥ ، وقدروي بمدة
طرق .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

عمرة الأولى هي بنت عبد الرحمن الانصارية ، والثانية بنت قيس العدوية ، والثالثة بنت أرطاة ، والرابعة يقال لها الطاخية .

أحاديث

روى حماد عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع في النخل صوتاً فقال ما هذا ؟ فقال يوبرون النخل ، فذكر الحديث (١) .

وروى حماد : عن ثابت عن أنس قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن صُفْرَةً ، فقال : ما هذا ؟ قال : تزوجت ، قال : أولم (٢) .

روى حماد عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ أُمِّيَ مَثَلُ الْمَطَرِ (٣) .

حماد الأول ابن سلمة ، والثاني ابن زيد ، والثالث الابح .

واعلم أن مثل هذه الأسماء المشبهة اذا لم يصرح في الحديث ببيانها لم يفرق بينها الا الناقد المجود .

وفي الفرق بينها فائدة عظيمة ، وهي أن بعض الرواة ثقة ، ومشبهه في الاسم يكون ضعيفاً ، فيطلب الفرق لذلك . (مثاله) أن يروي قتادة عن عكرمة ، وهو يروي عن عكرمة مولى ابن عباس ، وذلك ثقة . وعن عكرمة بن خالد ، وهو ضعيف (وكذا) قول وكيع . حدثنا النضر عن عكرمة - وهو يروي عن النضر بن عري وهو ثقة ، وعن النضر بن عبد الرحمن - وهو ضعيف - . (ومثله) قول حفص بن غياث بن أشعث عن الحسن ، وهو يروي عن أشعث بن عبد الملك - وهو ثقة ، وعن أشعث بن سوار - وهو ضعيف .

(١) حديث تأييد النخل رواه مسلم .

(٢) وتامه « أولم ولو بشاة » رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم ، والصفرة هي لون لنوع من الطيب يتخذ من الزعفران ، وهو في فعل العروس .

(٣) وتامه « لا يدري أوله خير أم آخره » رواه أحمد والترمذي عن أنس ، وقد روي عن غير طريقه ، أنظر صحيح الجامع الصغير ، طبع المكتب الإسلامي .

منتخب من المطلق والمترق

أنس بن مالك خمسة : اثنان من الصحابة أبو حمزة الانصاري .
وأبو أمية الكعبي ، والثالث أبو مالك الفقيه ، والرابع كوفي ، والخامس حمصي .

أسامة بن زيد ستة : أحدهم مولى النبي صلى الله عليه وسلم ،
والثاني تنوخي ، والثالث ليثي ، والرابع كلبى ، والخامس شيرازي ،
والسادس مولى لعمر .

أحمد بن جعفر بن حمدان أربعة في طبقة واحدة : أحدهم دينوري ،
والثاني طرسوسي ، والثالث قطيعي ، والرابع سقطي .

جابر بن عبد الله سبعة : أحدهم ابن عمرو ، والثاني ابن رثاب
صحابيان ، والثالث سلمى ، والرابع محاربي ، والخامس غطفاني ،
والسادس مصري ، والسابع بصري .

الخليل بن أحمد خمسة : ثلاثة بصريون ، والرابع اصبهاني ، والخامس سجزي .

سعيد بن المسيب ثلاثة : أحدهم مدني ، والثاني بلوي ، والثالث شيرازي .

عبد الله بن المبارك ستة : أحدهم مروزي ، والثاني خراساني ،
والثالث بخاري ، والرابع جوهرى ، والباقيان من أهل بغداد .

عمر بن الخطاب سبعة : أحدهم أمير المؤمنين ، والثاني كوفي ،
والثالث بصري ، والرابع اسكندراني ، والخامس سجستاني ، والسادس راسبي ، والسابع عنبري .

عثمان بن عفان اثنان : أحدهما أمير المؤمنين ، والثاني سجزي .

علي بن أبي طالب ثمانية : أحدهم أمير المؤمنين ، والثاني بصري ،
والثالث جرجاني ، والرابع استراباذي ، والخامس تنوخي ، والسادس
بكراباذي ، والسابع بغدادى والثامن يقال له الدهان .

عمر بن حصين أربعة : أحدهم صحابي ، والثاني ضبي ، والثالث
بصري ، والرابع أصبهاني .

فضيل بن عياض اثنان : أحدهما مصري ، والثاني مكّي .

يحيى بن معاذ ثلاثة : أحدهم نيسابوري ، والثاني رازي ، والثالث
تستري .

يوسف بن اسباط ثلاثة : أحدهم كوفي ، والثاني حمصي ، والثالث
سلمي .

الباب الرابع

في ذكر عيون التواريخ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها . يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها : يوم الاثنين ، وخلق المكروه : يوم الثلاثاء ، وخلق النور : يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب : يوم الخميس ، وخلق آدم : يوم الجمعة بعد العصر^(١) .

قال علماء التاريخ : الأرض كلها على صخرة . والصخرة على منكبى ملك . والملك على الحوت . والحوت على الماء . والماء على متن الرياح .

فصل

أقاليم الأرض سبعة : فالأقاليم الأول الهند ، والثاني إقليم الحجاز ، والثالث إقليم مصر ، والرابع إقليم بابل ، والخامس إقليم الروم والشام ، والسادس بلاد الترك ، والسابع بلاد الصين .

وأوسط الأقاليم : إقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرّة الدنيا ، وبغداد في أوسط هذا الإقليم ، فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغاظ الترك ، وجفاء أهل الجبال ، ودماة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الحلقة ، لطفوا في الفطنة .

(١) رواه مسلم وابن حنبل ٢ / ٣٢٧ .

فصل

قال علماء التواريخ : جميع ما عرف في الأرض من الجبال مائة وثمانية وتسعون ، من أعجبها جبل سرنديب^(١) ، وطوله مائتان ونيف وستون ميلاً وفيه أثر قدم آدم حين أهبط ، وعليه سنا البرق ، لا يذهب صيفاً ، وحوله ياقوت ، وفي واديه الماس الذي يقطع الصخور ، ويثقب اللؤلؤ ، وفيه العود والفلفل ، ودأبه المسك ، ودابة الزباد .

وجبل الرد الذي فيه السد ، طوله سبعمائة فرسخ وينتهي إلى البحر المظلم

فصل

قالوا : في الأرض سبعمائة معدن ، ولا يعتقد الملح الا في السبخ ، ولا الجص الا في الرمل والحصي ، والبحر الأعظم محيط بالدنيا ، والبحار تستمد منه .

فصل

قالوا : وعاش آدم الف سنة ، وولدت له حواء أربعين ولداً ، في كل بطن ذكر وأنثى ، فأولهم قابيل ، وتوأمته قليما ، ولم يمض آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين الفاً ، وانقرض نسلهم ، غير نسل شيت ، ثم انقرض النسل ، وبقي أولاد نوح ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم والترك ، ويأجوج ومأجوج نوع من الترك .

فصل

في تسمية الحواريين

شمعون الصفا ، وشمعون القنائي ، ويعقوب بن زندي ، ويعقوب ابن حلقى ، وقولوس ، ومارقوس ، واندراس ، وبرثملا ، ويوحنا ، ولوقا ، وتوما ، ومتى .

(١) في الهند .

فصل

كان أول ملوك الفرس : دارا - ملك نحواً من مائتي سنة ، ثم ملك بعده خمسة وعشرون : منهم امرأتان ، وكان آخر القوم يزديجرد ، هلك في زمان عثمان ، وكان ملكهم خمسمائة سنة وكسراً .

وكان أطرفهم ولاية ذو الاكتاف ، فانه لا يعرف من ملك وهو في بطن أمه غيره ، لأن آباه كان قد مات ولا ولد له ، وانما كان هذا حملاً ، فقال المنجمون هذا الحمل يملك الأرض ، فوضع التاج على بطن الأم ، وكتب منه إلى الآفاق ، وهو جنين ، وسمي سابوراً وانما لقب بهذا الاكتاف لأنه حين ملك كان يتزع أكتاف مخالفه ، وهو الذي بنى الايوان ، وبنى نيسابور وسجستان والسوس ، وما زال الملك ينتقل بعده فيهم حتى ملك انشروان ، وكان أحزمهم ، وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية ، وخمسون الف دابة ، والف فيل الا واحداً ، وفي زمانه ولد نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومات لثمان سنين مضت من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولما دخل المسلمون المدائن ، أحرقوا ستر باب الايوان ، فأخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً .

فصل

أربعة تناسلوا ، رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابو قحافة ، وابنه ابو بكر ، وابنه عبد الرحمن ، وابنه محمد ، ويكنى أبا عتيق .

أربعة أخوة كان بين كل واحد منهم وواحد عشر ستن : أولاد أبي طالب : طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي ، فكان طالب اسن من عقيل عشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر اسن من علي بعشر .

ولا يعرف اخوان تباعدا في السن مثل موسى بن عبيدة الربذي وأخيه عبدالله بن عبيدة ، فان عبدالله أسن من موسى بثمانين سنة .

ومن العجائب : ثلاث أخوة ولدوا في سنة واحدة ، وقتلوا في سنة واحدة وكانت أعمارهم ثمانى وأربعين سنة : يزيد ، وزباد ، ومدرک بنو المهلب ابن أبي صفرة .

ومن العجائب : أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مائة ولد ، انس ابن مالك ، وعبدالله بن عمر الليثي ، وخليفة السعدي ، وجعفر بن سليمان الهاشمي .

ومن العجائب : ثلاثة بنو أعمام كلهم كانوا في زمان واحد ، كل واحد منهم اسمه علي ، ولهم ثلاثة أولاد كل واحد منهم اسمه محمد . والآباء والأبناء علماء أشراف ، وهم : علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وعلي بن عبدالله بن العباس ، وعلي بن عبدالله بن جعفر .

ومن العجائب : انه في ليلة السبت لأربع عشرة بقين من ربيع الأول سنة تسعين ومائة ، مات الهادي ، واستخلف الرشيد ، وولد المأمون .

ومن العجائب : انه سلم على الرشيد بالخلافة عمه سليمان بن المنصور وعم أبيه المهدي ، وهو العباس بن محمد ، وعم جده المنصور ، وهو عبد الصمد بن علي ، وقال له عبد الصمد يوماً : يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس عم سليمان ، وعبد الصمد عم العباس .

ومن العجائب : ان عبد الصمد حج بالناس سنة خمسين ومائة ، وقد حج قبله يزيد بن معاوية سنة خمسين : وهما في النسب إلى عبد مناف سواء ، لأن يزيد هو ابن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

فصل

وقد سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية ، كلهم ابن خليفة : المنتصر ابنه ، ومحمد ابن الواثق ، واحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأمون ، وعبدالله بن الأمير ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وأبو العباس بن الهادي ، والمنصور بن المهدي .

فصل

وقد ولي الخلافة : اخوان ، وثلاثة ، وأربعة . فأما الأخوان : فالسفاح والمنصور ، والهادي والرشيد ، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم ، والمسترشد والمقتفي ، وأما الثلاثة : فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمتكفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر . وأما الأربعة فلم يكونوا الا بني عبد الملك^(١) .

فصل

ومن العجائب المتعلقة بالنساء :

من ذلك أن امرأة شهد لها بدرأ سبعة بنين مسلمين وهي : عفراء بنت عبيد ، تزوجها الحارث بن رفاعه ، فولدت له معاذاً ومعوذاً ، ثم تزوجها بكير فولدت له إلياساً وخالداً ، وعاقلاً ، وعامراً ، ثم رجعت إلى الحارث فولدت له عوفاً ، فشهدوا كلهم بدرأ ، ويخرج من هذا جواب المسائل هل تعرفون أربعة أخوة لأب وأم شهدوا بدرأ مسلمين ؟

ومن هذا الجنس ، امرأة كان لها أربعة أخوة وعمان شهدوا بدرأ ، فأخوان وعم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخوان وعم مع المشركين ، وهي هند بنت عتبة بن ربيعة ، فالأخوان المسلمان : ابو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير ، والعم المسلم : معمر بن الحارث ،

(١) وهم : الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، أختهم فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز .

والأخوان المشركان : الوليد بن عتبة وأبو عزيز ، والعم المشرك : شيبة ابن ربيعة .

ومن العجائب : أن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان له أربع بنات : عبدة ، وعائشة ، وأم سعيد ، ورقية ، تزوجهن أربعة من الخلفاء : تزوج عبدة الوليد بن عبد الملك ، وعائشة سليمان ، وأم سعيد يزيد بن عبد الملك ، ورقية هشام .

وكان لهذا الرجل - أعني عبدالله بن عمرو - ولد اسمه محمد - كان يقال له الديباج لحسنه - وكان لمحمد بنت اسمها حفصة لا يعرف امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير والحسين وابن عمر سواها ، أما ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فإن أم أبيها فاطمة بنت الحسين بن علي ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن طريق الحسين بن علي ولادته لها وولادة علي لها ، وأما ولادة أبي بكر لها ، فإن أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ومن طريق عروة ولدها الزبير ، وأما ولادة عمر لها ، فإن أم جدّها عبدالله زينب بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فمن هذه الطريق ولادة عمر لها ، وأما ولادة عثمان لها ، فمن طريق أبيها ، وأما ولادة طلحة ، فإن جدتها من قبل أبيها هي أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

ومن العجائب : امرأة ولدت خليفتين ، وهن ثلاث :

الأولى : ولادة بنت العباس العباسية ، تزوجها عبد الملك بن مروان ، فولدت له : الوليد وسليمان فوليا الخلافة ، والثانية : شاهفرند بنت فيروز بن يزرجرد ، تزوجها الوليد بن عبد الملك ، فولدت له : يزيد وإبراهيم فوليا الخلافة ، والثالثة : الحيزران ، ولدت للمهدي الهادي والرشد .

فصل

في الجدوب وعموم الموت

أجذبت الأرض (في سنة ثمانى عشرة) فكانت الريح تسفي تراباً كالرماد ، فسمي عام الرمادة ، وجعلت الوحوش تأوي إلى الأنس ، قال عمر ألا ينوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحبى الناس واستسقى بالعباس فسقوا ، وفيها كان طاعون عمواس ، مات فيه أبو عبيدة ، ومعاذ ، وأنس .

(وفي سنة أربع وستين) وقع طاعون بالبصرة وماتت أم أميرهم ، فما وجدوا من يحملها

(وفي سنة ست وتسعين) كان طاعون الجارف هلك في ثلاث أيام سبعون ألفاً ، ومات فيه لأنس ثمانون ولداً ، وكان يموت أهل الدار قيطين الباب عليهم .

وفي سنة احدى وثلاثين ومائة مات أول يوم في الطاعون سبعون ألفاً ، وفي الثاني نيف وسبعون ألفاً ، وفي اليوم الثالث خمد الناس .

وفي سنة تسع عشرة وثلاث مائة كثر الموت ، وكان يدفن في القبر الواحد جماعة .

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة ذبح الاطفال ، وأكلت الجيف ، وبيع العقار برغيفان ، واشترى لمز الدولة كر دقيق بعشرين الف درهم .
وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة عمت الامراض البلاد ، فكان يموت أهل الدار كلهم .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة أصاب أهل البصرة حر ، فكانوا يتساقطون موتى في الطرقات .

وفي سنة ثمان وأربعين واربعماية عم القحط ، فأكلت الميتة ، وبلغ

المكوك^(١) من بزر البقلة سبع دنانير ، والسفرجلة والرمانه ديناراً ، والخياره واللينوفرة ديناراً ، وورد الخبر من مصر بأن ثلاثة من اللصوص نقبوا داراً فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، والثاني على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب المكورة .

وفي السنة التي تليها وقع وباء ، فكان تحفر زبية^(٢) لعشرين وثلاثين فيلقون فيها ، وتاب الناس كلهم وأراقوا الخمر ، ولزموا المساجد .

وفي سنة ست وخمسين واربعمائة وقع الوباء ، وبلغ الرطل من التمر الهندي أربعة دنانير .

وفي سنة اثنتين وستين واربعمائة اشتد الجوع والوباء بمصر ، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وبيع اللوز والسكر بوزن الدراهم ، والبيضة بعشرة قراريط ، وخرج وزير صاحب مصر إليه فتزل عن بغلته ، فأخذها ثلاثة فأكلوها ، فصلبوا ، فأصبح الناس لا يرون الا عظامهم تحت خشبهم . وقد اكلوا .

وفي سنة أربع وستين واربعمائة وقع الموت في الدواب حتى ان راعياً قام إلى الغنم وقت الصباح ليسوقها فوجدها كلها موتى .

فصل

في الزلازل والآيات

زلزلت الأرض على عهد عمر في سنة عشرين ، ودامت الزلازل في سنة أربع وتسعين : أربعين يوماً ، وقعت الأبنية الشاهقة ، وتهدمت انطاكية .

وفي سنة أربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة فمات فيها خمسة عشر ألفاً .

وفي السنة التي تليها رجفت الاهواز ، وتصدعت الجبال ، وهرب أهل البلد إلى البحر والسفن ودامت ستة عشر يوماً .

(٢) بالضم . الراية . وحفيرة الأسد .

(١) كنوز . مكيال .

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيماء مطراً وبرداً كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة وسبعين انساناً ، وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك ، اعف عن عبادك ، ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع ، وعرضها شبر ، ومن الخطوة إلى الخطوة خمسة أذرع أو ست ، فاتبعوا الصوت ، فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة حتى انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها ، فمات خلق كثير ، وانكفأت قرية في الغوطة على أهلها ، فلم ينج منهم الا رجل واحد ، وزلزلت انطاكية فمات منها عشرون ألفاً .

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً ، وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز ، ثم ذهبت إلى همدان ، فأحرقت الزرع ، ثم ذهبت إلى الموصل ، فمنعت الناس من السعي ، فتعطلت الأسواق ، وزلزلت هراة فوقع الدور .

وفي سنة ثمان وثلاثين^(١) وجه طاهر بن عبدالله إلى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان ، وزنه ثمانمائة وأربعون درهماً ، أبيض ، فيه صدع ، وذكروا أنه سمع لسقوطه هدة أربع فراسخ في مثلها ، وأنه ساخ في الأرض خمسة أذرع .

وفي سنة أربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك ، فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ، ثم صارت إلى نيسابور ، وإلى الري ، ثم إلى همدان وحلوان ، ثم إلى العراق ، فأصاب أهل بغداد وسر من رأى حمى وسعال وزكام ، وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف بها ، فلم ينج من أهلها الا اثنان وأربعون رجلاً سود الوجوه فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها . وقالوا أنتم مسخوط عليكم فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فترلوها .

(١) ومائتين أي سنة ٢٣٨ هـ .

وفي سنة احدى وأربعين ماجت النجوم في السماء ، وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد ، من قبل غروب الشمس إلى الفجر ، ولم يكن مثل هذا الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي السنة التي تليها رجمت قرية يقال لها السويدا ناحية مصر ، بخمسة أحجار ، فوقع حجر منها على خيمة اعرابي فاحترقت ، ووزن منها حجر فكان فيه عشرة أرتال ، وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد ، وزلزلت الدامغان فهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً . وتقطعت جبال ، ودنا بعضها من بعض ، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية ، فهلك من أهلها ، وسار جبل باليمن ، عليه مزارع ، حتى أتى مزارع قوم آخرين ، ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دلبة^(١) بحلب ، لسبع مضي من رمضان ، فصاح : يا معشر الناس ، اتقوا الله ، الله ، الله ، حتى صاح أربعين صوتاً ثم طار ، وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً ثم طار ، فكتب صاحب البريد بذلك ، وأشهد خمسمائة انسان سمعوه ، ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر أبيض على جنازته ، فصاح بالفارسية والخورية : ان الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهدده .

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين زلزلت أنطاكية ، فسقط منها الف وخمسمائة دار ، ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً ، وسمع أهلها أصواتاً هائلة ، من كوى المنازل ، وسمع أهل تنيس صيحة هائلة ، دامت فمات منها خلق كثير ، وذهبت جيلة^(٢) بأهلها .

وفي سنة خمسين وثلاثين ومائتين مطرت قرية حجارة بيضاء وسوداء

وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل^(٣) في الليل ، فاصبحوا ، ولم يبق من المدينة الا اليسير . فأخرج من تحت الهدم خمسون ومائة الف ميت .

(١) تمرقة . شجرة .

(٢) حصن باليمن

(٣) كقنفذ أكراد حول الموصل . فأراد موضعهم ،

وفي سنة تسع عشرة وثلثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب ،
فرأوا في البرية ، صور الناس من حجارة ، ورأوا امرأة قائمة على تنور
وهي من حجارة ، والخبز الذي في التنور من حجارة .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هبت ريح بقم^(١) الصلح ، شبت
بالتنين ، خرقت دجلة ، حتى ذكر أنها باتت أرضها ، وهلك خلقاً
كثيراً ، واحتملت زورقاً منحدرأ ، وفيه دواب ، فطرحته في أرض
جوخى^(٢) .

وفي سنة عشرين واربعمائة جاء برد هائل ، ووقعت بردة ، حذرت
بمائة وخمسين رطلاً ، فكانت كالثور النائم^(٣) .

وفي سنة أربع وثلثين زلزلت تبريز ، فهدم سورها وقلعتها ،
وهلك تحت الهدم خمسون ألفاً .

وفي سنة أربع وأربعين واربعمائة كانت باذريجان زلازل ، انقطعت
منها الحيطان ، فحكى من يعتمد على قوله ، انه كان قاعداً في ايوان ،
فانفجر حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد .

وفي سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بفلسطين هلك فيها خمسة عشر
ألفاً ، وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغاب الحر
مسيرة يوم ، فساخ في الأرض ، فدخل الناس يلتقطون ، فرجع عليهم
فأهلك خلقاً كثيراً منهم .

وفي سنة اثنتين وستين خسف بأيلة^(٤) .

وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة في أقطار
بغداد في الجانيين ، قال شيخنا أبو بكر ابن عبد الباقي أنا سمعتها ،

(١) نهر عند واسط .

(٢) بالجم والواو فالهاء المهملة والألف المقصورة . قرية من عمل بغداد .

(٣) القائم خ ل . (٤) بلد بين ينبع ومصر .

فظننت حائطاً قد وقع ، ولم يعلم ما ذاك ، ولم يكن في السماء ، غيم
فيقال رعد .

وفي سنة سبع وقعت زلزلة بناحية الشام ، فوقع من سور الرها^(١)
ثلاثة عشر برجاً ، وخسف بسميساط^(٢) وقلب بنصف القلعة .

وفي سنة احدى عشرة زلزلت الأرض ببغداد ، يوم عرفة ، فكانت
الحيطان تمر ونجيء .

وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد ، فامتألت منه الشوارع
والدروب ، ولم يسمع قبله بمثله .

وفي سنة ثلث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بجيزة^(٣) أنت على
مائتي الف وثلاثين ألفاً فاهلكتهم ، وكانت في مقدار عشرة فراسخ في
مثلها .

وفي السنة التي تليها خسف بجيزة وصار مكان البلد ماء أسود .
وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر ليكون على أهلهم ، وزلزلت حلوان
فتقطع الجبل . وهلك خلق كثير .

وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة
عشر بلداً من بلاد الاسلام ، فمنها ما هلك كله ، ومنها ما هلك بعضه .

(١) بلد بنواحي الشام .

(٢) بلد على الفرات .

(٣) جيزة بفتح الجيم وسكون النون والزاء المعجمة بلدة عظيمة بإيران .

الباب الخامس

في ذكر المواعظ

وهذا الباب ينقسم قسمين : القسم الأول يختص بذكر القصص ،
والقسم الثاني فيه المواعظ والاشارات مطلقاً .

القسم الاول

وهو المختص بذكر القصص ، وفيه ست وعشرون قصة .

الفصل الاول

في قصة آدم عليه السلام

اعلموا ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام آخر الخلق ، لأنه مهد الدار
قبل الساكن ، وأقام عذره قبل الزلل ، بقوله في (الأرض) فظنت
الملائكة أن تفضيله بنفسه ، فضنت بالفضل عليه ، فقالوا (اتجعل فيها)
فقوبلوا بلفظ (اني أعلم) فلما صوره ، القاه كاللقا ، فلما عاين ابليس
تلك الصورة ، بات من الهم في سورة ، فلما نفخ فيه الروح ، بات
الحاسد ينوح ، ثم نودي في نادي الملائكة (اسجدوا لآدم) فتطهروا
من غدير (لا علم لنا^(١)) وغودر الغادر بخسماً بكبرياء (انا

(١) الآية وما قبلها سورة البقرة ٣٠ - ٣٤ .

خير^(١)) ثم حام العدو حول خمي المحمي ، فلولا سابق القدر ، ما قدر عليه ، فلما نزل إلى الأرض ، خدخد الفرح ، بدمع الترح ، حتى أقلق الوجود فجاء جبريل ، فقال : ما هذا الجهد ؟ فصاح لسان الوجد :

(للخفاجي) :

ما رحلت العيشُ عن أرضكم فرأت عيناي شيئاً حسناً
هل لنا نعوكم من عودة ومن التعليل قولي هل لنا
يا آدم لا تجزع من كأس خطا كان سبب كيسك ، فلقد استخرج
منك داء العجب ، والبسك رداء النسك ، لو لم تذبوا :

« للمنتبي » :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل
لا تحزن لقولي لك (اهبط منها^(٢)) فلك خاتمها ، ولكن اخرج
منها إلى مزرعة المجاهدة ، وسق من دمعك ، ساقية لشجرة ندمك ،
فاذا عاد العود اخضر ، فعد :

(للبحري) .

ان جرى بيننا وبينك عتب أو تنأت منا ومنك الديارُ
فالغليل الذي عهدت مقيم والدموعُ التي شهدت غزارُ
ما زالت زلة الآكلة تعاده ، حتى استولى داؤه على أولاده ، فنمت
هينة^(٣) الملائكة ، بعبارة نظر العاقبة ، فنشروا مطوى (اتجعل^(٤))
قرعوا بعصي الدعاوي ، ظهور العصاة ، فقبل لهم : لو كنتم بين أفاعي
الهُوى وعقارب اللذات لبات سليمكم سليماً ، فأبوا للجرأة الا
جر جرير^(٥) الدعاوي ، وحدثوا أنفسهم بالتقى بالتقاوي ، فقبل : نقبوا
عن خيار نقبائكم ، وانتقوا ملك الملكوت ، فما رأوا فيما رأوه لمثلها

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(١) ص ٧٦ .

(٥) كاميز الجبل .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٣ .

(٣) الصوت الخفي .

مثل هاروت وماروت ، فأبى لسفر البلاء بالبلىة. فما نزلأ حتى نزلأ من
مقام العصمة ، فترلا منزل الدعوى ، فركبا مركب البشرية ، فمرت على
المرئين امرأة يقال لها الزهرة ، بيدها مزهر زهرة الشهوة ، فغنت الغانية
بغنة اغن ، فرأت قيان الهوى ، فهوى الصوت في صوب قلب قليهما ،
فقلبهما عن تقوى التقويم ، فأنهار بناء عزم هاروت ، وما رهم حزم
ماروت ، فأراداها على الردى فراوداها ، وما قتل الهوى نفساً فوداها ،
فبسطت نطع التنطع على تحت التخيير ، اما أن تشركا واما أن تقتلا ،
واما أن تشربا ، فظنا سهولة الأمر في الخمر ، وما فطنا ، فلما امتد ساعد
الخلاف فسقى فسقا ، فدخلا سلك السكر ، فزلا في مزالق الزنا ،
فرآهما مع الشخصية شخص ، فشخصا إليه فقتلا ، فكشت فتنتهما في
فئة الملائكة ، فاتخذوا لتلك الواردة ، ورداً من تضرع (وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ^(١)) .

(١) سورة الشورى ، الآية ٥ .

الفصل الثاني

في بناء الكعبة

لما علا كعب الكعبة على سائر البقاع بقاع العلم ، أبرزتها كف
الايجاد كالكاعب ، قبل وجود الأرض ، وكان آدم أول من ساس
الاساس ، ثم بيّت للبيت البيات ، طواف الطوفان ، فحل ما حل أزرار
حلل الحلل ، . فلما هاجر الخليل بهاجر وابنها ، أوضع بهما فوضعهما
هنالك ، وتولى راضياً بمن تولاه ، يوم حرقوه ، فقالت هاجر : الله
أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، فرجعت متوكئة على منسأة^(١) التوكل على من
لا ينسى ، فجعلت تشرب ما معها من ماء ، وترضع لبنها ابنها . فلما
نفدا جعل اسماعيل يتلوى على رمض رمضان الصوم ، فانطلقت لتبذل
الجهود في مأمور (فامشوا في منّا كيسيها^(٢)) فصعدت باقدام الصفا على
الصفا ، فلما أطلت الطلة^(٣) على الطلل ، توكتف طل روح يتقع الغلة ،
ثم جدت فجدت الجدد^(٤) بالجد هابطة ، فلما طرف طرف^(٥) سيرها
طرف طرف الوادي ، رفعت طرف ذراعها ، ثم وسعت خطاها وسعت
للجهد يجهد ذراعها ، ثم أتت المرأة المروة ، وعادت إلى الصفا سبعا ،
فلذلك أمر المكلف أن يسعى ، لأنه أثر قدم مقدم ، لتصيب الاقدام ،
نصيياً من مواطي (فبهدهم اقتد^(٦)) فسمعت صوتاً من صوب ،
فترل الملك ليزيل النازلة ، فهيا نزل التزيه ، فرزم ماء زمزم ، ونزا
نزوا^(٧) لانز^(٨) نزأ ، فحصحص الماء في صحصح الحصى ، فامتدت

(٦) سورة الأنعام آية ٩٠

(٧) وثب .

(٨) بدا قليلا .

(١) العصا

(٢) سورة الملك آية ١٥

(٣) الزوجة .

(٤) الأرض المستوية .

(٥) بالكسر : الفرس وبالفتح : العين وبفتح الطاء والراء : الجانب .

كف الحرص ، فلفقت كالحوض ، فليل لها ليس هذا الماء من كيس
كسبك فما هذا الملق من حرص فعلك ، ولو تركت زمزم لكنت عيناً
معيناً ، فمرت رفقة من جرهم^(١) ، جرهم^(٢) سؤال (فاجعل أفئدة
من الناس^(٣)) فأقاموا .

واشتاق الخليل إلى ابنه ، فاستاق راحلة الرحيل ، فاشتراط لسان غيرة
سارة ، ان لا تزل عن مكانة (وابراهيم الذي وقى^(٤))) فقدمت زوجة
إسماعيل إليه المقام فقدت فيه قدمه وغابت رجل الرجل
فحولته إلى يساره ، قسرت إليه اليسرى ، فهبت^(٥) دليل الارشاد
بالقاصدين (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى^(٦))) فلما امرأ ببناء البيت
حار من لا يعلم مراد الأمر ، فاذا سحابة تسحب ذيل الدليل ، قد قدّها
المهندس القدرى على قدر البيت ، فوقفت فنادت يا ابراهيم : علّم على
ظلى ، فلما علّم كما علّم ، هبت فذهبت فسّر بما فسّر له من مشكل
الشكل ، فذلك سرّ (واذ بؤناً^(٧)) . فجعلنا مكان استراحة البناء المعنى
(ربنا تقبل منا^(٨))) فلما فرغنا ، فغراً فم السؤال ، يرتشفان ضرع
الضراعة (وأرنا متأسكيناً^(٩))) فلما شرفت الكعبة باضافة (وطهراً
بني^(١٠))) قصدها فوج القيل ، فليل^(١١) مرادهم ، لما باتوا على ما يتوا ،
أقبل الطير الذي رمى كالغمم ، فكانت قطراته للحصاد ، لا للبذر ،
فاصبح لزوع الاجساد كالمنجل الهاشم ، ليكون معجزاً لظهور نبي بني
هاشم ، فامسوا في بيدر الديّاس^(١٢) (كعصف ما كُول^(١٣))) .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

(١٠) البقرة ، الآية ١٢٥ .

(١١) خاب .

(١٢) من الدوس : الوطء .

(١٣) سورة الفيل ، الآية ٥ .

(١) قبيلة .

(٢) سحبه .

(٣) ابراهيم ٣٧ .

(٤) سورة النجم ، الآية ٣٧ .

(٥) قال هبت .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ .

(٧) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

الفصل الثالث

في قصة نوح عليه السلام (١)

لما عم أهل الأرض العمى عما خلقوا له ، بعث نوح بجلاء ابصار البصائر ، فمكث يداويهم (الف سنة الا خمسين عاماً) فكلهم أبصر ولكن عن المحجة تعالى ، فلاح للملاحى عدم فلاحهم ، فولاهم الصلاة^(٢) يأساً من صلاحهم . وبعث شكاية الأذى . في مسطور (انهم عصوني) فأذن مؤذن الطرد ، على باب دار اهدار دماهم (انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) فقام نوح في محراب (لا تذر) فأتته رسالة (أن اصنع) ونادى بريد الإعلام بالغضب (ولا تخاطبني) فلما ان هال كتيب الامهال ، وانقطع سلك التأخير . غربت شمس الانتظار ، فادهمت عقاب^(٣) العقاب^(٤) فلما انسدت الظلمة ، وفات النور (فار الثنور) فقبل يا نوح : قد حان حين الحين^(٥) ، فاحمل (فيها من كل زوجين اثنين) ، فتخلف خلف^(٦) نوح خلف^(٧) من ولده ، فمد يد الحنو ليأخذ بيده (يا بني اركب معنا) فأجاب عن ضمير خايض في مساء المساوي (سأوى) فرد عليه لسان الوعيد (لا عاصم) فلما انتقم من العصاة بما يكفي ، كفت كف النجاة كفة الأرض بقسر (ابلي) وقلع جذع جزع السماء في وكف دمعها بظفر (اقلعي) ونوديت نجوة الجودي جودي ، بانجاء غرقى السير ، وزود الهالكون في سفر الطرد زاد (وقيل بعدا) .

(١) الآيات الواردة هنا من سورة العنكبوت ونوح وهود والمؤمنون .

(٢) وسط الظهر . أي أعرض عنهم . (٥) الهلاك .

(٣) كل ما علا . (٦) وراء .

(٤) العذاب . (٧) بسكون اللام . الولد الذميمة .

الفصل الرابع

في قصة عاد (١)

لما تجبر قوم عاد في ظل ظلل ضلالهم حين أُملى الأمل ، وطول
البقاء وزوى ذكر زوالهم ، ومروا في مشارع عذاب الملاهي ، ناسين
من عذابها ، رافلين في حلل الغفلة بالامنية عن المنية وآدابها ، أقبل
هود يهديهم ، ويناديهم في ناديبهم (اعبدوا الله) فبرزوا في عتو (من
أشدُّ منا قوة) فسحب سحب العذاب ، ذيل الادبار ، باقباله إلى قبالتهم ،
فظنوه لما اعترض عارض مطر ، فتهادوا بباشير البشارة ، بتهادي بشارة
(هذا عارض ممطرنا) فصاح بلبل البلبال فلبل (بل هو ما استعجلتم به)
فكان كلما دنا وترامى ، ترى ما كان (كأن لم يكن) فحنظلت شجرات
مشاجرتهم هوداً ، فجنى^(٢) من جنى ، من جنا ما جنى^(٣) في مغنى (فما
أغنى عنهم سمعهم) فراحت ريح الدبور ، لكي تسم الادبار بكى
الادبار ، فعبجوا منها عجيج الادبر ، فلم تزل تكوى تكوينهم ،
بميسم العدم ، وتلوي تلوينهم إلى حياض دم الندم ، وتكفأ عليهم
الرمال ، فتكفي تكفينهم ، وتبرزهم إلى البراز ، عن صون حصون ، كن
يقيناً يقينهم^(٤) فإذا أصبحت أخذت تتزع في قوس (تزع الناس) وإذا
أمست ، أوقعت عريضهم في عرض (كأنهم اعجاز نخل) فما برحت
بارحهم^(٥) عن براحهم ، حتى برّحت بهم ، ولا أقلعت حتى قلعت

(١) لم تذكر قصة عاد في الكتب السماوية سوى في القرآن الكريم ، والآيات الواردة في

هذا الفصل من السور التالية : الأعراف وفصلت والأحقاف والحاقة والقمر .

(٢) من جنى الثمر .

(٣) من الجنائى .

(٤) من الجنائى .

(٥) الريح الحارة .

قلوع^(١) قلاعهم ، فدامت عليهم أفة وداء ، لا تقبل فداء (سبع ليال
وثمانية أيام حسوماً) فحسوا ما آذاهم من سوء ما حسوا ما ، ونسفوا
في قفر (الا بعداً) إلى يم (واتبعوا) فلو عبرت في معبر الاعتبار ،
لترى ما آل إليه مآلهم ، لرأيت التوى^(٢) . كيف التوى عليهم ، وكف
النوى كيف نوى الدنو إليهم ، فانظر إلى عواقب الخلاف فانه
شاف كاف .

الفصل الخامس

في قصة ثمود (١)

لما أعرضت ثمود عن كل فعل صالح ، بعث إليهم للإصلاح ، صالح ، فتعنت عليه ناقة أهوائهم بطلب ناقة ، فخرجت من صخرة صماء تقبب^(٢) ثم فصل عنها فصيل يرغو ، فارتعت حول نهي نهيهم عنها في حمى حماية (ولا تمسوها) فاحتاجت إلى الماء ، وهو قليل عندهم ، فقال حاكم الوحي (لها شرب) فكانت يوم وردها ، تقضي دين الماء ، بماء درها ، فاجتمعوا في حلة الحيلة ، على شاطئ غدير الغدر ، فدارقदार^(٣) حول عطن^(٤) (فتعاطى) فصاب عليهم صيب صاب صاع صاعقة العذاب الهون ، فحين دنا وديدن ، دمنهم دمار فدمدم ، فأصبحت المنازل ، لهول ذلك النازل (كأن لم تغن بالامس).

(١) أنظر سورة الأعراف والشعراء وهود (٣) إسم عاقر الناقة .

(٢) تصوت . (٤) منائح .

في قصة الخليل عليه السلام

كان الكهنة قد حذرت نَمْرُود وجوود محارب غالب ، ففرق بين الرجال والنساء ، فحمل به على رغم أنف اجتهاده ، فلما خاض المخاض في خضم أم ابراهيم وجعلت بين خيف الخوف وحيز التحيز تهيم ، فوضعت في نهر قد ييس ، وسترته بالحلفاء ليلتبس ، وكانت تختلف لرضاعه ، وقد سبقها رضاع (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل^(١)) فلما بلغ سبع سنين ، رأى قومه في هزل (وجدنا آباءنا^(٢)) فجادلهم^(٣) فجادلهم^(٤) فجادلهم^(٥) وابرز نور الهدى في حجة (ربي الذي يحيي ويميت^(٦)) فقابله نمرود ، بسهى السهو في ظلام «أنا أحيي» فلقاه كاللقا ، على عجز العجز ، بأفات (فات بها ، فبهت) ثم دخل دار الفراغ «فَرَاغَ عليهم^(٧)» فجردوه من بُرد^(٨) بَرْد^(٩) العدل ، إلى حر حرَّقوه^(١٠) فبنوا لسفح دمه بنياناً إلى سفح جبل ، فاحتطبوا له على عجل العجل ، فوضعوه في كفة المنجنيق ، فاعترضه جبريل ، في عرض الطريق فناداه وهو يهوي في ذلك الفلا : الك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فسبق بريد الوحي إلى النار . بلسان التفهيم (كُونِي بَرْدَاً وَسَلَامًا على ابراهيم^(١١)) .

(٧) سورة الصافات ، الآية ٩٣ .

(٨) التوب .

(٩) ضد الحر .

(١٠) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ .

(١١) سورة الأنبياء ، الآية ٦٩ .

(١) الأنبياء آية ٥١ .

(٢) الأنبياء ٥٢ .

(٣) من المجادلة .

(٤) من الجدل خلاف اللعب .

(٥) غلبهم في الجدل .

(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

الفصل السابع

في قصة الذبيح عليه السلام

لما ابتلى الخليل بالنمرود فسلم^(١) ، وبالنار فسليم^(٢) ، امتد ساعد البلاء إلى الولد المساعد ، فظهرت عند المشاورة نجابة (إِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ^(٣)) وآب يوصي الأب : أشدد باطي ليمتنع ظاهري من التزلزل ، كما سكن قلبي مسكن السكون ، واكفف ثيابك عن دمي لئلا يصبغها عندي فتخزن لرؤيته أُمي ، واقر السلام عليها مني ، فقال : نعم العون أنت يا بني ثم أمر السكين على مريثي^(٤) المرء فما مرت ، غير ان حشرات الفراق للعيش أمرت ، فطعن بها في الحلق مرات ، فنبت^(٥) ، لكن حب حب الرضا في حبة القلب نبت ، يا ابراهيم من عادة السكين أن تقطع ، ومن عادة الصبي أن يجرع ، فلما نسخ الذبيح نسخة الصبر ، ومحا سطور الجزع ، قلبنا عادة الحديد ، فما مر ولا قطع ، وليس المراد من الابتلاء أن نعذب ، ولكننا نبتلي لنهذب .

أيسن المعتبرون بقصتهما في غصتهما ، لقد حصحص الاجر في حصتهما ، لما جعلوا الطاعة إلى الرضا سلماً^(٦) ، سل ما يؤدي فسلماً ،

(١) في التسليم .

(٢) في السلامة .

(٣) سورة الصافات ، الآية ١٠٢ .

(٤) مجرى الطعام .

(٥) كُلت .

(٦) مرقى .

وكلما كلما حاجب كلم^(١) كل ما به تدبجان ، فصد ما به صدمما ، بينا
هما على تل (وتلّه^(٢)) جاء بشير (قد صدقت الرؤيا) فارتد اعمى
الحزن بصيراً بقميص (وقد ينناه). ليس العجب أمر الخليل بذبح
ولده ، وانما العجب مباشرة الذبح بيده ، ولولا استغراق حب الأمر
لما هان مثل هذا المأمور .

(١) جرح .

(٢) الآية وما بعدها من قصة الذبيح ، سورة الصافات ، الآية ١٠٣ - ١٠٧ .

في قصة ذي القرنين

قطع ذي القرنين الأرض واقطعها فمر سالكاً مسلماً ما فت^(١) سبسه فتى (فاتبَعَ سبياً^(٢)) فشمّر مشمراً ما تلفت ، حتى لفت شملة جمع شمله بالشمس في عين حمته ، فلما أفرغ غرب الغرب على غارب الغربة مشى نحو المشرق ، ولم يزل يحوز الكنوز ، ويجوز^(٣) إلى قتل من يجوز ، إلى أن طلعت طلايحه الطلعة^(٤) على مطلع الشمس ، فابرز نير عدله المشرق في المشرق ، ثم رأى باقي عرضه في دمه مقدار مقدرته كالدين ، فسلك بين السدين ، فلما حشى حشا الجبلين بالزبر ، واج المفسدون قسر قصرهم ، على مضض (فما استطاعوا) . عجباً له كم اقتنى من اصقع^(٥) واقنف^(٦) ، وكم اسعف^(٧) باغشى^(٨) واسعف^(٩) وكم لطى له^(١٠) من لطيم^(١١) واخيف^(١٢) ، وكم سعى به من اكسع^(١٣) ، وقفز به من اقفر ، ومشى به في محجة المشرق محجل ، وطرق به طريق المغرب مغرب ، كم صحبه من سايف ونابل وسالغ ، كم تبعه من مدجج ورام ورامح ، كم تقدم في مقدمته من مقنع مقنع ، كم تبعه من في السلاح كافر^(١٤) ، غير شاك في الصلاح ولا كافر ، فما درأ عنه الاد^(١٥) المودى له مود ، ولا دارى عن داره الدوائر دارع ، ولا رد عنه ورد ولا كبت ، اذ ورد عليه ما تركه كبت^(١٦) ، ولا فرّ به من منيته

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) قطع . | (٩) الفرس الأبيض الناصية . |
| (٢) سورة الكهف ، الآية ٨٥ . | (١٠) أخذ له قبل الإنتظار . |
| (٣) يمضي . | (١١) الفرس الأبيض . |
| (٤) كهمة . المتطلعة كثيراً . | (١٢) الفرس الأزرق العينين . |
| (٥) الفرس الأبيض المقدم . | (١٣) الفرس الأبيض طرف الرجل . |
| (٦) الفرس الأبيض المقدم . | (١٤) مغطى بالسلاح . |
| (٧) ساعد . | (١٥) الداهية . |
| (٨) الفرس الأبيض لوجه . | (١٦) الكاف فيه التشبيه . |

سابق ، ولا سكيت^(١) ، فكأنه إذ مات ما تحرك على حارك فرس ، ولا شاك شاكلته^(٢) بشولحة عقب ، بل مر كأنه لم يكن ، وذل للموت وقبلها لم يهن ، فتلمح آخر الدنيا ان كنت تدري ، وانظر في أي بحر إلى الهلاك تجري ، واصخ لخطاب الخطوب ، وافهم ما يجري ، وكن على أهبة فهذي الركاب تسري .

(للشريف الرضي^(٣)) :

أفلا تسيءُ الظن بالعمرِ	أو ما رأيت وقائع الدهرِ
هضباته والعصب ذي الأثرِ	بيننا القى كالطودِ تمنعه ^(٤)
ويجاذبُ الأيدي على الفخرِ	يأبى الدنية في عشيرته
حشدت عليه بأوجه غرِ	وإذا أشار إلى قبائله
ومواطىءُ الأقدام للعشرِ	زل الزمانُ بوطء أحمصه
واقرّ اقراراً على صغرِ	نزاعِ الإباءِ وكان شملتهُ
منّ اللحم الصدفين بالقطرِ	صدعُ الردى أعى تلاحمه
أماماً يدق السهل بالوعرِ	جرّ الجياد على الوجى ومضى
في قعرٍ منقطعٍ من البحرِ	حتى التقى بالشمس مغدّه
كالضغث بين الناب والظفرِ	ثم افنت كفّ المنون به
رد القضاء بماله الدائرِ	لم تشتجر عنه الرماح ولا
لاقتة وهو مضجعُ الظهرِ	جمع الجنود وراءهُ فكأنما
أمسى بمضيعة ولا يدري	وبنى الحصون ممتعاً فكأنما
لحماته كان السذي يبرى	ويرى المعابل ^(٥) للعدى فكأنما

(١) المتأخر من الخيل .

(٢) خاصرته .

(٣) قاله يرقى المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد عام ٣٨٧ ، وكان بينهما صداقة ، أنظر

ديوانه ١ / ٤٩٤ - ٤٩٧ .

(٤) في الديوان « تكتفه » .

(٥) الفصول .

أودى وما أودت مناقبه ومن الرجال مُعَمَّرُ الذكر
 أن التوقي بفضل^(١) معجزة فدع القضاء يقدُّ أو يفري
 نحمي المطاعم للبقاء وذي الآجال ملؤ فزوجها نخزي
 لو كان حفظ النفس ينفعها كان الطبيب أحق بالعمري
 الداء^(٢) داء لا دواء له سيان ما يُوبى وما يُمرى

(١) في الديوان (فرط) .

(٢) في الديوان « الموت » .

في قصة قوم لوط

لما تهاوى قوم لوط في هوة أهوائهم وتنادوا في جهات جهلهم ،
 (أَخْرَجُوا آلَ لُوطَ ^(١)) بعثت الاملاك لانتزاع ملاك الحياة من أيديهم ،
 فترلوا من منزل لوط منزل التزيل ، وهم في أفسح بيت بني من الكرم ،
 غير أن حارسَ حذرِهِ ينادي (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ^(٢)) فخاف من
 قومه آذاهم (فَإِذَا هُمْ يَنْهَرَعُونَ ^(٣)) فأخذ يدافع ، تارة بمشورة (هؤلاء
 بنائي ^(٤)) وتارة بتقاة (فَاتَّقُوا اللَّهَ ^(٥)) وتارة بسؤال (وَلَا تُخْزَوْنَ ^(٦))
 وتارة بتوبيخ (أَلَيْسَ مِنْكُمْ ^(٧)) فلما كلَّ كلَّ سلاحه ، وأعيته جهات
 جهاده ، ان برمز (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ^(٨)) فحجبهم جبريل بحجاب
 (فَطَمَسْنَا) وانتاشه من أسر الغم بلفظ (فَاسِرٌ ^(٩)) فلما علم أن الملائكة
 ملائكة ، تشوق إلى تعجيل التعذيب ، فنادت عواطف الحلم (أَلَيْسَ
 الصَّبْحُ بِقَرِيبٍ ^(١٠)) فسار بأهله على اعجاز نجائب النجاة ، الا عجوز
 العجز عن عرفان المعجز فانها لحقت بالعجزة ، فلما لاح مصباح الصباح ،
 احتمل جبريل قرى ^(١١) من جنى على قرى ^(١٢) جناحه ، فلم ينكسر في
 وقت رفعهم اثناء ، ولم يرق في صعود ^(١٣) صعودهم ماء ، فلما سمع
 أهل السماء نباح كلابهم أسرع كف القلى بهم في انقلابهم ، فتفكروا

(١) سورة النمل ، الآية ٥٦ .

(٢ - ١٠) هود ٧٧ - ٨١ .

(١١) جمع قرية .

(١٢) الظهر .

(١٣) العقبة الشاقة .

بالقلب ، كيف جوزوا على قلب الحكمة بالقلب ، ثم بعث إليهم سحاب
فشصا^(١) بالشصائص واحزال^(٢) ثم ال^(٣) إليهم ، فاكفهرت بالغضب
أرجاؤه ، واحومت^(٤) بالسخط أرجاؤه ، وابدعرت^(٥) فعرت بوارقه ،
وارتنقت في جو الجوى جوبه^(٦) ، واستقلت على قلال قلاقل الردى
أردافه ، فارتجز بأرجوزة الرجز قبل أن يهيم فهمهم ، في دوى بأدواء
في دو دورانه فازلهم ، وركد كيده فلم تكد قلوعه تقلع حتى قلعهم
حينه حين أثجم ، فما أرك^(٧) ولا دث^(٨) ولا بغش^(٩) . بل قطقط^(١٠)
فافرط ، وعم عميمه حين اغمط^(١١) ، فتقاطر على قطرهم من قطرة
قطر الحجارة ، وبغتهم في غرة غرتهم بالغرور حين شن الغارة ، تالله
لقد ضكضك العذاب ، فضعضهم فتضعضوا ، وانقض بقضه
وقضبيضه ، فقضقض عظام عظامهم ، وقطعها فتقطعوا ، وسار بهم على
طرفسان^(١٢) عقاب العقاب ، إلى عوطب^(١٣) العطب فاهرمعوا^(١٤) ،
وكانوا في كن صافي الصفاة ، فمروا إلى مر الملقى^(١٥) فانفرنقوا^(١٦) ،
وهمس هميسعهم^(١٧) وهل لملهم الا الوهل والوهى ، ولات حين مناص
فادرنقوا^(١٨) ، وبرقط^(١٩) المخر نشم^(٢٠) بعد أن بهنس^(٢١) ، وبلطط^(٢٢)

-
- | | | | |
|--------|------------------------------|--------|----------------------------|
| (١) | إرتفع بالنوق القليلة اللبن . | (١٢) | بكسر الطاء الظالة . |
| (٢) | علا . | (١٣) | الداحية . |
| (٣) | أسرع . | (١٤) | يتشديد الميم خفوا عاجلين . |
| (٤) | إستدامت . | (١٥) | لقم الطريق . |
| (٥) | تفرقت . | (١٦) | تنحوا وانكشفوا . |
| (٦) | فجواته . | (١٧) | القوي . |
| (٧) | أركت الساء . مطرت ضعيفاً . | (١٨) | فردوا . |
| (٨) | الدث المطر الضعيف | (١٩) | خطا متقارباً . |
| (٩) | البغش اضعف المطر | (٢٠) | المتناظم . |
| (١٠) | عظم تتابعه . | (٢١) | تثاقل . |
| (١١) | دام ولازم . | (٢٢) | اهين . |

فبلطح^(١) وحزن المبرنشق^(٢) بعد أن زهزق^(٣) ، فبلسم^(٤) وكلح ، فاجيل
على ذلك الجيل ، سجل السجيل ، فما برح حتى برح ، ودار هاتف
العبرة ، على دارس دارهم ينادي (ولقد تركنا منها آية)^(٥) .

فليحذر العازمون على طروق طريقهم من وعيد (وما هي من
الظالمين ببعيد)^(٦) قبل غصص الجرض^(٧) والم الحرص^(٨) ، عند حلول
المرض ، حين يعتقل اللسان ، ويتحير الانسان ، وتسيل الاجفان ، ويزول
العرفان ، وتنشر الاكفان ، فيا عجباً . كيف الفى لذة العيش القاني الفان ،
وقد مر فامر كل ما كان (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان)^(٩) .

-
- (١) ضرب بنفسه الأرض .
(٢) الفرح .
(٣) ضحك .
(٤) سكت عن فزع .
(٥) سورة العنكبوت آية ٣٥ .
(٦) سورة هود آية ٨٣ .
(٧) الريق .
(٨) الفساد في البدن والعقل .
(٩) سورة الرحمن آية ١٦ .

في قصة يوسف عليه السلام

لما تمكن الحسد من قلوب أخوة يوسف ، ارى الظلوم مال الظالم في مرآة (لاني رأيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) فتلطفوا بخداع (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا) وشوقوا يوسف إلى رياض (نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ) فلما أصرحوا اظهروا المقتل له ، ورموا بسهم العدوان مقتله ، ففسخ نهارُ رفقهم به ليلَ انتهارهم له ، فصاح يهودا ، في بقايا شفق الشفقة واغباش غيابة^(١) الحب (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ^(٢) الْحُبِّ) فلما ألقوه ، وقالوا هلاك جاء مَلِكٌ من عِنْدِ مَنْ مَلِكٌ ، يقول : سَتَبْلُغَ أَمَلَكُ (لَتَنْبِئَهُمْ) فعادوا عن عادوا كالأعشى (عِشَاءً يَبْكُونَ) ولطخوا قميصه الصحيح (بِذِمِّ كَذِبٍ) فلاح علامة سلامه القميص كي يظهر كيدهم ، فقال حاكم الفراسة (بَلْ سَوَّلَتْ) .

فلما ورد وارد السيارة ، باعوا الصدقة ولم يتلمحوا الدرة ، واعجبا لقمر قمر به ، فلما وصل إلى مصر تفرس فيه العزيز ، فأجلسه على اعزاز (أَكْرَمِي) فشغف قلب سيدته وفرى (فراودته) فسار بأقدام الطبع في فلاة غفلات (هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) رد (لولا أن رأى) فانقذ قوى الفرار وما استبقى (فاستبقا) فانبطت يد العدوان وامتدت (وَقَدَّتْ) فلما بانَّت حجته في ابان (وشهد شاهد) أخذت تزكي^(٣) مصراة^(٤) الاصرار ، يمين يمين (ولئن لم يفعل) فاختارت درة فهمه ،

(٣) تربى خ ل .

(٤) الشاة المحفلة .

(١) كل ما أظلك .

(٢) قمر البئر .

صدفة الحبس لجهل الناقد (رب السجن أحب إلي) فلما ضاق قفص
الحصر ، على بلبل الطبع ترنم بصوت (اذكروني) فعوقب بإيثاق باب
(فَلَکِبَتْ في السجن) فلما آن أوان الفرج ، خرج إلى الملك .

هذا ويعقوب مفترش فراش الاسى على حزن^(١) الحزن ، لا
يستلذ نوماً ولا سنة^(٢) ، ثمانين سنة ، حتى نحل البدن ، وذهب البصر :

لم يبق لي بعدكم رسم ولا طللُ الا وللشوق في حافته عملُ
إذا شممت نسيماً من بلادكم فقدت عقلي كأني شارب ثَمِلُ

فلما عمَّ عامُ القحطِ أرض كنعان ، خرج أخوته لطلب الميرة ،
فدخلوا عليه في ظلام ظلمهم ، فرآهم المظلوم بعين (لتنبئهم) وخفي
عليهم نعمة (اقتلوا يوسف) فاقبل عليهم سائلاً ، واقبل الدمع سايلاً
وتقلقلَ تقلقلَ الواجد ، ليسمع أخبارَ الوالد .

ايه أحاديث نعمان وساكنه إن الحديث عن الاحباب اسمارُ
أفتش الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء معطار

فقالوا : جئنا من أرض كنعان ، ولنا شيخ يقال له يعقوب ، وهو
يقرأ عليه السلام ، فلما سمع رسالة أبيه ، انتفض طائر الوجد لذكر
الحبيب :

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى فهبج أحزان الفؤاد وما يدري
فرد السلام قلبه قبل لسانه ، وشغله وكف شانه عن شانه ،
وقال مقول ابدائه بعبارة صعدائه :

خذي نفسي ياريح من جانب الحمى فلاقى به ليلاً نسيم ربي نجد
فان بذاك الجو حباً عهدته وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ثم انه طلب آخاه ، فاحتالوا بحجة (مُنِيعٌ مِنَّا الكيل) فلما حملوا
حال بينهم وبينه ، بحيلة (جعل السقاية) فلما دخل وقت التهمة (أذن

(١) خلاف السهل .

(٢) اوائل الناس .

مؤذّن) فعادوا إلى أبيهم بشجى على شجن ، وقرح على جرح ، وعقر على عقر في عقر ، فقام وقد نفوس ، وعسى على باب (عسى) ثم بعثه لطف (لا تَفَنِّطُوا) على أن بعثهم برسالة (فَتَحَسَّسُوا) فلما رجعوا دخلوا من قفر الفقر ، فاستلقوا في ساحة الضر ، ينادون على غليل غليل الذل (وتصدق علينا) تالله لقد جوزيت أيد ، مدها تغشرم^(١) (وشرّوه) ان مدت في طريق ذل (وتصدق علينا) فلما عرفوه اعترفوا ، فمحي ما اقترفوا بكف (لا تثرِب) فرفع من موائد تلك الفوائد نصيب الوالد (اذهبوا بقميصي) فهبت نسائم الفرح ، فتوغلت في خياشيم مريض كالفرخ ، من فرَج^(٢) الفرج ، فخر ركام الزكام ، عن منخر الضر ، فنادى مدنف الوجد (اني لأجدُ) :

نشدتك الله يا نسيم	ما فعلت بعدنا الرسوم
هل استهلت بها الغوادي	ونمقت روضها الغيوم
وهل بها من عهدت فيها	بعد على حاله مقيم
علل بروح الوصال صبا	أنفاسه للجري سموم
وعد فسلم على اناس	ما أنا من بعدهم سليم
واشرح لهم حال مستهام	أنت بأشواقه عليهم
وقل غريب ثوى بأرض	في غيرها قلبه يهيم
يكابد الشوق حين يمسي	وتعري قلبه الهموم
أحبابنا تنقضي الليالي	وما انقضت تلکم الكلام
ذاك اللاديع الذي عهدتم	بعد على حاله سقيم
اصبح من فقركم وحيداً	فلا خليل ولا حميم
لم تجر ذكر القراق الا	حن كماحت الزوم ^(٣)

(١) المرأة .

(٢) جمع فرجة .

(٣) الناقة التي سحت لولدها .

فلما كشف يعقوب فدام ^(١) الوجد ، بكف (إني لأجيدُ)
احدقت به عواذل (تالله تفتنؤ) ، تالله لو وجدوا ما وجد ما انكروا
ما عرف .

للمهيار : (٢)

هل	لكما	من	علم	بالتارق	الملهم
سرى	على	الدياجي	سرى	أخيه	النجم
يشق	نجداً	عرضاً	من	شخصه	بسهـم
فنور	الليل	وليسـت	من	ليالي	التـم
خذ	يا	نسـيم	عني	تحيـتي	ولثمي ^(٣)
وهـنهم		بوجدـهم	من	الكرى	وعـدـمي
قالوا	هـجرت	أرضـهم	أهـجرها		برغـمي
قد	وصلت	إلى	الحشا	رسلـكم	بالسـقم
فلم	تدع	واسـطة	بين	دمي	ولحمي ^(٤)
عج	كي	تري	رسوماً ^(٥)	ثلاثـة	في رسم
سوى ^(٥)	النحول	بيننا	تعرفتنا		بالوهم
خط	هلال	لبـسة	ودارهم		وجسمي ^(٦)

(١) غطاء القارورة ونحوها .

(٢) قاله يمدح سعد الملك أبا الحسين صاحب النعمان في المهرجان ، أنظر ديوان شعر

. ٢٦٩ / ٣٥

(٣) في الديوان « وضمي » .

(٤) في الديوان « ولحي » .

(٥) جعلنا سواء .

(٦) في الديوان « خيط هلال أبك ودارها جسمي » .

الفصل الحادي عشر

في قصة ايوب عليه السلام (١)

جُمِعَ لأَيُّوب بين كثرة المال وحسن الأعمال ، فملا مدحُه بالوفاق الآفاق ، فأثارت تلك الآثار حسداً من ابليس قد تقادم منذ آدم ، فقال : يا رب ان سلطني عليه ، القيته في الفتنة ، فالقيته في الفتنة المفتونين ، فقيل : قد سلطناك على ماله من مال ، فمال إلى جميع عفاريته ، ففرقهم في تمزيق ماله ، وتولى هو رَمَى بيته على بنيهِ ، ثم أتى في صورة معلمهم يعلمه ، فرأى ذلك لا يؤله ، انصت العدو لسمع عريضة السكر ، فاذا أيوب يتلو آيات الشكر ، فصاح بلسان حسده ، سلطني على جسده ، فسלטاه وقد سبقه الصبر ، فتقطع الجسم و داد : وما تقطع رسم الوداد ، فأخرجه أهلُ قريته ، لقرح قرحه إلى قرواح^(٢) كناسة ، فرموه كسيراً كالكسرة وكساء كساده عندهم أعلى عندنا من أغلى كسوة كسرى ، فلم يزل ما نزل به حتى بدا حجابُ بطنه ، وكان يبصر عظامه ومعاها معاً

(للمهيار) :

ما اختص مني السقام جارحة كل جهاتي أغراض متبل
إذا لحاظي لجسمي امتعضت من الضنا قال قلبي احتمل

فدام هذا البلاء عليه سنين ، وفِدام^(٣) الصمت عن الشكوى على فيه تبين ، ولم يبق غير اللسان للذكر ، والقلب للفكر ، فلو أصغى إلى نطقي

(١) إقرأ قصته في سورة الأنبياء ٨٣ - ١٨٤ وسورة ص ٤١ - ٤٤ .

(٢) البارز تحت السماء . (٣) جمع فدم : الي عن الكلام في ثقل .

حاله سمع فهم : أو سأله عن وجده رب قلب لسمع من الدماء ^(١) الذما
يناجي به الحق .

(للشريف الرضي ^(٢)) :

محا بعدكم تلك العيون بكأوها وغالَ بكم تلك الاضالع غولها
فمن ناظر لم تبتق الا دموعه ومن مهجة لم يبتق الا غليلها
دعوا لي قلباً بالغرام أذيئسه عليكم وعينا في الطلول أجيأها

فلما كع ابليس : لقي زوجته في صورة متطبب ، فقال : عندي
دواؤه ، بشرط أن يقول بشفتيه شفيتني . فجاءت تدب ، وقد أنساها
طول البلاء تدبر المعنى ، فأخبرت من قد خبر عدو العدو ، فغضب
المؤدب على تلميذ ما يقوم بطول الصحبة ، فحلف لئن شفي ، ليجلدنها
مئة ، فيينا المرء يكابد المر ، مر به صديقان له ، فقالا : لو علم الله من
هذا خيراً ، ما بلغ به هذا الأمر ، فما شد على سمعه أشد من ذلك ، فخر
على عتبة (ولا تَشْمِيت) واستغاث بلفظ (مَسْنِيَّ) وصاح بادلال (لو
أقسم) فجاء جبريل برسالة (اركض) وليس العجب لو ركض جبريل
انما العجب ان يركض العليل ، فركضت خيل النعم عند ركضته فردت ،
وما غار الماء ما اغير عليه من نعمته ، فنسى بنسيم العافية . ما ألم من ألم ،
وردت يد المنة ، كل ما مر منه وذهب ، وكان نثار الرضا على واديه ،
بعد أن جرى وادي جرادی ^(٣) من ذهب ، واقبلت زوجته ، وعليه يمين
ضربها ، وما كان يحسن في مقابلة صبرها ، فاقبل لسان الوحي يتلو
فتوى الرحمة ، ويراعي ما سبق من مراعاة رحمة ^(٤) (وخُذْ بيدك
ضِغْثًا) تالله ما ضره ما أكل من جسده الدود ، لما اختال في ثوب مودود ،
واصبح مصطحباً شراب السرور ، من جود الجود ، فرنت قيان الفرح ،
اذ غنت السنة المدح لا بعود ، وفاح عير الثناء فزاد نشره على كل
عود (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نعم العبد) .

(١) بقية النفس .

(٢) من قصيدة قالها لما وقف على منازلته سنة ٤٠٤ ، أنظر الديوان ٢ / ١٨٣-١٨٦

(٣) كفرادي : موضع .

(٤) زوجة أيوب .

الفصل الثاني عشر

في قصة شعيب عليه السلام

لما رأى شعيب شعب شباب قومه قد امتلأت بالخور ، صعد منبر التذكير بالانعام ، ولكن بين الانعام ، فخوفهم من قحم قحل^(١) القحط في اشارة (اني آراكم بخير^(٢)) فتلقوه باستهزاء (اصلواتك^(٣)) ومدوا نحوه باع النخوة (لنخرجنك^(٤)) وتعللوا بحجة (ما نفقه^(٥)) وانتهوا إلى عتو (فاسقط علينا^(٦)) فلما اسمر^(٧) ظلام ظلمهم ، اسحنكك^(٨) ليل ادبارهم ، واسلنطح^(٩) نهار هلاكهم ، فحقق^(١٠) إليهم ما حق عليهم من محقهم ، فاضل على ظلل ضلالهم (عذاب الظلة^(١١)) فارتجت أرجاء بيوتهم ، برج الرجفة ، وشدت عليهم شدة الحر ، فهربوا إلى البر ، فاذا سحابة تسحب ذيل برد البرد ، فتنادوا هلموا إلى راحة الروح ، فلما تم اجتماعهم في قصر الحصر ، وظنوا أنها من حر وقتهم وقتهم ، نزلت بهم نار فأحرقتهم ، فساروا إلى جهنم في أسر أدبارهم ، وسار بعد بعدهم في ادبارهم ، نذير التحذير من تبديرهم ، وعابهم في عقاب عقابهم (الا بُعداً للمدين^(١٢)) . فليحذر العصاة مثل أفعى أفعالهم ، وليتق أعنى البصيرة شبه أعمالهم ، وليخف المطففون من أخذ التطفيف في مكيالهم ، وليسمعوا نذير العبرة ، فقد أوحى إليهم بشرح أعمالهم .

- | | | | |
|-------|----------------------------|--------|----------------------------|
| (١) | ييس . | (٧) | تنكر . |
| (٢) | سورة هود ، الآية ٨٤ . | (٨) | اشتد ظلاماً . |
| (٣) | سورة هود ، الآية ٨٧ . | (٩) | وقع على وجهه . |
| (٤) | سورة الأعراف ، الآية ٨٨ . | (١٠) | جد في السير . |
| (٥) | سورة هود ، الآية ٩١ . | (١١) | سورة الشعراء ، الآية ١٨٩ . |
| (٦) | سورة الشعراء ، الآية ١٨٧ . | (١٢) | سورة هود ، الآية ٩٥ . |

الفصل الثالث عشر

في نكر بداية موسى عليه السلام

كانت الكهنة قد أخبرت فرعون بوجود موسى ، فاطلق موسى في ذبح الأطفال ، فلما اتهمت أم موسى بالوضع ، أوضع الحرس إلى بيتها بالطلب ، فأدركها عند العلم الدهش ، فألقته في التنور القساء الحطب ، فلما عادت فرأته قد سلم شاهدت في ضمن ما صنعت أثر (واصطنعتك^(١)) فكانت سلامته من النار نقداً لأجل احتمال لأجله وعداً لنجاة يوم اليم ، لما سعت بتأبوتيه إلى البحر ، ارتعشت يد التسليم فأمسكها ، فصاح شجاع الشجاعة بملء فيه : ان اقدفيه فيه ، فصدرت بعد القائه بصدر قد لوى به لواعج الاشتياق ، لا يعلم قدر ما به ، الا من قد رمي به ، فتلقاها بالبشر بشير (انا رادوه^(٢)) فلم تزل أمواج اليم ، تيمم به مسالك القدر ، إلى أن خبت^(٣) به خيل النيل ، فشرعت في تناوله مشرعة دار فرعون ، فألقته في بركة (فالتقطه) فلما فتحوا التابوت أسفر عن مسافر على نجيب النجابة ، قد جعل زاده في مزود (ولتصنع) ووشح قلادة الحب قد رصعت بدر (والقيت) فقام فرعون على أقدام الاقدام على قتله ، فخرجت آسية من كمين اتباعه ، تنطق عن لسان (سبقت لهم) وتنادي في مخدع خديعة الحرب (قرة عين لي ولك) وتجمع في كلامها ما هو فرد في لغة الغدر (عسى أن ينفعنا) فلم يزل فرعون في اغباش غرور يذبح ، حتى طلع غرر صبح (ونريد

(١) سورة طه ، الآية ٤١ .

(٢) أنظر سورة القصص ٧ - ١٣ وسورة طه ٣٧ - ٤٠ .

(٣) سارت الحبيب .

أن نمن) فلما قص شوق أمه جناح صبرها ، قالت لاخته (قصيه فبصرت به) في حريم (وحرمتنا) فدننت فدننت^(١) حول حلة الحيلة ، بحول (هل أدلكم) فلما حفظت باب المكر ، بحارس (يكفلونه لكم) دخل طفيلي الوجد من باب (وهم له ناصحون) فجاءت بأمرها يؤمها دليل الطرب ، فكادت إذ حضرت تحضر في ميدان (لتبدي به) فكبحها بلحام (لولا ان ربطنا) فخافت لسان جهرها لما خافت ، فسل من أيديهم إلى سلم تسليمها ، فقر في حجر (كي تفر عينها) وترنمت بلابل الوصال فاخرست بلابل الفراق .

فربي موسى في ربي^(٢) فرعون ، ونمي بين نمارقه ، إلى أن آن أوان مشاجرته ، فجري القدر بقتل القبطي ، ليكون سبباً في سر سير (ولما تَوَجَّهَ) فسعى على أرجاء رجاء (عسى ربي) فتزود مزود (ولما وَرَدَ) فتجمع شمل الصهر بواسطة (ان ابني) فبقي ضمان الوفاء إلى أمانة (فلما قَضَى موسى الأجل) فتلمح معنى (قال لاهله امكثوا) فيبدو في بادية الحيرة أنيس (اني آنست) فترامي كف الطمع إلى مرامي (لعل آتيكم) فأطل على طلل الطلب اقدام (فلما آتَاهَا) فنلقط ثمار التكلم من غير كلفة (وهزي) تساقط من جني جنات التجلي (اني انا الله^(٣)) .

(١) تكلمت بصوت ضعيف .

(٢) جمع ربوة .

(٣) أنظر سورة القصص وطه والاسراء .

الفصل الرابع عشر

في تكليم الله عز وجل موسى عليه السلام

لما خرج موسى بأهله من مدينة مدين ، انطلق طلق الطلق بزوجته
فما زال يكادح المقادح فلم تور ، لأن عروس نار الطور لما همت بالتجلي ،
نوديت النيران بلسان الغيرة من المشاركة (غضى) فقام على اقدام التحيرة ،
فهتف به انيس (آنس) فانس :

يا حار ان الركب قد حاروا فاذهب تجسس لمن النار
تبدو وتخبو ان خبت وقفوا وان أضاعت لهم ساروا

فشمّر موسى عن ساق القصد وساق ، فلما أتى النادي (نودي) فحين
ذاق لذة التكليم ، جرح قلبه نصل الشوق ، فلم يداوه الا طيب (وواعدنا)

ليالينا بذي الاثلاث عودي ليورق في ربي الاثلاث عودي
فان نسيم ذاك الشيع اذكى لدي من انتشاق نشر عود
وان حديثكم في القلب أحلى وأغيب نعمة من صوت عود

فبعث في حرب فرعون ، فلم يزل مشغولاً بالجهاد ، إلى أن قبر
القتيل في لحد اليم ، فطلب قومه كتاباً يضبط شاردهم ويرد نادهم ،
فأمره الله أن يصوم ثلاثين ليلة ، نهاره وليله فأمسك على مسك^(١) الامسك
بكف الكف في الوصال ، فدّامَ فدّامُ فيه فيه عن مطمع المطعم ،
فقيد فقيد قوت الوقت ، فصار في قيء ذكر الوعد ، فما انقضت
الليالي حتى انقضت ظهر البصر ، فقام لترأى جلال الوفاء بالأمر ، فلاح

في مطلع فلاح القصد ، فبادر يسعى على اقدام الحب ، إلى زيادة ربح
 الحب ، فكاد يقله قلقلة الوجد ، فوجد الهواء متغير الريح ، في عرصة
 القم ، فصاح به فصيح لسان الحزم من وراء رأي العزم : يا موسى
 غير أثراً لازم ، فتناول مضغة من النبات فمضغها ، فقيل له : أيها الصائم
 عن أمرنا ، لم افطرت برأيك ؟ فقال : وجدت لقمي خلوفاً ، وما
 أردت بفعلي خِلَافاً ، فقيل : ما علمت أن فور فورة الخلوف من قدر
 الامساك ، أطيب عندنا من فارة فارة المسك ، انا لننظر إلى قصد الفاعل
 لا إلى صورة الفعل ، الدم نجس مجتنب ، لكنه في حق الشهيد شهيد
 (زملوهم بكلوهم ودمائهم^(١)) فرجع موسى عاكفاً على معتكف كف
 كفه (فتم ميقات ربه) واحضر حظيرة القدس ، فنسي الانس ، مما آنس
 من الانس :

فكل شيء رآه ظننه قدحاً وكل شخص رآه ظننه الساقى

فلما دارت في دائرة دار الحب كؤوس للقرب ، وسمع النداء
 وسط النادي بلا واسطة ، وسيط^(٢) له من وسيط اقداح المني في المناجاة
 بلا وسيط ، طاب له شراب الوصال من أوطاب^(٣) الخطاب ، في أواني
 سماع الكلام ، فناداه توق شوقه :

اوان^(٤) انت في هذا الأوان عن الراح المروق في الأواني

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ، ما أجلب البرق لدمع الاماق فصاح
 لسان الوجد (أرني) فرد شارد شحذان^(٥) الشوق على الطوى بطوق (لن
 تراني) الا أن جزع القظام سكن شعله بتعلة (ولكن) فلما تجلى جل جلاله
 للمجبل مر ، فخر موسى في بحر الصعق فرقاً ، فرقي فرقه^(٦) ذروة

(١) قاله صل الله عليه وسلم في شهداء أحد .

(٢) مزج .

(٣) جمع وطب . وهو السقاء .

(٤) إسم فاعل من دنى .

(٥) بالتحريك . الجائع

(٦) خوفه .

(سبحانك تبت إليك) ما انبسط موسى بقول ارثي الا ببسط ، سلمي
ولو ملح عجيتك ، ولو تركه مع رعيه الغنم في شعب شعيب^(١) لما جال
في ظنه ذلك الطمع ، ولكنه استدعاه بالنداء ، وانسه بالتقريب ، وباسطه
بالتكليم .

فلما عاين الخيرة حادى جملي حارا

كان موسى يطوف في بني اسرائيل ، ويقول من يحملي رسالة إلى
ربي ؟ ما كان مراده الا أن يطول الحديث مع الحبيب :

فقلت له رد الحديث الذي انقضى وذكراك من ذاك الحديث أريد
يحدد تذكاري الحديث مودتي فذكرك عندي والحديث جديد
أناشده الا أعاد حديثه كأني بطيء الفهم حين يُعيد

مات موسى قتيل شوق (ارثي) فلما جاز عليه نبينا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج ، رده في الصلوات ، ليسعد برؤية من قد رأى :
واني لآتي أرضكم لا لحاجة لعلي أراكم أو أرى من يراكم

* * *

ان تشق عيني فطالما سعدت عين رسولي وفاز بالنظر
وكلما جاءني الرسول لهم رددت شوقاً في طرفه نظري
تظهر في طرفه محاسنهم قد أثرت فيه أحسن الأثر
خذ مقلتي يا رسول عارية فانظر بها واحتكم على بصري

(١) المؤلف من اصحاب الراي المشهور القائل ان الشيخ الكبير المذكور في سورة
القصص آية ٢٣ هو شعيب عليه السلام . وهذا امر مشكوك فيه ، فشعيب كان قبل موسى
بزمان بعيد ، وقد قال لقومه : (وما قوم لوط منكم ببعيد) سورة هود آية ٨٩ ، ولوط كان
في زمن ابراهيم ، ومن المعروف ان بين ابراهيم وموسى زمنا طويلا يزيد على الاربعمائة عام
كما قاله غير واحد ، فليستظر .

الفصل الخامس عشر

في قصة الخضر عليه السلام (١)

لما علا شرف الكليم بالتكليم كل شرف ، قال له قومه أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، ولم يقل فيما أعلم ، فابتلى فيما أخبر به واعلم ، فقام بين يدي الخضر ، كما يقوم بين يدي السليم الاعلم ، فابتدأ بسؤال (هل اتبعك) فتلقيه برد (لن) وكم أن موسى من لن . أمر قومه بالايمن فقالوا (لن تؤمن) وقعوا في التيه فقالوا (لن نصبر) ندبوا إلى الجهاد فصاحوا (لن ندخلها) طرق باب أرني فردده حاجب (لن) ، دنا إلى الخضر للتعليم فلفظه بلفظ (لن) ثم زاده من زاد الرد بكف (وكيف تصبر) فلما ساعه على نوبة السفينة ، وواجهه بالعتاب في كرة الغلام ، أراق ماء الصلبة في جدال الجدار (هذا فراق بيني وبينك) ثم فسر له سر المشكل ، فجعل يشرح القصص فصلاً فصلاً ، بمقول قائل يقول فصلاً ، وكلما ذكره أصلاً أصلياً^(٢) ، لم يبق لموسى عين تراه أصلاً ، وكلما سل من حر للعتاب فصلاً ، صاح لسان حال موسى : كم نصلي ؟ فالقى تفسير الأمور على الكليم وامل ، والقدر يقول : أهو أعلم أم لا ؟ فعلم موسى ويوشع أي عبد أمّا^(٣) منذ ابتدأ بالشرح بأمّا ، ثم أخذ لسان العتاب ، يذكر منسى موسى ، أتكر خرق سفينة ؟ لظاهر افساد تضمن ضمنه صلاح (ولكم في القصص حياة) أو تنكر ؟ اتلاف شخص دني لابقاء دين شخصين ؟ أو كرهت إقامة الجدار ، لشح أهل القرية بالقرأ

(١) أنظر سورة الكهف . ٦ - ٨٢ .

(٢) . أحرق .

(٣) قصدا .

أفاردت من الاصفياء ؟ معاملة البخلاء بالبخل ، أما تلمحت سر ؟ صل
من قطعك ، لقد أنكرت ما جرى لك مثله ، حذرت يوم السفينة من
الغرق ، فصحت بانكار (أخرقتها) أنسيت يوم ؟ (فألقه في اليم)
أنكرت قتل نفس بغير نفس ، أنسيت يوم ؟ (لو كره) نهيت عن
عمل بلا أجر ، أنسيت يوم ؟ (فسقى لهما) فلما بان البيان ، خرج
الخضر من باب دار الدعوى ، وأخرج يده من ملك التصرف وأحال
الحال على الغير (وما فعلته عن أمري) .

وهذه القصة قد حرضت على جمع رحل الرحيل في طلب العلم ،
وعلمت كيفية الأدب في كف كف الاعتراض على العالم ، وصاح
فصيح نصيحها بذى اللب : دع دعواك فعلى دعوى الكليم ليم ، وفوق
كل ذي علم عليم .

في قصة بلعام وموسى

أيها المتعبد : خف من الفتن ولا تأمن ، كم قد أخذ آمن من مامن ،
انه لم ينبج من غطامط ^(١) بحر الفتن الأعظم حافظ الاسم الأعظم ،
بل عام ^(٢) بلعام ، رفل في حلل النعم كالنعم ، غافلاً يتعامى عن النعم ،
وكانت بنية نية تعب تعبده على رمل الريا ، فجرت تحتها أنهار التجربة ،
فأنهار بنيانها فتخرب ، كان على دينار دينه ورقصة رقة ، فأعجب
نضره ^(٣) نواظر الناظرين ، فلما حكه المنتقد على حجر الحجر اقتضح بين
أهل الحجى ، وكان ظاهره لثقا بالتقى ، وباطنه باطية لحر الهوى ،
فلقد خبأ الحبايث في طي الطويات ، فلما أراد المقدر تنبيه جواره على
جوره ، تقدم إلى القدر بهتك ستره ، فأتاه وهو في عقر ^(٤) عقر ^(٥)
الهوى ، يعاقر عقر ^(٦) الريا وقد رفعت عقيرتها ^(٧) عاقر الفهم إلى أن
عقر بعقر قلبه فعاد عقيراً ، فدّعه القدر إلى صف صفصف الدعوى ،
وأرسل عليه لاصرارهِ صرصر العجب ، فمزقت جلباب التعبد ،
فصيره عصفها عصفاً ^(٨) فأنكشف عوار عورته فعوى ، فاذا به كلب
عقور . وقصة اقصاصه ان القدر ساق الكليم إلى محاربة فساق بلدته ،
فقالوا له : اشحذ موسى الدعاء على موسى ، فمج فوه بمجمعة التمتع ،
فخوفوه بنحت خشبة ، فخشته خشية الخلق ، فخرج حتى أتى على اتان

(١) بحر غطامط . عظيم الأمواج . (٥) الضيعة .

(٢) سيج . (٦) خمر .

(٣) بالتحريك : الحسن . (٧) صوتها .

(٤) رسط المكان . (٨) زرعاً أكل حبه وبقي تبه .

فلما قفا وقفت ليقف سير عزمه ، ففصرى بضربها حتى أضربها ،
فقامت في المحجة تتكلم بالحجة عليه ، لم تضربني ؟ وهذه نار تمنع
الماشية المشي ، فرجع إلى ملكهم فأخبره خبره ، وما نقل العتب
المقصود ولا خبره ، فالجأ الملك صلب عزمه إلى أمر صلب ، أما الدعاء
عليهم وأما الصلب ، فخرج فاتبعه الشيطان ، فما كان إلا أن بلغ المكان
(فكان من الغاوين ^(١)) تالله ما عدا عليه العدو ، الا بعد أن تولى عنه
الولي ، فلا تظن أن الشيطان غلب ، وإنما العاصم أعرض ، وإن شككت
فاسمع هاتف القدر ، مخبراً عن عزة القادر (ولو شئنا لرفعناه بها ^(٢)) .

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٧٦ .

في قصة قارون (١)

كان قارون غاية في فقهه وفهمه ، وكان في النسب إلى موسى ابن عمه ، فلما فاضت الدنيا عليه ، فاضت نفس علمه ، وكانت مقاليد خزاين خزاياه^(٢) وقرستين بطلا ، غير أن الذي فاته بما ناله أعلى وأعلى ، سحب ذيل (فبغى) فقام قومه قومة بزجر (لا تفرح) والقوا إليه نصائح (وابتغ ، ولا تنس ، واحسن ، ولا تبغ) .

فركب يوماً في وقت اقتداره في أربعة آلاف مقاتل ، وسم الهوى يعمل في المقاتل ، وركب معه في معمته^(٣) ثلاثمائة جارية ، وقد أنساه سفه الأمل أن سفينة الاجل جارية ، فلما غلا وعلا ، حط إلى حضيض (فخسفنا به) فقال الجاهلون : انما بادر موسى بادرته ، لأخذ بدره (بيداره)^(٤) فقال حاكم الغيب لازالة الريب (وبداره) فقال موسى : يا أرض خذيه . فاستخذت^(٥) لامره . فسرت بسريره ، فناشده قارون بالرحم فما رحم ، فأخذته لتقدمه حتى غيبت قدمه ، فما زال يردد القول حتى غاب الغبي الغبي ، وانه ليخشف به كل يوم قدر قامة ، فلا تظن ان ذم الجزاء قد رقي مه ، ان الدنيا اذا طلعت على الطغام تطغى ، واذا بغى نكاحها على العفاف تبغى ، ثم انها تقصد هلك محبها وتبغى . وكم عذلت في فتكها بالفتى الفسى وتلغى ، أما درودها

(١) الفرافصة في سورة القصص ٧٦ - ٨٢ (٤) كده .

(٢) خباياه خ . ل .

(٣) الجلبة والتعزب .

(٥) إسترخت .

فغرت ؟ فلما فرغت فغسرت ^(١) فاها فرغت ^(٢) للظعن ، أما سحبت
قرون قارون ؟ مع اقراءه . إلى القران في قرن ، أما كفكفت
كف مكفوف مجها فارتك فن ما يكون فيك في كفن ، تالله لقد لقي
الغبي الغنى غب غبواته ، فلما انجلى غيب غيمه . رأى الغبن ^(٣) والغبن
نعوذ بالله من الخذلان .

(١) فتحت .

(٢) صاحت .

(٣) الغين بضم الغين الحديمة والغبن بفتحها الضعف

الفصل الثامن عشر

في قصة داود عليه السلام

لما حلّى داود حلية النبوة ، ولقّن فصل فصل الخطاب ، أطرب
شدو^(١) شكره سمع القبول * فمتعه اقطاع (يا جبالُ أوبي معهُ
والطير^(٢)) فأعجبت سلامة العصمة ، فتجهز للاجهاز على جرحي الزلل ،
فرماهم بسهم ، لا تغفر للخطائين ، والقدر قد أترع له مما سيعض له
الأنامل ملء الاناء ، فابتلى بالذنب حتى نكس رأس الرياسة على عتبة
الذل ، ودب إلى داود المعاصي ديب الدبا^(٣) من حيث ما دبر ، رماه
سهم ليالي القضاء في درع ليالي الفن . فقضى عليه فما قدر على رده
(وقدّر في السرد) :

واذا رامي المقادير رمى فدروع المرء أعوان النصال

ظن لقوة لقوة^(٤) عصمته لقاء قرن الهوى ، فلاح له في حمى
دعواه حمامة من ذهب ، فذهب يصيدها . فوقع في عين شرك عينه .

(للمهيار^(٥)) :

ظنّ غداةً « الخيف » ان قد سلبها لما رمى سهمها وما أجرى دما

(١) الغناء . (٢) سبأ ٩ . (٣) المرأة .

(٤) العقاب السريعة .

(٥) مطلع قصيدة كتبها إلى ابن عبد الرحيم في المهرجان ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٢٥٣ .

فعاد يستقري حشاه فإذا فؤاده من بينها قد عُدِمَا
لم يدرِ من أين أصيبَ قلبه وإنما الرامي درى كيف رمى

طاف على بابه طيب اللطاف ، فاراد استخراج النصل من باطن
الشغاف ، فجثا على عتبة عتابه . باعتوبة^(١) (خَصْمَان) ففضى على نفسه
في صريح (لقد ظَلَمَكَ) فبينا هو يلاحظ لفظ القضية ، المعام
معاني المعاصي ففطن ، ففت بالفتى الفاتن فتن فتياه (وظنَّ داودُ
إنما فتناه^(٢)) فنزل عن مركب العز إلى مس مسجد الذل ، وافترش
فراش من قـد اسـا في دار الاسـا ، وخلع خلع الفرخ بلحاب الحزن ،
وزرّ زرزر مانقة^(٣) الخوف على شعار القلق ، فاسكت الحمام بنوحه ،
وشغلها عن صدحها بصوته ، فبالغ حريق الندم في سويدا قلبه ، واقلق
الأفئدة بشجي شجنه ، ومات خلق كثير من الخلق بترنم شجوه
وصوته ، وشرب عرق العشب من عين عينه ، وحشى سبعة فرش رماداً .
ثم رمى داء الحشا . بعد أن فرشها فرشها ، وكان يقول في مناجاته
« الهى خرجت أسأل أطباء عبادك . أن يداؤوا لي جرح خطيبي فكلهم
عليك يدلني . الهى أمدد عيني بالدموع . وضعفي بالقوة . حتى ابلغ
رضاك عني .

(.....) :

يا من تجنب صبري من تجنبه هب لي من الدمع ما ابكى عليك به
حتى متى زفرائي في تصاعدها إلى الممات ودمعي في تصوبه
ولي فؤاد اذا لج الغرام به هام اشتياقاً إلى مقيا معذبه
ما زال يغسل العين من عين العين . ولسان العتاب يقول . يا بعد
اللقا . وكلما رفع قصة غصة جاء الجواب بزيادة الجوى : وهو يستغيث
وينادي . حتى أفلق الحاضر والبادي :

ان شفيعي إليك مني دموع عيني وحسن ظني
فبالذي قادني ذليلاً إليك الا عفوت عني

(١) أنظر هذه القصة في سورة ص ٢١ - ٢٦

(٢) بضم الراء المعجمة : جبة في صوف معرب (اشترباه) أي متع الجمال .

الفصل التاسع عشر

في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس (١)

ركب سليمان يوماً مركب الريح • فراحت بوادره على وادي النمل ،
فندت نملة فنادت أخواتها بنداء (لا يَحْطِمَنَّكُمْ) ثم قامت
فأقامت لعدله عذر (وهم لا يَشْعُرُونَ) فحملته أريحية سكر الشكر
على طرب (فتبسم ضاحكاً) وذلك أنها بلفظة (يا) نادى (أيها) نبهت
(النمل) عينت (أدخلوا) أمرت (مساكنِكُمْ) نصت (لا
يَحْمِنَنَّكُمْ) حذرت (سليمان) خصت (وجنوده) عمت
(وهم لا يشعرون) ، عذرت • فلما فصل طالوت
ملكه بالجنود عن وادي النمل ، وقع في مفازة لا يرى فيها على ماء
علماً • فجاش جاش^(٢) الجيش لفقرهم في الفقر إلى الماء الما ، وكان
الهدهد يدلمهم على الماء فغاب • فتواعده بلفظ (لأَعْدَبْنَهُ) فجاء بيهت
ذكي (أحطتُ بما لم تُحِطْ به) فحملة كتاباً • فالتقاء من قاره •
بمنقاره ، فرأت اليقظي ييقظان فهمها كتاباً مختوماً • كلاماً عجيباً ،
وحاملاً غريباً ، فصادها^(٣) العقل والفهم فصادها ، فاستشارت
قومها فاوموا إلى الحرب بلفظ (نحن ألو قوة) فعلمت أن من جنده
الطير لا يقاوم • وبعثت ما يفرق به بين الدعوة والدعوى (واني مُرسلةٌ
إليهم بهدية) واعجبا للذهب اذا ذهب سهمه لا يخطئ • وللرشا^(٤) اذا
رشت مزالق اقدام العقول لا تبطي .

(١) أنظر هذه القصة في سورة النمل ٢٠ - ٤٤ .

(٢) القلب والمصدر .

(٣) اعتراضاً .

(٤) جمع رشوة .

(.....) :

لا يغرنك من المـ	رء إزارٌ رقعـه
وقميصٌ فوق كعب	الساق منه رفعـه
وجبينٌ لاح فيه	أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف	غيه أم ورعه

فلما بدت هوادي هديتها ، صاح سليمان بعز (اتمدوني بما) فلما
صح عندها ما يدعوا إليه وثبت ، وثبت على اقدام الطلب * وهيأت
مراكب القصد ، ورحلت في هجير شمس الهدى على نجائب الهجرة ،
فلما سمع سليمان برحيلها * اراد تقوية دليلها * فنادى في نادي عفاريتها *
مستعرضاً جند بطشها (أَيُكُمُ يَأْتِنِي بَعْرُشِهَا) فلما جرى به ستره
بقرام^(١) (نَكَّرُوا) ثم ابتلاها * ليرى ذكاها (أَهَكَذَا عَرَشُكَ)
ثم صرح بلفظ (ادخلي الصَّرْح) فشبه لها لضعفها عن لطافة كاس
ساقياها * فكشفت عن ساقياها ، فلما وصلت وسلمت * أسلمت فسلمت *
وحلت قبل ان حلت نطاق النطق * فنثرت خرزات نظامه على نظم
العذر (اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمانَ لله رب العالمين^(٢)) .

(١) بكسر القاف . السّر الرقيق .

(٢) سورة النمل ، الآية ٤٤ .

الفصل العشرون

في قصة مريم وعيسى عليهما السلام (١)

كانت أم مريم حنة قد حنت إلى ولد ، فكبر عليها امتناعه واستولى الكبر ، فرأت يوماً طائراً يغذو فرخاً فرحاً * فرجى أملها اليؤوس فرجاً فرجاً ، فسألت عند هذه القضية ولديها ولدأ ، فلما علمت بالحمل أكسبها السرور ولها ، فوهبته بلسان النذر لمن وهبه لها ، فقال القدر : يا ملك التصوير . صور الحمل انثى ، ليبين أثر الكرم في قبول الناقص .

فلما وضعتها وضعتها بأنامل الانكسار عن سرير السرور ، فان لسان التلهف لما القى على الفايث (اني وضعتها انثى) فجبر كسرهما جابر (فَتَقَبَّلَهَا) وساق عنان اللطف إلى ساق زرعها ، قربا في ربي (وأنبثها) فانطلقت بها الأم تأم بيت المقدس ، فلبس القوم لامهم (٢) في حرب (يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) فثبت قلم زكريا اذا وثبت الاقلام فكفتها (٣) وكفلها * فأراه المسبب غناها عن السبب . باية (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) قرباها من ربها (٤) فنشأت لا ترى الا ربها .

فانتبذت يوماً من أهلها * فاقبل نحو ذلك البري البري (٥) بريد (فارسلنا) فتحصنت الحصان بحصن (اني أعوذُ) فانزوى إلى زاوية (انما أنا رَسُولُ رَبِّكَ) واخبرها بالتحفة في لفظ (ليهب) فأقيمت

(١) أنظر سورة آل عمران وسورة مريم والمائدة . (٤) ربها .

(٢) جمع لامة . وهي الدرع . (٥) نية إلى البر .

(٣) ضيها .

فأقيمت في مهب ريح الروح ، فتنفست الكلمة من كمين الأمر ، فنفتح جبريل في جنب الدرع جيب ، فمرت المرأة حاملاً في الوقت ، فلما علمت المت بما حمل عليها الحمل ، فأخرجها الحياء الحي عن الحي ، فلما فاجأها وقت الوضع * فاجأها المخاض إلى الجذع ، تحيرت من وجود ولد . ومسا فجرت ، فجرت عينُ الدمع * فصاح لسان الخنجر . بلفظ الندب (يا ليتني ميتٌ قبلَ هذا) فأجابها الملك * عن أمر من ملك (ان لا تحزني) واجرى لها في أواني الاوان سري^(١) * كما وهب لها من الغلمان سري^(٢) فسرى^(٣) عن سرها وجود الظهور ، وانس الظاهر . فسرا^(٤) ، وأريت آية تدل على من قدر القدرة في مقام (وهزى) فهزت جذم^(٥) جذع مايل مثل الخطب ، فتساقط عليها في الحال رطب الرطب ، فأخذها الجوى . في إعداد الجواب ، فقبل لها (كُلِّي) كل الكل * إلى من له الكل * كنت بمعزل من وجود الولد * فكوني بمعزل من اقامة العذر ، فالذي تولى ايجاده يقيم عذر العذرا . لا تعجبي من وجود حمل سافر عن أرض القدرة ، فلم يصلح أن ينزل الا بمنزل * أركانه على عمد (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك) فلما سكنت وسكنت * بعد أن قعدت وقامت ، أقامت أيام النفاس فانقضت وفانت (فأنتَ به قومها تحمله) فنادوا من أندية التوبيخ * إذ ما شاهدوا قط أختها (يا أخت هرون) فاضجروا مريضاً قسداً ضنى من أنين (إني) على فراش (يا ليتني مت) فلما شارت^(٦) أرى^(٧) الرأي . أشارت إليه * فأخذت السنة تعجبهم تعج بهم (كيف نُكَلِّمُ) فكأنها قالت لهم : أنا طريق وهذا مر بي . والمسافر يسأل عن الطريق لا الطريق عن المسافر . فقام عيسى بمخض أوطاب الخطاب على منبر الخطابة . فأبرز بالمخض محض إبريز الاقرار (اني عبدُ الله) وأومى إلى

(٥) الأمل .

(١) نهر .

(٦) اجنتت .

(٢) ذو مروة .

(٧) عمل .

(٣) بالتشديد . ألقى وكشف

(٤) من السر أى ابتهجاً يعني مريم وابناه

وجوده من غير أب . في اشارة (وبرا بوالدني) وكانت واسطة عقده (ومبشراً برسول) .

فلما تم له سنن الشباب . جلس على باب المعجزة . يعطي العافية العافية^(١) . ويرى الأكمة والأبرص . فربما الفى بيايه خمسين ألفاً يؤمنونه في كل يوم . ولقد فرك الدنيا فطلقها أي تطليقاً ، وأبغضها ولا كبغض الرافضي الصديق ، فغزاها بجند الزهد بين مسرح وملجم ، وفكك بها كما فكك بالتقى ابن ملجم ، ما التفت إليها قط وجه عزمه . ولا صافحها يوماً كف قلبه ، ولا غاها يوماً لسان فكره فلم يعرف حقيقة ما حوى سوى الحواريين ، فشمروا عن ساق العزائم . في سوق بدن الابدان إلى منى المنى . تحن بلفظ (نحن أنصارُ الله) وكتبوا في عقد العقائيد (آمنّا بالله) فعدلوا بها إلى عدل (واشهدُ بأننا مسلمون) .

ثم ان اليهود اجتمعوا في بيت (ومكروا) فزلزل عليهم بيد (ومكر الله) فدخل عيسى خوخة^(٢) . فدخل خلفه. ذو دخل^(٣) فألقى عليه شبهه . فحاق بالمرء مرّ مراده . وصاح فيه حاكم القدر جود مراقبها^(٤) .

(١) الدراسة .

(٢) الكوة .

(٣) غدر .

(٤) أي أحسن درجاتها . يقال ذلك المصلوب المستحق الصلب .

الفصل الحادي والعشرون

في قصة يحيى بن زكريا عليه السلام (١)

لما قام زكريا عليه السلام باقامة الاقامة لمريم . رأى وكيل الغيب يسبقه بالانفاذ على يد القدرة في كنّ كنّ . وكان اذا خرج ثم جاء فاجأ ثم الثمار قد نمت ، فكم قد الفى الفاف الفاكهة الفايقة لا في حينها ، فتلمح بعين زرقاء الفهم ، فرأى نفقة الجارية جارية ، وكيس الأسباب على ختمه . فصاح لسان الدهش (أنتى لك هذا) فأحالت الحال على المسبب (هو من عند الله) فنبهت هذه الآية راقدا طمعه ، بعد أن أطال وسنه سبعين سنة ، فسن على سنة (٢) وجهه ماء رجاء (٣) ماء آسن مما لم يتسنه (٤) وقام الدردح (٥) بعد أن تقعوس (٦) وتسعسع (٧) وعسى (٨) على باب عسى في محراب (دعا زكريا ربّه) فسرى بسرّه سرّاً ، لثلا ينسب إلى فن من افن ، وكتب قصة (لا تذرنى فرداً) وشكا ما شيك به مما حل من حل التركيب وشيكا ، في كلمات من (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) فلما أورد في قصته . ما يريد حملها يريد الرجاء ، إلى من عود العود (٩) العود (١٠) فكشف الجوى في الجواب . لله دره . خدم حتى شاب . ثم طلب نايباً على الباب ، فأصبح ميت أمله بوجود يحيى ، فمشى

-
- (١) انظر قصته في سورة آل عمران ومريم والأنبياء .
(٢) صب على حر وجه .
(٣) ضد اليأس .
(٤) لم يتغير .
(٥) الشيخ المهم .
(٦) كبر .
(٧) هرم وفنى .
(٨) كبر .
(٩) بضم العين .
(١٠) بفتح العين .

لمشاهدة وجه القدرة ، وقد حال بينهما سفر العادات * إلى أن لفظ بلفظ (اني) وهتف به هاتف (هُوَ على هَيْن) فسأل علماً على ما يعلم به وجود الحمل ، لحمل نفسه على الشكر * فوعد بسجن اللسان * مع سلامة اللسان * الا عن ذكر الرحمن * ليكون حج نطقه مفرداً .

فلما ولد له يحيى * لم يبلغ مبلغ يافع * الا وهو ولد نافع ، كان صبا الصبا تميل بالصبيان ولا تهزه * فاذا قالوا له هلم بنا فلنلعب * قال : انما خلقنا للعب لا للعب ، فقط له القدر قطاً من عصام العصمة ما قط لاحد ، فما خطا إلى خطأ ولا هم ، ولقد رمى الدنيا عن يد التمسك * وعلا عن فضولها على قلل الثقل * فكان عيش عيشه^(١) العشب ، واقتنع بمسك^(٢) الحيوان عن السب^(٣) والشف^(٤) والمشبوق^(٥) ، وشغله عن رقص نقش القشيب والدمقس ما لف مما لفق ، ولقد دوى في دو فؤاده غيم الغم فغدا الغدق يدق إلى أن فاض قلبه قلبه * فانقلبت عيناه بقلب كالعيون حتى فرت * فحفرت في اخدود الخدود مجرى * ولم يزل معول دمه يحفر ركية خده . حتى بدت فيه * اضراس فيه * يا عجباً من بكاء من ما عصى ولا هم * وضحك من كتابه بالذنوب قد إدهم * فلما قارب الوفاة وفات العدو * علم من آفات النقل في المواطن المخصوصة . بوحش الوحشة * فتخلص فيها من أسد البلاء * كما حمى من ذنب الذنب (يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) .

(١) الثوب الرقيق .

(٥) الثوب الكتان .

(١) حيوته .

(٢) جمع مسك وهو الجلد .

(٣) العصاة .

الفصل الثاني والعشرون

في قصة اهل الكهف (١)

كان رقم (كَتَبَ في قلوبِهِمُ الايمان) قد علا على كهف قلوب
اهل الكهف ، فلما نصب ملكهم شرك الشرك * بان لهم خيط الفخ
ففروا ، وخرجوا من ضيق حصر الحبس إلى الفضاء فضاء لهم ، فما
راعهم في الطريق الا راع وافقهم ، فرافقهم كلبه * فأخذوا في ضربه
لكونهم ليسوا من ضربه ، فصاح لسلط حاله لا تطردوني لمبايتي
جنسكم ، فان معبودكم ليس من جنسكم ، أنا في قبضة ايثاركـم
أسير^(٢) ، أسير إن سرتـم * وأحرس ان نتم ، فلما دخلوا دار ضيافة
العزلة * اضطجعوا على راحة الراحة من أرباب الكفر ، فغلب النوم القوم
(ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) وكانت الشمس تحول عن حلتهم
لحراسة حلتهم من بلاء بلي * وأعينهم مفتوحة لثلاث تذوب بأطباق
الاطباق * ويد اللطف تقلب أجسادهم لتسلم من افن عفن ، وجرت
الحال في كلبهم * على ما جرت بهم * فكأنه في شرك نومهم قد صيد
(بالوَصِيد^(٣)) .

فخرج الملك يحم جمعه في طلابهم فاذا بهم * فسد الباب وما
وعى على وعاء مسك * فأضاع^(٤) حتى ضاع بيد الملك في بيد الهلك ،
فانساب راع إلى سببهم ، ففتح باب الكهف ليحوز الغنم ، فهب
الهواء فهب الراقـد * فترم أحدهم بلفظ (كم لبثتم) فأجابه الآخر

(١) انظر القصة في سورة الكهف .

(٢) مأسور .

(٣) الباب .

(٤) فاح .

(يوماً) ثم رأى بقية الشمس نقيصة فاتفق بالورع ورطات الكذب .
فعاد يتبع اوب (أو بعض يوم) فلما قفلوا من سفر النوم إلى ديار
العادة . زاد تقاضي الطبع بالزاد ، فخرج رئيسهم في ثوب متنكر .
فضلت معرفته المعاهد . فاقبل يتهم اليقظة ، فمد إلى بايع الطعام باعه .
فما باعه . وظن أنه قد وجد كنزاً ، ولقد وجد كنز (وزدناهم هدى) فحملة
القوم إلى الوالي ، فقال انه لمالي . فما لكم ومالي ؟ كنا فتية أكرهنا
على فتنسة فخرجنا عشية أمس . فنمنا في باطن كهف . فلما
انبهنا خرجت لابتاع للاتباع قوت الوقت ، فسار القوم معه
في عسكر التعجب ، فسمع اخوانه جلبة الخيل ، في حلبة الطلب ، فتجاوبوا
بأصوات التوديع . وقاموا إلى صلاة مودع ، فدخل تمليحاً " فقص عليهم
نبأهم . فعادوا إلى مواضع المضاجع . فوافتهم الوفاة ، وفات لقاءهم
وسدلت عليهم حجاب الرعب . كف (لو اطلعت) .

اخواني ليس العجب من نائم لم يعرف قدر ما مر من يومه ، وانما
العجب من نائم في يقظة عمره .

(.....) :

لما خلقوا لما غفلوا وناموا	أما والله لو عرف الانام
عيون قلوبهم ساحوا وهاموا	لقد خلقوا لما لو أبصرته
وتوييخ وأهوال عظام	مات ثم قبر ثم حشر
فصلوا من مخافته وصاموا	ليوم الحشر قد خلقت رجال
كأهل الكهف ايقاظ نيام	ونحن إذا أمرنا أو نهينا

(١) إسم الذي خرج من أهل الكهف .

الفصل الثالث والعشرون

في بداية امر نبينا ورضاعه صلى الله عليه وسلم

خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من أرضى الأرض أرضاً ، واصفى الأوصاف وصفاً ، وصين آباؤه من زلل الزنا ، إلى أن صدفت بتلك الدرة صدفة آمنة ، فوثبت لرضاعه ثوية * ثم قضت باقي الدين حليلة ، فقام نباته مستعلجاً^(١) على سوقه^(٢) * مستعجلاً قيام سوقه^(٣) ، فنشأ في حجر الكمال كما نشأ ، فشأى من شأى منشأ .

قدمت حليلة والجدب عام في العام ، فعرض على المرضعات فأبين لليم * فراحت به حليلة إلى حلتها ، فثاب لبنها ولبن راحلتها ، فباتوا البركة روائه رواء * وهب على مباركهم نسيم نسمة مباركة ، فلما ظعنن الطعنين أنت اتانها تؤم أمام الركب ، فلما حلوا حلهم . كانت الرعاء تسرح فيعفرها سرحان الجدب ، وراعي حليلة يعيد الغنم بالغنم .

فبينما الصبي مع الصبيان * هبت صبا الجبر بجبريل ، فجاءه فجأة فشق عن القلب * ثم شقه وما شق عليه ، فعلق يده من باطية باطنه علقه^(٤) . فقال هذا حظ الشيطان * وقد قطعنا علقه^(٥) ثم أعاد قلبه بعد أن قلبه . وما به قلبه^(٦) . فبقي أثر المخطط في صدره . باقي عمره لاظهار سورة (التم نشرح) .

(٤) كشجرة . القطعة من الدم الجامد

(٥) كقدرة . الملاقة التي يتعلق بها .

(٦) كشجرة . داء يقال ما به قلبه .

(١) غليظا .

(٢) أعواده .

(٣) ما يباع فيه ، ويشترى .

فلما بلغ ست سنين . ألوى الموت بالوالدة . فجد في كفالته
الجد . ثم طالب الموت عبد المطلب . فما أبى الطالب . ولا اشتغل
بأوصابه حتى أوصى به أبا طالب . فخرج به وقد زانه كالتاج
تاجراً . فتيمم باليتيم منزل تيماء . فرآه بجبراء ^(١) . يبحرته ^(٢) فقراً
سمات النبوة من شمائل (يعرفونه) فشام برق فضله فلاح من شيمة
شامته . فقال لعمه : احفظ هذه الشامة من شامت .

وما زال نشره يضوع ولا يضيع . إلى أن تمخضت حامل النبوة
في ابان التمام ، وآثر الطلق طلاق الخلق . فتحرى غار حراء ^(٣) للفراغ
فراغ إليه الملك . فأغار ^(٤) جبل الوصال في ذلك الغار . فأفاض عليه
حلة (اقرأ) فأفاض إلى حلة (زَمَلُونِي) فسكنت خديجة غلته ، بعة
إنك لتصل الرحم ثم انطلقت به إلى ورقة ^(٥) فقراً من ورقة سيماء نقش
فضله . فتيقظ لفهم أمره اذ ناموا . فقال : هذا الناموس الذي نزل على
موسى ، ولقد عرفه الاحبار في الكنائس . والرهبان في الصوامع . وانذر
به الرئي ^(٦) وأخبر به التابع ^(٧) .

فكانت تسلم عليه قبل النبوة الاحجار . وتبشره بما أولاه مولاه
الأشجار . وكان خاتم النبوة بين كتفيه . وسرايا الرعب ترك كسرى
كالكسرة بين يديه ، ألبس أهاب الهيبة وتوج تاج السيادة . وضمخ
بأذكي خلوق أركى الاخلاق . واحل دار المدراة . واجلس على صفحة
الصفح ولقم لقم لقمان الحكيم ، ووضعت له أكواب التواضع ،
وأديرت عليه كؤوس الكيس متضمنة حلوة الحلم ، ختامها مسك
النسك ، واعطى لقطع مفازة الدنيا جواد الجود ، ونوول قلم العز

(١) بجبراء إسم الراهب الذي لقي النبي بسفر الشام .

(٢) البحرة البلدة .

(٣) جبل كان النبي يتعب به قبل البعثة .

(٤) أحكم القتل .

(٥) ورقة بن نوفل أحد الرهبان من العرب .

(٦) الجنى الذي يرى فيجب .

(٧) الجنى الذي يتبع الإنسان .

فوقع على صحائف الكد ، « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »^(١) .
كان يعود المريض . ويحيب دعوة المملوك . ويجلس على الأرض .
ويلبس الخشن . ويأكل البشع . ويبيت الليالي طاوياً . يتقلب في قعر
الفقر . ولسان الحال يناديه : يا محمد نحن نضن بك عن الدنيا لا
بها عنك .

ولقد شارك الانبياء في فضائلهم وزاد . أين سطوة (لا تذر) من
حلم (اهد قومي) أين انشقاق البحر : من انشقاق القمر ، أين انفجار
الحجر من نبع الماء من بين الاصابع . أين التكليم عند الطور من
قاب قوسين . أين تسيح الجبال في أماكنها من تقديس الحصى في
الكف . أين علو سليمان بالريح من ليلة المعراج . أين إحياء عيسى
الأموات من تكليم الذراع . كل الأنبياء ذهبت معجزاتهم بموتهم .
ومعجزة نبينا الأكبر . قائمة على منار (لأنذرکم به ومن بلغ) تنادي
(فأتوا بسورة من مثله)^(٢) ولقد أعرب عن تقدمه من تقدمه .
« آدم ومن دونه تحت لوائي » لو كان موسى وعيسى حين ما وسعهما
الا اتباعي . فاذا نزل عيسى صلى مأموماً . لثلا يدنس بغبار الشبهة وجهه
« لا نبي بعدي »^(٣) .

فهو أول الناس خروجاً اذا بعثوا ، وخطيب الخلائق اذا وفدوا .
ومبشر القوم اذا يأسوا . الأنبياء قد سكتوا لنطقه . والاملاك قد
اعترفوا بحقه . والجنة والنار تحت أمره . والخزان داخلون في دائرة
حكمه . وكلام غيره قبل قوله لا ينفع وجواب الحبيب له
« قل تسمع » فسبحان من فض له من الفضائل ما فضله . وكسب من
حلل الفخر الجحيم ما جملة . جمع الله بيننا وبينه في جنته . وأحياناً على
كتابه وسنته .

(٣) حديث صحيح .

(١) حديث صحيح .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

الفصل الرابع والعشرون

قصة الغار والصديق

لما أغارت قريش خيل الحيل على الرسول ، خرج إلى غار لو دخله غيره كان غورا ^(١) ، فغريت قريش بالطلب . فنبئت شجرة لم تكن قبل . قبل الباب ، فأظلت المطلوب . وأضلت الطالب ، وجاءت عنكبوت فسدت فسدت باب الطلب ، حاكت وجه الغار فحاكت ^(٢) ثوب نسجها فحاكت ^(٣) سترأ ، ثم حمى اللطف الحين ، بحمامتين فما كان الا أن سكنتا من الغار فمأ ، فما بان المستر فاتخذتا عشا ، فغشى ما غشى من غشاء العشا . على ابصار المقتفين فصاروا كالأعشى ، فراغ الاعداء نحو تلك الناحية . فرأوا دليل فراغ الغار ^(٤) . فعادوا عن من عادوا . عوداً بحثاً بلا بحث . فقال الصديق عن حر الوجد . لو ان أحدهم نظر إلى قدميه لابصرنا . فقال « ما ظنك بأثنين الله ثالثهما » .

فلما رحلا لحقهما سُرّاقة ، فسرقَت الارضُ قوايم فرسه . فلما رأى أرضاً صليداً قد فرست ^(٥) الفرس . فرست إلى بطنها بيطنها . اشربت نفسه علم اليقين بطنها . فأخذ يعرض المال على من قد رد مفاتيح الكنوز . ويقدم الزاد إلى شعبان « ابيت عند ربي » . فجازا على خيمة أم معبد . فاصبحت شاتها . وأصبحت تشهد . فوصلا إلى يثرب على نجائب السلامة . وفات الخير مكة . وفات المدينة بالكرامة .

(١) التعرض للهلاك .

(٢) نسجت .

(٣) شابهت .

(٤) الغار الأول الموضع والثاني الخادع .

(٥) فرست الأولى افترست . والثانية رست ونزلت .

الفصل الخامس والعشرون

في قصة اهل بدر

لما بادر بدر الشريعة بالخروج إلى بدر ، رأى في أصحابه قلة فارتقى قِلة^(١) (وشاورهم^(٢)) فقام المقدادُ عن قوله قومة ، لحق متابعة المبايعة . فقال : لو سرت إلى برك الغماد لتابعناك فما لبث الرسول ان صار يطلب بالخطاب الانصار . ففطن لسعادته سعد بن معاذ ، فقال : لو خضت البحر لخضنا ، فرأى المصطفى في الأعداء العدد والعدة ، والتفت إلى المسلمين فوجد اذ ما وجد . فاستقبل قبلة الطلب . واقتضى كريماً ما ماطل ، فانتدب مدد العون بلا عون . فاقبلت سحابة تسحب ذيل النصر . فسمع المشركون منها حممة الخيل فحموا ، وانقلبت قلوبهم من يحومها حمماً ، فتزلت الملائكة مع الإلفين ، جبريل في الفين . وميكائيل في الفين . واسرى اسرافيل في الف مرد مردفين ، فعدلوا كالغمام . قد سدلوا العمام . وأرسلت قریش رايداً . فعاد بتأثير سالقي . فحذر القوم الغزل سهام الغزائم . فأثر عتبه في عتبه ، وكان يشيب خوفاً شيبة ، واحكم حزام الحزم حكيم بن حزام . وأبى للجهل أبو جهل :

فلزهم الطراد إلى قتال أحدُ سلاحهم فيه الفرارُ
مضوا متسابقي الأعضاء فيه لأرجلهم بأرؤسهم عِثارُ

(١) الخشب المنصوبة للتمريش .

(٢) آل عمران ١٥٩ .

فلما قلبوا إلى القلب . قام الرسول على رأس الرس^(١) ينادي الرؤساء حين رسوا^(٢) بلسان (فانتقمنا) عن جواب (ان تَسْتَفْتِحُوا) لتصديق (وينصرك الله) في مضمون (هل ثوب) يا فلان ويا فلان ، « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » .

نكر من شهد بدرا على الحروف

حرف الالف

ابي بن كعب . ابي بن ثابت . أوس بن ثابت . أوس بن خولي .
أوس بن الصامت ، أسعد بن يزيد ، انس بن معاذ ، الأرقم . اربد
اسيرة . انسة . اياس . .

حرف الباء

بشير بن البراء . بشير بن سعيد . بلال . بجاث . بسبس .

حرف التاء

تميم بن يعار . تميم مولى خراش . تميم مولى بني غنم .

حرف الثاء

ثابت بن أرقم . ثابت بن ثعلبة . ثابت بن خلد . ثابت بن عمرو .
ثابت بن هزال . ثعلبة بن حاطب . ثعلبة بن عمرو . ثعلبة بن غنمة .
ثقيف .

حرف الجيم

جابر بن خادد . جابر بن عبدالله بن رثاب . جبار . جبير . جبر .

حرف الحاء

الحارث بن انس . الحارث بن أوس . الحارث بن خزيمة . الحارث

(٢) دسوه و دسوه و دفتوه واحد .

(١) تقليب .

ابن ظالم • الحارث قيس • الحارث بن النعمان • حارثة بن الحمير •
حارثة بن سراقه • حارثة بن النعمان بن رافع • حارثة بن النعمان بن
نفيح • حاطب بن أبي بلتعة • حاطب بن عمرو الحباب • حبيب حرام •
حريث • حصين • حمزة .

حرف الخاء

خالد بن الكبير • خالد بن زيد • خالد بن قيس • خلاد بن رافع •
خلاد بن سويد • خلاد بن عمرو • خليل • خباب بن الارث • خباب
مولى عتبة • خبيب بن يساف • خارجة • خليفة • خنيس • خولي .

حرف الدال

ليس فيه أحد .

حرف الذال

ذكوان • ذو الشمالين .

حرف الراء

رافع بن الحارث • رافع بن عنجدة • رافع بن المعلى • رفاعه بن
رافع • رفاعه بن عبد المنذر • رفاعه بن عمرو • الربيع • ربيعة • ربعي •
رجيلة .

حرف الزاي

زيد بن اسلم • زيد بن حارثة • زيد بن الخطاب • زيد بن سهل •
زيد بن وديعه • زياد بن كعب ، زياد بن لييد • الزبير .

حرف السين

سعد بن خولة • سعد بن الربيع • سعد بن سهل • سعد بن عثمان •
سعد بن مالك • سعد بن معاذ • سعد القاري • سعيد بن قيس • سهل

ابن حنيف • سهيل بن رافع • سهيل بن عتيك • سهل بن عدي • سهل
ابن قيس • سهيل بن بيضاء • سليم بن الحارث • سليم بن عمرو • سليم
ابن قيس • سليم بن ملحان • سليم أبو كبشة • سلمة بن اسلم • سلمة
ابن ثابت • سلمة بن سلامة • سالم بن عمير • سالم مولى أبي حذيفة •
سراقة بن عمرو • سراقة بن كعب ، سماك بن خرشة • سماك بن
سعد • سنان بن صيفي • سنان بن أبي سنان • سويبط • سواد بن رزين •
سواد بن غرية • السائب ، سبيع ، سفين • سليط .

حرف الشين

شجاع • شماس .

حرف الصاد

صالح • صفوان .

حرف الضاد

ضمرة • الضحاك .

حرف الطاء

الطفيل بن الحارث • الطفيل بن مالك • الطفيل بن النعمان .

حرف القاء

ليس فيها أحد .

حرف العين

عبدالله أبو بكر الصديق • عمر بن الخطاب • علي بن أبي طالب •
عبدالله بن مسعود • عبدالله أبو سلمة ، عبدالله أنيس • عبدالله بن ثعلبة •
عبدالله بن جبير • عبدالله بن جحش • عبدالله بن الجعد • عبدالله بن
الربيع • عبدالله بن رواحة • عبدالله بن زيد • عبدالله بن سراقة • عبدالله

ابن سلمة • عبدالله بن سهل • عبدالله بن سهيل • عبدالله بن طارق •
 عبدالله بن عبيدالله بن أبي عبدالله بن عبد مناف • عبدالله بن عباس • عبدالله
 ابن عرفطة • عبدالله بن عمرو • عبدالله بن عمير • عبدالله بن قيس
 ابن خلدة • عبدالله بن قيس بن صخر • عبدالله بن نخرمة • عبدالله بن
 مظعون • عبدالله بن النعمان • عبد الرحمن بن جبر • عبد الرحمن بن
 عبدالله • عبد الرحمن بن عوف • عبيد بن أوس • عبيد بن زيد •
 عبيد بن أبي عبيد • عبيدة بن الحارث • عباد بن بشر • عباد بن قيس •
 عباد بن الحشخاش • عبد ربه • عتبة بن أبي ربيعة • عتبة بن زيد • عتبة
 ابن غزوان • عتبة بن عبدالله • عتبة بن عامر • عتبة بن وهب بن
 ربيعة • عتبة بن وهب بن كلدة • عمر بن اياس • عمرو بن ثعلبة •
 عمرو بن سراقه • عمرو بن طلق • عمر بن معاذ • عمر بن أبي سرح •
 عمير بن الحارث • عمير بن الحمام • عمير بن عامر • عمير بن عوف •
 عمير بن مالك • عمير بن معبد • عمار • عمارة • عامر بن أمية •
 عامر بن البكير • عامر بن الجراح • عامر بن ربيعة • عامر بن سلمة •
 عامر بن فهيرة • عامر بن مخلد • عاصم بن ثابت • عاصم بن العكير •
 غامر بن قيس • عصيمة الأشجعي • عصيمة الانصاري • عوف بن
 اثانة • عوف بن عفرا • عاقل • عايد • عباس • عدي • عنزة •
 عويم • عياض • عثمان بن مظعون .

حرف الغين

غنام .

حرف الفاء

الفاكه • وفروة .

حرف القاف

قيس بن أبي صعبصة • قيس بن عمرو • قيس بن محصن • قيس
 بن مخلد • قتادة • قدامة • قطبة .

حرف الكاف

كعب بن حماز • كعب بن زيد • كعب بن عمرو • كئاز •

حرف اللام

ليس فيه أحد •

حرف الميم

مالك بن النيهان • مالك بن ثابت • مالك بن الدخشم • مالك بن ربيعة • مالك بن عمرو أبو حبة • مالك بن عمرو أخو ثقيف • مالك ابن عمرو بن خثيمة • ملك بن قدامة • ملك بن مسعود • مسعود بن خلدة • مسعود بن الربيع • مسعود بن سعد الحارثي • مسعود بن سعد الزرقى • معاذ بن جبل • معاذ بن عفراء • معاذ بن ماعص • المنذر بن عمرو • المنذر بن قدامة • المنذر بن محمد • معتب بن حمراء • معتب ابن عبدة • معتب بن قشير • معبد بن عبادة • معبد بن قيس • محرز ابن عامر • محرز بن فضلة • معوذ بن عفراء • معوذ بن عمرو • مبشر • المحذر • محمد بن مسلمة • مدلاج • مرثد • مصعب • معقل • معمر • معن • المقداد • مليل • مهجع •

حرف النون

النعمان بن ثابت • النعمان بن سنان • النعمان بن عمرو • النعمان ابن عبد عمرو • النعمان بن عصر • النعمان بن مالك • النعمان بن أبي خزيمة • نصر • نوفل •

حرف الواو

وهب بن سعد • وهب بن محصن • وافد • وديعة • وذقة •

حرف الهاء

هاني • هشام • هلال •

حرف الياء

يزيد بن الحارث • يزيد بن رقيش • يزيد بن عامر • يزيد بن المزين •
يزيد بن المنذر .

وممن يعرف بكنيته ولا يعرف باسمه

أبو الحمراء • أبو خزيمة • أبو سبرة • أبو مليل .

وامتنع من شهود بدر . ثمانية لأعداء • فضرب لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سهامهم وأجورهم . فكانوا كمن شهدها : عثمان •
وطلحة • وسعيد • والحارث بن حاطب • والحارث ابن الصمة •
وخوات • وعاصم بن عدي • وأبو لبابة •
فهولاء البديرون بحملتهم • حشرنا الله في زمرةم .

الفصل السادس والعشرون

في تزويج علي بفاطمة عليهما السلام

كان للنبي صلى الله عليه وسلم بنات فضلتهم فاطمة ، وزوجات سبقتهن عائشة . وذلك ان اختيار القدر لا يحايي في التساوي ، تُسقى بماء واحد (ونُفَضِّلُ بعضها على بعض في الأكل^(١)) لما نهض علي لخطبتها . طرق بأنامل رجائه ارجاء باب الخطبة ، فمشى إليه الآذن بالاذن على عجل العجل ، فنقد صدق الرغبة قبل نقد الصداق ، فعقد العقد على درع لينبه على جهاد الهوى ، وجهزت بالاجهاز على عدو الزهد ، ولم يرض لها جهاز الدنيا ، لموافقة البضعة التي هي منه . فحلاها الرسول بحلية « فاطمة بضعة مني^(٢) » وعقد لها عقداً خرزات نظامه « ان الله يغضب لغضبك . ويرضى لرضاك^(٣) » . ويث بين يديها وصايف « غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ^(٤) » . ونصب لها سدة « أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ^(٥) » . وأدخلها على الزوج في حلل الحالية عليها قناع القناعة . تسعى في فضاء الفضائل إلى خلوة الخلوة . حتى اجلست على منصة النص . فأمر الله تعالى ليلة عرسها . شجر الجنان . فحملت

(١) سورة الرعد ، الآية ٤ . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواية أبو سعد في شرف النبوة وابن المثنى في معجمه والإمام الرضا في مستند ، راجع ذخائر العقبى ص ٣٩ .

(٤) ولفظه « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب غفوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حق تمر » أخرجه تمام عن علي .

(٥) رواه مسلم .

حلالاً وحلياً فثرت على الملائكة ، وليس المراد بذلك الملك ، ولكن
ليعلم رضى الملك .

يا عجباً • نثرت الحلل لأجل من فراشه جلد كبش • هلا حلت له
منها حلة • كلا مركب الملائك أحلى من أن يحلى • فدخل عليها الرسول •
فاستدعى بأناء من ماء • فدعا فيه بالبركة^(١) • ثم رش على حبيبين بلا
غش • فلما طاب لعلي ذلك الوقت • سأل الرسول سؤال سكران
من شراب الوصل : يا رسول الله انا أحب إليك أم هي ؟ ففصل الحاكم
بين خصوم الحب • فقال : هي أحب إلي منك • وأنت أعز علي منها •
فلما حازت بما حازت قناطر الفضل ، صين وجه الكمال بخال الحلل
في العيش • فأقوى على الأقوى ففر الفقر • فصيح بفصيح خطاب
الشرع : يا علي قم لكسب قوت الوقت • فخرج يسعى على أرض
الرضا • بين أعلام الصبر • فبات يسقي نخلاً إلى الفجر بشيء من
الشعير على وجه الأجر • فلما جاء به وأصلح للأكل قام سابل على باب
البذل • فنادى : يا أهل نادي الندى والفضل • اطعمونا أطعمكم الله
من الفضل • فثارت رياح الارتياح للآثار • فأنارت سحاباً يقطر من
قطرته قطر جور الجود • فسأل سيله بقدر وادي الود • فلما تروت بالماء
أشجار الانس • صدحت على ورقها ورق القدس واغنى عن غرايب
صدح المدح (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ^(٢)) ثم أخبر الحق • عن
مضمون القصد (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ) فلو رأيت القوم يوم
القيامة • في ظل (فَوْقَاهُمْ اللَّهُ) وقد آكست أجساد وكست بكسا
الضنك غضارة العيش على حلل الخفض • واستراحت أيد تفرق
أيدها من طحن الرجاء ونزع الدلو • (متكئين فيها) هذا من حصاد
بذر النذر .

(١) رواه النسائي .

(٢) الآية وما بعدها في سورة الإنسان . ٧ - ١١ .

ولقد عجب العلماء من شرح هذا الأجر واستظرفوا عدم ذكر الحور
في هذا الذكر . فبقوا متحيرين في جبر الفكر . فنودوا من بطنان وادي
الفضل ، بأن ذلك لفضل فضل زهراء الانس . غير عليها من ذكر
الغير ، وانما اثرا على الطفلين . لأنهما غصنان من شجرة « ايت يطعمني
ربي » وبعض من جملة « هي بضعة مني » وفرخ البط سابح . وذكاة
الحنين كذكرة أمه .

القسم الثاني

من المواعظ

وهو المشتمل على المواعظ والارشادات مطلقاً وهو مائة فصل

الفصل الاول

في قوله تعالى (هو الاول والآخر) يذكر فيه التوحيد

أولُ ليس له مبدأ ، آخر جل عن منتهى ، ظاهر بالدليل ، باطن بالحجاب ، يشته العقل ولا يدركه الحس ، كل مخلوق محصور . بحد مأسور في سور قطر ، والخالق بائن مباین يعرف بعدم مألوف التعريف ، ارتفعت لعدم للشبه الشبه . انما يقع الاشكال في وصف من له اشكال ، وانما تضرب الأمثال لمن له أمثال ، فاما من لم يزل ولا يزال فما للحس معه مجال . عظمته عظمت عن نيل كف الخيال .

كيف يقال له كيف . والكيف في حقه محال . انى تتخيله الأوهام وهي صنعه . كيف تحسده العقول وهي فعله . كيف تحويه الأماكن وهي وضعه . انقطع سير الفكر . وقف سلوك الذهن . بطلت اشارة الوهم . عجز لطف الوصف . عشيت عين العقل . خرس لسان الحس . لا طور للقدم في طور القدم . عزز المرقى فيأس المرتقى . بحر لا يتمكن منه غايص . ليل لا يبين للعين فيه كوكب :

مرام شط مرمى العقل فيه فدون مداه ييد لا تبيد

جادة التسليم سليمة ، وادى النقل بلا تقع ، انزل عن علو غلو التشبيه . ولا تعل قلل أباطيل التعطيل . فالوادي بين جبلين ، المشبه متلوث بفرث التجسيم ، والمعطل نجس بدم الجحود ، ونصيب المحق

لبن خالص هو التنزيه ، تخمّر في نفوس الكفار حب الاصنام ، فجاء محمد فمحا ذلك بالتوحيد . وتخمّر في قلوب المشبهة حب صورة وشكل . حييت فمحوها بالتنزيه «والعلماء ورثة الأنبياء»^(١) ما عرفه من كیفه . ولا وحده من مثله . ولا عبده من شبهه . المشبه أعشى . والمعطل أعمى .

فما يتره عنه فم . فيما يجب نفيه ثم جل وجوب وجوده عن رجم لعل . سبق الزمان فلا يقال كان اذ . تمجد في وحدانيته عن زحام مع . تفرد بالانشاء فلا يستفهم عن الصانع بمن . أبرز عرايس المخلوقات من كنّ كنّ . بث الحلم فلم يعارض بلم . تعالى عن بعضية من . وتقّس عن ظرفية في . وتتره عن شبه كان . وتعظم عن نقص لو ان . وعز عن عيب الا ان . وسما كماله عن تدارك لكن .

ان وقف ذهن بوصفه صاح العز جز ، ان سار فكر نحوه قالت الهية عد ، ان قعد اللسان عن ذكره قال القلب قم ، ان تجبر متكبر قال القهر شم ، ان سأل محتاج قال الانعام رش ، ان تعرض فقير قال الوفّر فر ، ان سكّت مذبّ حيا قال الحلم قل ، ان بعد ذو خطاء نادى اللطف لبّ ، نثر عجائب النعم وقال لكل خذ .

من بيان عظّمته (رفيعُ الدَرَجَاتِ^(٢)) من أثر قسره (تُسَبِّحُ له السموات^(٣)) توقيع أمره (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ^(٤)) واقع زجره (يَنْهَى عن الفحشاء^(٥)) ينادي على باب عزته (لا يُسأل) يصاح على محجة حجته (لِمَن الأرضُ وَمَن فِيهَا^(٦)) ينذر جاسوس علمه (ما يَكُونُ من نجوى ثلاثة^(٧)) يقول جهبذ طوله (وان تَعَدُّوا نعمةَ الله^(٨)) يترنم منشده (لا تَقْنَطُوا^(٩)) .

(١) رواه ابو داود والدارمي وابن ماجه وابن حنبل .

(٢) سورة غافر ، الآية ١٥ ف (٧) سورة المجادلة ، الآية ٧ .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٤٤ . (٨) سورة إبراهيم ، الآية ٣٤ ، سورة النحل ، الآية ١٨ .

(٤-٥) سورة النحل ، الآية ٩٠ . (٩) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٦) سورة المؤمنون ، الآية ٨٤ .

سبحان من أقام من كل موجود دليلاً على عزته ، ونصب علم الهدى على باب حجته ، الاكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته ، وكل موافق ومخالف يمشي تحت مشيئته ، ان رفعت بصر الفكر ترى دائرة الفلك في قبضته ، وتبصر شمس النهار وبدر الدجى يجريان في بحر قدرته ، والكواكب قد اصطفت كالمواكب على مناكب تسخير سطوته ، فمعناها رجوم للشياطين ترميهم فترميهم عن حمى حمايته ، ومنها سطور في المهامه يقرؤها المسافر في سفر سفرته ، وان خفضت البصر رأيت الأرض ممسكة بحكمة حكمته . كل قطر منها محروس باطواده عن حركته ، فاذا ضجبت عطائها ثار السحاب من بركة بركته * ونفخ في صور الرعد لاهياء صور النبات من حفرة ، فيبدو نور النور يهتر طرباً بخزامي رحمته * فاذا استوى على سوقه . زادت في سوقه نعمي نعمته * ويفتق يد اليجاد بأنامل القدرة اكمام النبات عن صنعة صبغته ، فيرقل في حلى حلل الحال الحالية إلى معبر عبرته * وتصدح الورق على الورق كل بتبليغ لغته ، والاشجار معتنقة ومفترقة على مقدار ارادته ، صنوان وغير صنوان . هذا بعض صنعتته (ويسبحُ الرعدُ بحمدهِ والملائكةُ من خيافتهِ (١)) .

نظر بعين الاختيار إلى آدم فحظي بسجود ملائكته * وإلى ابنه شيث فأقامه في منزلته ، وإلى ادريس فاحتال بالهامه على جنته ، وإلى نوح فنجا من الغرق بسفينته ، وإلى هود فعاد على عاد شؤم مخالفته ، وإلى صالح فتمخضت صخرة بناقته ، وإلى ابراهيم فتبختر في حلة خلته ، وإلى اسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته ، وإلى اسحق فافتكه بالفداء من ضجعته ، وإلى لوط فنجاه وأهله من عشيرته ، وإلى شبيب فأعطاه الفصاحة في خطبته ، وإلى يعقوب فرد حبيبه مع حبيته ، وإلى يوسف فأراه البرهان في همته ، وإلى داود فالان الحديد له على حدته ، وإلى سليمان فراحت الريح من في مملكته ، وإلى أيوب فيا

طوبى لركضته ، وإلى يونس فسمع نداءه في ظلمته ، وإلى زكريا
فقرن سؤاله ببيشارته ، وإلى يحيى فتلمح حصير الحصور على سدة
سيادته ، وإلى عيسى فكلم أقام ميتاً من حفرته ، وإلى محمد . فخصه ليلة
المعراج برؤيته .

واعرض عن ابليس فخزي يبعده ولعنته ، وعن قابيل فقلب قلبه
إلى معصيته ، وعن نمرود فقال أنا احبي الموتى ببلاهته ، وعن فرعون
فادعى الربوبية على جرأته ، وعن هامان فأين رأيه ؟ يوم اليم في
وزارته ، وعن قارون فخرج على قومه في زينته ، وعن بلعام فهلك
بل عام في بحر شقوته ، وعن برصيصا فلم تنفعه سابق عبادته ، وعن
أبي جهل فشقي مع سعادة أمه وابنه وابنته ، هكذا جرى تقديره
من يوم « لا أبالي » في قسمته (ويسبحُ الرعدُ بحمدهِ والملائكةُ من
خيفته^(١)) .

(١) سورة الرعد ، الآية ١٣ .

الفصل الثاني

في قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق)

نذكر فيه فضل نبينا صلى الله عليه وسلم

لم يزل ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم منشوراً وهو في طي العدم ،
توسل به آدم^(١) ، وأخذ له ميثاق الأنبياء على تصديقه ، في بعض درسه
علم ادريس . في ضمن وجده حزن يعقوب ، في سر جده صبر
أيوب ، في طي خوفه بكاء داود ، بعض غنى نفسه يزيد على ملك
سليمان ، غير بعيد خل خلاله خلة الخليل ، ونال تكليم موسى ،
واسترجع له النظر عند قاب قوسين ، فهو جملة الجمال . وكل
الكمال ، وواسطة العقد . وزينة الدهر ، يزيد على الأنبياء زيادة
الشمس على البدر . والبحر على القطر ، فهو أصدرهم وبدرهم ،
وعليه يدور أمرهم ، قطب فلکهم . عين كتيبته . واسطة قلاذتهم .
نقش فصهم . بيت قصيدتهم . حاتمهم . خاتمهم :

شمس ضحاها هلال ليلتها در تقاصيرها زبرجدها

لما رأى تخليط قریش في دعوى الشرك فر في بادية الحرب فتحرى
غار حراء في الفرار للفراغ . فراغ إليه فجاء مزاحم (اقرأ) يا
راهب انصمت تكلم . قال لسان العجز البشري : لست بقارئ ،
فحم لما حم فزرم بلفظ (زملوني) فصاح الملك (يا أيها المزمّل) يا
أطيب ثماركن . يا محمولا عليه . ثقل قل (قم) .

(١) يشير إل حديث التوسل المعروف وهو حديث موضوع ، راجع سلسلة الأحاديث
الضعيفة والموضوعة للألباني رقم ٢٥ .

لما بعث الملك الملك إلى نبينا برسالة (اقرأ) فتر الوحي بعدها مدة .
 مات قوس الشوق فرمت الكبداء الكبد . بكبد أعجز المكابدة . فكان
 بهم لما يلقي بالقاء نفسه من ذروة الجبل . فاذا بدا له جبريل بد له ، ثم
 رميت الشياطين عند مبعثه بأسهم الشهب ، عن قوس (ويقذفون من كل
 جانب) ^(١) فمرو إلى المغارب . ومشوا إلى المشارق . ليقطعوا سبب
 السبب . فجرت ريح التوفيق . بمراكب بعضهم إلى تهامة . فصادفوه
 في الصلوة . فصادفوه قلوب القوم . فصاحت ألسنة الوجد (إنا سمعنا
 قرآناً عجبا) ^(٢) .

تحركت لتعظيمه السواكن . فحن إليه الجذع . وسبح الحصى .
 وتزلزل الجبل وتكلم الذيب . « كل كنى عن شوقه بلغاته » فمرضت
 قريش بداء الحسد فقالوا مجنون . يا محمد . هذا نقش يرقانهم ^(٣)
 لا لون وجهك . .

لما أخذ في سفر (أسرى) فنقل إلى المسجد الأقصى . برز إليه عباد
 الانبياء من صوامعهم . فاقتلوا راهب الوجود . ثم خرج فخرج
 فعرضت عليه الجنة والنار . حتى عرف الطيب عقاير الأودية . قبل
 تركيب الأودية . يا لها من ليلة . فل غرب حد سيف (أتجعل
 فيها) ^(٤) ظنت الملائكة ان الآيات تختص بالسماء . فاذا آية الأرض قد
 علت .

أقبلت رؤساء الأملاك . تحيي الرئيس الأكبر . فرأى في القوم
 ملكاً نصفه من ثلج ونصفه من نار ، فعجب لاجتماع الضدين ،
 فقيل لا تعجب فعندك أعجب منه ، لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه
 لا اعتدلا . كان جبريل داسيل البادية فلما وصل إلى مفازة ليس فيها
 علم يعرفه . علم ابن ^(٥) أجود ان الصديق أجود . فقال : ها أنت وربك .

(١) سورة الصافات آية ٨ (٢) سورة الجن آية ١

(٣) هذا مثل يضرب للذي يرمي غيره بمرض نفسه. فكأنه يقول أن وجوههم الصفر من
 مرض اليرقان انطبعت بمرآة وجهك الصافي . فاتهموا وجهك بالصفرة وإنما تلك صفرة
 وجوههم . يعني هم المجانين لا أنت .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٥ . (٥) ابن أجود . دليل . وأراد بآب أجود جبريل .

فاذا قامت القيامة . فموسى صاحبه * وعيسى حاجبه * والخليل في
 عسكريه * وآدم ينادي بلسان حاله يا ولد صورتي * ويا والد معناني *
 ما صعد من بحور الأكوان أشرف من درة نبينا صلى الله عليه وسلم *
 طرة غرته أحسن من جمال يوسف * لعاب فيه اشفى من البرء *
 شمس شرعه لا يدركها كسوف ناسخ ، قمر دينه لا يدخل في محاق .
 كل الأنبياء في القيامة تقول نفسي نفسي * وهو يقول أمّتي أمّتي *
 فاذا سجد . قيل ارفع رأسك . وقل تسمع * كم بين ذل محب .
 وادلال محبوب * الحيوانات تذلل في طلب القوت * والقبيلة تتملق
 حتى تأكل * يا من هو في جملة جنود هذا الشجاع * أيحسن بك ؟ كل
 يوم هزيمة .

لولا جد أصحابه في جهادهم وشجاعتهم في صفوف قتالهم *
 لا فتضح المتأخرون * فالحمد لله على اليزل ، كانوا بالليل رهباناً
 وبالنهار فرساناً * قطع الرسول طمع من طمع في لحاقهم بحسام « ما
 بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه »^(١) وكيف تنال مرتبة السابق^(٢) بشيء
 وقر في صدره ؟ أو متقبّة المهيب^(٣) والعدو يفرق من ظله ؟ أو مقام
 الوقور^(٤) فالملائكة تستحي منه ؟ أو فضيلة مزاحم^(٥) النفس « في منزلة
 كهرون من موسى » : يأس والله الكهول من مقارنة سيدي^(٦) كهول
 أهل الجنة * كما لم تطمع الشباب في مزاحمة سيدي^(٧) شباب أهل
 الجنة ، متى التهبت في صحابة الأنبياء ؟ عزيمة كحمره حمزة *
 أو علا على العلاء علي . كعلاء علي ، لقد فاز بلقب الصدق طلحة
 الجود ، كما سعد بالفضل وحوارى الزبير ، وسما بصلوة النبي صلى الله
 عليه وسلم خلفه ابن عوف ، كما قرت بلفظ « فداك أبي وأمي » عين
 سعد ، ونجا بالشهادة له بالجنة سعيد ، كما عز ابن الجراح بلقب الأمين ،

(٥) أراد علياً .

(٦) أراد حمزة والعباس .

(٧) أراد الحسن والحسين .

(١) متفق عليه .

(٢) أراد أبا بكر .

(٣) أراد عمر .

(٤) أراد عثمان .

ولم يذكر باسمه بالقرآن غدير زيد ، وأين في الموالي مثل سالم
وسلمان ؟ ومن في الزهاد كصعب وابن مظعون ؟ وانه لمسعود عبدالله
ابن مسعود ، وطوبى ثم طوبى لخباب وصهيب ، ويا شرف المؤذنين .
بصوت بلال ، ويكفي فخراً ، « كوني برداً لعمار » وأي بيت يشبه بيت
أبي أيوب ؟ ومن زين القراء الا ابي بن كعب ؟ ومن في النقباء كابن
زرارة وابن الربيع ؟ واني للفقهاء مثل معاذ ؟ ومن له زهد كزهد ابي
ذر ؟ والفخر لبني هاشم بالعباس ، وكفى للبصراء قائداً ابن أم مكتوم ،
وانه لقدوة المؤثرين ابو الدحداح ، ومن في قسوام الليل مثل تميم ؟ ومن
صبر على القتل صبر خبيب ؟ كلهم أخيار . وجميعهم ابرار . ولا
مثل صاحب الغار . وأين نظير فُتّاح الامصار ؟ ومن يشبه قتيل الدار ؟
ولقد افتقروا إلى المجاهد بندي الفقار . بحب هؤلاء ترجى الجنة
وتتقي النار .

ان الله تعالى لما حلى محمداً حلية التزّه . خلع عليه خلعة « هي
الاسلام » . وأعطاه منشوراً هو القرآن . ولواء هو النصر . فأبو بكر
صدّق النبوة . وعمر أظهر الرسالة وعثمان جمع المنشور . وعلي
حمل السيف لما جلا الرسول عروس الاسلام . لم يكن بد من نثار .
نثر عمر نصف ماله . فرمي أبو بكر بالكل . فقام عثمان يجهز جيش
العسرة . بوليمة العرس . فعلم على حال الغيرة . فبت طلاق الضرة .
ثم رأى بعض جهاز الدنيا المطلقة عنده . وهو الخاتم . فسلم^(١) وما سلم :
خطوا واقلامهم خطية سلب فهم على الخليل اميون كتاب
ان احسنوا كلما واخلو لقوا ذمّاً واخشوشنا شيماً فالقوم أعراب

(١) يعني سلم الخاتم لسائل في ركوعه ولم يسلم من صلوته . وهي القصة التي فزلت بها
(ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

الفصل الثالث

في قوله تعالى (واذن في الناس بالحج)

لما تكامل بناء البيت • أرسل الله تعالى إلى خليله • ادّ رسالة
(وَأُذِّنْ) فَعَلًا على أبي قبيس^(١) • ونادى في جميع الوجوه : ان ربكم
قد بنى لكم بيتاً فحجّوه ، فأجاب من جرى القدر بحجه « لبيك اللهم
ليبك » فكان ذلك اليوم . أخاً ليوم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)^(٢) :

لما رأيتُ مناديهم الم بنا شددت ميزر احرامي وليتُ
وقلت للنفس جدي الآن واجتهدِي وساعديني كهذا ما تمنيتُ
لو جئتنكم زائراً أسعى على بصري لم اقض حقاً وأي الحق أدبتُ

قطع القوم بيد السفر (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ)^(٣) (فوافقتهم الركاب
(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ)^(٤) :

دع المطايا تنسم الجنوباً ان لها لنبأ عجيبا
حينها وما اشتكت لوباً يشهدان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتي كثيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو غادر الشوق لنا قلوبا اذن لاثربنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

واعجباً من حنين النوق • كأنها قد علمت وجد الركاب • تارة تجد

(١) جبل بمكة . (٢) سورة النحل • الآية ٧ .

(٣) سورة الاعراف • الآية ١٧٢ . (٤) سورة الحج • الآية ٣٧ .

في السير ، وتارة تتوقف . وتارة تذل وتطأ في الأعناق ، وتارة
تمرح . كأنها قد استعارت أحوال العارفين :

اذكراها في سراها ما عراها	فغدت تنفخ شوقاً في براها
تقطع البرّ وتنسى ما جنى	سيرها والسير أمرٌ قد براها
كلما ظنت مني قد قربت	وتدانت دارها طار كراها
اسعداها يا خليلي على	ما دعاها في الهوى أو فدعاها
ذكرا ما زال من عهد الصبي	خليها والصبا فهو رضاها
غنها يا أيها الحادي لها	بالحمى أو بالنقا وانظر سراها
نح عنها السوط يكفي شوقها	قد رأت في نفسها ما قد كفاها
باعها الوجد بكتبان النقي	عجباً اذا باعها كيف اشتراها

* * *

اتراها علّمت من حملت	ليتها قد عرفت من في ذراها
أنت إن لاحت لك الاعلام قف	فهي المقصود لا شيء سواها
قف على الوادي وسل عن كبدي	كبدي واكبدي ماذا دهاها
يا رفيقي اهدياني دارهم	ودعاني ودعاني وثرها
أنا مقتول بسهم غرب	قوسه خيف مني أو ما زماها
حرّم الصيد على من حجّه	فانظرا إلى مهجتي من قد رماها
اكتبا في لوح قبري عشتما	مهجة ماتت وما هالت مناها

أمر المحرمون بالتعري . ليدخلوا بزي الفقراء . فيبين أثر (وما
أموالكم^(١)) :

منّ أعلم السائق العنيف بهم بأن روحي تساق مع ابله
وان دمعي يروي ركابهم لولا دم في انسكاب منهمله
تالله لقد جمعوا الخير . ليلة جمع . ونالوا المنى اذ دخلوا مني :

(١) سورة سبأ ، الآية ٣٧ .

لله در منى وما جمعت وبكا الأحبة ليلة النفر
ثم اغتدوا فرقا هنا وهنا يتلاحظون بأعين الذكر
ما للمضاجع لا تلايني وكأن قلبي ليس في صدري

حج جعفر الصادق فأراد أن يلبي فتغير وجهه ، فقيل : مالك يا
ابن رسول الله ؟ فقال : أريد أن ألبى فأخاف أن أسمع غير الجواب *
وقف مطرف وبكر ، فقال مطرف : اللهم لا تردهم من أجلي *
وقال بكر : ما أشرفه من مقام لولا أني فيهم .

وقام الفضيل بعرفة ، فشغله البكاء عن الدعاء ، فلما كادت الشمس
تغرب ، قال : واسؤتاه منك وان عفوت .

وقف بعض الخائفين على قدم الاطراق والحياء فقيل له : لم لا تدعو ؟
فقال : ثم وحشة . قيل : فهذا يوم العفو عن الذنوب ؟ فبسط يده فوق
ميتاً .

(.....)

وانزل الوادي بأيمته	انه بالدمع ملأ آن
وارم بالطرف العقيق فلي	ثم أوطار وأوطان
وانشد القلب المشوق عسى	يرجع المفقود نشدان
وابك غني ما استطعت اذا	ما بدا للطرف نعمان
واقره غني السلام فكأن	قلبي فيه سكان
لا تزدني يا غدول جوى	أنا بالأشواق سكران

حج الشبلي . فلما رأى مكة قال :

أبطحاء مكة هذا الذي أراه عياناً وهذا انا

ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

هذه دارهم وانت محب ما بقاء الدموع في الاماق

حج قوم من العباد فيهم عابدة فجعلت تقول : أين بيت ربي ؟
أين بيت ربي ؟ فيقولون الاترينه :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيما إذا دنت الحيام
فلما لاح البيت * قالوا هذا بيت ربك * فخرجت تشتد وتقول :
بيت ربي . بيت ربي . حتى وضعت جبهتها على البيت * فما رفعت
الامية :

هاتيك دارهم وهذا ماؤهم فاحبس ورد وشرقت ان لم تسقي
أودعت اقرارك يوم (السبت) الحجر الاسود ، وامرئتك بالحج
لستحي بالتذكير من نقض العهد ، الحجر صندوق أسرار الموائيق ،
مستمل لما أملى المعاهد ، مشتمل على حفظ العهد ، فاستلم المستملي
المشتمل * ليعلم ان اقرارك لا عن اكراه ، لا تنس عهدي فاني لا أنساك :
فلا تحسبو اني نسيت ودادكم فاني وان طال المدى لست انساكم
حفظنا وضيعتم وداداً وحرمة فلا كان من في هجرنا اليوم اغراكم
كم شخص شخصه الوجد إلى الحج * فكاد نشابة الموائيق قبل
تقبيله تقتله ، فلما قضى الناسك المناسك . ورجع بقي سهم الشوق إليه
في قلب منى المنى :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أخواني : ذكر تلك الاماكن يعمل في القلب قبل السمع * كأنها
قد خلقت من طين الطبع * لسلع^(١) سلع لسع * ليس لعسل لعس .
(للمهيار^(٢)) :

هل مجاب يدعو مبدد اوطا ري بجمع يرد أيام «جمع»^(٣)

(١) السلع الأول بتحريك اللام شجر له شوك . والثاني بسكونها موضع عند المدينة .
(٢) من قصيدة كتب بها إلى أبي منصور بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٧ .
(٣) أيام جمع : أيام منى .

أو أمينُ القوى أحملهُ هما ثقيلًا يحطُّهُ دون «سَلْعِ»
 فافرُّجاً لي عن نفحةٍ من صَبَاه طال مدى لها الصليف^(١) ورفعي
 ان ذاك النسيمَ يجري على أرضي ثراها في الريح رقيةٌ لَسْعِ
 كم زفير علمت منه حمام الدوح ما كان من حنين وسجع

وآخجل المتخلف * وآسف المسوف * أين حسرات البعد ؟ أين
 لذعات الوجد ؟

(للخفاجي) :

أنظن الورق في الأليك تُغني انها تضر حزنًا مثل حزني
 لا أراك الله نجدًا بعدها أيها الحادي بنا ان لم تجبني
 هل تباريني إلى بث الجوى في ديار الحي نشوي ذات غصن
 هب لها سبق ولكن زادنا اننا نبكي عليها وتغني
 يا زمان الخيف هل من عودة يسمحُ الدهرُ بها من بعد ضنّ
 أرضينا بثنيات اللوى عن زرود يا لها صفقة غبن
 سل أراك الجزع هل مرت به مزنة روت ثراه غير جفني
 وأحاديث الغضا هل علمت انها تملك قلبي قبل اذني

يا عجباً لمن يقطع المفاوز ليرى البيت فيشاهد آثار الأنبياء ،
 كيف لا يقطع نفسه عن هواه ؟ ليصل إلى قلبه فيرى آثار « ويسعني »
 (لمحمد بن أحمد الشيرازي) :

إليك قصدي لا للبيت والآخر ولا طوافي بأركان ولا حجر
 صفاء دمعي الصفا لي حين أعبره وزمزمي دمة تجري من البصر
 عرفانكم عرفاني إذ مني متن وموقفي وقفة في الخوف والحذر
 وفيك سعيي وتعميري ومزدلفي والمهدي جسمي الذي يغني عن الجزر
 ومسجد الخيف خوفي من تباعدكم ومشعري ومقامي دونكم خطري
 زادي رجائي لكم والشوق راحلتي والماء من عبراني والهوى سفري

(١) الصليف : صفحة العنق .

الفصل الرابع

إخواني : قد نمت إليكم أمر من نما ، وسامي وصال الوسام وسما ،
وافخر بالنسب والنشب وانتمى ، كيف بارزه من أبرزه . عن الحمى ،
فبات بعد الري يشكو الظما ، وقد رأيتم ما جرى ، فانتظروا مثل ما .
(لابن المعتز) :

يا	نفس	ويحك	طال	ما	ابصرت	موعظة	وما
نفعتك	فاخشى	وانتهى	وعليك	بالتقوى	كما		
فعل	الاناس	الصالحون	وبادري	فلربما			
سلم	المبادر	واحذري	يا	نفس	من	سوف	فما
خدع	الشقي	بمثلها	اياك	منها	كلما		
ناجت	مكايدها	ضمير	ك	انما	هي	انما	
خطرت	وكم	قتلت	واهلكت	النفوس	وقلما		
تغني	أمانيتها	اذا	حضر	الردى	فكأنما		
لم	يجبي	من	لاقي	منيته	فيا	عجباً	امما
في	ذاك	معتبر	ولا	شاف	يبصر	من	عمى
يا	ذا	المنى	يا	ذا	المنى	عش	ما
						بدا	لك
						ثم	ما

يا سكران الهوى . أما آن الصحو ؟ ، يا ساطراً قبح الخلاف .
أما حان المحو ؟

أين الراحلون ؟ كانوا بالأمس ، صحت حجة الموت فبطلت حجة
النفس ، واعتقلهم حاكم البلى على دين الرمس ، وكف أكف الحس .
بعد تصرف آلة الخمس ، واستوعر عليهم الحصر . واستطال الحبس

وأصبحت منازلهم (كأن لم تغن بالامس) (١) .

يا قليل اللب ، خل العبث ، كم حدث جدث في حدث ؟ ، يا
موقناً بالرحيل وما اكترث ، أقبل نصحي . ورم الشعث .

إذا نلت من دنياك خيراً ففر به فان لجمع الدهر من صرفه شتا
فكم من مشت لم يصيف بأهله و آخر لم يدركه صيف اذا شتى

لأنتهب نثار الخير . في مكان الامكان ، قبل أن تدخل في خبر كان
قبل معاناة الهول المخوف الفضيع ، وتلهف المجدب على زمان الربيع
إنما أهل هذه الدار سفر ، لا يحلون عقد الركاب إلا في غيرها ، فاعجبوا
لدار قد أدبرت والنفوس عليها والهة ، ولاخرى قد أقبلت والقابوب
عنها غافلة .

والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا

يا مكرماً بحلية الإيمان . بعد حلة الإيجاد ، وهو يخلقها في مخالفة
الخالق ، كم من نعمة نعمة ؟ في ترف ترف ، وما يخف عليك ذكر
شكر . يا عبد السوء ما تساوى قدر قدرتك ، لا كانت دابة لا تعمل
بعلفها ، إلى متى يخدعك المني ؟ ويغرك الامل ؟ ويحك . إفتح عينك
متى رأيت العقل يوتر الفاني على الباقي ، فاعلم أنه قد مسخ .

ما زالت الدنيا مرة في العبرة ، ولكن قد مرض ذوقك ، لسان
قلبك في عقلة غفلة ، وسمع فهمك مسدود عن الفطنة بقطنة ، وبصر
بصيرتك محجوب بعشا عمى ، ومزاج تقواك منحرف عن الصحة ،
وأما نبض الهوى فشديد الخفقان ، سارت اخلاط الامل في أعضاء
الكسل فتشبثت عن البدار ، وقد صارت المفاصل في منافذ الفهوم .
سدداً ، وما يسهل عليك شرب مسهل ، ويحك إجتنب حلواء الشره
فإنها سبب حمى الروح ، خل خل البخل فإنه يؤدي عصب المروءة ،

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

إن عولجت أمراضك فعولجت ، وإلا ملكت فأهلك ، لو احتميت
عن اخلاط الخطايا لم تحتج إلى طبيب، من ركب ظهر التفريط نزل به
دار الندامة ألم تسمع أن داود كان قد أعطى نعمة نعمة. كان يقف لها الماء فلا يسير
والطير وقوف الأسير ، فامتدت يد الغفلة ، فقدت قميص العصمة ،
فأثر زلله حتى في التلاوة ، أعرض المعمار عن المراعاة ، فشعب منزل
الصفاء ، وانقطعت جامكية العسكر ، ففترقت جنود (أوبي) كان يؤتى
بالإناء ناقصاً ، فبقيته بالدموع .

(للمهيار) : (١)

ما لي شرقتُ بماء « ذي الأثل » هل كدَرُ الورَّادُ من قبلي ؟
أم بانَ سكانُ فاملحَ لي ما كنت قبل البين أستحلي ؟
ما ابيض لي في الدار بعدهمُ يومٌ وهل دارٌ بلا أهل ؟
رحلوا بأيامي الرقاقِ على آثارهم وبعيشي السهل

كان عيش عيشه خضرأ ، فأحالت الحال سنة الهجر ، فكان أيام
الوصال كانت سنة ، وكاد يقطع باليأس ، لولا التقاء الخضر باليأس .

أرقى قد رق لي من أرقى ورثي لي قلقي من قلقي
وبكائي من بكائي قد بكأ وتشكت حرقى من حرقى
كان داود إذا أراد النياحة ، نادى مناديه في أندبسة المحزونين
فيجتمعون في مآتم الندوب ، فترداد الحرق بالتعاون .

(للعباس بن الأحنف) : (٢)

يا بعيدَ الدارِ عن وطنِهِ مُفَرِّداً يبكي على شَجَنِهِ
كلما جدَّ التحيبُ بِهِ زادت (٣) الاسقامُ في بدنه
ولقد زاد الفؤادَ شَجَى هاتِفٌ يبكي على فننه
شاقه ما شاقني (١) فبكي كلنا يبكي على سكنه

(١) مطلع قصيدة يهني بها الوزير ابن ماكولا بالنيروز ، أنظر ديوان شعره ٢٠٦ / ٣

(٢) أنظر ديوان شعره ص ٢٧٨ . (٤) في الديوان « شقه ما شقني » .

(٣) في الديوان « دبث » .

يا مذبذب مصيبتنا في التفريط واحدة « وكل غريب للغريب
نسب » يا مترافقين : في سفر الطرد . إنزلوا للنياحة في ساحة * اندبوا
طيب أوطان الوصل * واستغيثوا من هجير الهجر * لعل الغم ينقلب
غمامة * تظل من لفخ الكرب .

(للمصنف) :

واين قلبي اما صحا بعد	اين فؤادي اذا به البعد
فطار شوقاً بلبه الوجد	حدا بذكر العقيق سايقه
روح وروح يضمها نجد	جسم ببغداد ليس تصحبه
ب له كل لحظة وقد	يا لفؤاد ما يستريح من الكر
لو كان يوماً لفابت رد	آه لعيش قد كنت أصحبه
وهكذا اشتكى اذا اغدوا	أروح في حبكم ووا قلقي
ه فهلا تناوب المد	كل زماني جزعن الوصل اشكو
يا سعد قل لي فديت يا سعد	يا سعد زدني جوى بذكرهم
وقل وحدث ببعض ما يدو	بلغهم ما أجن من حرق
وقال لي حرمة ولي عهد	وقل رأيت الاسير في قلق
يقول مولى ويصمت العبد	ثم فسلم والامر أمرهم

الفصل الخامس

أيتها النفس تدبري أمرك وتأملِي * ومثلي بين ما يفنى ولا تعجلي ،
لقد ضللت طريق الهدى فقفي واسألِي ، وآثرت وهنا * ما يورث وهنا
لا تفعلي ، يا غمرة من الشقا . ما أراها تنجلي ، اتبع الهوى والهوى
علي وليس لي ، أريد حياة نفسي ونفسي تريد مقتلي ، يا جسداً قد بلى .
بما قد بلى .

نخطو وما خطونا الا إلى الاجل وننقضي وكأن العمر لم يطل
والعيشُ يوذِنُنَا بالموت أوله ونحن نرغب في الأيام والدول
يأتي الحمام فينسى المرء منيته ونستقر وقد امسكن بالطول
لا نحسب العيش ذا طول فتتبعه يا قرب ما بين عتق المرء والكفل
سلى عن العيش انا لا ندوم له وهون الموت ما نلقى من العلل
لنا بما ينقضي من عمرنا شغل وكلنا علق الاحشاء بالغزل
ونستلذ الاماني وهي مردية كشارب السم ممزوجاً مع العسل

أخواني : أوقدوا اذهان الأذهان في ليل الفكر ، صابروا سني
الجدب لعام الحصب تعصروا ، فمن أدلج في غياهب ليل العلى .
على نجايب الصبر ، صبح منزل السرور في السر^(١) ، ومن نام على فراش
الكسل ، سال به سيل التماذي إلى وادي الأسف ، الرجولية قوة
معجونة في طين الطبع ، والأنوثية رخاوة ، ولد السبع عزيز الهمة ،
وابن الذئب غدار ، وكل إلى طبعه عايد ، الجدد كله حركة ، والكسل
كله سكون ، إذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من

(١) النعمة .

البيضة ، فعلقه بمنقاره . فإن تحرك فديك ، وإلا فدجاجة ، فتورك عن السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم ، يا من قد بلغ أربعين سنة ، وكل عمره نوم وسنة ، يا متعباً في جمع المال بدته ، ثم لا يدري لمن قد أخزنه ؟ ، اعلم هذه النفس الممتحنة ، إنها بكسبها مرتنة الا يعتبر المغرور بمن قد دفنه ؟ كم رأى جباراً فارق مسكنه ؟ ، ثم سكن مسكن مسكنه .^(١) .

أي راحلين بالإقامة ، يا هالكين بالسلامة ، أين من أخذ صفو ما أنتم في كدره ؟ ، أما وعظكم في سيره بسيره ؟ ، بلى . قد حمل بريد الإنذار أخبارهم ، وأراكم تصفح الآثار آثارهم .

وحدثتك الليالي ان شيمتها تفريق ما جمعت فاسمع الخبرا
وكن على حذر منها فقد نصحت وانظر إليها تر الآيات والعبرا
فهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً وهل سمعت بصفو لم يعد كدرا

حبال الدنيا خيال تفر الغر ، المتمسك بها . يلعب بلعاب الشمس ،
الدنيا كالمرآة الفاجرة لا تثبت مع زوج . فلذلك عنت طلابها *** .

ميزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحاة بالقباحة لا تفي
حلفت لنا ان لا نخون عهودها فكأنما حلفت لنا أن لا تفي

عجة الدنيا محنة . عيونها بابلية . كم تفتح باب بلية ؟ . ولا حيلة
كحيلة . من عين كحيلة . كم أفردت من أرقدت ؟ . كم أخدمت
من أخدمت ؟ . كم فلتت من ألفت ؟ . كم أفقرت من أرفقت ؟ .
كم فارقت من رافقت ؟ . كم قطعت من أقطعت ؟ . فعلها في التكدير
كله هكذا . فإن آثرت الصفا فما في الزهد أذى . وإن أردت
القذى . فالتق ذا . (للمهيار) : ^(٢)

تَعَجَّبُ من صبري على الوانها في وصلها طوراً وفي هجرانها

(١) المذلة .

(٢) مطلع قصيدة يماثب فيها العميد أبا الحسن بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ١٦٥/٤ -

ورهاء من كلفها وثيقة كلفها ما ليس من أديانها
تسلط البلوى على عشاقها تسلط الحينث على إيمانها
الود في القلب ودعوى ودّها لا يتعدى طرفي لسانها
فكما اعطتك في محبة زيادة فاقطع على نقصانها
وقفت استرجع يوم بينها قلباً شعاعاً طاح في أظعانها
ولم يكن مني إلا ضلّة نيشدان شيء وهو في ضمانها

يا من إذا أصبح . طلب بالمعاش الشهوات . وإذا أمسى إنقلب
إلى فراش الغفلات ، أين أنت من أقوام نصبوا الآخرة نصب أعينهم
فنبسوا (١) . فوفر النصب نصيبهم (إنا أخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار) (٢) .

قال بعض السلف : لقيت رجلاً في برية . فقلت من أين ؟ فقال :
من عند قوم (لا تُلْهِمِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) (٣) قلت :
ولمى أين ؟ قال إلى قوم (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) (٤) .

بنفسي من غداة نابت عنهم تركت القلب عندهم رهينا
أما لك أيها القلب اعتبار بما فعل الهوى بالعاشقين
ملاؤا مراكب القلوب متاعاً لا ينفق إلا على الملك ، فلما هبت
رياح الدجى دفعت المراكب .
(لأبي اسحق الغزي) .

إذا الصبا سحبت أذيالها سحراً على العقيق وقرت في ربي اضم
وحرشت بين بان الجزع ظلمة وشيحه وجرت في الضال والسام
تنفس الوجد وارتاح المشوق وعاء ش الروح بالروح بعد الاخذ بالكظم
يا سوق الأكل أين أرباب الصيام ؟ يا فرش النوم أين حراس
الظلام ؟ . درست والله المعالم ووقعت الخيام . قف بنا على الأطلال .
نخصها بالسلام .

(١) تعبوا .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٧ .

(٣) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٤) سورة ص ، الآية ٤٦ .

(للمهيار) : (١)

أين سكانك ؟ لا أين همُ أحجازاً سلوكها^(١) أم شاماً
قد وقفنا بعدهم في ربعمهم فنهبناه استلاماً والتزاماً
أترى أي طريق سلکوا ؟ • أترى أي شعب أخذوا ؟ •

حمامة الوادين ما الخبر اعرسوا بالفرات ام عبروا
ما وصل القوم إلى المنزل . إلا بعد طول السرى • ما نالوا حلاوة
الراحة إلا بعد مرارة التعب .

(لصردر) : (٢)

لو قَرُبَ الدُرُّ على جلابه ما بلحجُ الخايص في طيلابه
ولو أقام لازماً أصدافه لم تكن التيجانُ في حسابيه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه الا وراء الهول من عبابه
من يعشق العلياء يلقَ عندها ما لقي المحبُّ من أحبابه^(٢)

ما حظي الدينسار بنقش إسم الملك ، حتى صبرت سبيكته على
التردد إلى النار ، ففتت عنها كل كدر ، ثم صبرت على تقطيعها دنائير
ثم صبرت على ضربها على السكة • فحيثُ ظهر عليها رقم النقش (كتب
في قلوبهم الإيمان) ^(٣) .

كم أحمل في هواك ذلا وعنا كم اصبر فيك تحت سقم وضنا
لا تطردني فليس لي عنك غنا هذا نفسي اذا أردت الثنا
من طلب الأنفس . هجر الألد • من اهتم بالجواهر نسي العرض •
« يا صفراء يا بيضاء غرى غيري » .

(١) من قصيدة قالها يمدح الوزير زعيم الدين في النيروز ، انظر ديوان شعره ٣/ ٢٢٧ .

(٢) في الديوان « اقبلوها » .

(٣) صردر أو صردر : هو علي بن الحسن ، بغدادي ، شاعر مجيد ، له ديوان شعر

مطبوع ، دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ، توفي ١٣٤٥ هـ / ١٠٧٣ م .

(٤) من قصيدة يمدح فيها الوزير ابن جهير بعد عودته إلى الوزارة ، انظر الديوان ٦٣ - ٦٦

(٥) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

من أجل هواكم عشقت العشق قلبي كلف ودمعتي ما ترقا
 في حبكم يهون ما قد القى ما يحصل بالنعيم من لا يشقى
 يامعشر التائبين (اصبرُوا وصابروا ورابطوا) (٤) مكابدة البادية
 تهون عند ذكر منى المضحى في بوادي الجوع والمعشى بوادي (٢) السهر
 إلى أن تلوح بوادي (٣) القبول * ان ونت في السير ركائبكم . فأقيموا
 حداة العزم تدلج *

البن يا أيدي المطايا البينا لا تشكى شوطك البطينا
 يا حادييها من نمر عامر خذا بها عن حاجر يمينا
 حلا على وادي الغضى نسوعها وارخيا برامة الوضينا
 رداً بها ماء العذيب علة يشفى ويطفى داءها الدفينا
 واستخبرا بالجزع أنفاس الصبا أين استقل الخيرة الغادونا
 يا مطروداً عن صحبة الصالحين ، إمش في أعراض الركب ، وناشد
 حادي القوم * لعله يتوقف لك .

يا حادي العيس اصخ لمدنف متيم لَجَّ به الغرامُ
 اذا وقفتَ في ثنيات اللوى ولا الديار والخيامُ
 واقترت الرياض عن أزهارها عقيب ما قد رحل الغمام
 وهبت الريح فهب شبحها وانبه الخوذان والثمار
 فقف قليلاً نترود نظرة تحيي بها الارواح والسلام

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(٢) أي في وادي . (٣) جمع بادية وهي الظاهرة .

الفصل السادس

اخواني : إنتهبوا من رقدات الاغمار * وانتهبوا لحظات الأعمار *
وقاطعوا الكسل فقد قطع الأعذار * واسمعوا زواجر الزمن فما داجي
الدجي ولقد بهر النهار * وخذلوا بالخزم فقد شقي تلف ممن رضي
بشفا جرف هار .

(للشريف الرضي) : (١)

تفوز بنا المنون وتستبد ويأخذنا الزمان ولا يرد
وانظر ماضياً في أثر^(٢) ماضٍ لقد أيقنتُ أن الأمر جد
رويداً بالفرار من المنايا فليس يفوتها الساري المجد
فأين ملوكنا الماضون قدماً اعدوا للنائب واستعدوا
أعارهم الزمانُ نعيم عيش فيا سرعان ما استلبوا^(٣) وردوا
هم فرطاً لنا في كل يوم ندهمُ وان لم يستملوا

العمر يسير وهو يسير ، فاقصروا عن التقصير في القصير ، أما
دراك دراك قبل امتناع الفكاك ، حذار حذار قبل قدوم القرار ،
أما يحرك سوق الرهب سوق الحرب ؟ أما بحث التعليم على الدأب الأدب ؟
أليس الزمان يعبر ثم يغير ؟ وهب إنه وهب ، أما ضرب الدهر ؟ فاستحال
الضرب ، مر العمر والعمر مشغول عما ذهب بالذهب ، كم فارق من
رافق فسلا من سلا بالسلب ، أين الفهم ؟ فقد المعنى المعنى وعج العجب *
أين الثمرة ؟ أيتها^(٤) في الغرب * حالت غمايم الهوى . بينكم وبين

(١) قاله يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له ، أنظر ديوانه ١ / ٣٦٦ .

(٢) في الديوان « عقب » . (٣) في الديوان « فزعوا » .

(٤) بياض في الأصل .

شمس الهدى ، وغدا ما في يومكم ينسيكم غدا حتى كأن الرجل حديث خرافة . أو كأن الزاد يفضل عن المسافة .

أيها الشيوخ : آن الحصاد . أيها الكهول : قرب الجداد . أيها الشباب : كم جرد الزرع جراد .

يا ابن آدم لا تغرك عافية عليك شاملة فالعمر معدود ما أنت الا كزراع عند خضرته بكل شيء من الأوقات مقصود فان سلمت من الآفات اجمعها فأنت عند كمال الامر محصود

واعجبها ! ... يتأمل الحيوان البهيم العواقب . وأنت لا ترى إلا الحاضر . ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد . ولا بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر ، ومن هذه صفته في أمور الدنيا (فهو في الآخرة أعشى وأضل سبيلا) ^(١) هذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت . أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع . أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر ؟ . فهلا بعثت لك فراش تقوى (فلأنفسهم يمهدون) ^(٢) هذا البربوع لا يتخذ بيتاً إلا في موضع طيب مرتفع . ليسلم من سيل أو حافر . ثم لا يجعله إلا عند اكمة أو صخرة . لئلا يضل عنه إذا عاد إليه . ثم يجعل له أبواباً ويرقق بعضها . فإذا أتى من باب دفعه برأسه مارق وخرج .

اسمع يا من قد ضيق على نفسه الخنفاق في فعل المعاصي . فما أبقي لعذر موضعاً . يا مقهوراً بغلبة النفس صل عليها بسوط العزم . فأنها ان علمت جسدك استأسرت لك . امنعها ملذوذ مباحها ليقع الصلح على ترك الحرام . فاذا ضجت لطلب المباح (فلما متاً بعداً ولما فداء) ^(٣) الدنيا والشیطان خارجيان . خارجان عليك خارجان عنك ، فالنفس عدو مباطن . ومن آداب الجهاد (قاتلوا الذين يَكُونُكُمْ) ^(٤) ليس من بارز بالمحاربة كمن كمن ، ما دامت النفس حية تسعى . فهي

(١) سورة الاسراء ، الآية ٧٢ . (٣) سورة محمد ، الآية ٤

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٤ . (٤) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

حية تسعى ، أقل فعل لها تمزيق العمر بكف التبذير . كالخرقاء وجدت
صوقاً . أدخل بها في بيت الفكر ساعة . وانظر ، هل هي معك أو عليك ؟
نادها بلسان التذكرة . يا نفس ذهب عرش بلقيس . وبلى جمال
شيرين . وتمزق فرش بوران . وبقي نسك رابعة . يا نفس صابري
عطش الهجير يحصل الصوم . وتخزمي تخزم الأجير فانما هو يوم :

جد في الجلد قد تولى العمر كم ذا التفريط قد تدانى الامر
اقبل فعسى يُقبل منك العذر كم تبني وكم تنقض كم ذا الغدر
يا هذا ذرات الوجود تستدعيك إلى الموجد . ورسايل العتاب
على انقطاعك متصلة . فما هذا التوقف ؟

كم كم ذا الهجر وافتراق الاحباب هل بعد البعد للذي غاب اياب
كم قد خطت إليكم الكف كتاب خلوا العتب ثم ما جاء جواب

يا هذا ! دبر ديسنك كما دبرت دنياك . لو علق بثوبك مسمار
رجعت إلى وراء لتخلصه . هذا مسمار الاضرار قد تشبث بقلبك .
فلو عدت إلى الندم خطوتين تخلصت ، هيهات صبي الغفلة كلما
حرك نام ، يا مجنون الهوى أما مارستان العزلة . وقيد الحمية . ومعالجة
سلاسل التقوى . ومرافقة بشر ^(١) ومعروف . وإلا فمارستان جهنم ،
في انكال العقوبة . وصحبة إبليس . لا بد من جرم عزم . يؤخذ بالخزم
ليتنصر من عاith الشره . سلطان الازم . من رق لبكاء الطفل لم يقدر
على فطامه ، كل يوم تحضر المجلس يقف لك الشيطان على الباب .
فإذا خرجت كما دخلت قال فديت من لا يفلح ، واسفي كم تطلب
الخضر وما ترى إلا اليأس . ويحك اعرف ما ضاع منك . وابك
بكاء من يلدي قيمة الفايث . وصح في السحر .

ان كان عهود وصلكم قد درست فالروح إلى سواكم ما انتست
أغصان هواكم بقلبي غرست منوا بلقائكم والا ييست

(١) أراد بشر الحافي ومعروف الكرخي .

و استنشقت ريح الأسحار لافاق قلبك المخمور و تخابلت
قرب الأحباب أقت المآثم على بعدك .

ما اشوقني إلى نسيم الرند^(١) يشفي سقمي اذا اتى من نجد
والشيخ^(٢) فانه مثير الوجد شوقي شوقي له ووجدي وجدي

كان بعض السلف يقول في مناجاته : إلهي ! إنما أبكي لما قسمت
الأقسام . جعلت التفريط حظي فأنا أبكي على بختي .

قد كنت من قبل النوى مما الاقي جزعا
تركتموني بعدكم اشرب دمعي جرعا

أخواني . تعالوا نرق دمع نأسفنا على قبح تخلفنا . ونبعث مع
قاصدي الحبيب رسالة عضر^(٣) لعلنا نفوز بأجر المصاب . إن لم
يرجع المفقود . يا أرباب القلوب الضائعة (لذهبوا فَتَحَسَّسُوا من
يوسف)^(٤) .

هذي معالمهم وما	لي منذ بان القوم عهد
واها لعيش بالحمى	لو كان لي يوماً يرد
ويلي أحظتي كله	من حبكم هجر وصد

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) ممنوع من السفر .

(٢) الشيخ : بنت .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

الفصل السابع

أخواني : ذهبت الأيام • وكتب الآثام • وإنما ينفع الملام متيقظاً والسلام .

وعظمتنا	بمرها	الايام	وارتنا	مصيرنا	الارجام
ودعنا	المنون	في سنة	الغفلة	هبوا	واستيقظوا
ليت شعري	ما يتقي	المرء	والرامي	له الموت	والخطوب
منهل	واحد	شرايعه	شئ	عليه	للواردين
نتحاماه	ما استطعنا	وتحدو	نا	اليه	الشهور
واذا راعنا	فقيده	نسناه	تناسى	ما راعهن	السوام
اوقوفاً	على غرور	وقد زلت	بمن كان	قبلنا	الاقدام
ووراء المصير	في هذه	الاجدا	ث	دار يكون	فيها المقام

يا من صحيفته بالذنوب قد خفت ، وموازينه لكثرة العيوب قد حقت ، يا مستوطناً والمزعجات قد ذفت ^(١) . لا تغتر بأغصان المني وإن أورقت ورفرت ، فكأنك بها قد صوحت وجفت • أما رأيت أكفأ عن مطالبها قد كفت ؟ أما شاهدت عرايس الأجساد إلى الالحاد . زفت ؟ أما عاينت سطور الأجسام في كتب الارجام ^(٢) قد أدرجت ولقت أما أبصرت قبور القوم ؟ في رقاع بقاع القاع قد صفت • من عرف تصرف الأيام لم يغفل الاستعداد • إن قرب المنية • ليضحك من بعد الأمنية • ما جرى عبد في عنان أمله إلا عثر في الطريق بأجله •

أخواني خلقنا نتقلب في ستة اسفار • إلى أن يستقر بنا المنزل • السفر

(١) أسرع وأجهزت .

(٢) جمع رجم وهو القبر .

الاول . سفر السلالة من الطين . والثاني سفر النطفة من الصلب .
والثالث من البطون إلى الدنيا والرابع . من الدنيا إلى القبور .
والخامس من القبور إلى العرض . والسادس إلى منزل الإقامة .
فقد قطعنا نصف الطريق . وما بعد أصعب .

أخواني . السنون مراحل . والشهور فرائض . والأيام أميال .
والأنفاس خطوات . والطاعات رؤس أموال . والمعاصي قطاع
الطريق . والربح الجنة . والخسران النار . لهذا الخطب شمر المتقون
عن سوق الجدد في سوق المعاملة . كلما رأوا مراكب الحياة تخطف
في بحر العمر شغلهم هول ما هم فيه عن التزهر في عجائب البحر .
فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة في طريق
التلقي . فدخلوا بلد الوصل وقد حازوا ربح الدهر .

(المهيأر) : (١)

زمو المطايا فدمع العين منطلق والقلب عان وراء الخوف مأسور^(٢)
فلم يذهب بأولى الزجر سائقهم حتى تشابك مهتوك ومستور^(٣)
فغلسوا من زرود وجه يومهم وحطهم لظلال البان تهجير
وضمنوا الليل سلماً إذ رأوه وقد غنت على فتي سلع العصافير

أملهم أقصر من فتر . منازلهم أفقر من قبر . نومهم أعز من الوفاء ،
السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر . أخبارهم أرق من نسيم السحر .
آفاقهم بالدموع الدائمة دامية . والهموم على الجوانح جوانح . لأنفسهم
أنفاس . من مثلها يهيج البهيج . روض رياضتهم مطلول الخمايل .
يحدث ريتاً ريتاً عنهم . فالرايحة رائحة بالخبر .

(للمهيأر) : (٤)

(١) من قصيدة كتبها إلى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن ديبس ، أنظر ديوان
شعره ١٠٣ / ٢ .

(٢) الشطر الأول في الديوان « زمو المطايا فدمع مطلق أمن المدى .

(٣) في الديوان « فكم نيت - وتشابه » .

(٤) من قصيدة كتبها إلى الكافي أبي عبدالله الثاني في المهرجان ، أنظر ديوان شعره ٢٦٨ / ٢

يا سائق الاطعان إن مع الصبأ خبراً لو انك للصبأ تتوقفُ
هبت بعارفة تسوقُ من الحمى^(١) أرجأ برئاً اهله يتعرفُ

خذ حديث القوم جملة واقنع بالعنوان * كواكب همهم
في بروج عزائمهم * سيارة . ليس فيها زحل * ناموا في الدجى على مهاد
القلق * فلما جن الليل . جن الحذر * فاستيقظت عين . ما تهأت بطعم
الرقاد *

كفى سائقاً بالشوق بين الاضالع لبيب اشتياق ثم فيض مدامع
فركبوا عيس القصد . وركبوا الجادة * فلما غنت الحداة * رنت
الفلاة ، فأعربت أبيات الشعر * عن أبيات الشعر ، فعصفت رياح الزفرات
من قلب المشوق ، فانقلع شكر الدمع ، فلو رأيت وكف شؤنهم
قلت قد انقطع شربان الغمام ، هذا . يعاتب نفسه على التقصير ، وهذا
يتفكر في هول المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، منازل تعبدتهم
متناوذة * وفي كل بيت منهم نايحة ، تائبهم أبكى من متمم ، ومحبههم
أقيم من مرقش ، ومشتاقهم أقلق من قيس ، وكلهم قد بات بليل التابغة
للتائب يقول أنا المقر على نفسي بالخيانة * أنا الشاهد عليها بالخيانة .

اعف عني واقلني عثرتي يا عنادي للممات الزمن
لا تعاقبني فقد عاقبني ندم اقلق روحي في البدن
لا تطير وسناً عن مقلتي انت أهديت لها حلو الوسن
يا حبيبي بلسان العربي ولسان الفارسي يا دوست من

والمتعبد يبكى على الفتور بكاء الشكلى بين القبور * ويندب زمان
الوصال ويتأسف على تغير الحال .

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الايام حين صفا
والخائف ينادي ليت شعري ما الذي أسقطني من عينك ؟ *
أقلت (هذا فراق بيني وبينك) ؟^(٢)

(١) في الديوان « في أنصبا » . (٢) سورة الكهف ، الآية ٧٨ .

لاية علة ولاي حال صرمت جبال وصلك عن جبالي
وعوضت البعاد من التداني ومر المهجر من حلو الوصال
فان اك قد جنيت عليك ذنباً ولم أشعر بقول أو فعال
فعاقني عليه بأي شيء أردت سوى الصلود فما ابالي

وصريع المحبة يستغيث وينادي • حتى أقلق الحاضر والبادي •

تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدي وللناس أشجان ولي شجن وحدي
أحبكم ما دمت حياً وان أمت فواكبي من ذا يحبكم بعدي

وقتل الشوق يتعلق بما يرى • ويتشبث بما يسمع • يرتاح إلى السهر
ومقصوده غيره • وإلى الشجر ومغنين طيره •

(للمهيار) : (١)

أيا بانه الغور عطفاً شُفيت وان كنتُ أكني وأعني سواك
أحبك من أجل من تعلمين لو أني اراه كما قد أراك
ذكرتُ ويا لهفي هل نسيْتُ لياليَ اسمُها في ذراك^(٢)
كفى الوجد أني اذا ما استرحتُ إلى اسمك عميتُ بالأراك
إذا الصدّ أرضاك فهو الوصالُ فأنتي فعلتِ فأهلاً بذلكِ

(١) أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) الذرا : الكتف .

الفصل الثامن

الشهوات تغر وتعر ^(١) • ونمر عيش العواقب ونمر ^(٢) • وتبكي
عين الندم أضعاف ما تسر • ألا يقظ ؟ إلا حذر ؟ إلا حر ؟

هل الدهر إلا ما عرفنا وادركنا فجايه تبقى ولذاته تفي
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمرالطرف واستخلفت حزناً
إلى تبعات في المعاد وموقف نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم واثم وحسرة وفات الذي كنا نلذ به عنا
كأن الذي كنا نسر بكونه إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

إن المواعظ قد أفصحت وأعربت • غير أن الزخارف للواظ
قد أدهشت وأعجبت ، وإنما تقطع مراحل الجد بالعزم والصبر •
ونظر الليب المجد إلى آخر الأمر • أو ليس الصحيح بعرض عارض
الاسقام والايصاب ؟ • أو ما المسرور بالعرض كالغرض لسهام
المصاب ؟ • أو ما يكفي من الزواجر ؟ كف كف الاحداث مبسوط
الأمل ، أما يشفى من البيان ؟ عيان الأعيان . في الاجداث خالين بالعمل
أين من فاق قسم الشرف ؟ فعزل وولى ، أما ذاق ألم المنصرف ؟ فترل
وولى أين من نشأ ، في علي ونهى وندى ؟ ^٣ سلب ولم يشأ • حلّى ولهى
وجدى • أين المسرور بشهوات أمسه ، حزن ، أين المغرور بلذات نفسه
غبن :

فيا آملاً أن يخلد الدهر كله سل الدهر. عن عاد وعن اختها ارم

(١) نمر من النور ، نمر من المر وهو الإصابة بمكروه .

(٢) نمر من المارة ، والثانية من المرور

إذا ما رأيت الشيء يبلية عمره ويفنيه أن يبقى فقي دائه عقم
 يروح ويغدو وهو من موت غبطة وموت فناء بين فكين من جلم
 تحد لنا أيدي الزمان شفاره ونرتع في اكلائه رتعة النعم
 نراع إذا ما الموت صاح فرعوي وإن لم يصح يوماً براتعنا خضم
 ألا إن بالابصار عن عبرة عمى إلا أن بالاسماع عن عظة صمم
 سيكشف عن قلب الغي غطاؤه إذا حتفه يوماً على صدره جثم

يا معقداً دار القلعة ^(١) قلعة * أما تراها تميد بسكانها * والشاهد ما
 يشاهد عواصف الحوادث تنسف جبال المقتنى ، ومعاول الزمان
 تهدم مشيد المبتنى ، وكلما ارتفع كتيب أمل وهال انهال * يا مهلكاً
 نفسه التي لا قيمة لها لأجل ديننا لا وقع ^(٢) لها * إلى كم هذا الحرص ؟
 وما تنال غير القدور * أما رأيت مرزوقاً لا يتعب ؟ * ومتعباً لا يرزق .
 هذا موسى في تقلقل (ارني) وما أرى * ومحمد يزجج عن منامه .
 وما طلب « قضاها لغيري وابتلاني بحبها » واعجباً يطلب موسى التجلي *
 فيمنع ويرزق الجبل .

أراك الحمى قل لي بأي وسيلة توسلت حتى قبلتك ثغورها
 لقد أنضى الحرص مطية عمرك * وما وصلت بلد الأمل * لو
 قنعت الذبابة بطرف ظرف العسل ما تلفت ، لو عرفت قيمة نفسها
 رخصت أو غلت ما أوغلت ^(٣) * شقايق اللذة . تروق بصر الحسن *
 وسن العواقب تضحك من المغرور * يا دني الهمة أعجبتك خضرة
 على مزيلة * فكيف لو رأيت فردوس الملك ؟ * قنعت بحسائس الخشائش
 والرياض معشبة بين يديك * تقدم بالرياضة خطوات وقد وصلت *
 الغور يا ركابنا الغور اذن أن صدق الرايد في هذا الخبر
 وإن حننت للحمى وروضه فيالغضا ماء وروضات أخر

(١) الأول بضم القاف التي يفتح عنها . والثانية بفتحها الحصن .

(٢) تلفعات .

(٣) دفع . غ ل .

الهمم تتفاوت في جميع الحيوانات • العنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً ولا يقبل مئة الام ، والحية تطالب ما حفره غيرها . إذ طبعها الظلم ، الغراب يتبع الجيف ، والأسد لا يأكل البائت ، الكلب ينفض لرمى له لقمة ، والفيل يتملق حتى يأكل ، للصيد كلاب • وللمدبغة كلاب ، أين الإنفة ؟ النحل يغضب فيترضى من لحاج ، والخنفساء تطرد فتعود ، الاختبار يظهر جواهر الرجال • بعث بلقيس إلى سليمان هدية لتسربها قدر همته • فإن رأها قاصرة • علمت أنها لا تصلح للمعاشرة • وإن رأها عالية تطلب ما هو أعلى • تبقت أنه يصلح .

يا هذا الدنيا هدية بلقيس فهل تقبلها ؟ أو تطلب ما هو أنفس • ويحك أحسن ما في الدنيا قبيح • لانه يشغل عما هو أحسن منه • أترى ؟ لو ابتليناك بترك عظيم كيف كنت تفعل ؟ • إنما ردديك عن دنس • ومنعناك من كدر • ثم ما علمت أن الثواب على قدر المشقة • ويحك إن الأرباح الكثيرة في الأسفار البعيدة • الصبر والهوى ضربتان فاختر إحدى الضرتين • فما يمكن الجمع من دام به الخمار . في ديار الهوى • لم يفتح عينيه إلا في منازل البلى • من غرق بنهر المعلى طفا نحت البلد • واعجباً . اعدم نظر العقل بكرة ؟ • أو بعينه رمد ، لو قيل لك ارم ثوبك على هدف مرمى لم تفعل إشفافاً عليه ، وهذا دينك في عرض عرضك • قد تمزق من نبل الهوى ، لو قيل : زد في النفقة خفت على المال وقد حقت ^(١) في إنفاق العمر على معشوق البطالة ، رميت يوسف قلبك في جب الهوى ، وجئت على قميص الأمانة بدم كذب ، ويحك ! كلما أوغلت في الهوى زاد التعرقل . ويحك ؟ ما يساوي النصاب المسروق قطع اليد . مجلسنا بحر ، والفكر غواص يستخرج الدر • ومراكب القلوب تسير إلى بلد الوصل ، وأنت تقف على الساحل (وترى الفلك مَوَاحِرَ فيه) ^(٢) إن قعر جهنم لبعيد • ولكن همتك أسفل منه ، ختقنا دخان التخويف • افتحوا للرواح :

الى كم عتاب يسد الفضاً سلام عليكم مضى ما مضى

الفصل التاسع

الزمان أنصح المؤدين • وأفصح المؤذنين • فانتبهوا بإيقاظه ، واعتبروا
بألفاظه •

فكم هذا التصامم والتعامي وكم هذا التغافل والتواني
لو انا قد فهمنا عن خراب الديار بمقالها لم بين بسان
ويجني العيش كل أذى ويهوى فيا للعيش يعشق وهو جان
فله الأولى درجوا جميعاً وزادهم النجاء من الهوان
وما علقوا من الدنيا بشيء سوى بلغ بأطراف البنان
ولما ان رضوا شعث النواصي بقي وهبوا التصنع للغواني

لله در العارفين بزمانهم إذ باعوا ما شاتهم^١ بإصلاح شأنهم •
ما أقل ما تعبوا وما أيسر ما نصبوا • وما زالوا حتى نالوا ما طلبوه
شمروا عن سوق الجدد في سوق العزائم ، ورأوا مطلوبهم دون غيره
ضربة لازم ، وجادوا مخلصين فربحوا إذ خسروا حاتم • وأصبحوا منزل
النجاة وأنت في اللهونائم ، متى تسلك طريقهم ، يا ذا المآثم ؟ متى
تندب الذنوب ؟ ندب المآثم • يا رجالاً ما بانت رجوليتهم إلا بالعمائم •
يا أخوان الأمل قد بقي القليل وتغنى المواسم • أين أنت من القوم ؟
ما قاعد كقائم •

(للمهيار) : (١)

صحب الله راكبين إلى العز طريقاً من المخافة وعرا
شربوا الموت في الكريهة حلواً خوف أن يشربوا من الضميم مراً

(١) من قصيدة قالها في صديق ويتألم لفقد جماعة من إخوانه ، أنظر ديوان شعره ١ / ٤٠٦ -

انف القوم من مزاحمة الخلق في سوق الهوى ، وقوي كرب
شوقهم فلم يَحتملوا حصر الدنيا ، فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء
التقوى . وضربوا نعيم الجدل في ساحة الهدى ، وتخبروا شواطئ أنهار
الصدق فشرعوا فيها مشاريع البكا . وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم
الغلا . وترنمت بلابل بلبالهم في ظلام الدجا . فلو رأيت حزينهم
لطلب الرضا . على جمر الغضا . فيا محبوساً عنهم في سجن الحرص
والمنى . إن خرجت يوماً من سجنك لترويح شجنك . من غم البلوى
عرج بذاك الوادي .

للشريف الرضي : (١)

عازياً بي ركبَ الحِجاز أسائله متى عهدُهُ بأيام سلع
واستملاً حديث من سكن الخيف ولا تكتباهُ الا بدمعسي
فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أعي الديار بسمعي
كلما سُلَّ من فؤادي سهمٌ عاد سهمٌ لهم مضيض الوقع
من معيد أيام جمع على ما كان منها وأين أيام جمع
طالبٌ بالعراق ينشد هيهات زماناً أضلهُ بالخزع

يا معوقاً عنهم بكثرة الحوادث . خلص الماء من ضيق الأنابيب .
واقظر كيف يسرع ؟ . إلى متى تألف عش ، الصبا سافر مع الرجال .
لو عبرت بطن النجف لاستنشقت ريح الحجاز ، حدث نفسك بأرض
نجد يهن عليها عبور العقبة . ذكرها قرب منى . وقد درجت المدرج .

(للمهيار) : (٢)

من بمنى وابن جيران^(٣) منى كانت ثلاثاً لا تكون أربعاً
سلمتوني كبداً صحيحةً أمس فردوها علي قطعاً

(١) من قصيدة قالها عام ٣٩٥ ، أنظر الديوان ٢ / ٦٥٧ .

(٢) من قصيدة كتبها إلى العميد أبي الحسين محمد بن علي المزرع ، أنظر ديوان شعره

٢ / ٢١٢ .

(٣) أيام .

عدمتُ صبري فجزعتُ بعدكم ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزعاً
ارتجعوا إلى ليلةٍ بحاجرٍ ان تم في الفايث أن يرتجعاً
وغفلة سرقتها من زمي بلعلع سقى الغمام لعلعا

يا صبيان التوبة ، هلاككم خفى . فدوموا على المعاملة يصبر بداراً
لا بد من ضيف (ولنبلونكم) الطبع يحن إلى المألوف . والولد يطلب
ما يشتهي . والزوجة تروم سعة النفقة . والورع يختم كيس التصرف
(هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) ^(١) أي صبيان التوبة
في أفواههم بعد طعم الرضاء ، بينا ليل زلهم قد عسعس ، إذ صبح
يوم توبتهم قد تنفس ، فكلما احترقت قلوبهم بالخوف . تعرضوا بنسمات
الرجاء للعفو .

لا عدا الروح من تهامة انفا ساً اذا استروحت تمنيت نجداً

يا صبيان التوبة ، طيبكم متلطف . تارة بالتشويق . وتارة بالتخويف .
هذه الطير إذا انشق بيضها عن الفراخ علم الأب والأم إن حوصلة
الفرخ لا تحمل الغذاء ، فينفخان الريح في حلقة لتسع الحوصلة ،
ثم يعلمان أن الحوصلة تفتقر إلى دبغ وتقوية ، فيأكلان من صاروج
الحيطان « وهو شيء فيه ملوحة كالسبخ » ثم يزقانه إياه ، فإذا اشتدت
الحوصلة زقياه الحب ، فإذا علما أنه قد أطاق اللقط منعا بعض المنع
فإذا جاع لقط . فإذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالأجنحة إذا
سألها الرق .

فتأملوا تدييري لكم في المواعظ ، الطفل لا يصبر عن الرضاع
ساعة ، فإذا صار رجلاً صبر عن الطعام يومين ، إنما تقع الكلفة
بقدر الطاقة . لما كان الطائر يحتاج أن يزق فرخه . لم يحمل عليه إلا
تدبير بيضتين . ولما كانت الدجاجة تحضن ولا تزق كان بيضها أكثر
ولما كانت الضبة لا تحضن ولا تزق صارت تبيض ستين بيضة ،
وتحفر لمن وترك التراب عليهن . وبعد أيام تنبشهن فيخرجن ، كلما قوى

(١) سورة الأحزاب ، الآية ١١ .

الحامل زيد في الحمل في أول مقام يقول (يُحِبُّ التَّوَابِينَ^(١))
وفي أوسطه « يعني ما يتحمل المتحملون » وفي المقام الأعلى « كذب من
من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني » . كان أبو سليمان الداراني
يبكي حتى ينبت الريح من عينيه * وكان عطاء السلمي يبكي حتى
لا يقدر أن يبكي *

يا منفذاً ماء الجفون وكنت أنفقه عليه
ان لم تكن عيني فأنت أعز من نظرت إليه

كانوا إذا ضيق الخوف عليهم الخناق نفسوه بالرجاء ، فكان أبو
سليمان يقول : إلهي إن طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك * وإن
أسكتني النار بين أعدائك لأخبرنهم إني كنت أحبك ، وكان يحيى
ابن معاذ * يقول : إن قال لي يوم القيامة عبدي ما غرك بي * قلت
إلهي برك بي *

تجاسرت فكأشفتك لما غلب الصبر
فان عنفني الناس ففي وجهك لي عذر
لان البدر محتاج إلى وجهك يا بدر

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .

الفصل العاشر

اخواني: الدنيا غرارة غدارة • خداعة مكاراة • نظن مقيمة
وهي سيارة • ومصالحة وقد شنت الغارة •

نح نفساً عن القبيح وصنها وتوق الدنيا ولا تأمنها
لا تثق بالدني فما أبقت الدنيا لحى ودبعة لم نخنها
انما جبتها لتستقبل الموت واسكتها لتخرج عنها
ستخلى الدنيا وما لك الا ما تبلغت أو تزودت منها
وسيبقى الحديث بعدك فانظر خير أحداثه تكون فكنتها

كأنك بالموت وقد خطف • ثم عاد إلى الباقي وعطف • تنبه
لنفسك يا ابن النطف • فقد حاذى الرامي الهدف ، إلى كم تسير في
سرف ؟ • ليت هذا العزم وقف ، تؤخر الصلوة ثم تسيئها كالبرق
إذا خطف أتجمع سوء كيلة مع حشف ؟ ^(١) • الجسد أتى والقاب
انصرف ، يا من باع الدر واشترى الخزف ، أبسط بساط الحزن على
رماد الأسف عليك حافظ وضابط • ليس بناس ولا غالط ، يكتب
الألفاظ السواقط وأنت في ليل الظلام خابط •

يا من شاب إلى كم تغالط ؟ • إلبك ما مضى ويكفي الفارط •
ما للعيون قد أخلفت أنواؤها ؟ • وكثر نظرها إلى الحرام فقل بكاؤها
ما للقلوب المريضة ؟ قد عز شفاؤها • سأكتب ضمان الآمال وأين
وفاؤها ؟ • آه لأمراض نفوس قد يش طيبها • ولأصوات مواعظ
قد خرس مجيها ، هبت والله دبور الذنوب فتركت الأجسام بلا قلوب

(١) سوء كيلة : الوزن الخاسر ، الحشف : أردأ التمر .

أين الفهم والتأمل ؟ • إن لم يكن جميل فليكن نجمل • أخواني قد دنا
الرحل • لا بد وشيكاً من التحول •

رقيكم يا غافلين لا يغفل • أتذكرون الذنوب بسلا تملل ، يا
من يعد بالتوبة كم تمطل ؟ • يا ملازماً للهوى كم تعدل ؟ • المعاصي
سم والقليل منه يقتل •

يا هذا الدنيا وراءك والأخرى أمامك ، والطلب لما وراءك هزيمة •
إنما يعجب بالدنيا من لا فهم له • كما أن أضغاث الأحلام تسر النائم
لعب الخيال يحسبها الطفل حقيقة • فأما العقل فيعلم ما وراء السر •

رأيت خيال الظل أكبر عبرة لمن هو في علم الحقيقة راق
شخوص واشباح تمر وتنقضي جميعاً وتفتى والمحرك باق

كم أتلفت الدنيا بيد حبا في بيد طلبها • كم ساع سعى إليها
سعي الرخ رده معكوساً رد الفرازين • الدنيا نهر طالوت • والفضائل
تنادي • (فمن شربَ منه فليسَ مِنِّي) ^(١) فإذا قامت الفاقة مقام ابن
أم مكتوم ^(٢) أبيحت لها رخصة (إلا من اغترفَ) ^(٣) فأما أهل الغفلة
فارتوا • فلما قامت حرب الهوى • ثبطتهم البطنة • فنادوا بالسنة
العجز (لا طاقَة لنا) ^(٤) وأقبل مضمن الجدد فحاز قصب السبق •
كل الشر في الشره • واللذة خناق من غسل • من تبصر تبصر • الخزم
مطية النجح • الطمع مركب التلف • التواني أبو الفقر • البطالة أم
الحسران • التفريط أخو الندم • الكسل ابن عم الحسرة ، ما يحصل برد
العيش إلا بحر التعب • ما العز إلا تحت ثوب الكد ، على قدر
الإجتهاد تعملو الرتب ، لما صابر النضو مشقة السير معرضاً عن
اعراض المطاعم ، زين بالجلال يسوم العيد ، ولما تكاسلت

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ •

(٢) يعني مقام الأعمى •

(٣ ، ٤) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ •

البخاني (١) ميلاً إلى كثرة العلف وقع ببختها الذبح ، سابق الطير
مكرم . والدبك الحاذق بالصباح مطلق ، إذا صب في القنديل ماء
ثم صب عليه زيت صعد الزيت فوق الماء . فيقول الماء : أنا ربيت
شجرتك فأين الأدب ؟ لم ترتفع على ؟ . فيقول الزيت : أنت في
رضراض النهار تجري على طريق السلامة . وأنا صبرت على العصر
وطحن الرحا وبالصبر يرتفع القدر . فيقول الماء : ألا أني أنا الأصل .
فيقول الزيت إسر عينك فإنك لو قارنت الصباح انطفأ .

يا بعيداً عن المجاهدة قد اقتسم الرعيل الأول النفل . أما ترى
اسلاب الهوى كيف يبيعها أربابها في سوق الإفتخار بالنض (٢)
(ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) (٣) .

يا من قد انحرف عن جادتهم . كم أحررك بسوط الشوق
في شوط السوق . سهم عزمك بلا ريش . إنما يقع وقت الرمي بين
يديك . يا مخنث العزيمة أقل ما أبقى في الرقعة البيذق . فلما نهض
تفرزن (٤) ، رأى بعض الحكماء برذونا يستقي عليه . فقال لو هملج
هذا لركب ، متى هممت أقدام العز بالسلوك لاندفع من بين يديها
ما يسد القواطع . ومتى هاب الغايص موج البحر لم يطمح له في
نيل الدر ، يا من عقد عزمه بأنشطة ، والهوى يمددها للحل . إن عزفت
من عزيمتك الثبوت في صف المجاهدة . وإلا فاحذر هتكة الهزيمة .

كان ذو البجادين (٥) يتيماً . فلما عمه الفقر كفله عمه . فنازعه
النفس إلى الإسلام . فهم بالهوض . فإذا بقية المرض مانعة . فقعده على
انتظار العم . فأنتهى المرض . فصارت الهمة عزيمة . فنفذ الصبر
فناداه صدق الوجد .

(١) الإبل الحراسانية .

(٢) النض : القليل .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٥٢ .

(٤) يعني إذا انفرد البيذق في رقعة الشطرنج وارتقى بكون فرزانا .

(٥) هو عبدالله المزني الصحابي .

(للمهيار) : (١)

إلى كم حبسها تشكو المضيقا إثرها ربما وجدت طريقا
أجلها تطلب القصوى ودعها سدى يرمي الغروب بها الشروقا
أتعقلها وتقعن بالهويتا تكون اذن بذلتها خليقا
ولم يشفق على حسب غلام يكون على ركائبه شفيقا
فقال : يا عـم كيف انتظر سلامتك بإسلامك وما أرى زمن^(٢)
زمنك ينشط فقال : والله لئن اسلمت لانتزعن كل ما أعطيتك .
فصاح لسان الشوق نظرة من محمد أحب إلي من الدنيا وما فيها .
هذا مذهب المحبين . إجماعاً من غير خلاف :

ولو قيل للمجنون ليلي ووصلها تريد ام ام الدنيا وما في خباياها
لقال تراب من غبار نعالها الذ إلى نفسي واشفى لبلواها
فلما تجرد لطلب الثواب . جرده العم من الثياب . فناولته الأم
بجأداً^(٣) . فقطعه لسفر الوصل . فاثتر وارtedy . وغدا في هيئة (رب
أشعث أغبر) (٤)

سنة الاحباب واحدة فاذا أحببت فاستنن

فنادى صائح الجهاد في جيش العسرة . فبعب ساقفة الأحباب على
ساق . والمحجب لا يرى طول الطريق إنما يتلمح المقصد .
الا ابلف الله الحمى من يريده وبلغ اكناف الحمى من يريدها
فحمل جلدة فوق جلده ، إلى أن نزل منزل التلف . فترل الرسول
في حفرته يمهء له اللحد للأمور (إذا رأيت لي طالباً ، فكن له خادماً)
وجعل يقول : اللهم ، إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه ، فصاح ابن
مسعود : ليتني كنت صاحب الحفرة .^(٥)
كذاك الفخر يا همم الرجال تعالي فانظري كيف التعالي

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النبوز ، أنظر ديوان شعره ٣٥٣/٢

(٢) مريض . (٣) الكساء الفليظ الجاني .

(٤) رواء مسلم وتماه « لو أقسم على الله لأبره » .

(٥) أنظر قصته في سيرة ابن هشام ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨ .

الفصل الحادي عشر

أيتها النفس ، إقلمي عن الجناح وتوبي ، وراجعي إلى الصلاح
وأوبي ، أيتها النفس قد شان شاني عيوبي . أيتها الجاهلة تكفيني
ذنوبي .

يا ويح نفسي من تتابع جوبي لو قد دعاني للحساب حسبي
فاستيقظي يا نفس ويحك واحذري حذراً يهيج عبرتي ونحبي
واستدركي ما فات منك وسأبقى سطوات موت للنفوس طلب
وابكي بكاء المستغيث واعولي احوال عان في الوثاق غريب
هذا الشباب قد اعتلت بلهوه أفليس ذا يا نفس حين مشبي
هذا النهار يكر ويحك دائماً يجري بصرف حوادث وخطوب
هذا رقيب ليس عني غافلاً يحصى علي ولو غفلت ذنوبي
أوليس من جهل بازي نائم نوم السفیه وما ينام رقيبي

آه لنفسي تركت يقينها وتبت آمالها ، ما لها ؟ جهلت ما عليها
وما لها . أما ضربت العبر ؟ بأخذ أمثالها أمثالها ، من لها ؟ إذا نازلها الموت
فغالها . وأخذ منها ما نالها وقد أنى لها ، ليتها تفقدت أمورها ، أو شهدت
أحوالها ، تحضر المجلس بنية ، فإذا قامت بدا لها ، ويحها لو ترى
أجزاء من مالها لهاها .

(لأبن المعتز) :

وكم دهم المرء من نفسه فلا تؤكلن بأنياها
وان مكنت فرصة في العدو فلا تبلو فعلنك الا بها

قال أبو يزيد : رأيت الحق في المنام ، فقلت : يا رب كيف أجذك ؟
قال . فارق نفسك وتعال .

جاء رجل إلى أبي علي الدقاق ، فقال : قد قطعت إليك مسافة .
فقال : ليس هذا الأمر بقطع المسافات . فارق نفسك بخطوة وقد
حصل لك مقصود . لو عرفت منك نفسك التحقيق لسارت معك
في أصعب مضيق . لكنها ألقت التفاتك . فلما طلبت قهرها . فأتاك .
هلا شددت الحيازم . وقمت قيام حازم . وفعلت فعل عازم . وقطعت
على أمر جازم . تقصد الخير ولكن ما تلازم .

ويعرف أخلاقَ الجبان جوادُهُ فيجهدهُ كراً ويرهبهُ ذعراً
ومن يحل تطلاب المعالي بصدرة يجد حلو ما يعطاه من غير هامرا
حريم العزم الصادق حرام على المتردد ، متى تخزم العزم هزم .
لو رأيت صاحب العزم وقد سرى حين رقدت السراحين . بهمة تحل
فوق الفرقد فلنفسه نفاسة ولإنفهِ إنفهِ . سهم الشهم مفوق فوق عرضة
الغرض .

كان الفضيل ميتاً بالذنوب . وابن أدهم مقتولاً بالكبر . والسبتي
هالِكاً بالملك . والجنيذ من جيد الجند . فنفخ في صور المواعظ . فدبت
أرواح الهدى في موتى الهوى ، فانشقت عنهم قبور الغفلة . وصاح
اسرافيل الإعتبار (كذلك يُحيي الله الموتى) ^(١) إنما سمع الفضيل آية .
فدلت نفسه لها واستكانت . وهي (كانت) إنما زجر ابن أدهم بكلمة
كلمت قلبه فانقلب ، هايف ^(٢) عاتبه ولام أخرجه من بلخ إلى الشام
كانت عقدة قلوبهم بأنشطة . ومسد ^(٣) قلبك كله عقد . لاحت للقوم ،
جادة السلوك (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) ^(٤) .

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٣ .

(٢) العطشان الذي لم يصبر على العطش .

(٣) حبل من ليف .

(٤) سورة فصلت ، الآية ٣٠ ، سورة الأحقاف ، الآية ١٣ .

هيهات منك غبار ذاك الموكب . ركبوا سفين العزم فهبت لهم رياح
العون . فقطعوا بالعلم بلج الجهل ، فوصلوا إلى إقليم أرض الفهم
فأرسلوا على ساحل بلد الوصل ، إذا استصلح القدر أرض قلب قلبها
بمحراث الخوف وبذر فيها حب المحبة . وأدار لها دولاب العين .
وأقام ناطور المراقبة . فتربى زرع التقى على سوقه ، أصفهم عند
من ؟ . انثر الدر على دمن .

بلغ سلامي بالغور جيرة قلبي وان حالوا إليهم تائق
فارقتهم كرهاً وليت اني للروح من دونهم مفارق
ولست انساهم وان تقطعت بالبعد فيما بيننا علايق

يا نفس ، عند ذكر الصالحين تبكين . وعند شرح جدهم
تأنين . وإذا تصورت طيب عيشهم تحنين . فإذا عرفت قيامهم
بالخدمة تنكين (١) .

(للمهيار :)

أمن خفوق البرق ترز مينا (٢) حني فما أمتعك الحنينا
سير يميناً وسراك شامة فضلة ما تتلفتينا
نعم تشاقين واشتاق له ونعلن الوجد وتكتمينا
فأين منا اليوم أو منك الهوى وابن «نجد» والمغورينا (٤)

لما اشتغل القوم بإصلاح قلوبهم أعرضوا عن إصلاح أبدانهم .
عرى اويس حتى جلس في قوصرة . وقدم بشر من عبادان وهو
متشح بحصير .

(للسموءل) :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

(١) تعديل وتنصرفين .

(٢) من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي طالب في المهرجان، أنظر ديوان شعره ٤/ ١٣٧ .

(٣) ترزمين : تحنين .

(٤) المغور : الذاهب في الغور ومنه غور تهامة .

كان اويس يلتقط النوى فيبيعه بما يفطر عليه . فإذا أصاب
حشفة أدخرها لإفطاره . ويجمع الخرق من المزابل فيغسلها في الفرات
ويرقعها ليستر عورته . ويفر من الناس فلا يجالسهم ، فقالوا مجنون .
لا تصح المحبة ، حتى يمحي الإسم المعروف ، باسم متجدد . فإن إسم
قيس نسي ، وعرف بالمجنون .

لولا جنوني فيك ما قعد العواذل لي وقاموا
أولى يلوم العاذلون وليس لي قلب يلام

بنى أهل اويس له بيتاً على باب دارهم ، فكانت تأتي عليه السنون
لا يرون له وجهاً . وكان إذا خرج يمشي ضرب الصبيان عقيه ،
بالحجارة حتى تدمي . وهو ساكت ولسان حاله يقول :

ولقيت في حبيك ما لم يلقه في حب ليل قيسها المجنون
لكنني لم أتبع وحش الفلا كفعال قيس والجنون فنون

لقي بعض الجند لإبراهيم بن أدهم في البرية . فقال له : أين
العمران ؟ فأومى بيده إلى المقابر . فضربه فشج رأسه . فقيل له : هذا
ابن أدهم فرجع يعتذر إليه فقال له إبراهيم : الرأس الذي يحتاج إلى
اعتذارك تركته ببلخ .

عزى ذلي وصحتي في سقمي يا قوم رضيت بالهوى سفك دمي
عدالي كفوا فمن ملامي المي من بات على وعد اللقا لم ينم

مر رجل بابن أدهم وهو ينظر كرمًا^(١) فقال : ناولني من هذا العنب
فقال ما أذن لي صاحبه . فقلب السوط وضرب رأسه . فجعل يطأطأ
رأسه . ويقول : إضرب رأساً طالما عصى الله .

من أجلك قد جعلت خدي أرضاً للشامت والحسود حتى ترضى
مولاي إلى متى بهذا احظي عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

(١) أي يحرس أشجار عنب . يقال ينظر وينظر .

لو قطعني الغرام ارباً ارباً ما ازددت على الملام الاحبا
لا زلت بكم أسير وجد صبا حتى اقضى على هواكم نجبا
كان ابن أدهم يستغيث من كرب وجده ، ويبول الدم من كثرة
خوفه . فطلب يوماً سكناً من قلقه . فقال : يا رب إن كنت وهبت
لأحد من المحبين لك ما يستريح به ، فهب لي فليل له في نومه :
وهل يسكن محب بغير حبيب ؟

الجسم يذيه الأسى والسهد والقلب ينوبه الجوى والكد
هم قد وجدوا وهكذا ما وجدوا ما جن بهم مثل جنوني أحد
شوق وجوى ونار وجد تقد مالي جلد ضعفت ما لي جلد

الفصل الثاني عشر

عجباً لذاكر الموت كيف يلهو ؟ • ولخائف القوت وهو يسهو •
ولتيقن حلول البلى ثم يزهو • وإذا ذكرت له الآخر مر يلغو •

(لأبي العتاهية) : (١)

لاني أرقيتُ وذكرُ الموتِ أرقني فقلتُ للدمعُ : أسعدني فأسعدني
إن لم أبلُكْ لنفسي مشعراً حزناً قبل المماتِ ولم آسف لها فمن
يا من يموتُ ولم تُحزنه موتته ومن يموتُ فما أولاه بالحرزن
لمن أنتمرُ أموالِي واجمعها لمن أروح لمن أغدو لمن لمن
لمن سِيرَفَعُ بي نعشي ويتركني في حفرتي ترب الخدين والذقن

يا غافلاً عن الموت وقد لدغه • أخذ قرينه فقتله ودمغه •
تأمل صنع الدهر بالرأس إذ صبغه • بأي حديث ترعوي أو بأي لغة ؟ •
كم رأيت مغروراً قبلك ؟ • كم شاهدت متقولاً مثلك ؟ • من أباد
أقرانك ؟ ومن أهلك أهلك ؟ • لقد نادى الموت وقال : ما أنا بالذي
إذا سئل أقال • أنا الذي إذا مال على القوي آمال • أخذتم أمانِي يا
أهل الأمانِي والآمال • أين من كان في روح وسعة ؟ • نقلته إلى مكان
ما وسعه ، أين من كان على نسائه شديد الغيرة • أما رحل عنهن ؟
فاخترن غيره • أين من كان يسري آمناً في سر به • أما قيل للتلف ؟
خذه وسر به • أما عاقبه الالفة فرقة ؟ • أما آخر جرعة اللذة شرقة ؟ •
أما ختام الفرح قلقي وحرقة ؟ • أما زاد ذي المال إلى القبر خرقة ؟ • أعيرُ

(١) وجدت بعض هذه الأبيات في ديوان شعره ، ص ٢٣٩ .

سمعك الأصوات • فهل تسمع إلا فلاناً مات ؟ أجل بصرك في الفلوات
فهل ترى إلا القبور الدارسات ؟ •

قوض الموت طود عزمهم الشا مخ قسرا والدهر ذو حدثان
واسترد الذي أعار وللا يام ظهرها خشونة وليان
واذا صاح صايح الموت في قو م غدوا كل واحد في مكان

يا ساكناً مسكن من قد أزعج • يا شارباً فضلة من شرق • تصحو
في المجلس ساعة من خمار الهوى • ثم تسليك حميا الكاس • هيهات
ليس في البرق اللامع مستمتع لمن يخوض الظلمة • كم أعطف عطفك
بلجام العظة إلى عطفة اليقظة • فإذا انقضى المجلس عاد الطبع (ثاني)
عطفه (١) « وتأبى الطباع على الناقل » يا من قد ليجج في لجة الهوى •
قارب الساحل في قارب (٢) • دنا رحيل الرفقة وما اشتريت للمير
قوت ليلة • كلما جد اللعب فتر النشاط في الجد ، صحح نقدة عملك
فقد انقضت أيام الأسبوع ، جود غزل عزمك • فلربما لم تسامح وقت
الوزن ، صابر غبش العيش فقد دنا فجر الأجر •

إنته الإغتنام عمرك ، فكم يعيش الحيوان ؟ • مد بحر القدرة ،
فجرى بمراكب الصور ، فرست على ساحل لإقليم الدنيا فعاملت في
موسم الحياة مدة الجزر • ثم عاد المد فرد إلى برزخ الترب • فقفذ
محاسن الأبنية في حفر اللحود • وسيأتي طوفان البعث عن قرب •
فاحذر أن تدفع دونك سفينة النجاة • فتستغيث وقت القوت ولا عاصم
كأنك بك في قبرك ، على فراش الندم وأنه والله لاختش من الجندل .

فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك • وادخر من
وقت قدرتك لزمان عجزك • واعتبر رحلك قبل رحيلك • مخالفة
الفقر في القبر إلى لازم الأخذ (أن تقول نفس يا حسرتا) (٣) .

يا هذا . مثل لنفسك صرعة الموت • وما قد عزمت أن تفعل حينئذ
وقت الأسر • فافعله وقت الإطلاق .

(٢) الزورق .

(١) سورة الحج ، الآية ٩ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٥٦ .

(لقيس بن ذريح) .

أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كات حنفة وهو طائع
فيا قلب خبرني اذا شطت النوى بلبي وبانت عنك ما أنت صانع

كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق ، وانهمزت جيوش الأمل
وإذا بملك الموت قد بارز الروح * يجذبها بخطاطيف الشدائد من تيار
أوتار العروق * وقد أوثق كتاف الذبيح * وحرار البصر لشدة الهول
وملائكة الرحمة عن اليمين * قد فتحو أبواب الجنة * وملائكة
العذاب عن الشمال * قد فتحو أبواب النار وجميع المخلوقات
تستوكف الخبر * والكون كله قد قام على صيحة * إما أن يقال ،
سعد فلان ، أو شقي فلان * فحينئذ تتجلى أبصار (الذين كانت
أَعْيُنُهُمْ في غطاءٍ عن ذكرى) ^(١) ويحك تها تلك الساعة * حصل
زاداً قبل العوز .

(للصمة القشيري) :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وا أسفاه من حياة على غرور * وموت على غفلة * ومنقلب إلى
حسرة * ووقوف يوم الحساب بلا حجة .

يا هذا ، مثل نفسك في زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكي أبداً ،
وأبوابها مغلقة وسقوفها مطبقة وهي سوداء مظلمة * لا رفيق تأنس
به * ولا صديق تشكو إليه * ولا نوم يريح ولا نفس قال كعب
أن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب ، من الندامة على تفريطهم ،
وما يشعرون بذلك . يا مطروداً عن الباب * يا مضروباً بسوط الحجاب *
لو وفيت بمعهودنا * ما رميناك بصدودنا * لو كاتبتنا بدمع الأسف *
لعفونا عن كل ما سلف *

(١) سورة الكهف ، الآية ١٠١ .

ولو أنهم عند كشف القناع وحل العقود ونقض العهود
وخلعهم لعدار الحياء ولبسهم لبرود الصدود
أناخوا بأبوابنا ساعة واجروا مدامهم في الحدود
لعدنا سراعاً إلى وصلهم وقلنا قلوب المحيين عودي

الفصل الثالث عشر

كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم أنزل أجساداً
بجارها لم يجارها ، وكم نقل ذاتاً ذات خطاء بأوزارها ، وكم أجرى
عيوناً كالعيون بعد بعد مزارها .

يا مغزماً بوصال عيش ناعم مستصد عنه طائماً أو كارها
ان المنية ترعج الاحرار عن أوطانهم والطير عن أوكارها

أخواني ، قد حام الحمام حول حماكم * وصاح بكم إذ خلا النادي
وناداكم ، وأولاكم من النصح حقكم ، فما أحقكم بالتدبر وأولاكم ،
وهو عازم على اقتناصكم ، وما المقصود سواكم . كم أخلى الموت داراً
فداراً ؟ . أما استلب كسرى بن دارا ؟ أدارى لما أخذ داراً ؟ أما ترك
العامر قفاراً ؟ . أما أذاق القصص المر مراراً ؟ . لقد جال يميناً ويساراً .
فما حابى قفراً ولا يساراً .

يا هذا ، مطايا العمر قد اعتقت وأنت في مسامرة الأمل ، معاول
الساعات تهدم حايط الأجل ، فرايس المهج في مضابث^(١) أسد
المنايا ، أسنة القنا مشرعة ولا درع ، عقارب الخدع دائمة للسلع ، غير
أن خدران الغفلة يمنع الإحساس بسرمان السم ، آه من مثاقف ما
يتهمى عن القتل * الناس في الدنيا ككيزان الدولاب ، فالشاب مثل
المعتلي * والكهل قد فرغ بعضه * والشيخ لم يبق فيه شيء . الشاب
المتقي في مقام (يجهم)^(٢) والكهل المنحط في مرتبة (خلطوا عملاً
صالحاً)^(٣) والشيخ في حيز « تجدني عند المنكسرة قلوبهم » .

(١) كمخالب وزنا ومعنى .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١٠٩ .

يا من قد انطوى برد شبابه * وخيت خلع تلفه * وبلغت سفيته
ساحل سفره * قف على ثنية الوداع * (فلم تبق إلا ساعة تنغم) لو
فتحت عين اليقظة لرأيت حيطان العمر قد تهدمت * فبكيت على خراب
دار الأجل . صاح ديك الإيقاظ في سحر ليل العبر ، فما تيقظت
فستتبه ، إذا نعى غراب البين بين البين *

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفر ولا اخفاق
لا في الشباب وافقت * ولا في الكهولة رافقت * ولا في الشيب
افقت * ولا من العتاب أشفقت * فكأنك ما أمنت بالمعاد ولا صدقت .

يا مقيماً على الهوى وليس بمستقيم * يا مبزراً في بضاعة العمر
متى يؤنس منك رشد ؟ * يا أكمة البصر ، لا حيلة فيه لعيسى * يا طويل
الرقاد ولا نوم أهل الكهف * كيف يفلح من هو والكسل كندماثي
جذيمة ؟

الدنيا مضمار سباق * وليل سرى * وطلب الراحة تحنث (١)

فلا تحسبوا ان المعالي رخيصة ولا ان ادراك العلى هين سهل
فما كل من يسعى إلى المجد ناله ولا كل من يهوى العلا نفسه تعلو

من تذكر حلاوة العاقبة نسي مرارة الصبر ، الرجولية بالهمة
لا بالصورة * نزول همة الكساح (٢) حطه في بئر الانجاس ، قنديل
الفكر في محراب قلبك مظلم * فاطلب له زيت خلوة ، وفتيلة عزم
بينك وبين المتقين جبل الهوى * نزلوا بين يديه ونزلت خلفه * فاطو
فضل متزل تلحق ، لو علوت نشز الجحد ، بانت بآنة الوادي .

(للمهيار) : (٣)

ان كنت ممن يطلع الوادي فسل بين البيوت عن فوادي ما فعل

(٣) الميل من الحق إلى الباطل .

(١) الكناس .

(٢) في قصيدة يذكر بها مناقب علي بن أبي طالب . أنظر ديوان شعره ١٠٩ / ٣ - ١١٦ .

عز هواك فأذلّ جَسَدي والحُبُّ مارقٌ له الجَلْدُ (٣) وذلّ
أين لبالينا على الخيف وهل يردُّ عيشاً فاتناً قولك هل
يا مقيداً بقيود الطرد ، إلق نفسك في الدجى على باب الذل * وقل
إلهي ، كم لك سواي ومالي سواك ، فبفقري إليك وعناك عني ، ألا
عفوت عني .

أيا منعماً لم يزل محسناً برى جسدي سخطك الدائمُ
إلى النحر مني مضمومة يداي كما يفعل الندامُ
يزل الحليم ويكبو الجواد وينبو عن الضربة الصارمُ

يا هذا ، ليس في المياه ما يقلع آثار الذنب من ثوب القلب إلا
الدموع * فان نصبت ولم يزل الأثر فعليك بالاغتراف من بحر
الاعتراف .

ودعت قلبي حين ودعتهم وقلت يا قلبي عليك السلامُ
وصحتُ بالنوم انصرف راشداً فان عيني بعدهم لا تنامُ
احضر نادي المتهجدين ونادهم طوبى لكم وجدتم قلوبكم فارحموا
من لا يجد :

إذا وصلتم إلى وادي العقيق سلوا عن حال منقطع أودى به السهر
وفتشوا عن فؤاد هائم قلق قد ضاع مني فلا عين ولا أثر
انجع الوسائل الذل * وابلغ الأسباب في العفو البكاء * والعي عن
ترتيب العذر بلاغة المنكسر .

يا من أشكو إليه ما يعلمه والدمع يلبيح كلما اكتمه
هذا المسكين من ترى يرحمه قد هان عليه كلما يؤلمه

بالجسم من السقام ما يحرضه والقلب يذوب من جوى يمرضه
ما قد حكم الاله من ينقضه قد أعوزني الصبر فمن يقرضه

الرابع الرابع عشر

لقد خوفنا الموت بمن أخذ منا • ونعلم هجومه علينا وقد آمنا • ما
اذكرتنا المواعظ مآلنا فما لنا ما لنا :

لا ترقدن لعينك السهرُ	وانظر إلى ما تصنع العبرُ
انظر إلى عبر مصرفة	ما دام يمكن طرفك النظرُ
فاذا جهلت ولم تجد احداً	فسل الزمان فعنده الخيرُ
فاذا نظرت تريد معتبراً	فانظر إليك فقيك معتبرُ
أنت الذي تنعاه خلقتة	ينعاه منه الشعر والبشرُ
يا من يؤمل أنت منتظر	أملاً يطول ولست تنتظرُ
ماذا تقول وأنت في غصص	ماذا تقول وذوقك المدرُ
ماذا تقول وقد لحقت بما	يجرى عليه الريح والمطرُ
كم قد عفت عين لها أثر	درست ويدرس بعدها الأثرُ

يا من يشيع بيدنه الميت • فاما قلبه ففي البيت • اتخلى بين المودود
والدود ؟ وتعود إلى المعاصي حين تعود • هلا أجلت بالبال ذكر الباقي ؟
وقلت للنفس الجاهلة : هذا لي ، من زار القبور والقلب غافل وسعى
بين الاجساد والفكر ذاهل وشغله عن الاعتبار هو شاغل فهو قتيل
قد أسكره القاتل :

وما اعطى الصباية ما استحققت عليه ولا قضى حق المنازل
ملاحظها بعين غير عبري وزايرها بجسم غير ناحل

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال : ان امرأ هذا
آخره لحقيق أن يزهد في أوله وان امرأ هذا أوله ، لحقيق أن يخاف
آخره .

اخواني ، كيف الامن ؟ وهذا الفارق يقول : لو أن لي طلاع
الارض ذهباً وفضة لا فتديت بها ، كيف الأمن ؟ من هول ما أمامي قبل
أن أعلم ما الخبر ؟ لما طعن عمر قال لابنه ضع خدي على التراب
فوضعه فبكاً حتى لصق الطين بعينيه وجعل يقول : ويلى ويلى أُمي
ان لم يرحمني ربي . ودخل عليه كعب ، وكان قد قال له انك ميت إلى
ثلاثة أيام . فلما رآه أنشد :

وواعدني كعب ثلاثاً بعدها ولا شك ان القول ما قاله كعب
وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب
واعجباً من خوف عمر مع كماله وأمنك مع نقصانك . قيل لابن
عباس: أي رجل كان عمر ؟ فقال : كان الطائر الحذر الذي كان له بكل
طريق شركاً . .

يا مسدود الفهم بكثرة الشواغل احضر قلبك لحظة للعظة ، يا
جامداً على وضع طبعه ، تحرك إلى قطر التذكرة ، يا عبد الطمع طالع
ديار الاحرار . ما أطول غشية غفلتك فلن نحدث ؟ قلبك في غلاف
غفلة وفطنتك في غشاوة غباوة . وحبل عزمك الحديد حديد ، لو
خرج عقلك من سلطان هواك ، عادت الدولة عادلة . لو صح مزاج
فطرتك حلا طعم النصيح في فمك ، المقروض عندك مرفوض .
وكلام النصيح صوت الريح .

يا تلميذ الهوى اخرج من وصف التبعية . يا مقيد الوجود في فناء
الفناء قامت قيامة الملامة وما تسمع . لقد ضحل^(١) صوت النصيح ،
ولكن صلح^(٢) صماخ السمع مانع .

يا هذا ، لو وقف مرضك رجونا لك البرء . ولكن المرض يزيد
وقوة العزم تضعف :

متى يلتقي الآلاف والعيس كلما تصعد من واد هبطن إلى واد

يا مقبلاً على المعاصي أدبرت • ويحك اذا أخرجت من يدك
فمن يحصل ؟ كم تعد بالتوبة ولا تفي ؟ ويحك ان اللذة بالعقوبة لا تفي ،
ضمانك عقيم • ووعدك عاقر • اذا أقمت بناء توبة اكثرت الف
نقاص ، ويحك لا تفعل ، فانه ما سحب أحد ذيل الهوى الا وتعر ،
اكتب قصة الندم بمداد الدمع • وفي الحال تصل :

سألت ودمع العين سايل ودعت وداعي البين شاغل
فأجاب دمي وهو في صفق الاسى سحبان وائل
أعرضت عنك فمن تروم وبنت منك فمن تواصل
لم يبق من سنن الهوى الا الوقوف على المنازل

يا مشرداً عن الأوطان إلى متى ترضى بالتمردك^(١) ؟ للقطاة
افحوص • ولابن آوى مأوى • منذ خمسين سنة تجدف في العبور إلى
ساحل التوبة وما تلحق الشط • قوة الأمل عقدة في وجه منشار
الجد ، الرياء عيب في رثة الايمان • يس^(٢) المرض إلى السل • شدة
الحرص على الفاني سدة في كبد اليقين ، ومن صبر على مرارة الدواء
عوفي :

السقم على الجسم له تردد والصبر يقل والهوى يزداد
ما ابعد شقتي ومالي زاد ما أكثر بهرجي ومالي تقاد
يا أرباب الدنس يا أوساخ الذنوب (هذا مُغتَسَلٌ باردٌ
وشَرَّابٌ^(٣)) لا تقنعوا بصب ماء التوبة على الظاهر • بلوا الشعر وانقوا
البشرة • ما لم تسبح بدمع عينيك لم تأت بسنة الغسل :

فلو داواك كل طيب داء بغير كلام ليلي ما شفاكا
أبلغ المراهم لجراح الذنوب الندم • وأوطأ فراش المعتذر

(١) التصاغر مأخوذ من مردك العجمية أي رجل صغير .

(٢) أي يوصله إلى السلال وهو المرض المعروف بالسل .

(٣) سورة ص آية ٤٢ .

القلق • وأسرع الأوقات اجابة السحر • فاطرد عن عينيك لذة النوم •
وناد في نادي الاسى مع القوم :

يا من بسهامه لقلبي جرحا صل مشتاقاً بغيركم ما فرحا
ما ناح له مطوق أو صدحا الا شرب الدمع وعاف القدحا

يا نائماً طول الليل ما تحس برد السحر ؟ • لقد نم النسيم على الزهر •
ودلت أغاريد الحمام ، على دنو الفجر • صاح الديك فلم تنتبه • وأعاد
فلم تفق • فقوى ضرب الجناحين لطمأ على غفلتك •

صفق اما ارياحه لسنا الفجر وأما على الدجا اسفا

يا	مطولا	بالقيام	مستلذاً	بالمنام
قم	فقد	فانك	يا	مغبون
وخلوا	دونك	بالمو	لى	وفازوا
وكذا	تسبقك	القو	م	الى دار السلام

الفصل الخامس عشر

أخواني ، الدنيا دار الآفات * الأثم بقى والإلتذافات * بينا
نرى فيها الغصن خضراً متميلاً أصبح ذابلاً ذابلي *

يا أيهذا الذي قد غره الامل ودون ما يأمل التنغيص والاجل
ألا ترى انما الدنيا وزيتها كمتزل الركب حلوا ثم ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له عيش ولا جذل
كأنه للمنايا والردى غرض تظل فيه سهام الدهر تنتضل
والنفس هاربة والموت يتبعها وكل عثرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى بما يسعى لو ارثه والقبر وارث ما يسعى له الرجل

أخواني ، ألبسوا للدنيا جنة الهجر * واسمعوا فيها من مواعظ لجزر *
واحسبوها يوماً صمتوه للأجر * وصابروا ليل البلى فما أسرع إتيان
الفجر ، فلا تبيعوا اليقين بالظن فحرام بيع المجر ^(١) *

لقد أبصرت عيون الفطن في نهار المشيب سبل الرحيل * وسمعت
آذان الفكر بقعقة الصلب الصلب أذان التخويل ، لله در أقوام
بادروا أيامهم وحاذروا آثامهم ، جعلوا الصوم طعامهم والصمت
كلامهم ، فالأبدان بين أهل الدنيا تسعى والقلوب في رياض الملكوت
ترعى ، قاموا لخوف القيامة بالأوامر * ووقفوا أنفسهم على الخير ،
ما توقفوا كالموامر ، هجروا بالصيام لذيد الهوى في المواجهر
وصمت اللسان كأنه مقطوع في الحناجر بالخناجر ، وجرى الدمع

(١) المجر أن يشتري ما في بطن الناقة من حمل .

واصبأ ، حتى قد محاً المحاجر ، متى تطرق طريقهم ؟ قبل طروق الطوارق .

هذا ذنب السقام قد عوى للعوائق . يا من أعماله فيما خلا للخلائق .
كم داواك الطيب ؟ وكم رقا بالرقائق ؟ * أين من ربا في الربى ، ونما
بين النمارق ، أبرزهم حادي الموت لما حدا من الحدايق * وأمال
مستقيمهم فالتوى فهل من هذا التوى ^(١) أنت واثق ؟ * ويحك إن الدنيا
سراب مخلف فإن وجد شراب اعطشش * أزدهت فدهت على أنها
تذم وتضم * كم عقدت لمحبتها عقد عهد ؟ فلما حلت عنده حلت *
إنها لعجوز وهي في عينك كالقمر * وقد قمر هواها قلبك فما أبقي
منه إلا قلب قمر . (للشريف الرضى) : ^(٢)

شَرَّتِ الْفُؤَادَ رُخِيصَةً اِعْلَاقُهُ وَمَضَى بَعْضُ بَنَانِهِ الْمَغْبُوتُ
أَفْنَيْتَ عَمْرَكَ فِي طَلِبِهَا وَمَا حَصَلَ بِيَدِكَ مِنْهَا إِلَّا مَا حَصَلَ بِيَدِ
قَيْسٍ مِنْ لَيْلٍ .

صحأ كلُّ عذري الغرام عن الهوى وأنت على حكم الصباية نازل
ول الدنيا ظهرك تنص ^(٣) الآخرة لك نقابها . تعر عن الدنيا تعز *
وخذ قدر البلغة وجز تفز * إلى متى زنبيل حرصك على كاهل همتك
وأنت تسعى في مزابل طمعك * تحش ^(٤) وقود الحطام لنار هواك
وقد أقيمت موقداً من الشره لا يفتر ، أما علمت أنه كلما ترقى دخان
أتون الهوى في برايح الحس سود وجه القلب * أنت في جمع الحطام
نظير الزبال ، وفي فعل الخير غلام الخبال عالم الهمم مختلف الأجناس
هذا الشفنين ^(٥) لا يقرب غير زوجته أبداً * فإن ماتت لم يتزوج أبداً
وكذلك الأنثى والدجاجة مع أي ديك كان .

كلامي يدور حول ستور سمعك * وموانع الهوى تحجبه أن لا يصل
فلو قد وصل إلى القلب أثر * عضت رجلاً حية فلم يعلم أنها حية فلم

(١) الهلاك .

(٢) ترفع .

(٣) تجمع على النار وقوداً .

(٤) أنظر الديوان ٢ / ٤٧١ .

(٥) اليمام . وهذه الخاصة ذكرها الدميري في حياة الحيوان .

يتغير . فلما أخبر أنها حية مات . لأنه حين أخبر انفتحت مسامه . فوصل
 السم إلى القلب . يا أطروش الهوى صاحب من يسمع . يا عمى البصيرة
 لمش مع من يبصر . تشبه بالصالحين تعد في الجملة . هذا الطاووس
 يحب البساتين فهو يوافق الأشجار . إذا ألقت ورقها ألقي ريشه .
 فإذا اكتست اكتسى . لو سِرْتُ في حزب المتقين خطوات لعرفوا
 لك حق الصحبة . يا من كان لهم رفيقاً فأصبح لا يعرف لهم طريقاً .
 إطلب اليوم أخبارهم واتبع في السلوك آثارهم فإن وقعت ببعضهم
 حملك إلى أرضهم .

(للمصنف) :

في شغل عن الرقاد شاغل	من هاجه البرق بسفح عاقل
يا صاحبي هذي رياح ربهم	قد أخبرت شمائل الشمائل
نسيمهم سحيري الريح فما	تشبه روايح الاصائل
ما للصبا مولعة بذى الصبا	أو الصبا فوق الغرام القاتل
ما للهوى العذري في ديارنا	أين العذيب من قصور بابل
لا تطلبوا ثاراً بنا يا قومنا	دماؤنا في أذرع الرواحل
لله در العيش في ظلالهم	ولي وكم أسار في المفاصل
واطرني اذا رأيت أرضهم	هذا وفيها دमित مقاتلي
يا طرة الشيخ سقيت أدمعي	ولا ابتليت في الهوى بما بلى
مهلك عن زهو وميلي عن أسأ	ما طرب المخمور مثل الثاكل

يا من قد كثر ترددهُ إلى المجلس ولم تزل قسوة قلبه لا تضجر .
 فللدوام أثر ، جالس البكائين يتعد إليك حزنهم . فتأثير الصحبة لا
 يخفى ، أما ترى دون البقل أخضر ؟ . يا من يشاهد ما يجري على الخائفين
 ولا يتزعج . أقل الاقسام أن يبكي رحمة لهم . إذا رأيت الثكلي تتقلقل
 فلا بد من رحمة الجنس .

(للمهيار) : (١)

(١) من قصيدة كتبها الى الوزير عميد الدولة ، أنظر ديوان شعره ٣ / ١٨٨ - ١٩٣ .

ولما وقفنا في الديار تشابهتُ
جسومُ براهنُ البلي وطلول
فباكٍ بداءٍ بين جنبيه عارفُ
وباكٍ بما جر الفراقُ جهول

كان العاصمي قتيل عشق الدنيا ، فكشف له بالمخوفات نقاب المحبوبة
فسلا * ثم جلست عليه بالمشوقات محاسن الآخرة فمال الجيد إلى الجيد .

الفيتها وللحدا تغريد	برامة ان ذكرت زرود
ولاح برق بثنيات الحمى	تشيمه للاعين الرعود
فمالت الاعتاق منها طربا	كما يميل الناشد المنشود
هيهات يخفي ما به متم	دموعه بوجده شهود

أتدرون ما أوجب اصفرار هذا التائب ؟ * ومن أي شراب سكر
هذا الشارب ؟ * وأي كتاب أقدم هذا الغائب ؟ *

كلما زاد كربه	في هوى من يحبهُ
طار نحو الحبيب من	شدة الشوق قلبه
دنف كاد ينقضي	بيد البين نجبه
خبرونا عن العقيق	متى سار ركبته

الفصل السادس عشر

يا من نسبه معرق في الموتى * وقد وعظوه وإن لم يسمع صوتاً *
أدرك أمرك فما تأمن فوتاً .
(لأبي نواس) :

ألا كلُّ حي هالك وابن هالك	وذو نسب في الهالكين عريق
فقل لغريب الدار انك راحلٌ	إلى منزل نأى المحل سحيق
وما تعدم الدنيا الدنية أهلها	شواظ حريق أو دخان حريق
تجرع فيها هالكاً فقد هالك	وتشجى فريقاً منهم بفريق
فلا تحسب الدنيا إذا ما سكنتها	قراراً فما دنياك غير طريق
إذا امتحن الدنيا ليب تكشفت له	عن عدو في ثياب صديق
عليك بدار لا يزال ظلالها	ولا يتأذى أهلها بمضيق
فما يبلغ الراضي رضاه ببلغة	ولا ينفع الصادي صداه بريق

يا راقداً وقد أودن بالرحيل * يا مشيد البنيان في مدارج السيول *
بادر العمل قبل انقضاء العمر * لا تنس من يعد الأنفاس للقائك *

وما هي الا ليلة ثم يومها	ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الحديد إلى البلى	ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره	ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوفر

يا عجباً ، أما تعلم ما أمامك ؟ * فتهياً للرحيل واصلح خيامك *
وتأهب للردى واقطع قطع المدى ^(١) مدامك * واجتهد أن ينشرَ
الإخلاصُ في المحل الأعلى أعلامك ، واحضر قلبك وسمعك وإن ملا

(١) السكاكين .

من لأمك * وإياك والفتور فإني أرى الدواء دوامك ، إطلب ما شئت
بالعزم وأنا زعيم لك بالظفر ، من عزم على امر هيأ آلاته ، لما كان
شغل الغراب النذب على الأحباب لبس السواد قبل النوح .

انفت شقة المهامة ان تق طع الا بالشد والترحال
وإني المجد أن ينال بغير ال جد فلتنتبه عقول الرجال

إذا وقعت عزيمة الإنابة في قلب من (سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى) (١)
قلعت قواعد الهوى من مسناة الأمل * ركب ابن أدهم يوماً للصيد
وقد نصب له فخ (يهديهم ربهم) (٢) حوله حب (يحبهم) (٣) فصيد
قبل أن يصيد ، سمع هاتفاً يقول ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ،
فكانت تلك العظة شربة نقضت قولنج الهوى يا له من سهم ألقاه عن
قربوسه وبوسه * كان راقداً الفهم في ليل الغفلة * مشغولاً بأحلام
المنى * فصيح به قم فقام * فليل له سر فاستقام *

« للشريف الرضى » .

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ما أجلب البرق لماء الاماق
وعظه خطيب اليفظة فوصلت ملامته إلى سمع الانفة * فنهضت
حمية الرجولية ، يا ابن أدهم مبارزة الصيد أول مراتب الشجاعة *
أفترضى أن تستأسر لثعلب الهوى ؟ يا ابن أدهم قتلك حب الدنيا
فثر لأخذ الثأر * إن كانت لك عزيمة يا ابن أدهم فهذا الكميث
وهذا الأدهم فصادف التحريض حريضاً فنهض .

« للشريف الرضى » :

ذكرتماني طلب الفضائل	أيقظتما مني غير غافل
قوما فقد مللت من اقامتي	والبيض أولى بي من المعائل
شنا بي الغارات كل ليلة	وعوداني طرف العوامل

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠١ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٩ .

ان كان لا بد من الموت فمت . تحت ظلال الاسل الذوابل

هتف به متقاضى الشوق : يا ابن أدهم دخلت شهور الحج فما
قعودك بيلخ ؟ فرحل الراحلة وراح * لاحت له نار الهدى فصاح
في جنود الهوى : (إني آنَسْتُ) ^(١) فتجلى له أنيس « تجلني » فغاب عن
وجوده * فلما أفاق من صعقة وجده وقد دكَّ ظور نفسه * صاح لسان
الإنابة (تَبَّتْ إِيَّكَ) ^(٢)

رويداً أيها الحادي سقيت الراح الغادي
فتلك الدار قد لاحت وهذا الربيع والوادي
فلما خرج عن ديار الغفلة * أومأت البقطة إلى البطالة .

« لابن المعتز » :

سلام على اللذات واللهو والصبي سلام وداع لا سلام قدوم
يا ابن أدهم لو عدت إلى قصرك فعبدت فيه ، قال العزم كلا
ليس للمبتوة ^(٣) نفقة ولا سكنى *

احن إلى الرمل اليماني صباية وهذا لعمرى لو رضيت كتيب
ولو ان ما بي بالخصى فلق الخصى وبالريح لم يسمع لمن هبوب
أمرضه التخم فاستلذ طعم الجوع * وحمل جلده على ضعف
جلده خشونة الصوف *

حملتم جبال الحب فوقى وانني لأعجز عن حمل القميص واضعف
لاح له جمال الآخرة فتثبت في النظر عين اليقين ، فتمكن الحب
من حبة القلب فقام يسعى في جمع المهر من كسب الفقر * طال
عليه انتظار اللقا فصار ناطور البساتين * تقاضته المحبة باقي دينها
فسلم الروح في الغربة * هذا ثمن الوصل فتأخر يا مفلس .

(١) سورة طه ، الآية ١٠ ، سورة النمل ، الآية ٧ .

(٢) سورة الاحقاف ، الآية ١٥ .

(٣) المطلقة طلاقاً باتاً .

دون المعالي مرتقى شاهق فطر إلى ذروته أوقع
من لم يخض غمرتها لم يشد قواعد المجد ولم يرفع

كان إبراهيم إسكندري الهمة فاحتقر قصير بلخ في جنب ما
أمل * فانتخب سوابق العزم وسار في جند الجد حتى قطع ظلمات
الطبع * وبلغ إلى مطلع شمس لا تغرب * شكا إليه صفاء القلب من
أجوج وساوس النفس * فاستغاث بحامي المسكن فقيل له : شد
سد العزم ، فاستظهر بعد الزبر بالقطر ، ثم انفرد من جند جوارحه
فوقع بعين الحيوية في السر فعاش بالتوفيق أبد الدهر *

أما تقومون كذا أو فاقعدوا ما كل من رام السماء يصعد
نام على الهون الدليل ودري جفن العزيز لم بات يسهد
أخفهم سعياً إلى سودده أحقهم بأن يقال سيد
عن تعب أو رد ساق أو لا ومسحت غرة سباق يد
لو شرف الانسان وهو وادع لقطع الصمصام وهو مغمد

الفصل السابع عشر

الدنيا دار المحن ودائرة الفتن * ساكنها بلا وطن واللييب قد
فطن *

(للمصنف) :

من مال إلى الدنيا وصبا	قد أمعن في القاني طلبا
خذ ما يبقى كيلا تشقى	واتبع حقاً ودع اللعبا
وذر الدنيا فلکم قتلت	مكرأ بسهام هوى وصبا
برت ورعت فاذا اجتمعت	خدعت حتى قطعب اربا
يا عاشقها كم قد نصبت	لهلاكك فاحذرهما سيبا
يا آمنها كم قد سلبت	ولداً برأ أمأ وابا
أفأين الجار أما قد جار	فجارته حتى ذهب
أم أين التراب اما تربت	خداه اما سكن الترابا
كم خدت خدأ في الاخدود	وقدت قدأ منتصباً
كم نغر ملتئم ثلثت	قد كان لراشفه ضربا
فسفته المر لدى جدث	وكذاك الدهر اذا ضربا
واتت قصرأ بحوي نصرا	فغدا وقصاراه خربا
ومليکأ في صولة دولته	اضحى في الحفرة مغتربا
عرج بامدار على الآثار	وسل طلالاً امسى شجبا
ينبيک بأنهم رحلوا	وثوى من بعدهم الغربا
بيننا الانسان يرى رأسا	فهوى رأسا فغدا ذتباً
فتأمل عاقبة الدنيا	فلعلک تصبح مجتنباً

وتدبر ما صنعت فلقد أبدت بصناعاتها عجباً
ينساك الأهل إذا رجعوا عن قبرك لا تسمع كذباً
تركوك أسيراً إذ ذهبوا بتراب ضريحك محتجباً
وغدوا فرحين بما أخذوا وغدوت باتمك محتجباً
وترى أعمالك قد حضرت فتنكس رأسك مكتسباً
فكر في الذنب وما احتقبت كفاك عليك وما اكتسباً
كم بت على ذنب فرحاً وغدوت على ذنب طرباً
وعلمت بأن الله يسرى فأسأت ولم تحسن أدباً
فأعد الزاد فما سفر كالموت ترى فيه نصبا
وافق والعمر به رمق فكأن قد فات وقد ذهباً

يا كثير الدرن والدنس ، يا من كلما قيل أقبل انتكس . يا من أمر
بترك ما يفنى لما يبقى فعكس ، جاء الأجل وحديث الأمل هوس ،
يا مؤثراً على الصواب عين الغلط ، يا جارياً في أمره على أقبح نمط
يا مضيعاً وقته المغنم الملتقط ، أي شيء بقي بعد الشمط ؟ ^(١) أنسى
ما سلف لك وفرط ؟ وابوك بزلة واحدة هبط . ما عندك من التوبة
خبر ولا لها فيك أثر . تنوب من الذنب ، فإذا بدا لك بدا لك .

من علم أن عندنا حسن المآب آب ، من خاف الجزاء بما في
الكتاب تاب . من حذر اليم العذاب ذاب ، من سار في طريق الإيجاب
انجاب ، من ذكر فعل الموت بالأب والجد جد ، من تفكر في
مرارة الكأس كاس ، ويحك دع محبة الدنيا . فعابر السيل لا يتوطن
واعجباً تضيع منك حبة فتبكي وقد ضاع عمرك وأنت تضحك ،
تستوفي مكيال هواك وتطفف في كيل صلاتك (ألا بُعداً لِمَدِينٍ) ^(٢)
تقف بيدنك في المحراب ووجهك ملتفت للجراب ، ما يصلح مثلك
في الحرب ، أنت تفضح صف الجهاد ، ما تحسن الزردية ^(٣) على نخث
خمسین سنة في مكتب التعليم وما حذقت ، أبا جاد غداً توبيع وقت
عرض ألواح (ألم نعلمكم) ^(٤) بضاعتك أيام عمرك وقد انتهبها

(٣) الدرع .

(١) بياض الرأس يخالطه سواد .

(٤) سورة فاطر ، الآية ٣٧ .

(٢) سورة هود ، الآية ٩٥ .

قطاع الطريق ، ورجعت إلى بيت الأسف بأعدال فارغة ، فانظر لعله تخلف فيها شيء تعامل به ، فبقية عمر المؤمن لا قيمة له .

سقى لزماننا الذي كان لنا واققرى أبعد ذا الفقر غنى
مر أسرع ما توقع البين بنا واقرب منيتي وما نلت مني

كان فضالة بن صيفي كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه ؟ قالت زعم أنه يريد سفرأ بعيداً وماله زاد .

يا هذا الآخرة دار سكانها الأخلاق الجميلة ، فصادقوا اليوم سكانها لتنزلوا عليهم يوم القدوم ، فإن من قدم إلى بلد لا صديق له به نزل بالعراء ، يا هذا فني العمر في خدمة البدن وحوائج القلب كلها واقفة ، إنهض إلى التلافي قبل التلف ، الكلف يداوى قبل أن يصير بهقاً ، والبهق يلاطف قبل أن يعود برصاً ، أما سمعت في بداية الزلل (إذا مسهم طائف) ^(١) وفي وسطه (كلا بل رآن على قلوبهم) ^(٢) وفي آخره (أم على قلوب أفاولها) ^(٣) أتبكي على معاصيك ؟ والاصرار يضحك ، أتخادع التوبة ؟ وإنما تمكر بدينك :

رأيتُ الناس خداعاً إلى جانب خداع
يعيشون مع الذنب ويكون مع الراعي

ويحك حصل كبريت عزيمة قيع أن تقدح نار توبة وقبل نزول الحرب تملأ الكمانن ويحك ، لا تطمع أن تخرج إلى فضاء قلبك حتى تتخلص من ربقات نفسك ، كيف لم يفتقر إلى الرياضة لإزالة الكدر ؟ من أول غذائه دم الطمث ، لبك على ظلام قلبك يضيء ، إذا بكت السحاب إلى الربى تنسمت .

يا هذا ، تسمع بالكيمياء وما رأيته صبح قط ، إجمع عقاير التوبة في بوتقة العزم ، وأوقد تحتها نار الأسى على ما سلف ، فإن تصعد منها نفس أسف ، صار نحاس نحوسك ذهب سعادة ، أترى في بستاننا اليوم

(٢) سورة محمد ، الآية ٢٤ .

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ .

(٢) سورة المطففين ، الآية ١٤ .

آثم ؟ قد توجه صلاحه ، كأني أشم ريح كبد محترقة ، أي قلب قد
لفحته نار الوجد ؟ ففاح نسيمه ، أحسن منظوم في سلك الإعتذار خرز
الذل ، أحلى نطق يلج سمع القبول الإستغفار ، أطرب كلام يحرك
قلب الرحمة التملق .

يا من بصدودهم لقلبي جرحوا وازداد بي الغرام لما نزحوا
ما جدت بهم وهم بهجري سمحوا هذا المطروح كم ترى يطرح

قال عبدالله بن مرزوق لغلامه عند الموت : إحملني فاطرحني
على تلك المزبلة ، لعل أموت عليها فيرى ذلي فيرحمني .

عودوا وتعطفوا على قلب كئيب لو جيب لبان فيه حزن ووجيب
يدعى للموت في هواكم فيجيب من أمل مثل فضلكم كيف يجيب

المذنب يأوي إلى الذل والبكا كما يأوي الطفل إلى الأبوين ، بكى
أبوكم آدم على تفريطه حتى جرت الأودية من دموعه ، كان كلما
ذكر الجنة قلق ، وكلما رأى الملائكة تصعد ، يحترق تذكر المعاهد
فحن .

والذي بالبين والبعْدُ بلاني	ما جرى ذكر الحمى إلا شجاني
حبذا أهل الحمى من ساكن	شفي الشوق إليهم وبراني
كلما رمت سلواً عنهم	جذب الشوق إليهم بعناني
أحسد الطير إذا طارت إلى	أرضهم أو أقلعت للطيران
اتمني اني أصحابها	نحوهم لو انني أعطى الاماني
لا تزيدوني غراماً بعدكم	خل بي من بعدكم ما قد كفاني
ذهب العمر ولم أحظ بكم	وتقضي في تنبيكم زماني
يا خليلي احفظا عهدي الذي	كتتما قبل النوى عاهدتاني
واذكراني مثل ذكري لكما	فمن الانصاف أن لا تنسياني
وسلا من أنا أهواه على	أي جرم صد غني وجفاني

الفصل الثامن عشر

أيها المشغول بالذات الفانيات ، متى تستعد للممات الممات ؟ متى
تستدرك هفوات الفوات ؟ أنطمع مع حب الوسادات في لحاق السادات ؟
وأنى تجعلك مثلهم ؟ أنى ، وهيهات .

يا مدمن الذات ناس غدرها اذكر تهجم هادم الذات
احذر مكايده فهن كوامن في كرك الانفاس واللمحظات
تمضي حلاوة ما احتقبت وبعده تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم ولو أنهم سيقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر الذنوب لاكثروا الحسرات

يا عظيم الجراءة يا كثير الإنسباط ، ما تخاف عواقب هذا الإفراط ؟
يا مؤثر الفاني على الباقي غلطة لا كالأغلاط ، ألك صبر يقاوم ألم
السياط ؟ ألك قدم يصلح للمشي على الصراط ؟ أيعجبك لباس الصحة ؟
كلا ، وثوب البلا يخاط داء المتون ، داء أعينى على بقراط ، كم رحل
الموت ؟ على غارب اغتراب ، كم ألحق ترباً بالأتراب في سفر التراب ،
إنما الموت مخربق^(١) ليقول ، ومجرمز^(٢) ليغول .

وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

يا شدة الوجل عند حضور الأجل ، يا حسرة الفوت عند حضور
الموت ، يا خجلة العاصين يا أسف المقصرين .

(للحجاج) :

(١) في المثل (مخربق لينباع) أي ساكت لدهاية. (٢) منقبض من أجرمز بتشديد انقبض .

إلى حتفي سعي قلمي أرى قلمي أراق دمي
فما انفك من ندم وهان دمي فها ندمي

إستلب زمانك يا مسلوب ! وغالب الهوى يا مغلوب ! وحاسب
نفسك فالعمر محسوب ، وامسح قبحك فالقيح مكتوب ، واعجباً
لنأثم وهو مطلوب ، ولضاحك وعليه ذنوب .

الا ذكراني قبل أن يأتي الموتُ وبينني بلخثماني بدار البلى بيتُ
وعرفني ربي طريقَ سلامتي وبصرني لكنني قد تعاميت
وقالوا مشيب الرأس يحدو إلى البلى فقلت أراني قد قربت فأذيت

أين الدموع السواجم ؟ قبل المنايا الهواجم ، أين القلق الدائم ؟ للذنوب
القدائم ، أترى أثرت الملاوم ؟ في هذه الأقاوم ، أيها القاعد والموت قائم
أنأثم أنت عن حديثنا أم متناوم ؟ لا بد والله من ضربة لازم ، تفرع لها
سن نادم ، لا بد من موج هول متلاطم ، ينسادي فيه نوح الأسى لا
عاصم ، لا بد من سقم السالم ينسى فيه يا أم سالم .

يا من سينأى عن بنيه كما نأى عنه أبوه
مثل لنفسك قولهم جاء اليقين فوجهوه
وتحللوا من ظلمه قبل الممات وحلوله

يا مؤخرأ توبته بمطل التسويف (لأيّ يوم اجلت) (١) كنت تقول
إذا شئت تبت (فهذهي شهور الصيف عناقد انقضت) قدر ان الموت
لا يأتي إلا بغتة ! أليس مرض الموت ييغت ؟ ، ويحك قد نفذ السليط ،
فاستدرك ذبالة المصباح ، في كل يوم تضع قاعدة إنابة ، ولكن على شفا
جرف هار ، كم تعزم على طاعة وتوبة ، يا ليل الهوى ما تبصر توبة ،
تبيت من العزم في شعار اويس ، فإذا أصبحت أخذت طريق قيس ،
تنقض عرى العزائم عروة عروة ، كل صريع في الهوى رفيق عروة
كم تدفن كثيراً من الاعزة ؟ ، وما يرجع كثير عن حب عزة .

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون
خلق قلبك صافياً في الأصل وإنما كدرته الخطايا ، وفي الخلوة

(١) سورة المرسلات ، الآية ١٢ .

يركد الكدر ، تلمح سبب هذا التكدير ، فما يخفى الحال على متلمح ،
كنت مقيماً في دار الإنابة نظيفاً ، فسافرت في الهوى فعلاك وسخ ،
أفلا تحن إلى النظافة ؟ ، ألا يحرك البدوي ذكر نجد ؟ ،

طال مرضك واليوم بحران ، أتدري ما البحران ، تجتمع القوة
والمرض فيختصمان ، فإن تحلبته جاءت العافية ، وإن تحلبها فالهلاك ،
هذه ساعة بحرانك ، والعقل يقاوم الهوى ، فانظر من يغلب ؟ ، واعجباً
كيف يستأسر أسد للعلب ؟ يا مستهاناً في خدمة النفس ، أخرج إلى
ديار القلب تعز ، الفيلة في الهند عوامل تنقل رجال القوم وتخدمهم ،
فإذا خرجت إلى من يعرف قدرها . أكرمت ، العود في بلاده خشب ،
فإذا سوفر به إلى طالب الطيب أعز ، تفاح اصبهان في بلسه فاكهة ،
فإذا جيء به إلى العراق ، دل على الطبايع اللطيفة بريجه الفهد في الصحراء
بهيمة ، فإذا وقع بيد من يعرفه ، غضب فيترضى ، البازي في البرية
طائر ، فإذا صيد فسريره كف الملك .

يا مختار الكون وما يعرف قدر نفسه ، أما أسجدت للملائكة بالأمس
لك ؟ وجعلتهم اليوم في خدمتك ، لما تكبر عليك إبليس ، وقد عبدني
سنين طردته ، أفنصافيه على خلاني ؟ (أفتخذونه وذريته أولياء من
دوني) (١) أنا القائل قبل وجود أهلك للملائكة (إني جاعل في الأرض
خليفة) (٢) اطلعوا من خوفاك تعبدكم ، فانظروا ما أصنع ؟ ، أخذت
قبضة من تراب ، فصبيت عليها قطرات من ماء (مرج البحرين يلتقيان) (٣)
قال التراب والماء : وأي قدر لنا ؟ فنزل دار تواضعهما عزيز . (ونفختُ
فيه من روحي) (٤) فانضم صدف بحر البدن على در القلب ، فانعقد
فصار عرشاً لصفة « ويسعي » .

خلا المثقف بالطفل داخل البيت ، فسطر في لروح سره العلم
(كتبت في قلوبهم الإيمان) (٥) وأخرجه يوم التخير وقد حذق المكتوب
(فقال أنبئهم بأسمائهم) (٦) ثم قيل له ، لا يحتمل موضع الخلع ،

(١) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ١٩ .

(٤) سورة الحجر ، الآية ١٩ وص ٧٢ .

(٥) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .

وجود ذر البذر ، فاخرج إلى عالم الطبع ، أكلت يا دودة القز ، فاذهبي إلى الغزل ، وتشاغلي بالنسج ، فتزل إلى دار المجاهدة ، فظهر من ثمرة شجرته ، صبر الخليل ، وثبوت الذبيح ، وجهاد يوسف ، وكمال محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء أولياء في هذه الدولة ، فخرجت عند زهدهم الرهبة ، لا بل سبقوا تعبد الملائكة ، قال سري : ما فاني وردقط فقدرت على إعادته ، وذلك أن الزمان الذي مضى فيه وظيفة أخرى .

ما لي شغل سواء ما لي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذل
ما اصنع ان جفا وخاب الامل مني بدل ومنه ما لي بدل

كانت رابعة العابدة ، تقوم من أول الليل ، وتقول :

قام المحب إلى المؤمل قومه كاد الفؤاد من السرور يطير
فإذا انقضى الليل ، صاحت : واحرباه ، واسلباه .

ذهب الظلام بأنسه وبالفه ليت الظلام بأنسه يتجدد
دخلوا على زجلة العابدة ، فكلموها في الرفق بنفسها ، فقالت : والله
لا صلين لله ما أقتلني جوارحي ، ولأصومن له أيام حياتي . ولأبكين
ما حملت الماء عيناى .

لا أقبل نصحكم فخلوا عني ما أعذب في الغرام طعم القتل
ان ظل دمي فكم محب مثلي قد ضرج باللاحظ لا بالنبل

أين أنت والاحباب ؟ ، كم بين القشور واللباب ؟

(لصدر) (١) :

هل مدلج" عنده من مبكر خبر وكيف يعلم حال الرائع الغادي
يا معجباً بتعبده . تأمل فضائل السابقين . وقد هدرت شقاشق كبرك

(١) من قصيدة له يمدح فيها الوزير ابن جهير : أنظر الديوان ص ١٠٥ .

النظر في سيرهم قرظ (١) يخفف عفن الرعونة، مضى والله هل المعاني،
وتخلف أرباب الدعاوي .

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
نادبت وفي حشاشتي نيران يا قوم متى تحول السكان

(١) ورق السلم يديغ به الأديم .

الفصل التاسع عشر

عجباً لراحل مات وما تزود للرحلة ، ولمسافر ماج وما جمع للسفر
رحلة ، ولنتقل إلى قبره لم يتأهب للنقلة ، ولمفرط في أمره لم يستشر عقله .

(لصردر)^(١) :

لا مربة في الردى ولا جدل	العمر دين قضاؤه الاجل
للمرء في حنف أنفه ^(٢) شغل	فما تريد السيوف والاسل ^(٣)
يفرى الدجى والضحي بأسلحة	سيان فيها الدروع والحلل
كأس أدبرت ^(٤) على لذاذتها	عدل فيها الزعاف ^(٥) والعسل
كل إلى غاية يصير ولا	تميز الا الاسراع والمهل
والناس ركب يهون حثهم	ولا يسرون انهم نزل
وسوف تطوى مسافة ذمكت ^(٦)	بقاطعيها ركائب ذل
كيف يعد الدنيا له وطناً	من هو عنها ينأى ويتقل
نسحو بأعمارنا ونبخل با	لماك فتب السخاء والبخل
أضاع راقى الداء العضال كما	ضيع في سمع عاشق عدل

(١) قاله يعزى أبا القاسم بن أيوب عن زوجة أبيه أبي المعالي بن عبد الرحيم . أنظر ديوانه
طبع دار الكتب المصرية ١٣٥٣ .

(٢) في الأصل نفسه والتصحيح من الديوان ص ١٤٥ .

(٣) الرماح .

(٤) في الديوان « أدبرت » .

(٥) السم القاتل .

(٦) سارت الذيل وهو ضرب من السير .

ولو نجما الهائب الجبان من الموت (١) نجما في (٢) اقدامه البطل
 ما اسلموا هذه النفوس إلى الاجداث الا اذ ضاقت الحيل
 ضرورة ذلت القُروم لها وقد تقود المصاعب الجدل (٣)
 ومن حذار تبوأ الكدية (٤) الضب وأوفى الشواقي السوعل
 يقاد في عزه الخبثنة (٥) الضا ري ويدهي في ذله الجُعَلُ
 وهل يردُّ الاحباب ان ظعنوا (٦) على محب أن يندب الطلل

أخواني ، مر الاقران على مدرجة ، وخيول الرحيل للباقيين مسرجة
 سار القوم إلى القبور همامجة وباتت ارواح من الاشباح مستخرجة ،
 إلى كم هذا التسوييف والمجمجة ؟ بضائعكم كلها بهرجة ، وطريقكم
 صعبة عوسجة ، وستعرفون الخير وقت الحشرجة .

يا من قد ساخ في اوساخ ، إلى كم تملى ؟ تعبت النساخ ، يا من
 ضيع الشباب ، وما يسمع العتاب وقد شاخ ، بادر صبابة القوى ،
 فاستدرك باقي الطباخ ، وتأهب للرحيل فما هذه الدنيا بمناخ ، كم بات
 مزمار في بيت فأصبح فيه الصراخ ، أين من حصن الحصون واحترس
 وعمر الحدائق واحترس ، ونصب سرير الكبر وجلس . وظن بقاء للنفس
 فخاب الظن في نفس ، نازله الموت ، فلما أنزله عن ظور القوس فرس ،
 ووجه وجهه إلى ديار البلى فانطمس . وتركه في ظلام ظلمة بين
 العيب والدنس ، فالعاقل من بادر الندامة ، فإن السلامة خلس .

(لابن المعتز) :

الا من لقلب في الهوى غير منته وفي الغي مطواخ وفي الرشد مكروه
 أشاوره في توبة فيقول لا فان قلت تأتي فتنة قال: اين هي؟

(١) في الديوان « الحنف » .

(٢) في الديوان « تحامي » بدل من نجما في .

(٣) جمع جديل وهو الحبل المجدول من ادم .

(٤) الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها حجراً .

(٥) الأسد .

(٦) في الديوان « رحلوا » .

سابقة القدر قضت لقوم بدليل (سبقت لهم) ^(١) وعلى قوم بدليل (غَلَبَتْ عَلَيْنَا) ^(٢) تلقيح (سبقت) نور قلوب الجن (فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبا) ^(٣) وخذلان (غلبت) أعني بصائر قریش (فقالوا أساطير الأولين) ^(٤) إذا هزت صوارم القدر ، تقلقت رقاب المارين غضب على قوم فلم تنفعهم الحسنات ، ورضي عن قوم فلم تضرهم السيئات ، ما نفعت عبادة إبليس ، ولا ضر عناد السحرة .

هبت عواصف الاقدار في بيضاء الاكوان ، فنقلت الوجود وعم الخبر . فلما ركدت الريح ، إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، وأبو جهل في رقدة المخالفة ، وبلال ينادي الصلاة خير من النوم ، لما قضيت في القدم سلامة سلمان ، أقبل يناظر أباه في دين قد أباه ، فلم يعرف أبوه جواباً إلا القيد ، وهذا الجواب المرذول قديم من يوم (حرقوه) ^(٥) فنزل به ضيف (ولنبلونكم) ^(٦) فقال بإكرامه مرتبة (سلمان منا) سمع أن ركباً على نية السفر ، فسرق نفسه من حرز أبيه ، ولا قطع ، فوقف نفسه على خدمة الأذلاء وقرف الأذلاء ، فلما أحس الرهبان بانقطاع دولتهم ، سلموا إليه أعلام الأعلام على علامات نبينا ، وقالوا أن زمنه قد أظل فاحذر . أن تضل ، وأنه يخرج بأرض العرب ، ثم يهاجر إلى أرض بين حرتين ، فلو رأيتموه قد فلى الفلا والدليل شوقه ، وخلى الوطن خلاء يزعجه توقه .

(لابي العلاء المعري) :

وابغضت فيك النخل والنخل يانع واعجبتني من حبك الطلع والفضال
واهوى لجراك السماوة والغضا ولو ان ضيفيه وشاة وعذال

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠١ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٦ .

(٣) سورة الجن ، الآية ١ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٦٨ .

(٦) سورة محمد ، الآية ٣١ .

رحل مع رفقة لم يرفقوا (فشره بئمن بنس) (١) فابتهاعه يهودي
بالمدينة ، فلما رأى الحرّتين توقد خرو شوقه . وما علم المنزل بوجود
النازل .

(للمتنبى) : (٢)

أيدري الرّبع أيّ دم أراقا ؟ وائيّ قلوب هذا الركب شاقى
لنا ولأهله أبداً قلوب تلاقي في جسوم ما تلاقى

فبينما هو يكابد ساعات الإنتظار : قدّم البشير بقدوم البشير
وسلمان في رأس نخلة ، فكاد القلق يلقيه ، لولا أن الحزم أمسكه . كما
جرى يوم (أن كادت لتبدي به) (٣) ثم عجل النزول ، ليلقى ركب
السيارة .

خليلي من نجد قفا بي على الرّبي فقد هب من تلك الرسوم نسيم
فصاح به المالك : مالك ولهذا ؟ إنصرف إلى شغلك ، فأجاب لسان
وجده ،

(كيف انصرفني ولي في داركم شغل)

فأخذ يضربه ، فأخذ لسان حاله يترنم : لو سمع الاطروش .
خليلي لا والله ما أنا منكما اذا علم من آل ليلى بداليا
فلما لقي الرسول عرض نسخة الرهبان بكتاب الأصل ، فوافق
ووافق ، يا محمد أنت تريد أبا طالب ونحن نريد سلمان ، أبو طالب
إذا سئل عن إسمه ، قال عبد مناف ، وإذا انتسب افتخر بالاباء ، وإذا
ذكرت الأموال عد الإبل ، وسلمان ، إذا سئل عن إسمه قال عبدالله
وعن نسبه ، قال ابن الإسلام ، وعن لباسه قال التواضع ، وعن طعامه

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٠ .

(٢) أنظر ديوان شعره ص ٢٧٨ .

(٣) سورة القصص ، الآية ١٠ .

قال الجوع ، وعن شرابه قال الدموع ، وعن وساده قال السهر ، وعن
فخره قال « سلمان منا » ، وعن قصده ، قال (يريدون وجهه) (١) .

(للشبلي) :

ان بيتاً أنت ساكنه	غير محتاج إلى السرج
وعليلاً أنت زائره	قد آناه الله بالفرج
وجهك المأمول حجتنا	يوم يأتي الناس بالحجج

(١) سورة الانعام ، الآية ٥٢ .

الفصل العشرون

يا من يمشي على ظهور الحفر ، ويرى السابقين إلى بيوت المدر ،
لو اصغى سمع التدبير ، سمع العبر ، كفى بالموت واعظاً يا عمر^(١) .
لأبي العتاهية^(٢) :

وعظمتك أجداثٌ ضمت ونعتك أزمنة خفت^(٣)
وتكلمت عن أعظم تبلى وعن صور شتت^(٤)
وارتك قبرك في القبور وانت حي لم تمّت

يا سادراً في سكر سروره ، يا سادلاً ثوب غروره ، كأنك بك
قد اقتعدت غارب الغربية ، واستبدلت بالاثواب التربة ، سيقسم مالك
من لا يحمدك ، وستقدم على من لا يعذك ، غداً يرجع الحبيبان عنك ،
حبيبك من أهلك يقسم حبيبك مسن مالك ، وأنت في قفر الفقر إلى ما
أسلفت ، تبكي على ما خلفت ، بين أناس كلهم أسير الفرق ، وجميعهم
على مهاد القات .

محلة سفر كان آخر زادهم إليه متاع من حنوط ومن خرق
إلى منزل سوى البلى بين أهله فلم تستب فيه الملوك من السوق
إلى متى تبقى بدائك ؟ أهذا الذي تفعله برائك ؟ لقد حل فناؤك
بفنائك ، وأخبر انتقاض بنائك بنمائك ، وأن وراءك طالباً لا تفوته ،

(١) كفى بالموت واعظاً : حديث ضعيف جداً ، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة
والموضوعة للألباني ٥٠٢ .

(٢) أنظر ديوان شعره ص ٧٨ - ٧٩ ، وروى المسعودي هذه الأبيات في مروج الذهب
٣ ذكر خلافة هارون الرشيد .

(٣) في الديوان « فيهن أجساد سبت » .

(٤) في الديوان « وتكلمت لك بالبل منهن أسنة صمت » .

وقد نصب لك علم لا تجوز ، فما أسرع ما يدركك الطالب ، وما أعجل ما تبلغ العلم ، أخواني ، هذا الموت غداً ، يقول الرحيل غد ، كيف بكم إذا صاح إسرافيل ؟ في الصور بالصور ، فاسمع العظام البالية تحت المدر ، فاجتمعت من بطون السباع ، وحواصل الطير ، فقامت تبكي على فوات الخير ، وسار الخلائق كلهم حفاة عراة ، كل منهم مشغول بما عراه ، وقد رجت الأرض وبست الجبال ، وذهلت العقول وشاب الاطفال .

أيا نفس حقلك ان تجزعي ويا عين اياك أن تهجمي
ويا أذني ان دعاك الهوى فاياك اياك أن تسمعي
وبالله يا جفن عيني القريح ضرج بفيض الدما أدمعي
وياكل جارحة لي عليك حفظ فابكي ونوح معي
يسير بنا الدهر من موضع ترحل عنه إلى موضع
إلى حيث لا العين فيه ترى ولا الاذن ان خاطبوها تعي
فيا ويلنا من طريق هناك طويل بعيد المدى مسبع

يا أهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على العقوبة ؟ (كلا إنها لَطَيَّ) ^(١) إذا شاهدت من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين (تكادُ تَمَيَّزُ من الغيظ) ^(٢) من أراد أن ينجو منها فليتب (من قبل أن يتماسا) ^(٣) كيف أمن العصاة ؟ (ومن منكم إلا واردها) ^(٤) كيف نسوا غب الزلل ؟ (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ^(٥)

أخواني ، مثلوا أهل الجنة (يوم نحشر المتقين) ^(٦) (ونورهم يسعى بين أيديهم) ^(٧) ومعهم توقيع (لا خَوْفٌ عليهم) ^(٨) فلما

(١) سورة الماعج ، الآية ١٥ . (٥) سورة الزلزلة ، الآية ٨ .

(٢) سورة الملك ، الآية ٨ . (٦) سورة مريم ، الآية ٨٥ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية ٣ . (٧) سورة الحديد ، الآية ١٢ .

(٤) سورة مريم ، الآية ٧١ . (٨) سورة يونس ، الآية ٦٢ .

وصلوا إلى الجنان (وفتحت أبوابها) ^(١) وبدأهم الخزنة (سلام عليكم طيتم) ^(٢) وبشروهم بالبقاء الدائم (فادخلوها خالدين) ^(٣) وقرأت الاملاك من سجل الاملاك مبلغ الثمن (بما صبرتم) ^(٤) وجميع المرادات داخلة في إقطاع (ما تشتهي أنفسكم) ^(٥) وقد استرجع في الميزان (ولدينا مزيد) ^(٦) وأتم التمام (وما هم منها بمخرجين) ^(٧)

وهذا السرور بتلك الكرب وهذا النعيم بذاك التعب

ويحك ميز بعقلك وحسك بين الدارين ، واحضر الذنب والعقاب والمح العاقبتين ، هذا الحيوان البهيمي ينظر في العواقب الإبل يأكل الحيات فيشتد عطشه فيحوم حول الماء ولا يشرب لعلمه أن الماء ينفد السموم إلى أماكن لا يبلغها الطعام ، ومن عادته أنه يسقط قرنه كل سنة وهو سلاحه فيختفي إلى أن ينبت ، هذه الحية ، تختفي طول الشتاء بالارض ، فتخرج وقد عشى بصرها ، فتحكه بأصول الرازايا نجل لانه يزيل الغشا ، هذا الفهد إذا سمن علم أنه مطلوب وشحمه يمنعه من الهرب فهو يستر نفسه إلى أن ينحل الشحم ، هذه النملة تدخر في الصيف للشتاء ، فإذا خافت عفن الحب أخرجته إلى الهواء فإذا حذرت أن ينبت نقرت موضع القطمير ^(٨) .

أسمعت يا مقطوع الحيلة ؟ متى تدخر من صيف قوتك إلى شتاء عجزك ؟ هذه السمكة إذا حبستها الشبكة جمزت بكل قوتها لتقطع الحابس ، لو نهضت بقوة العزم لانخرقت شبكة الهوى ، إذا مد النهر لغتنت ذلك المد الزنابير ، فبنت منه بيوتاً لانه لا يصلح لها غيره ، مد بحر الشباب وما بنيت بيت جد ، فحدثني ما الذي تصنع في القحل ؟ إن فاتك زمن المد ، فمد اليد للسؤال حيلة المفلس .

(١) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٥) سورة فصلت الآية ٣٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٦) سورة ق الآية ٣٥ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٧٣ . (٧) سورة الحجر الآية ٤٨ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٤ . (٨) الشق في الحبة والنواة .

يا محصراً عن الوصول لا يجزيه الهدى ، يا منقطعاً في الطريق عن
جملة الوفد ، تحامل إلى بعض خيم أهل الوصل ، واشهد على وصيتك
ذوي عدل ، وناد في النادي بصوت الذل .

إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا نحية من قد ظن ان لا يرى نجداً
وابسط في الدجى يد الطلب ، فأطيب ما أكل الرجل ، من كسب
يده ، وقل بلسان التملق .

أحبابنا انا ذاكم العبد الذي راعيتموه ناشئاً ووليداً
حالت به الأحوال بعد فراقكم فرمي بأسرته وجاء فريداً

إذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك فاستعمل أخلاق
الاطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئاً فلم يعطه يكن عليه .

بلغ المنى من حل في وداي منى غيري فاني ما بلغت مرادي
وبكيت من الم الفراق وشقوتي فبكي الحجيح بأسره والوادي

يا من قد نزلت به بلية الطرد ، تروح إلى حديث المناجاة وإن لم
تسمع منك ، وابعث رسائل الاحزان مع رياح الاسحار وأو لم تصل .

يا نسيم الشمال بلغ خطابي واشف مني الجوى بحمل الجواب
طففت بساحات ذلك الربع واحمل ذرة من تراب ذاك الجناب
قل لمولاي يا منى الروح والقلب ومن فيه ذلتي وانتحابي
كنت اخشى الوشاة فيك ولكن جفوة الحب لم تكن في حسابي

الفصل الحادي والعشرون

يا ساعياً لنفسه في المهالك ، ذنا الرحيل ونضو^(١) النقلة بارك ،
متى تذكر وحشتك بعد إيناسك ؟ متى تقتدي من ناسك بناسك ؟ كأنك
بك قد خرجت عن أهلك وولدك ، وانفردت عن عدوك وعددك ،
وقتلك سيف الندم ولم يدك^(٢) ، ورحلت ولم يحصل بيدك إلا عض
يدك .

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى	ولم تر في الباقين ما يصنع الدهر
فان كنت لا تدري فتلك ديارهم	عماها مجال الريح بعدك والقطر
على ذاك مروا أجمعون وهكذا	يمرون حتى يستردهم الحشر
فحاتم لا تصحو وقد قرب المدى	وحتام لا ينجاب عن قلبك السكر
بل سوف تصحون حين ينكشف الغطا	وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر

يا من يذنب ولا يتوب ، كم قد كتبت عليك ذنوب ؟ خل الامل
الكنوب ، قرب شروق بلا غروب ، وآسفني أين القلوب ؟ تفرقت
بالموى في شعوب ، ندعوك إلى صلاحك ولا تؤوب ، واعجباً الناس
ضروب ، متى تنته لخلاصك أيها الناعس ؟ متى تطلب الاخرى يا من على
الدنيا ينافس ؟ متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن موانس ؟ يا من قلبه
قد قسا وجفنه ناعس ، يا من تحدثه الاماني دع هذه الوسواس .

أين الجبابة الاكاسرة الشجعان الفوارس ، أين الاسد الضواري
والظباء الكوانس ، أين من اعتاد سعة القصور حبس من القبور في

(٢) لم يؤد ديتك .

(١) النضو : المهزول من الإبل .

أضيق المحابس ، أين الرافل في أثوابه عرى في تراهه عن الملابس ، أين
الغافل في أملة عن أجله سلبه كف المخالس ، أين حارس المال ، أخذ
المحروس وقتل الحارس .

يا مضمراً حب الدنيا إضمار الحمل الحمود ، نبعث منقاش اللوم
وما يصل إلى شظايا المحبة ، الدنيا جيفة قد أراحت ومزكوم الغفلة ما
يدري ، سوق فيها ضجيج الهوى ، فمن يسمع المواعظ .

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقبيح

إذا أردت دواء حبها فما قل في الشربة صبر ، انفرد في صومعة
الزهد ، واحفر خندق الحذر ، وأقم حارس الورع ، ولا تطلع من خوخة
مسامحة فإن البغي في الفتى صناع .

(لصردر) : (١)

النجاء النجاء من أرض نجد قبل أن يعلق الفؤاد بوجد
كم خلى غدا إليه وامسى وهو يهوى بعلوة وبهند

حصن حصن التقى بسور القناعة ، فإن لص الحرص يطلب ثلثة ،
غريم الطبع متقاض ملح ، والشره شرك ، وخمار المني داء قاتل ، بينا
الحرص يمد وتر الامل انقطع ، هل العيش إلا كأس مشوبة بالكدر
ثم رسوها الموت (فابتغوا عند الله الرزق) (٢) .

قال محمد بن واسع لو رأيتم رجلاً في الجنة يبكي ، أما كنتم تعجبون ؟
قالوا بلى ، قال فاعجب منه في الدنيا رجل يضحك ولا يدري إلى ما
يصير ؟ ، ضحك بعض الصالحين يوماً ثم انتبه لنفسه فقال : تضحكين ؟
وما جزت العقبة ، والله لا ضحككت بعدها ، حتى أعلم بماذا تقع الواقعة ؟
يا نسيم الشمال بالله بلسغ ما يقول المتيم المستهم

(١) قاله في مدح أبى القاسم بن رضوان انظر ديوانه ص ١٣١ .

(٢) سورة النكبات ، الآية ١٧ .

قل لاجابنا فداكم محب ليس يسلو ومقلة لا تنام
كل عيش ولذة وسرور قبل لقيامكم على حرام

فرغ القوم قلوبهم من الشواغل ، فضربت فيها سرادقات المحبوب ،
فأقاموا العيون تحرس تارة ، وترش الارض أخرى ، هيهات هان سهر
الحراس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك .

(لابن المعتز) :

أيها الملك الذي سهري فيه كطعم الرقاد بل هو احلى
غرضي ما يريده بي حبيبي لو سقاني مهلا لما قلت مهلا
لست أدري أطل ليلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
ان للعاشقين في قصر الليل وفي طوله عن النوم شغلا
لو تفرغت لاستطالة ليلى أو لرعي النجوم كنت مغلا
وغرام الفؤاد مذ غبت عنه لم يحل عن هواك حاشي وكلا

قلوب العازفين ، مملؤة بذكر الحبيب ، ليس فيها سعة لغيره .

قد صيغ قلبي على مقدار حبهما فما لحب سواهم فيه متسع
إن نطقوا بذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، وإن فرحوا فلقربه ، وإن
ترحوا فلعنته .

والله ما طلعت شمس ولا غربت الا وانت منى قلبي ووسواسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم الا وانت حديثي بين جلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش الا رأيت خيالا منك في الكاس

أقواتهم ذكرى الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب ، لا يصبرون
عنه لحظة ، ولا يتكلمون في غير رضاه باقظة .

حياتي منك في روح الوصال وصبري عنك من سلب المحال
وكيف الصبر عنك وأي صبر لعطشان عن الماء الزلال

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

كم تدرس أخبارهم وما تدرس ، لئن طواهم الفناء لقد نشرهم
الثناء ، لو سمعتهم في الدجا يعجون ، لو رأيتهم في الاسحار يضجون ،
لولا نسائم الرجاء كانوا ينضجون .

ما لي عن وصلك اصطبارُ	إليك من هجرك الفرارُ
أصبحتُ ظمآنٌ ذا جفون	مياه أخلافها غزار
أرومُ كتمان ما الآتي	وبالأماني له اشتهار
ومن نسيم الصبأ اذا ما	هبت على أرضكم اغار
آه لذكرى ديار سلمى	لا أجديت تلکم الديار
لهفي لعيش بها تولى	نظير أيامه النضار
اذ اعين الدهر راقدات	وفي غصون الهوى ثمار

الفصل الثاني والعشرون

أيها الحاطب على أزره ^(١) ، وزراً وآثاماً : تنبه ترى الدنيا أحلى ما كانت أحلاماً ، كم نكس الموت فيها أعلاماً أعلى ما ^(٢) ، كم أذل بقهره أقواماً أقوى ما ^(٣) لا كان مفتاح أمسى له الموت ختاماً .

مَنْ على هذه الديار أقاما أو صفا ملبس عليه فداما
عج بنا نندب الذين تولوا باقتياد المنون عاماً فعاما
تركوا كل ذروة من اشم يحسر الطرف ثم حلوا الرغاما
يا لحا الله مهملًا حسب الدهر نؤوم الجفون عنه فناما
هل لنا بالغين كل مراد غير ما يملأ الضلوع طعاما
واذا اعوز الحلال فشل الله كفا جرت إليها حراما

التبعات تبقى واللذات تمر ، وغب الارى وإن حلا فهو مر ،
وكأن قد عوى في دار العواني ذئب الضر . وما يلهي شيء من الدنيا
ويسر إلا يؤذي ويضر ، وقد بانت عيوبها : فليس فيها ما يغر وإنما
يعشتمها الجهول ويأنف منها الحر .

تذل الرجال لاطماعها كذل العبيد لاربابها
ولا تجنن ثمار المنى فتجنى الهوان بأعقابها

أخواني ، ربما أورد الطمع ولم يصدر ، كم شارب شرق قبل
الري ؟ ، من أخطأته سهام المنية قيده عقال الهرم . ألا يتيقظ العاقل

(١) الظهر . (٢) أراد اعلى ما تكون .

(٣) أراد أقوى ما تكون . وفي الفقرتين مع الجناس اللفظي اكتفاء .

بأضرابه ، ألا يتبه الغافل باوصابه ، أيسلم والرامي تحت ثيابه ؟ يا مريضاً
أتعب الاطباء ما به ، كأنك بالدنيا التي تقول مرحباً قد حلت الحبي
وتفرقت تفرق أيدي سبا .

ويحك أخوك من عذلك لا من عذرك ، صديقك من صدقك لا
من صدقك ، ويحك من يطربك يطغيك ، وما لا يعنك يعنك ،
تنوب صباحاً فإذا أمسيت تحول وتقول ، وتقول غير أنك تنقض ما
تقول ، وتتلون دائماً كما تتلون الغول .

يا عبد الهوى ، إن دعا أمنت وإن ادعى آمنت ، كم قال لك
الهوى وسمعت ، أنا مكار وتبت ، والله لقد افتك ^(١) أضعاف
ما أفدتك ، ولقد أعذر من أنذر ، وما قصر من بصر ، لما رأى المتيقظون
سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الامل لاربابها لجأوا إلى حصن الزهد ،
كما يأوي الصيد المذعور إلى الحرم ، لاح لهم حب المشتهي ، فلما مدوا
إليه أيدي التناول بان لابصار البصائر ، خيط الفخ فطاروا بأجنحة
الحذر ، وصوتوا إلى الرعيل الثاني (يا لَيْتَ قومي يَعْلَمُونَ) ^(٢)
جمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمروا في سواء السبيل ، فالتاس في
الغفلات وهم في قطع الفلاة (تلك أمة قد خَلَتْ) ^(٣) لو رأيت
مطايا أجسامهم ، وقد اذا بها السرى فتي تحن مما تحن فتبكي الحداد .

(للمصنف) :

حنتُ فاذا كنتُ لوعتي حنيناً	اشكو من البين وتشكو البينا
قد عاث في أشخاصها طولُ السرى	بقدر ما عاث الفراقُ فينا
فخلها تمشي الهوينا طال ما	أضحت تباري الريح في البرينا
وكيف لا نأوي لها وهي التي	بها قطعنا السهل والحزونا
ان كن لم يفصحن بالشكوى لنا	فهن بالارزام يشتكيننا
قد اقرحت بما تحن كبدي	ان الحزين يسعد الحزينا
وقد تياسرت بهن جائساً	عن الحمى فاعدل بها يمينا

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٤ ، ١٣١ .

(١) أي اضممت منك .

(٢) سورة يس ، الآية ٢٦

يقول - صبحي أترى آثارهم نعم ولكن لا أرى القطينا
لو لم تجد ربوعهم كوجدنا للبين لم تبل كما بلينا
أكلما لاح لعيني بارق بكت فابدت سرى المصونا
لا تأخذوا قلبي بذنب مقلتي وعذبوا الحائن لا الأميना

دارت قلوب القوم في دائرة الخوف ، دوران الكرة تحت الصولجان
فهاموا في فلول القلق ، فمن خايف مستجير ، ومن واحد يقول ، ومن
سكران ييث .

إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

طالت عليهم بادية الرياضة ، ثم بدت بعدها الرياضة ، استوطنوا
فردوس الانس في قلة طور الطلب .

شقيننا في الهوى زمناً فلما تلاقينا كأنا ما شقيننا
سخطنا عندما جنت الليالي فما زالت بنا حتى رضىنا
فمن لم يحبى بعد الموت يوماً فانا بعد ما متنا حيننا

وقفت على قبر بعض الصالحين فقلت : يا فلان ، بماذا نلت تردد
الاقدام إليك ؟ فقال : أقدمت على رد الهوى بلا تردد ، فترددت إلى الاقدام ،
كان عطر إخلاصي خالصاً فعبق نشره بالارواح .

(للمهيار) : (١)

جرت مع الرسم لي محاورة فهمت منها ما قاله الرسم
هل لك بالنازلين أرض منى يا عليم الشوق بعدنا عليم

أدلج القوم طول الليل في السرى ، وخافوا عوز الماء فتمموا المزاد
بالبكاء .

سلوغيرطرفي ان سألتهم عن الكرى فما بلحفون العاشقين منام

(١) من قصيدة كتبها إلى الأستاذ أبي طالب بن أيوب ، أنظر ديوان شعره ٤ / ٢٢ - ٢٧ .

سكن الخوف قلوبهم فإذا بها ، فإذا بها في محلة الامن ، نحلوا المعرفة
فتحلوا فعمر قصر القلب للملك ، وقنعت الحراشي في القاع بالحليم .
وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطناها
يا هذا ، سرادق المحبة لا يضرب إلا في قاع فارغ نزه « فرغ
قلبك من غيري ، اسكنه » .

(٢ للشريف الرضى) : (١)

تركوا الدار ^(٢) فلما	نزلوا القلب أقاموا
يا خليلي اسقياني	زمن الوجد مدام ^(٣)
وصفاً لي قلعة الركب	ولليل مقام
ومنيّ أينَ منيّ	منيّ لقد شط المّرام
هل على جمع نزول	وعلى الخيف خيام

بحق لا بد أن المحبين تنوب ، ولسماء أعينهم تهمني وتنصوب ،
لو حملوا جبال الارض مع كر الكروب ، كان ذلك قليلاً في حب
المحجوب .

(لابن المعتز) :

رأى خضوعي فصداً غني	فازددتُ ذلاً فزادتها
قلت له خالياً وعيني	قد أحرقت الدمع ما يليها
هل لي في الحب من شبيه	قال : وابصرت لي شبيهها

(١) كتب به إلى الملك قوام الدين ينتجز وعداً له عليه عام ٣٩٧ ، أنظر الديوان ٢ / ٢٨٢ .

(٢) في الديوان « بدلوا الدور »

(٣) في الديوان « سقام » .

الفصل الثالث والعشرون

أخواني . شمرُوا عن سوق الدأب في سوق الادب ، واعتبرُوا
بالراجلين وسلُوا السلب قبل أن يفوت الغرض بالمرض إن عرض
فكأنكم بمبسوط الامل قد انقبض ، وبمشيد المني قد انتفض .

يا ساكن الدنيا تأهّبْ	وانتظر يوم الفراق
واعد زاداً للرحيل	فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب يا دمع	تنهل من سحب المآق
يا من اضاع زمانه	أرضيت ما يفني بياق

أين عزائم الرجال ؟ ، أين صرائم الابطال ؟ ، تدعي وتتناني ،
هذا محال .

اشتاقكم ويحول العزم دونكم فادعي بعدكم غني واعتذر
واشكى خطراً بيني وبينكم وآية الشوق أن يستصغر الخطر

إن هممت فبادر ، وإن عزمت فتأبر ، واعلم أنه لا يدرك المفاخر
من رضي بالصف الآخر . قال عمر بن عبد العزيز : خلقت لي نفس
توافة ، لم تزل تتوق إلى الإمارة ، فلما نلتها تآقت إلى الخلافة ، فلما
نلتها تآقت إلى الجنة .

(لابي فراس) :

أرى ان داراً لست من أهلها فقر	بدوت واهلي حاضرون لانني
إذا لم يفر عرضي فلا وفر الوفير	وما حاجتي في المال ابغي وفوره
فقلت هما امران احلاهما مر	وقال أصبحابي القرار أو الردى

سيدكرني قومي اذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدر
ولو سد غيري ما سددت اكفوا به وما كان يغلو الثبر لو نفق الصبر
ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحساء لم يغله المهر

لابتليت الهمم العالية بهشق الفضائل ، شجر المكاره يثمر المكارم ،
متى لاحت الفريسة قذفت الغابة السبع ، إذا استقام للجواد الشوط لم
يحوج راكبه إلى السوط ، من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسهم ،
ضرب مع الشجعان يوم القسمة بسهم ، من اشتغل بالعمارة استغل
الخراج ، إذا طلع نجم المهمة في ظلام ليل البطالة ثم ردفه قمر العزيمة
(أشرقت الارض بنور ربها) ^(١) يا طالباً للبدعة أخطأت الطريق ، علة
الراحة التعب ، إن لم تكن أسداً في العزم ولا غزالاً في السبق فلا
تثعلب ، يا هذا الجدد جناح النجاة وكسلك مزمز من كد كد
العبيد تنعم تنعم الاحرار ، من امتطى راحلة الشوق لم يشق عليه بعد
السفر .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

يا هذا ركائب الرحيل قد أنيخت بالجناب ولم تنخرج ، وناقد
البائع قائم على الباب ونقدك بهرج ، كيف يلحق السابقين كسلان
أعرج ؟ ، لو تنقلت على عيطموس ^(٢) العزم وهو جاء ^(٣) الطلاب
وبميسجور ^(٤) القصد ، وجعلباة ^(٥) السير ، وشمعلة ^(٦) الجدد ،
ووصلت الديجور بالضحي لانقطعت الديمومة القذف ، ولكنك استوطأت
مهاد الكسل ولابر النحل دون العسل .

قل لبعض أهل الرياضة : كيف غلبت نفسك ؟ ، فقال : قمت
في صف حربها بسلاح الجدد ، فخرج مرحب الهوى بدافع ، فعلاه على

(٤) الصلبة من النوق .
(٥) الطويل من النوق في عجرة .
(٦) النشيطة من النوق .

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٦ .
(٢) التامة الخلق من الإبل .
(٣) المصرة من الإبل .

العزم بصارم الحزم ، فلم تُنمض ساعة حتى ملكت خير . وقيل لآخر :
 كيف قدرت على هواك ؟ فقال : خدعته حتى أسرته واستلبت
 عوده فكسرت به وقيدته بقيد العزلة ، وحفرت له مطمور الخمول في
 بيت التواضع ، وضربته بسياط الجوع ، فلان يا فلان ، ألك ؟ في مجاهدة
 النفس نية أم النية نية ، أتعبتني وأنت أنت ، يا خنثيلاً (١) في كل
 درديس (٢) ، إلى متى تجول في طلب هجول (٣) ؟ ما نفشت
 غم العيون النواظر في زروع الوجوه النواضر إلا وأغبر على السرح ،
 من تعرض للعنفير (٤) لقي الامرين (٥) ، المتعرض للنباة أبله ، ما عزّ
 يوسف إلا بترك ما ذل به ما عز (٦) ، لو ركذ كدر دهن الذهن
 سمت ذبالة المصباح .

أخواني إلى متى سكر عن المقصود ؟ إلا صحو ساعة ؟ أريقوا
 قرقف الهوى قبل هجوم صاحب الشرطة ، إكسروا الظروف ظرفاً
 ليعلم حسن قصدكم للتوبة ، وليشغلكم ذكر صوت النأي عن صوت
 الناي ، والفكر في خراب المغاني عن لغات الاغاني ، فكم من شاب
 ما شاب ، وكم من راج راج (٧) له أن خاب ، ما أسرع افتراق الصاحبين
 إذا صاح بين ، (فمفترق جاران دارهما عمر) .

مثل أهل الدنيا في غفلتهم وطول آمالهم كمثل الحاج ، نزلوا
 متزلاً فقام أقوام يقطعون الصخور ويبنون البيوت ، فقال المتيقظون :
 ويحكم ما هذا البله ؟ الرحيل بعد ساعة . لو علم الورد قصر عمره ما
 تبسم ، بينما هو ينشر بز ربحه ، في شمال البكور بزه الناطور فإذا به
 في زجاجة الزور (٨) ، فانتبه أنت ولا تغتر بزور نسيم الدجى يفتح
 مستغلق الجنب ، ويخوف سموم النهار بعيد اللينوفر إلى الماء ، لسمع
 يا من لا يحركه تشويق ، ولا يزعجه تخويف .

-
- (١) الماضي في الأمور .
 (٢) الداهية .
 (٣) جمع هبل . وهي المغارة الواسعة .
 (٤) الداهية .
 (٥) بكسر الراء للشر والأمر العظيم .
 (٦) ابن مالك المرجوم في الزنا .
 (٧) حصل وتبياً .
 (٨) مجلس الغناء .

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

تزوج صلة بن أشيم فأدخله ابن أخيه الحمام ، ثم ادخل إلى المرأة
وقد طيب فقام يصلي فمد الصلوة إلى الفجر ، فعاتبه ابن أخيه فقال :
إنك أدخلتني أمس بيتاً ذكرني به النار ، ثم أدخلتني بيتاً ذكرني به
الجنة ، فما زال فكري فيهما حتى أصبحت .

كفى حزناً ان لا أعاين بقعة من الارض الا ازددت شوقاً إليكم
واني متى ما طاب لي خفض عيشة تذكرت أياماً مضت لي لديكم

مر بعض الفقراء بامرأة فأعجبته فتزوجها ، فلما دخل البيت نزعوا
خلقانه وألبسوه ثياباً جدداً ، فلما جن عليه الليل طلب قلبه فلم يجده
فصاح : خلقتاني خلقتاني ، فأخذها ورجع .

(للشريف الرضي) :

ما ساعفتني الليالي بعد بعدهم	الا ذكرت لياليها بذي سلم
ولا استجد فؤادي في الزمان هوى	الا ذكرت هوى أيامنا القدم
لا تطلبن لي الابدال بعدهم	فان قلبي لا يرضى بغيرهم

الفصل الرابع والعشرون

يا طويل الامل في قصير الاجل ، أما رأيت مستتباً وما كمل ؟
أتؤخر الإنابة وتعجل الزلل .

يا من يعد غداً لتوبته أعلى يقين من بلوغ غدا
المراء في زلل على أمل ومنية الانسان بالرصد
أيام عمره كلها عدد ولعل يومك آخر العدد

يا أخي التوبة التوبة قبل أن تصل إليك النوبة ، الإنابة الإنابة
قبل أن يغلق باب الإجابة ، الإفاقة الإفاقة فيا قرب وقت الفاقة ، إنما
الدنيا سوق للتجر ومجلس وعظ للزجر وليل صيف قريب الفجر ،
المكنة مزنة صيف ، الفرصة زورة طيف ، الصحة رقدة ضيف ، الغرة
نقذة زيف ، الدنيا معشوقة وكيف ، البدار البدار فالوقت سيف .

يا غافلاً عن مصيره ، يا واقفاً في تقصيره سبقك أهل العزائم
وأنت في اليقظة نائم ، قف على الباب وقوف نادم ، ونكس رأس الذل
وقل أنا ظالم ، وناد في الأسحار مذنب وواجم ، وتشبه بالقوم وإن
لم تكن منهم وزاحم ، وابعث بريح الزفرات سحب دمع ساجم ،
قم في الدجا نادبا ، وقف على الباب تائباً ، واستدرك من الغمر ذاهباً ،
ودع اللهو والهوى جانباً ، وإذا لاح الغرور رأى راهباً ، وطلق الدنيا
إن كنت للأخرى طالباً (ولكن بلا قلب إلى أين أذهب) .

يا من قد ضاع قلبه لإطلبه في مظان انشاد الضلال ، الضايغ إنما
ينشد في الجامع ، فاطلب قلبك في مجالس الذكر ، أو بين أهل المقابر ،
وربما دخلت بيت الفكر فرأيتَه فأني موضع غلب على ظنك وجوده

فلا تقصر في البحث عنه ، هذه النور والرخم على كثافة طبعها إذا
 رأيت جيشاً تبعته لما ترجو من قتال يوجب قتلى وأخداج حامل ، أفما
 ترجو أنت في المجلس إجابة دعوة أو حضور قلب ؟ يا نائماً طول الليل ،
 سارت الرفقة ، رحل القوم كلهم وما انتهت من الرقدة ، ويحك
 أتدري ما صنعت بنفسك ؟ دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك ، كنت
 أمس قلب أمس فتراك تصحيف ترى ^(١) ، لاحت لك العاجلة ، فهمت
 كأنك ما فهمت فلما تبدلت تبدلت أخبرني عن تخليطك فالطبيب لا يكذب ،
 سجيبتك تعلمني فاسمع أحدثك ، إستكثرت من برودات الغفلة فقعد
 نشاط العزم ، فلو قاومتها بجزارات الحذر لقام المقعد ، أما تعلم أن
 مطاعم المطامع تولد سداً في كبد الجسد ، المحنة العظمى موافقة الهوى
 من غير تدبر ، أنت ترى ما تشتهي فتضرب الحد .

يا أسيراً في قبضة الغفلة ، يا صريعاً في سكرة المهلة ، أما يخطر بقلبك
 ، خطر أمرك ، ويحك قد وهن العظم العظيم وما شابت همة الامل ،
 إخلق برد الحياة وما انكفت كف البطالة ، قربت نوق الرحيل وما
 في المزداد زاد قدمت معابر العبور وأنت تلهو على الساحل ، أكثر
 العمر قد مر ، وأنت تتغلغل في تضييع الغابر ، أترجع الغاني على الباقي ؟
 تثبت ، ففي الميزان عين ، إن حركك حظ من حظ فالخط الخط الاخط ،
 والله لو شغلك نيل الجنة عن الحق لحظة كان في تدبيرك وكس ،
 ويحك أنا بذك اللازم فالزم بذك ، خاصمت عنك قبل وجودك
 (إني أعلم) واعتذرت عنك في زلل (فدلأهما) ولقتتك العذر (ما
 غرك بربك) ^(٢) وواصلتك برسائل « هل من سائل » .

إذا لم يكن بيني وبينك مرسل فريح الصبا مني إليك رسول

كان بعض الأغنياء كثير الشكر ، فطال عليه الامد فبطر وعصى
 فما زالت نعمته ولا تغيرت حالته ، فقال : يارب تبدلت طاعتي ،

(١) يريد كنت ساء وهو مقلوب أمس فصرت ترى وهو مصحف ترى .

(٢) سورة الإنفطار الآية ٦ .

وما تغيرت نعمتي ، فتهتف به هاتف : يا هذا لا يام الوصال عندنا
حرمة حفظناها وضيعتها .

(للمهيار) : (١)

سَلْ « بسلع » سكتنا^(٢) كان وكنا لَيْتَ شعري ما الذي الهاك عنا
أهوى أحدثته أم كاشح دَبَّ أم ذنبٌ سرى أم تتجنى

تاب رجل ممن كان قبلكم ثم نقض ، فتهتف به هاتف في الليل :

سأترك ما بيني وبينك واقفاً فان عدت عدنا والوداد سليم
تواصل قوماً لا وفاء لعهدهم وترك مثلي والحفاظ قديم

يا ناقضي العهد أنظروا لمن عاهدتم ، تلافوا خرق الخطاء
قبل أن يتسع .

عودوا إلى العهد	عودوا	فالهجر	صعب	شديد
تذكرونا	فما عهد	نا	لديكم	بعيد
هل يرجع	البان يوما	وهل تعود	زرود	

يا هذا أقبل علينا ، تر من إقبالنا عليك العجب ، إحفظ الله
يحفظك ، إطلب الله تجده أمامك^(٣) ، من كان لنا عينا على قلبه ، أجرينا
له جامكية امين .

انت على البعد همومي اذا غبت اشجاني على القرب
لا اتبع القلب إلى غيركم عيني لكم عين وعلى قلبي

يا هذا حفر النهر إليك وإجراء الماء ليس عليك ، إحفر ساقية
(فاذكروني) إلى جنب بحر (أذكركم) فإذا بالغ فيها معول الكد ،
فاضت عليك مياه البحر ، « فبي يسمع وبني يبصر »^(٤) إلق بذر الفكر في

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى عميد الرؤساء ابن أيوب في المهرجان ، أنظر ديوان شعره ٤ /

١٦٨ - ١٧٢ .

(٢) في الديوان « شجنا » .

(٣) قسم من الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس .

(٤) حديث قديم .

أَرْضُ الْحَلُوةِ وَسَقَى إِلَيْهِ سَاقِيَةً مِنْ مَاءِ الْفَكْرِ ، لَعَلَّهَا تَنْبِتُ لَكَ شَجَرَةً « أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذَكَرْنِي »

(للشريف الرضي) : (١)

يُرْتَحْنِي إِلَيْكَ الشُّوقُ حَتَّى أُمِيلُ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
كَمَا مَالَ الْمُعَاقِرُ عَاوِدَتَهُ حُمَيَّا الْكَأْسِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
وَيَأْخُذْنِي لَذَكَرَاكَ ارْتِيَاخٌ كَمَا نَشَطَ الْأَسِيرُ مِنَ الْعِقَالِ
وَيَسْرُ مَا أَلَاقِي إِنْ هَمًّا يُغْصَصْنِي بِذَا الْمَاءِ الزَّلَالِ

هبت رياح الخوف فقلقلت قلوب الخائفين فلم تترك ثمرة دمع في
فن جفن ، إذا نزل آب في القلب ، سكن أذار في العين .

لا تبلي بجهفاً يزيد خضوعي يكفيك أن النار بين ضلوعي
وحياة سقمي في هواك فانه قسم الهوى ووحق فيض دموعي
لاوكلن عليك عيني بالبكاء ولاعشن عليك طول هلوعي

كانت مع هشام بن حسان جارية في الدار فكانت تقول : أي ذنب
عمل هذا ؟ من قتل هذا ؟ فتراه الليل كله يبكي .

تركت الفؤاد عليلًا يعاد وشردت نومي فما لي رقاد

كان فتح الموصل يبكي الدموع ثم يبكي الدم ، فقيل له : على ماذا بكيت
الدم ؟ فقال : خوفاً على الدموع أن تكون ما صحت لي .

يا من لفؤاد وامق ما يصحو قد طال لعظم ما عناه الشرح
والعين لها دم ودمع سمح ذا يكتب شجوه وهذا يححو

(١) من قصيدة طويلة له ، أنظر الديوان ٢ / ١٧٤ - ١٧٨ .

الفصل الخامس والعشرون

يا من يعظه الدهر ولا يقبل ، وينذره القهر بمن يرحل ، ويضم
العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل ، كن كيف شئت فإنما تجازي بما تعمل :
دعني فان غريم العقل لازمني وذا زمانك فامرح فيه لازمني
ولى الشباب بما أحبيت من منح والشيب جاء بما ابغضت من محن
فما كرهت ثوى عندي وعنفني وما حرصت عليه حين عن فني

يا جابراً ، كلما قيل أقسط قسط ، يا نازلاً ، فسطاط الهوى ، على
شاطيء الشطط ، يا ممهلاً لا مهملاً ما عند الموت غلط ، كم سلب
وضيعاً وشريفاً سلباً عنيفاً وخبط ، أما مضغ الارواح؟ فلما طال المضغ
استرط ، أما يكفي نذيرهم ؟ بلى قد خوف الفرط ، تالله ما يبالي حمام
الحمام أي حب لقط ؟ ، أما خط الشيب خط النهي عن الخطاء
لما وخط ، أما آذن الشباب بالذهاب فماذا بعد الشط ؟ .

ما أن يطيب للذي الرعاية للا يام لا لعب ولا لهو
اذ كان يطرب في مسرته فيموت من أجزائه جزو

يا مدعراً إلى نجاته وهو يتواني ، ما هذا الفتور ؟ والرحيل قد
تداني ، يا مقبلاً على هفواته لا يألو بهتانا ، كأنك بالدمع يجري
عند الموت تهتانا ، وشغل التلف قد أوقد من شعل الاسف نيرانا ،
وأنت تبكي تفريطك حتى لقد أقرحت أجفانا ، والعمل الصالح ينادي
من كان أجفانا ، إحذر زلل قدمك ، وخف حلول ندمك ، واغتم
وجودك قبل عدمك ، واقل نصحي ولا تخاطر بدمك .

إذا ما نهالك امرؤ ناصحاً عن الفاحشات انزجر وانه
واما علوت الى رتبة فكن حذراً بعدها ان تسمى
واما ترى مهجة في الثرى فلا تغترر بالمى انت هي

خاصم نفسك عند حاكم عقلك لا عندي قاضي هواك ، فحاكم
العقل يدين وقاضي الهوى يحور . كان أحد السلف إذا قهر نفسه
بترك شهوة أقبل يهتز اهتزاز الرامسي إذا قرطس (١) ، لما عرف القوم
قدر الحياة ، أماتوا فيها الهوى فعاشوا ، إنتهبوا بأكف الجدد من الزمن
ما نثره زمن البطالة .

وركب سروا والليل ملق رواقه على كل مغبر الطوالع قائم
حدوا عزمات ضاقت الارض بينها فصار سراهم في ظهور العزائم
تريهم نجوم الليل ما يبتغونه على عاتق الشعري وهام النعائم
إذا طردوا في معرك الجدد قصفوا رماح العطايا في صدور المكارم

هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد ، وحلت لهم مرارات
البلا حباً لعواقب السلامة ، فيا بشراهم يوم (هذا يومكم) .

قف بالديار فهذه آثارهم نبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل غمرا عن أهلها أو صادقاً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فغز الملتقى

يا ربوع الاحباب أين سكانك ؟ ، يا مواطن الالباب أين قطانك ؟
يا جواهر الآداب أين خزانك ؟

(للمهيار) : (٢)

(١) أصاب القرطاس .

(١) من قصيدة قالها وكتب بها إلى أبي طالب بن أيوب في النيروز ، أنظر ديوان شعره ٣ /

٢٥٧ - ٢٦١ .

يطربني للمنازل اليوم ما أسأر عندي أيامها القُدُمُ
وتطيني^(١) على فصاحة شكواي إليها ربوعها العُجُمُ
علي يا دار جهد عيني وما علي عارٌ أن تبخلَ الدِيمُ^(٢)
لك الرضا من جِمام^(٣) أدمعها أو دمها ان سقي ثراكِ دمُ
أما وعهد الغادين عنك وأ شجان بواقٍ لي فيك بعدهمُ
وما أطال المنى^(٤) واعرض من عيش كأن اختلاسه حُلُمُ
هل هو الا ان قيل: جن بهم نَعَمْ ! على كل حالة نَعَمْ
بتنا واطواقنا يد ويد ورسل أشواقنا فم وفم

يا هذا تنزه في اخبار المحبين إن لم تكن منهم ، إن أهل الكوفة
يخرجون للتفرج على الحاج ، لإقعد على جانب وادي السحر لعل لابل
القوم تمر بك .

خذني على قطن يمينا فعسى أريك به القطينا
مني تعلمت الحمام النوح والابل الحينا

وآسف المتقاعد عنهم ، واحسرة البعيد منهم .

سلو عن فؤادي ساكني ذلك الوادي
فقد مر مجتازاً على يمنة الوادي
مضى يطلب الاحباب والقوم قد سروا
فضل ومروا مسرعين مع الحادي
فها أنا ابكيهم وابكيه بعدهم وتطلبهم عيني مع الراح الغادي
واحاجتنا إلى روية القوم ، ويا شدة إيثارهم البعد عنا ، إن رأينا
شخصاً فأعلمتنا الفراسة أنه منهم كانت همته الهرب منا ، وما ذاك
إلا للتباين بين أفعالنا وأعمالهم فلنبك على هذه الحال .

(١) تطيني : تستملي .

(٢) الديم : المطر الدائم .

(٣) الجِمام : معظم الماء .

(٤) في الديوان « الصبا » .

عجبت لما رأيتني	أندب الربيع المحيلا
واقفاً في الدار أبكي	لا أرى إلا الطلولا
كيف نبكي لأناس	لا يملون الذميلا
كلما قلت اطمأنت	دارهم صاحوا الرحيلا

كان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له :
والله ما أبرح حتى تكلمني بشيء ينفعني ، فإني قد عرفت تسترك ، فسجد
وجعل يقول في سجوده « اللهم سترك » فمات .

اسميك سعدى في نسبي تارة وآونة اسما وآونة لبني
حذاراً من الواشين أن يسمعوا بنا والا فمن سعدى لديك ومن لبنا

الفصل السادس والعشرون

يا مغلوعاً قد فتن ، يا مغروراً قد غبن ، من لك إذا سوى عليك
اللبن ؟ في بيت قط ما سكن ، سلب الرفيق نذير والعامل فطن .

أنت في دار شتات	فتأهب	لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم	صمته	عن شهواتك
وليكن فطرك عند	الله في يوم	وفاتك

إياك والدنيا فإن حب الدنيا مبتوت ، واقنع منها باليسير فما يعز
القوت ، يا قوت الندم يغني عن الياقوت ، إحذر منها فلإنها أسحر
من هاروت وماروت ، ليس للماء في قبضة ممسك ثبوت (وإن أوهن
البيوت ليبت العنكبوت) ^(١) أين من جمع المال وملاً التخوت ، تساوي
تحت اللحد السادات والتخوت ، ما نفعه إن جال في البأس جالوت
ولا رد عنه إن طال القوم طالوت ، ولا منع أصحابه حلول التابوت ،
لقد أخرج الموت من قعر اليم الحوت ، قل للذين تديرُوا تديرُوا ، أين
البيوت ؟ ، جوزوا على الذين جوزوا ، فقد وعظ الخفوت ، كم مشول
عن عذره في قبره مبهوت ، لقد أنطق الوعظ الصخور الصموت ، أما
يكفي زجراً أنك تموت ، باهر عمراً في كل يوم يفوت ، قل أنا تائب
إلى كم سكوت ؟ ، قد تعودت منك النفس في المجلس ، النطق بالتوبة
فهي تسخر بالكلام لعلمها أنه على غير أصل ، ولو تيقنت صدق عزمك
لتوقفت عن القول ، هذا العصفور إذا كان على حائط فصحت به لم
يرح فإذا أهويت إلى الارض كأنك تناول حجراً يلوح يـدك فارغة

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .

فلم ينفر ، فإذا وضعت يدك على حجر رأي الجدد ففر ، يا هذا ، قولك أنا نائب من غير عزم ، نفخ في غير ضرر ، بيض التراب لا يخرج منه فرخ .
أخواني . العمر أنفاس تسير بل تطير ، الأمل منام لا ترى فيه إلا الأحلام ، هذا سيف الموت قد دنا ، فإن ضرب قدنا ، هذا الرحيل ولا زاد عندنا ، إنتهوا من رقاد الغفلة ، تيقظوا من نوم العطلة ، عرجوا عن طريق البطالة ، إبعدوا عن ديار الوحشة ، الفترة حيف الطباع ، ووقوع العزيمة ، رؤية النقا فحينئذ يتوجه الخطاب بالتوجه إلى محراب الجدد ، أول منازل الآخرة القبر ، فمن مات فقد حط رحل السفر ، وسائر الوري سائر ، من كان في سجن التقي فالموت يطلقه ، ومن كان هائماً في بوادي الهوى فالموت له حبس يوثقه ، موت المتعبدین عتق لهم من استرقاق الكد ورفق بهم من تعب المجاهدة ، وموت العصاة سباء يرقون به لطول العذاب ، من كان واثقاً بالسلامة من جنائيه فرح بفك باب السجن ، لما توعد فرعون السحرة بالصلب أنساهم أمل لقاء الحبيب مرارة الوعيد (إنا إلى ربنا منقلبون) (١) يا فرعون غاية ما تفعل أن تحرق الجسم ، والركب قد سرى (لا ضير) (٢) من لاحت له منى ، نسي تعب المدرج .

(للمهيار) : (٣)

متى رُفعتْ لها بالغور نار وقرّ بذى الأراك لها قرار^(٤)
فكل دم أراق السير منها بحكم الشوق مطلول جبار^(٥)

لا بد للمحجوب من اختبار المحب (ولنبلونكم) (٦) . أسلم أبو جندل ابن سهيل فقيده أبوه ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديدية خرج أبو جندل يرسف في قيده ، فدخل في الصحابة ، فقال سهيل :

(١) سورة الشعراء ، الآية ٥٠ .

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شرف المعالي القناني ، أنظر ديوان شعره ٦/٢ .

(٣) النور وذو الأراك : إسما موضعين .

(٤) الجيار : الهدر .

(٥) سورة البقرة الآية ١٥٥ وسورة محمد الآية ٣١ .

هذا أول من أقاضيك عليه ، فاستغاث أبو جندل : يا معشر المسلمين ،
أأرد إلى المشركين ، فيفتنوني عن ديني ، فقال الرسول : لا بد من
الوفاء ^(١) فرد إليهم ، فقدمه يسعى نحوهم وقلبه يجهز جيوش الحيل ،
في الخلاص .

(للمهيار) : (٢)

أنذرتني أم سعد أن سعدا دونها ينهد لي بالشر نهدا
وعلى ما صفحوا أو نقموا ما أرى لي منك يا ظبية بُدّا

لما أسلم مصعب بن عمير حبسه أهله ، فأفلت إلى الحبشة . ثم قدم
مكة ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلت إليه أمه ،
يا عاق أتدخل بلدا أنا فيه ولا تبدأ بي ؟ فقال ما كنت لابدأ بأحد قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرادت حبسه ، فقال : والله لئن حبستني
لاحرصن على قتل من يتعرض لي ، فتركته .

وعاذلين لحوبي في مودتكم يا ليتهم وجدوا مثل الذي أجد
لما أطالوا عتابي فيك قلت لهم لا تفرطوا بعض هذا اللوم واقتصدوا

جمع حبس التعذيب بين بلال وعمار ، مصادرين على بذل الدين
فزوروا نطق عمار على خط قلبه ، فلم يغرفوا التزوير ، وأصر بلال
على دعوى الإفلاس فسلموه إلى صبيائهم في حديدة يصهرونه في
حر مكة ، ويضعون على صدره وقت الرمضاء صخرة ولسان محبته يقول :
بعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللشوق ما لم يبق مني وما بقى
واعجبا ، إيلام ذو حس على عشق يوسف ؟

قدم الطنيل بن عمر والدوسي مكة فقالت له قريش : لا تدن من محمد

(١) قال صلى الله عليه وسلم : إنما قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك
وأعطونا عهد الله وإنما لا نغدر بهم ، راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٨ .

(٢) مطلع قصيدة بنى فيها الوزير أبا المعالي بالنيروز ، أنظر ديوان شعره ١ / ٣٣٢ - ٣٣٦

فإننا نخاف أن يفتنك ، فسد أذنيه بقطنتين ثم تفكر ، فقال : والله ما يخنى
على الحسن من القبيح : فانطلق فسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم .

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق
قطعت قریش لحم خبيب ، ثم حملوه إلى الخدع ليصلب : فقالوا :
أنحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن
محمداً شيك بشوكة ، ثم نادى واحمداه . (١)

ان في الاسر لصبا دمه في الخد صب
هو بالروم مقيم وله بالشام قلب

لما بعث معاذ إلى اليمن ، خرج الرسول يودعه : ودموع معاذ ترش
طريق الوداع .

ولما تزايدنا من الجزع وانتأى مشرق ركب مصعد عن مغرب
تبينت أن لا دار من بعد عالج تسر وان لا خلة بعد زينب
كانت الدنيا بمثلهم عسلاً فتعلقمت بمثلكم ، خلت الديار من
الاحباب فلما فرغت ردم الباب .

(للنايعة) :

وقفت فيها أصيلاً كي (٢) أسألها أعيت (٣) جواباً وما بالربع من أحدٍ
أضحت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا اخنى عليها الذي أخنى على لبدي

حن ببعض أُنديتهم ونادبها ، وابك فقد الاحباب ونادبها .

(للبحري) :

إذا جزت بالغور اليماني مغرباً وحاذتك صحراء الشواجر يأسعد
فناد ديار العامرية بالأسوى سقت ربعك الانواء ما فعلت هند

(١) أنظر قصته في يوم الرجيع ، سيرة ابن هشام ١٧٢ / ٢ .

(٢) وفي ديوانه « أصيلاً لا » تصغير أصلان جمع أصل للعديد الكثير . ص ٢ .

(٣) وفي الديوان « عيت » بحذف الألف .

الفصل السابع والعشرون

إن الدنيا مذ أباتت محبتها أباتت حالها ، لقد روت وما روت ،
فارت مآلها ، لقد عرف ادبارها من قد ألف إقبالها ، وما اطمأنت
أرضها . إلا زلزلت زلزالها .

قل لمن فاخر بالدنيا وحامي قتلت قبلك ساماً ثم حاماً
ندفنُ الحِلَّ وما في دفننا بعده شك ولكن نتعامي
ان قدامك يوماً لو به هددت شمس الضحى عادت ظلاماً
فانتبه من رقدة اللهو وقم وانف عن عين تماديك المناما
صاح صبح بالقبر يخبرك بما قد حوى واقرأ على القوم السلاماً
فالعظيم القدر لو شاهدته لم تجد في قبره إلا العظاماً

تالله لقد ركض الموت فاسرع في الركض ، بث الجنود
وطبق الارض : ما حمل على كتيبة إلا وفض ، ولا صاح بجيش إلا جاش
وارفض ، ولا لوح إلى طائر في البرج إلا انقض ، إذا تكلمت قوسه
بالنبض أسكنت النبض ، بينا الحياة تعرب بالرفع جعل الشكل
الخنقض . أين مصون الحصون ؟ أزعج عنها ، أين مقصور القصور ؟ اخرج
منها ، نقله هادم اللذات نقلاً سريعاً ، ومقله في بخار الآفات مقللاً
فظيحاً ، وفرق بينه بالبين وبين بينه ، وطرقه بطارق النقض فأنقض ما
كان بينه ، لقد ولي ولاء ذي ود ينفعه ، وبان فبان لباني الدنيا مصرعه ،
هجره والله من هاجر إليه ، ونسيه نسيه وقد كان يخنو عليه ، فلا
صديقه صدقه في مودته ، ولا رفيقه أرفقه في شدته ، حلوا والله بالباء
في البلى ، وودعهم من أودعهم ثم قلى ، وانفردوا في الاخذود
بين وحش الفلا ، وسالوا الإقالة فليل : أما هذا فلا ، لو نطق الموتى

بعد دفنهم لندموا على غيهم وافنهم ، ولقالوا : رحلنا عن ظلم شرورنا
إلى ظلم قبورنا ، وخلونا عن الاخلاء بترابنا في آفات لا ترى بنا ،
أفترى محبنا إذ ظعننا ، بمن اعتاض عنا ؟

وهذا مصيرك بعد قليل ، فتأهب يا مقيم للتحويل ، يا ساليما يظن أنه
سليم ، جوارحك ^(١) جوارحك ، سور تقواك كثير النائم ، وأعداؤك
قد أحاطوا بالبلد ، ويحك ، قبل الرمي تراش السهام ، وبين العجز
والتواني يتبع التوى ، يا قالي القائل للنصائح إداؤك داؤك ، كيف
تجتمع همتك مع غوغاء المنى وضوضاء الشهوات ، كيف تنصرف
في مصالحك والشواغل ^(٢) للشوي غل ، كم صادفت الهوى فصدت ؟
لقد خدع قلبك الهوى فاسترق ^(٣) فاسترق ، اضرمًا عليك سوء
تدبيرك ، آه للابس شعار الطرد وما يشعر به وأسفاً ، المضروب
ما يحس صوت الشوط ، عجباً لمن أصيب بعقله وعقله معه ، يا معثر
الاقدام مع إشراق الشمس ، يا فارغ البيت من القوت في أيام
الحصاد .

أملّي من أملّي ما ينقضي وغرامي من غرامي قاتلي
كلما أفنيتُ عاماً فاسداً جاء عامٌ مثله من قابل
كلما املت يوماً صالحاً عرض المقدور لي في أملّي
وارى الايام لا تُدني الذي ارتجى منك وتدني أجلي

يا جرحى الذنوب قد عرفت المراهم ، إخرجوا من قصر مصر
الهوى وقد لاحت مدينة مدين ، إطلبوا بئر الشرب وإن صد الرعاء
فلعل حضور موسى يتفق ، متى استقامت لكم جادة البكاء فلا تعرجوا
عنها كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصل يبيكيان الدم .

(١) الأول بمعنى الأعضاء والثانية بمعنى الآلات الجارحات .

(٢) الأول جمع شاغله والثانية مركبة من الشوي وهي اليدان والرجلان والأطراف ومن
الغل بضم الغين اللقيد المعروف .

(٣) الأول من الإستراق . والثانية من الإسترقاق

قولوا لسكان الحي تبدل الدمع دما
وكل شهد بعدكم قد صار مرأ علقما

إذا تكاثفت كتيبان الذنوب في بوادي القلوب ، نسفها نسف أسف
في نفس ، يا أهل الزلل قوموا نفس أنفسكم فقد جمع قسر القهر ،
بين الناقص والتام لقد تاب الله على المؤمنين (وعلى الثلاثة الذين
خلفوا) (١)

لست وان أعرضتم أياس من أن تعطفوا
فلا برى وجدي بكم ولا أفاق الشغف
وصبر يعقوب معي حتى يرد يوسف

يا من كان له وقت طيب وقلب حسن ، فاستحال خله خمراً ،
إبك على ما فقدت في بيت الاسف .

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجدان يطفئ نجي البلايل

ما أحسن ما كنت فتغيرت ، ما أجود جادتك فكيف تعثرت
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور
البكاء على الفايث معول الحزين .

(لابي تمام) :

وانجذتم من بعد اتهام داركم فيا دمع انجذني على ساكني نجد
لعمري قد اخلقتم جدة البكا عليّ وجددتم به خلق الوجد

يا معاشر المطرودين عن صحبة أهل الدين .

تعالوا نقم مأتماً للفراق ونندب اخواننا الطاعيننا

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٨ .

هلموا نرق دمع تأسفنا على قبج تخلفنا ، ونبعث مع الواصين
رسالة محضر لعلنا نخطئ بأجر المصيبة ، انجع المراهم لجراحات الذنوب
البكاء ، هتكة الدمع ستر على الذنب .

قد كنت أصون دمعني في الاماق سترأ للحب وهو ما ليس يطاق
حتى صاح الوجد عن صحيح الأشواق ما حيلة من بلى بمهجر وفراق

كان محمد ابن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من
القرآن أبكتني (وبدآ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ^(١) كيف
لا تذهب العيون من البكاء ؟ وما تدري ما قد أعد لها .

سبقت السعادة لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ، ومضت
الشقاوة لابي جهل قبل وجوده ، وخوف العارفين من سوابق الاقدار
قلقل الارواح هيبة (لا يسئل) ^(٢) . مع تحكم (ولو شئنا لآتيننا
كل نفس هداها) ^(٣) قوي قلق العلماء .

أترى سألوا لما رحلوا	ماذا فعلوا ام من قتلوا
أحليف النوم اقل اللوم	فعندي اليوم بهم شغل
ادنى جزعي لم يبق معي	قلب فيعي منذ احتملوا
جلدي سلبوا جسدي نهبا	كمدي وهبوا كبدي تبلوا
لما ذرفت عيني وقفت	أترى عرفت ما بي الابل
ولها اللاحي وهو الصاحي	وهو راحي وأنا الثمل

(٣) سورة السجدة ، الآية ١٣ .

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

الفصل الثامن والعشرون

تيقظ لنفسك يا هذا وانتبه ، واحضر عقلك وميز ما تشبهه ،
أما هذا منزلك اليوم ؟ وغداً نلت به .

إذا ما انجلي الرأي فاحكم به ولا تحكم بما يشبهه
ونبه فؤادك من رقدة فان الموفق من يتبّه
وان كنت لم انتبه بالذي وعظت به فانتبه انت به

لقد أمكنت الفرصة أيها العاجز ، ولقد زال القاطع وارتفع
الحاجز ، أين الهمم العالية وأين النجايز ^(١) ؟ أما تخاف هادم اللذات
والمنى الناجز ؟ أما اعوجاج القناة دليل على الغامز ؟ أما الطريق طويلة
وفيها المفاوز ، أما القبور قنطرة العبور فمن المماز ، أما يكفي في
التنغيص حمل الجنائز ؟ أما العدو محارب فهل من مبارز ؟ أما الامن
بعيد والهلك ناشز ، والقنا مشرع والطعن واخز ، تالله تطلب
الشمجاعة من بين العجايز ، وتروم لإصلاح فارك وتقويم ناشز ، إن
لم يكن سبق الصديق فلتكن توبة ماعز ^(٢) ، ما هذه الغفلة والبلى
مصيرك ! وكم هذا التواني فلقد أودى تقصيرك ، أما صاح بك في سلب
نذيرك ، أفلا تتأهب لقدساء تدبيرك .

إبْ يا شارذ الطبع مسن سفر الهوى ، وأذب جامد الدمع بنيران
الاسى : لعل شفيح الإعتراف يسثل في أسير الإقتراف ، نق عينيك
من عيوبك ، وخلص ذنوبك ^(٣) من بحر ذُنوبك ، وصن صندوق

(١) جمع نجيزة . وهي الطليعة .

(٢) دلوك .

(٣) هو الذي جلد ثم تاب في صدر الإسلام .

فمك بقفل صممتك ، واطو طيلسان لسانك عن بذلة نطقك ،
واغمض عينك عن عيبك حفظاً لدينتك ، واكفف كفك مكتفياً
بما كفك ، وابن منبر التذكير لواعظ القلب في ساحة الصدر ، وناد
في شجعان العزائم ورهبان الفكر ، هلموا إلى عقد مجلس الذكر ،
واحذر عين العدو أن يوقع تشتيت الهم في جمع العزم ، فإن رماك
القدر بسهم الفتور عن قوس الحكمة من يد « لكل عامل فترة »
فاتق بجنة الإعتذار ، فإن ألقى كرة قلبك إلى صولجان التقلب في
بيداء « المؤمن مفتن » فجل في ميدان الدل فإن دب ذئب الهوى
فعاث في مزرعة التقى فأقم ناطور القلق ، فإن أفلت دجال الطبع
فأقام صليب الزلل واطلق خنزير الشره فالجأ إلى حرم التوبة
واستغث بعيسى العون لعله ينزل من سماء اللطاف فيهلك الدجال
ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، لإجلس ليلة على مائدة السخر وذق
طعام المناجاة تنسيك كل لذة ، أرواح الاسحار لا يستشققها من
كوم غفلة ، إنها لتأتي باللطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة ،
فمن لم يكتب كتاباً فماذا يبعث ؟ ، لو وقفت على جادة التهجد ليلة
لرأيت ركب الاحباب لو سرت في أعراض القوم لحرك قلبك صوت
الحدادة ، أقبلت رياح الاسحار فاحتشمت تقبيل أقدامهم ، وذكت
أذيال أثوابهم .

(للشريف الرضى) : (١)

وامستِ الرِّيحُ كالغيري تجاذبنا على الكئيب فضولَ الرِّيطِ واللِّمِّ (٢)
يشي بنا الطيبُ أحياناً وآونةً يضيئنا البرقُ مجتازاً على أضَمِّ (٣)
يُولَعُ الطلُّ بَرْدَيْنَا وقد نسمت رويحةُ الفجر بين الضال والسلم (٤)

(١) أنظر الديوان ٢ / ٢٧٤ .

(٢) الرِّيط ، جمع رِبطة : ملاءة من نسج وكل ثوب رقيق ، واللِّم جمع لمة : الشعر
المجاوز شحمة الأذن .

(٣) أضَم : واد فيه المدينة المنورة .

(٤) يولمه : يجعل فيه لمع البياض ، الضال والسلم : من الشجر .

حديث القوم مع الدجى يطول ، يسبحون في فلات خلواته ،
يتدبون أطلال الحب ويرتاحون إلى تنسمه لشدة الطرب .

واني لاستنشي الشمال اذا جرت حنينا إلى آلاف قلبي واحبائي
واهدي مع الريح الجنوب اليهم سلامي وشكوى طول حزني وأوصائي

واعجباً الرسائل تحمل في الاسحار ، لا يدري بها الفلك ، والاجوبة
ترد إلى الاسرار لا يعلمها الملك .

يا حبذا رند العقيق وبأنه سقى العقيق واهله وزمانه
راقت خمائله ورق نسيمه وصفت على عصبائه غدرانه
وشكت تباريح الصبابة ورقه وتمايلت بيد الصبا أفئانه
يا مفرداً في حسنه صل مفردا في حزنه لعبت به أشجانه
صبأ اذا ذكر العقيق واهله صابت مداومه وجن جنانه

اجتمع المحبون في مساجد التعبد أول الليل ، فرماهم الوجد في
آخره على قوارع الطرق .

مشوا إلى الراح مشى الرخ فانصرفوا والراح تهشي بهم مشى القرازين

أرواح أزعجها الحب ، وأقلقها الخوف ، سبحان من أمسكها
باللطف .

قوم اذا هجروا من بعد ما وصلوا ماتوا وإن عاد من يهونه بعثوا
ترعى المحبين صرعن في ديارهم كفتية الكهف يدرون لا كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم موتى من الحب أو قتلى لما حثوا

مجلسنا بحر ، يرده الفيل والعصفور (١)

كل اناس مشربهم اطيّار
صناعتها في الجو بالقلب .

(١) محو في الأصل بعد هذه الفقرات الثلاثة .

فأين الطروب ، سحائب التفهيم قد هطلت بودق البيان ، افتراها
أنحضرت رياض الازدهان ؟ ، نحن في روضة طعامنا فيها الخشوع
وشرابنا فيها الدموع ونقلنا هذا الكلام المطبوع ، نداوي أمراضاً
أعجزت بنخيشوع ، وورقي الهاوي وورقي الملبسوع ، فليته كان كل
يوم لا كل أسبوع .

(لصردر) : (١)

يا صحابي وأين مني صحي
كلمات (٢) اسماء من استعارات
أرني ميتة تطيب بها النفس
لا تزل بي عن «العقيق» ففيه
لا رعت السوام ان قلت للصعبة
فَتَنَّتَهُمْ (٢) عيونُ ذاك السرب
وما هن غير طعن وضرب
وقتلا يكدُّ غيرَ الحبِّ
وطري ان قضيتهُ أو نحبي
خِيفِي عني وللعيس : هُبِّي

وحدي أتكلم ، وجدي يتألم ، ألا يريد يتعلم ؟ ألا دموع
تتسلم ؟

(لابن المعلم) :

هو الحمى ومغانيه معانيه
ما في الصحاب اخو وجد تطارحه
اليك عن كل قلب في أماكنه
يوهي قوى جلدي من لا أبوح به
يللى فما في لساني ما يعاتبه
فاحبس وعان بليلي ما تعانيه
حديث نجد ولا صب تجاريه
سأه وعن كل دمع في مآقيه
ويستبيح دمي من لا أسميه
ضعفا بلى في فؤادي ما يداريه

(١) قاله في مدح الوزير أبي نصر محمد بن محمد بن جهر وجهته بعيد الأسمى والمهرجان ،

أنظر الديوان ص ٩٣ .

(٢) في الديوان « صرعتهم » .

(٣) في الديوان « لحظات » .

الفصل التاسع والعشرون

أخواني ، تفكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا . صبرهم أين انطلقوا ؟ واعلموا أن القوم انقسموا وافترقوا ، قوم منهم سعدوا ومنهم قوم شقوا .

والمرء مثل هلال عند طلعه	يبدو ضيلاً لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه	كر الجديدين نقصاً ثم ينمحق
كان الشباب رداءً قد بهجت به	فقد تطاير منه للبلى خرق
وبات منشمرأ يحلو المشيب به	كالليل ينهض في اعجازه الفلق
عجبتُ والدهرُ لا تفي عجائبهُ	للاكتين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطال ما نغصوا بالفجع ضاحية	وطال بالفجع والتغصص ما طرقوا
دار تفر بها الآمال مهلكة	وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال المخدوع بزخرفها	بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لباطلها	أين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها ركنوا	قد كان فيها لهم عيش ومرتقى
أمست مساكنهم قفراً معطلة	كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذات دار لا بقاء لها	ان اغتراراً بظل زایل حمق

أين من كان في سرور وغبطة ؟ أين من بسط اليد في بسيط البسطة ؟ لقد أوقعهم الموت في أصعب خطة ، جسروا على المعاصي فانقلبت على الجحيم النقطة ، بيناهم في الخطأ خطأ إليهم صاحب الشرطة ، هذا دأب الزمان فان صفا فغلطة ، كم تحون الموت منا اخوانا . وكم قرن في الاجداث اقارنا ، كم مترف ابدله الموت ديدانا ، وهذا أمر إلينا قد تداني . كم معد عوداً لعيده ؟ صارت ثيابه أكفانا . وما شاهدنا

مصرعها وما كفانا * كم مسرور بقصره عوض من قبره أعطانا *
افترائاً ، هذا الأمن ، من أعطانا ؟

لنمنا وصرف الدهر ليس بناثم خزمنا له قسراً بغير خزانم

من سعى إلى شهواته مستعجلاً تعثر بحسك الاسف * تلمح العواقب
قبل الفعل أمان من الندم ، قد عرفتم عقايل قاييل وعلمتم حسن
سراييل هاييل :

الشرى يوجد في أعقابه ضرب خير من الارى في أعقابه لسع

الهوى مطمورة ضيقة في حبس وعر « ومذ خلق الهوى خلق الهوان »
لا يتصرف الهوى الا برع قلب فارغ من العلم ، الجهل خندق يحول
بين الطالب والمطلوب والعلم يدل على القنطرة ، كتابة العلم في ليل
الجهل تفتقر إلى مصباح فطنة ودهن الذهن غال ، ما قدر لص قط
على فطن ، ومتى نام حارس الفكر انتبه لص الهوى ، من ثبت قلبه
في حرب الشهوات لم يترنزل قدمه ، أول ما ينهزم من المهزوم عقله ،
ما دمت في حرب العدو فلا تبال بالجراح * فانه قد يصاب الشجاع ،
انما المهادنة دليل الذل ، تأثيرات الذنوب على مقاديرها ، وقعت غلطة
من يوسف فقَدْ القميص وقويت زلة آدم ، فخرج عريانا من الثياب *
أين عزيمة توبة ما عز ؟ لا عزيمة توبة^(١) * أين هم أويس لا غم
قيس^(٢) * ما لم يكن لك محرّك من باطنك فالخلق تضرب في حديد بارد .

(لصردر) :

ظلت أكر عليه الرقي وتأبى عربكته أن تلينا

ويحك ، من زم جوارحه ولازم الباب كان على رجاء الوصول *
فكيف بمن لازم ولا لازم * طوبى للزهاد لقد مروا في المطلق * من

(١) أراد به توبة الحميري صاحب ليل الأخيلية .

(٢) أراد به قيس بن الملوّح صاحب ليل العامرية .

يرافقني إلى ديار القوم ؟ ما أجوز على البلدان إنما امضى على السماوة •
وهذه خيام ليلى فأين ابن الملوحة :

هذي منازلهم ومالي بعد بعد القوم خبر
ويلي احظي كله من دونه صد وهجر

كان سري يدافع أول الليل فاذا جن أخذ في البكاء إلى الفجر :

اقطع ليلى وجيش وجدي من عن شمالي وعن يميني
تالله لو عادني رسول لعاد عن مدنف حزين
ما حيلتي فيك أغبير أني أسرق من زفرتي أنيني

ذلوا له ليرضى • فاذا رأيتهم قلت مرضى .

(للصدر) (١) :

مرض بقلب (٢) ما يعاد وقتيل حب ما يقاد
يا آخر العشاق ما ابصرت أولهم يذاد
يقضي المتيم منهم نخباً ولو ردوا لعادوا

يأنسون في الدجى بالظلام ، ويطربون بنوح الحمام ، مرضى الابدان
من طول الغرام ، أصحاب القلوب مع السقام ، اذا ذكرت حبيبهم
رأيت المستهام قد هام .

(للمهيار) (٣) :

وانت ان كنت رفيقاً فأعد ذكر الحمى اطيب ما غنينا
أعد فمن آية سكان الحمى وذكرهم أن يذهب الشجونا
شجواً كشجوى يا حمام ساعدي ان الحزين يسعد الحزينا
كم من دموع ردها صوب دم تخلج البرق على بيرينا

(١) كتب به إلى الشريف أبي جعفر البياضي يداعبه ، أنظر الديوان ص ١٥٨ .

(٢) في الديوان « بقليل » .

(٣) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة ، الديوان ٩٣ / ٤ .

قال الشبلي : لقيت جارية حبشية، فقلت : من أين ؟ فقالت : من عند الحبيب * قلت : وإلى أين؟ قالت : إلى الحبيب * قلت : ما الذي تريدين من الحبيب؟ قالت : الحبيب * قلت : فكم تذكرين الحبيب؟ فقالت : ما يسكن لساني عن ذكره حتى القاه :

وحرمة الود ما لي عنكم عوض . وليس لي في سواكم بعدكم غرض
ومن حديثي بكم قالوا به مرض فقلت لا زال عني ذلك المرض

رأى معروف في المنام كأنه تحت العرش * فقال الله عز وجل : ملائكتي من هذا ؟ فقالوا : أنت أعلم ، هذا معروف قد سكن من حبك ، فلا يفيق الا بلقائك :

فداو سقماً بجسم أنت متلفه وابد غراماً بقلب أنت مضره
ولا تكني على بعد الديار إلى صبري الضعيف فصبري انت تعلمه
تلق قلبي فقد أرسلته فرقا إلى لقائك والاشواق تقدمه

الفصل الثلاثون

اخواني ، البدار البدار * والجد الجد ، فالخصم معد * والقسم مجد :
مَكْرُ الزمان علينا غيرُ مأمون بل المخوف علينا مَكْرَ أنفسنا
ان الليالي والايام قد كشفت وحدثنا بأننا من فرائسها
واستشهدت من مضي منا فانبانا وام سوء اذا ما رام مرتضع
ونحن في ذاك نصيفها مودتنا نشكو الى الله جهلا قد أضّر بنا
اغوى الهوى كل ذي عقل فلست ترى حتى متى نشترى دنيا بآخرة
نبني المعازل والاعداء كامنة ونجمع المال نرجو أن يخلدنا
نظل نستنفق الاعمار طيبة وما تأخر حسي بعد ميتة
فلا تظن أمراً غيرَ مظنون ذات المني دون مكر البيض والجون
من مكرها كل مستور ومكنون نواطقاً بفصيح غير ملحون
عن ذاك كل لقي منا ومدفون أخلافها صد عنها صد مزبون
تباً لكل سفيه الرأي مغبون بل ليس جهلا ولكن علم مفتون
الا صحيحاً له أفعال مجنون سفاكه وبيع افوق بالالدون
فيها بكل طير الحد مسنون وقد ابى قبلنا تخليد قارون
عنها النفوس ولا نسخر بما عون الا تأخر نقد بعد عربون

يا من دعى إلى نفعه نبا ونشر ، يا جامعاً لغيره ما جمع وكثر ، يا
متبسطاً في الخير فاذا لاح الشر جمر ، كأنك بالالم وقد الم ، فنكى
ونكز^(١) ، وكد التبار^(٢) الروح بالتباريح ، واشتد العلز^(٣) وأخذ النفس

(١) نكس .
(٢) التلق والملاح والخفة التي تصيب المريض

(٣) الهلاك من تبر هلك .

النفس فاضطرها وحفز ، ودارت في فلك القوت فاذا ملك الموت
قد برز ، فسمالك بالمقبور وبالمثبور قد نبز ، فتأهب فالسعيد منا من
تأهب للخير وانتهز ، لقد علت سنك وانتهيت . وما انتبهت ولا انتهيت .
اتعبت الف رايض ولم تؤد الفرايض .

كم ضبعت عمراً طويلاً حملت فيه وزراً ثقيلاً . كم نصب لك
الموت دليلاً اذ ساق العزيز ذليلاً ، لقد حمل إلى القبور جيلاً جيلاً ،
ونادى في الباقيين رحيلاً رحيلاً ، لكن الهوى أعاد الطرف كليلاً ،
وما كان الذي رأيت قليلاً ، يا مرضاً عجيباً كم أتعبت طبيياً ، لقد
تنوع ضروباً فأخذ كل عضو نصيباً الام يبقى الغصن رطيباً ؟ من يرد
برد الصبي قشيباً ، لقد أمسى الموت قريباً وستبصر يوماً غريباً .

عجباً لك ، لا الدهر يعظك ولا الحوادث تنذرك والساعات تعد
عليك والأنفاس تعد منك ، وأحب امريك إليك . أعودهما بالضرر
عليك .

يا هذا ، من جلا بصيرته من قذى الهوى جلى على بصره عرائس
الهدى . الصور تراحم المعاني فمن حلها حل بمغنى المعنى فتعلم حلها
بالتدريج . كل ذرة من الكون تخبر بلغة بليغة عن حكمة الفاطر ،
غير أنه لا يفهم نطق الجوامد إلا العقل نظر الابصار اليوم إلى الصانع
بواسطة المصنوع تدريج إلى رفع الوسائط غداً ، يا محبوساً في سجن غفلته
أخرج من ديار ادبارك واعبر في معبر اعتبارك ، قف على بعض بقاع
قاع ترى كيف نمت خضرة حضرته بأسرار الخالق اذ تمت . تلمح
أصناف النبات في ثياب الثبات قد برزت في عيد الربيع تلمس طربساً
بالري ، تأمل مختلف الألوان في الغصن الواحد . فان صباغ القدرة
صناع . اسمع غناء الورق ، على عيدان^(١) العيدان . لعل مقاطع
السجوع توجب رجوع المقاطع :

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد اشكو فما تفهمني

(١) الأولى جمع عود لآلة الغناء والثانية كذلك للغصن .

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

الحماثم نوائح المشتاقين قد رضىت من خلهم بجران الدموع :

ناحت سحراً حمامة في غصن قد جرعها الفراق كأس الحزن
تبكي شجناً تلقته مني ما يبكي بك إلا وبروي عني

واعجباً ، متى يثمر لك وجود الثمر معرفة النعم * كم تنضج الثمار
وتتناولها وثمره عرفانك بعد فجة * ليس حظك من النبات إلا الأكل *
أين التدبير لعجيب الصنعة والصنع * يا مؤثراً ضحك الحس ، على فضاء
العقل * كيف تبيع صفاء للتأمل بكدر الإهمال ؟ من العجب أن
ندعوك إلى تلمح العبر في الغير وأنت ما تبصر نفسك ، تدبر قطرة
قطرة من ماء * صبت على إيقاد نار الشهوة * كيف ظهرت فيها عن
حركات اللذة ؟ رقوم نقوش عقدتها يد القدرة * كما تظهر الصورة في
ثوب السقلاطوني^(٢) عن حركات الشد .

تأمل نطفة مغموسة في دم الحيض ، ونقاش القدرة يشق سمعها
وبصرها من غير مساس * كيف تربى في حرر مصون عن مشعب ، بينا
هي ترفل في ثوب نطفة اكتست رداء علقه * ثم اكتست صفة مضغة ، ثم
انقسمت إلى عظم ولحم * فاستترت من يد الأذى بوقاية جلد * ثم
خرجت في سربال الكمال تسحب مطارف الطرائف * فبينما هي في
صورة طفل درجت درجة الصبي * فتدرجت إلى النطق وتشبثت بذيل
الفهم * فكم من صوت بين أرجل النقل من تحريك جلاجل العبر *
في خلاخل الفكر ، كلما رنت غنت السن الهدى في مغاني المعاني * وكيف
يسمع اطروش الغفلة ؟ هذا بعض وصف الظاهر ، فكيف لو فهمت معنى
الباطن ؟ الادمي كتاب مسطور * وشخصه رق منشور * قلبه بيت معمور *
همه سقف مرفوع * علمه بحر مسجور * من ينتفع بأسماعكم بعدي ؟ وما
تحسن الايام تكتب ما املى .

(١) منسوب إلى سقلاطون بلد بالروم .

الفصل الحادي والثلاثون

يا جامعاً المال لغيره • تاركاً للتزود في سيره • أنحطى بشر كسبك ،
ويحصل سواك بخيره :

سابق إلى مالاك ورائه ما المرء في الدنيا بلباث
كم صامت يخنق أكياسه قد صلح في ميزان ميراث

أين جامع الدنيا؟ طرحها واطرح • أين اللاهي بها؟ حزن بعد أن فرح •
جال في وصف الحرب عنها فاغتيل وجرح • وظن الأمر سهلاً فاذا
الرجل قد ذبح • بينا هو في لذاته يغتبق ويصطبج برح به أمر مرهل ،
فما برح نزل والله لحداً ضيقاً فما ينفسح ، وصمت تحت الثرى فكأنه
لم ينطق ولم يصح ، وكتب على قبره ما أخر خسر ، وما قدم ربح •
وعدل إلى قصره بعد الدفن فافتتح ، وأصبحت سهام الوارث في ماله
تنتطح ، يا معرضاً عن الهدى والأمل متضح ، أو ما حالك كهذا الحال؟
الذي شرح • كأنك بك في ضيق خناقك تبكي على قبيح أخلاقك ،
وحبل الدموع تجري في حلبات آماقك ، وقد تحيرت عند التفاف ساقك
بساقك ، وأسرت لا بقيد عن حركات اطلاقك • وناداك تفريطك : هذا
بعض استحقاقك .

لا تكذبني فاني لك ناصح لا تكذبه
فاعمل لنفسك ما استطعت فانها نار وجنة

اخواني ، كم من حريص قد جمع المال جمع الثريا ؟ فرقة الاقدار
تفريق بنات نعش • يا ذا اللب ، حدثني عنك ، اتفق العمر الشريف في
طلب الفاني الرذيل ؟ ويحك ، إن الهوى مرعاد مبراق بلا مطر ، الدنيا

لا تساوي نقل اقدامك في طلبها ، أرأيت غزالاً يغدو خلف كلب ؟ الدنيا مجاز والأخرى وطن ، والأوطار في الأوطان أطوار . ايثار ما يفني على ما يبقى برسام حاد .

يا أبناء الدنيا انها مدمومة في كل شريعة . والولد عند الفقهاء يتبع الام . يا من هو في حديثها انطق من سبحان ، وفي انتقاد الدنانير أنسب من أغفل ، فاذا ذكرت الآخرة فابله من باقل . حيلتك في تحصيلها أدق من الشعر . وأنت في تديرها أصنع من النحل . وعين حرصك عليها ابصر من العقاب . وبطن أملك اعطش من الرمل . وفم شرهك أشرب من الهيم . تجمع فيها الدر جمع الدر . يا رفيقاً في البله لدود القز . ما انتفعت بموهبة العقل :

كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

ويحك ، إن سرورها أقتل من السم ، وإن شرورها أكثر من النمل لأنها في قلبك أعز من النفس ، وسنصير عند الموت أهون من الارض ، حرصك بعد الشيب أحر من الجمر ، أبقى عمر ؟ يا أبرد من الثلج ، يا من هو عن نحاته أنوم من فهد ، ضيقت عمراً أنفوس من الدر ، أنت في الشر أجرى من جواد ، وفي الخير أبطأ من أعرج ، تسعى إلى العاجل سعي رث ، ويمشي في الاجل مشي فرزان ، الزكوة عليك أثقل من أحد ، والصلوة عندك كثقل صخر على ظهر ، وطريق المسجد في حسيان كسلك كنرسخي دير كعب ، صدرك عن حديث الدنيا أوسع من البحر ، ووقت العبادة أضيق من تسعين ^(١) ، معاصيك أشهر من الشمس ، وتوبتك أخفى من السهي ، إن عرضت خطيئة وثبت وثوب النمر ، فإذا لاحت طاعة رغت روغان الثعلب ، تقدم على الظلم أقدام السبع ، وتخطف الامانة اختطاف الحداة ، يا أظلم من الجلندي ما تأمنك غزلان الحرم ، يا كنعان الامل ، يا نمرود الخيل ، يا نعمان الزلل ، أنت في حب المال

(١) عند التسعين أن تجعل الأئمل النيابة في أصل الابهام .

شبه الحجاب ، وفي تبذير العمر رفيق حاتم ، تمشي في الامل على طريق
أشعب ، وستندم ندامة الكسعي ، يا عذري الهوى في حب الدنيا ،
يا كوفي الفقه في تحصيلها ، يا بصري الزهد في طلب الآخرة ، إنما
يتعب في تعليم البازي ليصيد ماله قدر ، ولما تعلم بازي فكرك ، أرسلته
على الجيف .

ويحك تفكر قبل سلوك طريق الهوى ، في كثرة المعائر والصدمات
أوما المكروهات في طي المحبوبات كوامن ؟ يا مطلقاً نفسه في محظور
شهواتها ، أذكر الغمس في الرمس ، يا ذا البال الناعم فوق الارض ،
أذكر الناعم البالي تحتها ، أتلحق ؟ والزمان يفرق ، أتؤلف ؟ والحدثان
يمزق ، أتصفي ؟ والدهر يرنق ، أتؤمل ؟ والموت معوق ، ويحك إن
القاصد قاصم ، وما للعاصي عاصم ، أنت في أرباب الذنوب غريق ،
وفي روم الهوى بطريق ، فاحذر عقاب الاكابر ، يا قليل الخبرة بالطريق
أطلب رفقة ، إذا لم تعرف القبلة بالعلامات ، ففي المساجد محاريب ، إذا
رأيت قطار التائين متصلاً فعلق عليه .

أهل	الغرام	تجمعوا	فالיום	يوم	عتابنا
نعق	الغراب	يبيننا	فغرابنا	اغرى	بنا
ان	الذين	نحبهم	قد	وكلوا	بعذابنا
قوموا	بنا	بحياتكم	نمضي	إلى	أحبابنا
قوم	إذا	ظفروا بنا	جادوا	بعق	رقابنا

من مشى إليّ هرولت إليه ، دعوناك بالوسائط فلم نحضر ،
فأتى المرسل ينزل إلى السماء ، النظر متشابه والذوق محكم .

ولما رأيت الحب قد مد جسره ونودي بالعشاق قوموا بنا فاسروا
خرجت مع الاحباب كيما احوزه فصادفني الحرمان وانقطع الجسر
ومالت بنا الامواج من كل جانب ونادى مناد الحب قد غرق الصبر

الفصل الثاني والثلاثون

يا هذا . لو عاينت قصر أجلك لزهدت في طول أملك ، وليقتلنك
ندمك إن زلت بك قدمك .

(للمتنبيء) : (١)

الى كم ذا التواني في التواني ؟ وكم هذا التماذي في التماذي ؟
وما ماضي الشباب بمسردٌ ولا يومٌ يمر بمستعار
متى لحظتُ بياضَ الشيبِ عيني فقد وجدته منها في السواد
متى ما ازددتُ من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادِ

الى متى تحرص على الدنيا وتنسى القدر ؟ ، من الذي طلب ما لم يقدر
فقدر ؟ ، لقد أذاك إذ ذاك النصب ، وأوقعك الحرص في شرك
الشرك إذ نصب ، أتحمّل على نفسك فوق الجسد ؟ ولو قنعت أراحك
الزهد فلماذا تحمل ما آذى ولمن ؟ ، ومن ينفعك إن قتلت نفسك يا
هذا ، ومن ؟ ، تحمل على الهم الهم ، لامر لو قضى تم ، أحرصاً على
الدنيا ؟ لا كانت ، أم شكاً في عيوبها ؟ فقد بانت .

رأيت ظنوني بها كالسرّاب فأيقنت ان سرابي سرابي

كم غرت الدنيا فرخها ؟ فعرت ، ثم ذبحته بمديّة ما مرت ، لإنها
لتقتل صيادها ، وتقتل أولادها .

عزيز على مهجتي غرني وسلم لي الوصل واستسلما

(١) من قصيدة قالها في ملح علي بن إبراهيم التنوخي ، أنظر الديوان ص ٧٨ .

فلما تملكني واحتوى على مهجتي سل ما سلما

والله لو كنت من رياشها أكسى من الكعبة ، لم تخرج منها إلا أعرى
من الحجر الاسود .

قيل لراهب : ما الذي جيب إليك الحلوة وطرد عنك الفترة ؟
قال : وثبة الاكياس من فخ الدنيا .

وقيل لآخر : لم تخلبت عن الدنيا ؟ فقال : خوفاً والله من الآخرة أن
تتخلي عني .

من غرس في نفسه شرف الهمة فنبت ، نبت عن الاقدار ، ومن
استقر ركن عزيمته وثبت ، وثبت نفسه عن الاكدار .

قد انقضى العمر وانت في شغل فاجسر على الأهوال ان كنت رجل

يا زمن الهمة ، يا مقعد العزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن .

اما اشتقت مغنى الهوى حين طاب ومنبت غصن الصبي حين مالا
أما آن من نازح ان يحن وللوصل من هاجر أن يدالا

سار المجدون وتركوك ، ونجا المخفون وخلفوك ، نادهم إن
سمعوك ، واستغث بهم إن رحموك .

أيها الراحلون من بطن خيف وركاب النوى بهم تترامى
ان أتيم وادي الاراك فاهدوا لحبيبي نخبتي والسلاما
وردوا ماء ناظري عوض الغدر ان وارعوا بين الحشى لا الخزامى
واطلبوا إلى قلبي وآيته ان تجدوا فيه من هواهم سهاماً

يا من أبعدته الخطايا عنهم ، أدرج مرحلة الهوى وقد وصلت
أنت تتعلل للكسل بالقدر فتقول : لو وفقني ، ولكسب الشهوات
بالندب إلى الحركة (فامشوا في مناكيبها) ^(١) أنت في طلب الدنيا

(١) سورة الملك ، الآية ١٥ .

قدري ، وفي طلب الدين جبري ، أي مذهب وافق غرضك ثمذهبت به ، أو ليس في الإجماع (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) ^(١) جسدك عندنا وقلبك في البيت ، نحن في واد وأنت في واد .

بكرت صباحاً عواذله	ورسيس الحب قاتله
هوى في واد ولسن به	والهوى عنهن شاغله
يتمنين السلو له	ومناه من يواصله

لا بد والله من قلق وحرقة أما في زاوية التعبد أو في هاوية الطرد ، إما أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء الحبيب ، وإلا فنار جهنم أشد حرراً :

شجاك الفراق فما تصنع أتصبر للبين أم تجزع
إذا كنت تبكي وهم جيرة فما ذا تقول إذا ودعوا

الفاق القاق يا من سلب قلبه ، والبكاء البكاء يا من عظم ذنبه .

كان الشبلي يقول في مناجاته : ليت شعري ما إسمي عندك يا علام الغيوب ، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟ ، وبم تختم عملي يا مقلب القلوب ؟ وكان يصيح في جوف الليل : قرّة عيني ، وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك ؟ ، أقلت هذا فراق بيني وبينك ؟

هجرانك قاتلي سريعاً	والهجر من الحبيب قاتل
ان كنت نسيته فعندي	شغل بك لا يزال شاغل
قلبي يهواك ^(٢) ليت شعري	ما أنت بذو المحب فاعل
حقاً قد قلت يا حبيبي	قام على قولي الدلائل

(١) سورة فصلت ، الآية ٤٦ .

(٢) هذا البيت وما يليه من الأبيات لا تستقيم وزناً فلتنظر .

شوق وجوى ونار وجد
سائل دمعي فجفن عني
ان جن لي الليل يا حبيبي
ابكى ما كان من وصال
هذا خدي على ثراكم
ان انت طردتني فويلي
كلا والجود لي شفيع

تذكي بعظام البلب
لا يبرح بالبكاء سائل
فجئة القلب في الرسائل
والحزن تهيجه المنازل
لا ابرحه ولا ازايل
بعد الاعراض من أواصل
والجود مقدم الوسائل

الفصل الثالث والثلاثون

يا من بين يديه الاهوال والعجائب ، وقدماً نوى له الدهر النوائب ،
أما سهم المصائب كل يوم صائب ، أحاضر فتحمل من عتبنا كلا ؟
بل أنت غائب .

وكيف قرّت لأهل العلم أعينهم	أو استلذوا لذيد النوم أو هجعوا
والموت يندرهم جهراً علانية	لو كان للقوم اسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردتهم	وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والانعام آمنة	والنون في البحر لن يغتالها فزع
والادمي بهذا الكسب مرتين	له رقيب على الاسرار يطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفرداً	وخصمه الجلد والابصار والسمع
اذ النيون والاشهاد قائمة	والجن والانس والاملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي	منشرة فيها السرائر والابخار تطاع
فكيف سهوك والانباء واقعة	عما قليل ولا تدري مما يقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له	ام الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بساكنها طوراً وترفعهم	اذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم	هيئات لا رقة تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه	قد سأل قوم بها الرجعي فما رجعوا

يا من عمره يقدر بالساعات ويعد بالانفاس ، يا خل الامل خل
أحاديث الوسواس ، يا طويل الرقاد إلى كم ذا النعاس ؟ ، قد بقي
القليل لا ريب وهذا الشيب يقلع الاغراس ، إن في المقابر عبراً ،
وما أدراك ما الادراس ؟ ، تالله لو سكن اليقين القلب ، لضربت أحماساً

في أسداس ، هل نجد لماضي العمر لذة ؟ والباقي على القياس ، ماذا التهلول في البوار ، وجسر الازيسال في الخسار ، كأنك لم تسمع بجنة ولا نار ، لهيب حرصك ما يطفئ ، وشر شرهك ما يخفى ، أترى هذا ؟ على ماذا ، أليس لما إذا ؟ قيل آذى .

أنتَ في طلب الدنيا أحيرو من صب ، تبيت في عشقها أسهر من صب ، أين ما خلا في الفم وحلى في العين ، ذهب الكل وأنت تدري إلى أين ، ما أصعب السباحة في غدير التمساح ، ما أشق السير في الأرض المسبعة ، إن المفروح به هو المحزون عليه ، غير أن عين الهوى عميا ، طائر الطبع يرى الحبة لا الشرك ، ضيعت سهادك بسعادك ، رمتك إلى الهند هند ، صيرت نهارك ليلا ليلا ، ويحك ربات الظلم ظلم ، كم أراق الهوى دماً في دهن ، ويحك دع سلمى وسل ما ينفعك ، دعة لمثلك ترك دعد للنوى ، وسعادة لك هجرة لسعاد ، قطع الطمع من خضر الدنيا بموسى الياس ، تجمع للقلب عزم الخضر وموسى والياس .

يا معشر الفقراء الصادقين قد لبستم حلة الفقر ، فتجملوا بحيلة الكتمان ، إصبروا على عطش الزهد ، ولا تشربوا من مشربة من ، فالخرة تجوع ولا تأكل بشديها ، لا تسألوا سوى مولاكم فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه ، إن الفقير ترك الدنيا إنفة رآها قاطعاً فقاطع ، جاز على جيفة مستحيلة فسد منخر الظرف وأسرع ، الأنف الاشم لا يشم رذيلة بينا هو في قطع فيافي القناعة ، وقع بكتر ما وجدته الإسكندر ، فقلبه أغنى من قارون ، وبيته أفرغ من فؤاد أم موسى . كان إبراهيم ابن أدهم يعطي عطاء الاغنياء وهو فقير ، ويستدين عليه ثم يؤثر به (للشريف الرضى) : (١)

وهم يُنفذون المال في أول الغنى ويستأنفون الصبر في آخر (٢) الصبر

(١) قاله يرثي قوماً من عشيرته انقرضوا ، عام ٣٨٣ ، أنظر الديوان ١ / ٥٠٢ .

(٢) في الديوان « أول » .

مغاويرُ في الجليِّ مغايرُني الحمى^(١) مغايرُجُ للغُمِّي مداريكُ للوتر
وتأخذهم في ساعة الجود هِزةٌ كما خايل المطرابُ عن نزوةِ الخمر
فتحسبهم فيها نشاوى من الغنى وهم في جلايب الحِصاصةِ والفقير
عظيم عليهم أن يمنوا بلا يدٍ وهينٌ عليهم أن يبيتوا^(٢) بلا وفر
إذا نزل الحَيُّ الغريبُ تقارعوا عليه فلم يدر المقل من المثري
يميلون في شِقِّ الوفاء مع الردى إذا كان محبوب البقاء مع الغدر

أحكم القوم العلم فحكم عليهم بالعمل ، فقاطعوا التسويف
الذي يقطع أعمار الاغمار ، وانتبهوا فانتبهوا الليل والنهار ، أخرجوا
قوى العزائم إلى الافعال ، فلما قضوا ديون الجدد قضت علومهم
بالخدر من الرد ، أقدامهم على أرض التعبد قد ألفت الصفون تعتمد
على سنابك الخدر ، فإذا أثر عندها النصب ، راوحت بين أرجل الرجاء
قلوب كالذهب ذهب غشه ، أنفاسهم لا تخفى ، نفوسهم تكاد تطفئ ،
لون المحب غماز ، دمع المشوق تمام .

اخفي كدي ودمع عيني في الخد على هواك شاهد
فالجفن بلوعي مفر للعاذل واللسان جاحد

إشتد الخوف يوماً بإبراهيم بن أدهم ، فسأل الراحة فعوتب .
لو شئت داويت قلباً انت سقمه وفي يدك من الباوى سلامته
علامة كتبت في خد عارفكم من كان مثلي فقد قامت قيامته

ضجت الناقة لثقل الحمل ، رأت عظامها قد فرغت ففغرت
فم الشكوى فرغت .

يا حادي العيس قد براها حمل هموم لها عظام
رفقاً بها انها جلود ملصقات على عظام

(١) في الديوان « الحمى » .

(٢) في الديوان « يبيتوا » .

أشواقها خلفها وشوقي خلاف أشواقها أمامي

تمادى في قلب العارف جبل الخوف وجبل الحزن ، فلما وصل
إسكندر الفكر عبي زبر الهموم ، حتى إذا ساوى بين الصدفين
صاح بجنود الفهم . إنفخوا ، فاستغاث الواجد لتراكم الكرب .

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد روحها أو تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
لان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مكروب تجلت همومها

الفصل الرابع والثلاثون

أخواني ، رحيل من رحل عنا نذير لنا عنا ، وما جرى على من
تقدمنا وعظ لنا .

(للشريف الرضي) : (١)

ما أسرع الأيامَ في طيننا
في كل يوم أملٌ قد نأى
انذرنا الدهرُ وما نرعوي
تعاشياً والموت في جده
والناس كالاجمالِ قد قُرِبَتْ
تدنو إلى العشب ومن خلفها
ابن الأولى^(٢) شادوا مبانهم
لا مُعَدِّمٌ يحميه إعدامه
كيف دفاعُ المرء أحداثها
حط رجالٌ وركبنا الذُرَى
والحازم الرأي الذي يَغْتَدِي
لا يَأْمَنُ الدهرَ على غيرةٍ
كم غارسٍ أملٌ في غرسه

تمضي علينا ثم تمضي بنا
مرامهُ عن أجلٍ قد دنا
كأنما الدهر سوانا عنا
ما أوضح الامرَ وما ابيننا
تنتظرُ الحي لان يظعننا
مقامرٌ يطردها بالقنا
تهدموا قبل انهدامِ البنا
ولا يقي نفسَ الغيِّ الغينى
فرداً واقرانُ الليالي ثني
وعُقْبَةُ السير لمن بعدنا
مُسْتَقْلَعاً ينذرُ مستوطننا
وعزَّ لَيْثُ الغاب أن يؤمنا
فاعجلِ المقدار أن يُجتنى

(١) قاله يعزى الوزير أبا علي الحسن بن أحمد عن ولد له عام ٤٩٦ ، أنظر الديوان ٢ /

(٢) في الديوان « إن الألى » .

ما هذا التقصير في العمر القصير ؟ ما هذا الزهو يا من إلى البلى يصير ، كم فرق الموت أميرة أمير ؟ ، كم ازار الالحاد من وزير ؟ ، وسوى في القبور بين من هجر وزير ، أين الابطال الذين خاطرهم خطير طال ما اقتتلوا ، حتى كسروا القنا على القناطير ، تالله لقد أمسوا حتى أصبحت خيل الموت تعثي وتغير ، ونزلوا لحداً كبيراً غير كبير ، ورأوا كل منكر من منكر وكل نكير من نكير ، فهم مفترقون في القبور ، فإذا اجتمعوا بنفخة الصور ، عاد شراب الفراق قد أدير (فريق في الجنة وفريق في السعير) (١) .

يا غافلاً والموت يسعى في طلبه ، يا مشغولاً بلهوه مفتوناً بلعبه ، يا مشرباً راحة تفنى بطول تبعه ، أما عللت مريضاً ورأيت كرب كربه ، أما شيعت ملكاً فرجعت إلى سلبه ، أما تخلت عن ماله وتخلت بمكتسبه ، انفعه غلو عزه أو علو نسبه ، لقد ناجاك قبره وناداك أمره ، فانتبه ، ولقد ضره هواه ، فلا تلهج أنت به ، لا تغرنك السلامة فمع الخواطي سهم صائب .

نظر شباب إلى شيخ ضعيف الحركة فقال : يا شيخ ، من قيدك ؟ فقال : الذي خلفته يفتل قيدك .

من أخطأته سهام الموت قيده طول السنين فلا هو ولا غزل وضاق من نفسه ١٠ كان متسعاً حتى الرجاء وحتى العزم والأمل

الشباب باكورة الحياة والشيب رداء الردى ، إذا قرع المرء باب الكهولة فقد استأذن على البلا ، يا رهين الإثم على العقوبة ، ليس لك من يستفكك إلا التوبة ، المنقطع في قيد يتلقى الحاج منكس الرأس ، رب خجلة تمت الناقص ، كان بعض الاشياخ يقول : لبي ، من عادة المملوك ، أنهم إذا كبر لهم مملوك أعفقوه ، وقد كبرت فأعقني . وقف أعجمي عند الكعبة ، والناس يدعون وهو ساكت ، ثم أخذ بلحيته فرفعها ، وقال : يا خداه شيخ كبير .

(١) سورة الثورى ، الآية ٧ .

لما اتونا والشيب شافعهم وقد توالى عليهم الحجل
قلنا لتلك الصحائف انقلبي بيضاً فان الشيوخ قد عقلوا

يا معاشر الشباب إنتهوا القوى ، في التقوى ، فلو قد حل
المشيب حل التركيب ، إذا هلك أمير الشباب وقع الشتات في
العسكر ، الشباب رياض والشيب قاع فقر ، فاستصحبوا الزاد
قبل دخول القلاة .

يا قومنا ، الفوائد فوايت ، كف من تبذير يوذى ، فكيف ببيلر
من رعونة ؟ ، إذا كانت القلوب عقماً عن الفكر ، وانفقت عنة الفهم
فلا وجه لنسل الفضائل ، الخوف ذكر والرجاء أنثى ونحنت البطالة
إلى الأنثاء أميل ، من زرع بذر العمل في أرجاء الرجا ولم تقع
عليه شمس الحنن جاءت ثماره فجأة ، الجاهل ينام على فراش الامن
فينقل نومه ، فتكثر أحلام أمانيه ، والعالم يضطجع على مهاد الخوف
وحارس اليقظة يوقظه ، من فهم معنى الوجود علم عزة النجاة ،
النفس طائر قد أرسل من عبادان التعبد محملاً كتاب الامانة الى
دار الملك والعدو قد نصب له صنوف الاشراك ، يلوح في ضمنها
الحب المحبوب ، فإن تم كيده فهو صيده ، وإن خبر الخبر خبر ،
يا أطياف الفهوم احذري مراعي الهموم فثم عقبان التلف ، ومن نجا
منها بعد المحاربة أفلت مكسور الجناح ، واعجباً لبلبل الفطنة
كيف اغتر بفتح الفتنة . (للشريف الرضى) : (١)

يا قلب كيف علقت في اشراكهم ولقد عهدتك تُفْلِتُ الاشراكا
لا تشكُونُ إليَّ وَجَدًا بعدها هذا الذي جرَّتْ عليك (٢) يداكا

من حديق بصره إلى طرف الدنيا طرفت عينه ، من أصغى إلى
حديث الهوى أورثه الصدم عن النصائح ، خست همة فرعون
فاستعظم الحقيير (أليس لي ملك مصر) (٣) يا ذني النفس حمارك ينهق

(١) أنظر الديوان ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ . (٣) سورة الزخرف ، الآية ٥١ .

(٢) في الديوان « علي » .

من كف شعير يراه ، الدنيا كلها كجناح بعوضة فما نسبة مصر إليها .
صبي الفهم يشغله لون الصدفة والمنيقظ يرى الدرة . يا هذا ، إذا
لاحت لك شهوة فقف متدبراً عواقبها وقد بردت حرارة الهوى
فبين النجاة والهلاك فواق . واعجباً أنفقت المال المسروق وبقي
القطع :

أبكى زلي واشتكي آتسامي في سفك دمي تقدمت اقدامي
ما ابصرت الا والبلا قدامي ما أسرع ما أصاب قلبي الرامي

ضر والله التخليط آدم ، ونفعت الحمية يوسف ، ملك هواه
فملك زليخا ، أمرضها حبه فأرادت تناول مقصودها في زمان الحمية
فصاح لسان طبه (معاذ الله) ^(١) فخلطت في بحران المرض (ما جزاء
من أرادَ بأهلكَ سوءاً إلا أن يُسْجَنَ) ^(٢) فلما صحح الذهن قالت :
(الانَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) ^(٣) . لما نظر يوسف في عواقب الذنب
ونهاية الصبر فكف الكف اطلع بتعليم التأويل على عواقب الرؤيا ،
دخل اليوم موسى وعظى إلى مدينة مدين قلبك فوجد فيها رجلين
يقتلان ، القلب والهوى ، فاستغاثه الذي من شيعته وهو القلب على
الذي من عدوه وهو الهوى ، فوكزه موسى فقضى عليه ، فكان
قتل الهوى سبباً للخروج من قصر مصر الغفلة إلى شعب شعيب ^(٤)
اليقظة ، فالآن يناديك لسان المعاملة ، هل لك في بلوغ عرضك
على أن تأجرني ، فإن وفيت انقلبت إلى لذاتك مسروراً ، واسترجع
لك التكليم على طور الجنة ، فإن صحبت فرعون الهوى غرقت بعبورك
يوم اليم .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٥١ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٢٥ .

(٤) سبق التعليق على هذه المسألة فلتنظر .

الفصل الخامس والثلاثون

يا هذا . إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبرها لا لتعمرها ، فاقتل هواك المايل إليها ، واقبل نصحي لاتعول عليها .
(لورقة بن نوفل) :

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويؤدي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له والانس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من رده يوماً كما وردوا

الدنيا مزرعة النوائب ومشرفة المصائب ، ومفرقة المجامع
ومجرية المدامع ، كم سلبت أقواماً أقوى ما كانوا ، وبانت أحلى ما
كانت أحلاماً فبانوا ، ففكر في أهل القصور والممالك ، كيف مزقوا
بكف المهالك ثم عد بالنظر في حالك . لعله بتجلى القلب الحالك ، إن
لذات الدنيا لفوارك ، وإن موج بلائها لمتدارك ، كم حج كعبتها قاصد
فقتلته قبل المناسك ، كم علا ذروتها مغرور فإذا به تحت السنايك ،
كم غرت غراً فما استقر ، حتى صيد باشك ، خلها واطلب خلة ذات
سرور وسرر وأرائك ، تالله ما طيب العيش إلا هنالك .

أخواني ، ما قعودنا وقد سار الركب ، ما أرى النية الانية ،
يا مسافرين من عزم تزود ، يا راحلين بلا رواحل وطنوا على
الإنقطاع ، ليت المحترز نجا فكيف المهمل ؟ ، يا أقدام الصبر
تحملني فقد بقي القليل ، تذكرني حلاوة الدعة بين عليك مر
السرى ، قد علمت أين المنزل ؟ فاحملها تسير

(للمهيار) : (١)

تغنّ بالجرعاء يا سائقها فإن وئت شيئاً فزدها الأبرقا
واغنّ عن السياط في أرجوزة بحاجرٍ تر السهام المُرقا
واستقبال الريح الصبا بخطمها^(٢) تجدُ سرى ما وجدت متسقا^(٣)
إن لها عند الحمى واهله تعلقاً من حبها وعلقا^(٤)
وكل ما تزجره حدتها رعى الحمى ربُّ الغمام وسقى
حواملا منها هموماً ثقلت وانفساً لم تبق الا رمقا
تحملنا وان عرين قصبا وإن دمين أذرعاً وأسوقا
دام عليها الليل حتى أصبحت تحسب فجر ذات عرق شققا^(٥)
عرج على الوادي قتل عن كبدي ما شئت للبان الجوى والحرقا

الجنة ترضى منك بالزهد ، والنار تندفع عنك بترك الذنب ، والمحبة
لا تقع إلا بالروح .

ان سلطان حبه قال لا اقبل الرشا

ما سلك الخليل طريقاً أطيب من الفلاة التي دخلها ، لما خرج من
كفه المنجنيق ، زيارة تسعى ، فيها أقدام الرضا على أرض الشوق ،
شابهت ليلة « فزجني في النور ، وقال ها أنت وربك » .

زرنالك شوقاً ولو ان النوى بسطت فرش لافلا بيننا جمرأ لزرناك

رآه جبريل وقد ودع بلد العادة ، فظن ضعف أقدام المتوكل

(١) من قصيدة كتب بها إلى الأستاذ أبي الحسن المختار بن عبيد الله بن الذهبي الكاتب ، أنظر
ديوان شعره ٢ / ٣٢١ - ٣٢٦ .

(٢) الخطم جمع خطام : وهو حبل يوضع في أنف الدابة .

(٣) في الديوان « منطلقاً » .

(٤) في الديوان « إن حملت لعلقاً وعلقاً » والعلق جمع علقه : ما يتعلق به .

(٥) ذات عرق : مهل أهل المراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

فعرض عليه زاد « ألك حاجة » فردّه بأنفة « أما إليك فلا » قال فسل مولاك ، قال : علمه بحالي يغنيني عن سؤالي .

تلكوا	واحتكموا	وصار قلبي لهم
تصرفوا	في ملكهم	فلا . يقال ظلموا
ان وصلوا	محبهم	أو قطعوا لهم هم
يا أرض سلع	اخبري	وحدثني عنهم
تبيهم	أرض مني	وتشكيهم زمزم
يا ليت شعري	اذ غوا	أنجدوا ام اتهموا
ما ضرهم	حين سروا	لو وقفوا فسلموا

أبدان المحبين عندكم وقلوبهم عند الحبيب ، طرق طارق باب أبي يزيد فقال : ها هنا أبو يزيد ؟ فصاح من داخل الدار : أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يجده .

(للمهيار) : (١)

وبجرعاء الحمى قلبي فجع	بالحمى واقراً على قلبي السلاما
وترجل وتحدث عجباً	أن قلباً سار عن جسم أقاماً
قل بخيران الغضا آه على	طيب عيش بالغضا لو كان دأماً
حملوا ريح الصبا نشركم	قبل أن تحمّل شيخاً وتاماً ^(٢)
وابعثوا لي بالكري طيفكم	ان أذنتم لعيوني أن تناماً

بلغت بالقوم المحبة إلى استحلاء البلى ، فوجدوا في التعذيب عذوبة لعلمهم أنه مراد الحبيب .

ارضاء اسخط أو ارضي تلونه وكل ما يفعل المحبوب محبوب ضنى سويد بن مشبة . على فراشه ، فكان يقول : والله ما أحب أن الله نقصني منه قلامة ظفر .

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أيا اخذ في النبروز ، أنظر ديوان شعره ٣ /

٣٢٧ - ٣٢١ .

(٢) التمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص .

تعجبوا من نمني القلب مؤله وما دروا أنه خلو من الالم

أمر الحجاج بصلب ما هان العابد ، فرفع على خشبة وهو يسبح
ويهلل ويعقد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقي شهراً بعد موته ،
ويده على ذلك العقد مضمومة .

لنحشرن عظامي بعدما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

مروا على مجنوم قد مزقه الجذام ، فقالوا له : لو تداويت ، فقال :
لو قطعني إرباً إرباً ما ازددت له إلا حياً .

ان	كان	جيرانُ	الغضى	رضوا	بقتلي	فرضاً
والله	لا	كنت	لما	يهوى	الحبيب	مبغضاً
صرت	لهم	عبداً	وما	للعبد	أن	يعترضاً
هم	قلّبوا	قلبي	من	الشوق	على	جمر الغضا
يا	ليت	أيام	الحى	يعود	منها	ما مضى
من	لمريض	لا	يسرى	الا	الطبيب	المرضاً

كان الشبلي يقول : أحبك الناس لنعمائك وأنا أحبك لبلائك .

من	لقتيل	الحب	لو	رد	عليه	القاتل
يجرحه	النبيل	ويهوى	ان	يعود	النابل	

قلبهم الزهد في قفر الفقر على أكف الصبر ، فقلع أوداج
أغراضهم بسكين المسكنة ، والبلاء ينادي أتصبرون ؟ والعزم يجيب :
لا ضير ، سقامهم رحيق القرب فأورثهم حريق الحب فغابوا بالسكر
عن روية النفس فعربدوا على رسم الجسم وهاموا في فلوات الوجد
يستأنسون بالحمام والوحش .

يا	منية	القلب	ما	جيدي	بمنعطف	إلى	سواكم	ولا	حلي	بمنقاد
لولا	المحبة	ما	استعملت	بارقة	ولا	سألت	حمام	الدوح	اسعادي	
ولا	وقفت	على	الوادي	اسائله	بالدمع	حتى	رثي	لي	ساكن	الوادي

الفصل السادس والثلاثون

أيها المغرّ بالدنيا كم خدعت ، ما واصل وصلها محب إلا قطعت ،
ولا ناولت نوالاً إلا ارتجفت ، اختبأت مريرها فلما اعتقلت
أسيرها جرعت ، متى رأيتها قد توطنت فاعلم أنها قد أزمعت .

يا محب الدنيا الغرور اغترارا	راكباً في طلابها الاخطارا
يبتغي وصلها فتأبى عليه	وترى انسه فتبدي نقارا
خاب من يبتغي الوصالَ لديها	جارةٌ لم تزل تسيء الجوارا
كم محب ارته انساً فلما	حاول الزور صيرته ازورارا
شيب حلوا اللذات منها بمر	ان حلت مرة أمرت مرارا
في اكتساب الحلال منها حساب	واكتساب الحرام يصلى النارا
ولباغي الأوطار منها عناء	سوف يقضي وما قضى الاوطارا
كل لذاتها منغصة العيش	وارباحها تعود خسارا
وليالى الهموم فيها طول	وليالى السرور تمضي قصارا
وكفى أنها تظن وان جادت	بتزر افنت به الاعمارا
واذا ما سقت خمور الاماني	صبرت بعدها المنايا خمارا
كم ملك مسلط ذلته	بعد عز فما أطاق انتصارا
ونعيم قد أعقبته يبوس	ومغان قد غادرتها قفارا
أيها المستعير منها متاعا	عن قليل تسترجع المستعارا
عد عن وصل من يعيرك ما	يفنى ويبقى اثما ويكسب عارا
قد ارتكك الامثال في سالف اند	هر وما قدراتك فيك اعتبارا

وجدير بالعذر من قدم الا عذار فيما جناه والانذارا
فتعوض منها بخلة صدق والتمس غير هذه الدار دارا
والبدار البدار بالعمل الصا لح ما دمت تستطيع البدارا

إلى متى في طلبها ؟ ، إلى كم الإغترار بها ؟ ، تدور البلاد منشداً
ضالة المنى ، وتلك ضالة لا توجد أبداً ، فسيقتلك الحرص غريباً ولكن
لا في فيافي « فيا طوبى للغرباء » .

أظن هواها تاركى بمضلة من الارض لا مال لدي ولا أهل
ولا أحد افضى إليه وصيتي ولا وارث الا المطية والرحل

أيها المتعب نفسه في جمع المال : عقاب الوارث على مرقب
الانتظار ، أفهمت أم أشرح لك ؟ ، العقاب لا تعاني الصيد وإنما
تكون على موضع عال ، فأى طائر صاد صيداً انقضت عليه فإذا
رآها هرب وترك الصيد ، ومالك تجمع مالك ؟ وما لك منه إلا ما
تخلف ، والزمان يشتك للذهاب وأنت للاذهاب تؤلف ، المال إذا
وصل إلى الكرام عابر سبيل وإكرام عابر السبيل تجهيزه للرحيل ،
جسم البخيل كله يعرق إلا اليد كفه مكفوفة ما ينفق منها
خرزة .

تحلى بأسماء الشهور فكفه جمادى وما ضمت عليه المحرم

يا فرعونى الكبر تفرح بمال سيسلب منك ، فتستعير كلمة
(أليس لي) يا نمروذي الجهل ، تشد أطناب الحيل على الدنيا في
أرجل نسور الامل ثم ترمي نشاب الاغراض ، إن وقف لك غرض
فتستغيث الاكوان من يدك (وإن كان مكرهم) من فهم علم التوحيد ،
تجرد للواحد بقطع العلائق ، أما ترى كلمتى الشهادة مجردة عن نقط .
إذا أعرضت عن الدنيا أقبلت إليك الآخرة ، من ترك شيئاً لله عوضه الله
خيراً منه ، عقر سليمان الحيل (فسخرنا له الريح) ، لما عقدت الخنصر
على التوحيد ميزت على باقي الاصابع بالختام .

يا أطفال التوبة ما أنكر حينكم إلى الرضاع ، ولكن ذوقوا
مطاعم الرجال وقد نسيتم شرب اللبن ، إذا تحصن الهوى بقلعة
الطبع فانصبوا مجانيق العزائم وقد انهدم السور ، أنتم تخرجون لقتل
سبع ما أذاكم . ليقال عن أحدكم ما أجلده ، فكيف تتركون سبع
الهوى وقد أغار على سرح القلوب ؟ إنما تتحف الملوك بالباكورة .
فافهموا يا صبيان التوبة إذا أهديتم فالرطب لا الحشف ، يا أطيار
الشباب . إما عبادان التعبد وإلا استفراخ العلم وإلا فالذبح ،
تريدون نيل الشهوات وحصول المراتب ، والجمع بين الاضداد لا
يمكن .

هواك نجد وهواي الشام وذا وذا يامي لا يلتام

ما زلت أعالج مسمار الهوى . في قلب العاصي ، أميل به تارة
إلى جانب التخويف ، وتارة إلى ناحية التشويق ، فلما ضعف الماسك
بإزعاجي له ، إتسع عليه المجال فجذبته ، أنفت لصبي اللعب من
بيع جوهر العمر النفيس بصدف الهوى ، فشددت عليه في الحجر
ليعلم بعد البلوغ (أني لم أخنه بالغيب) (١) .

(١) سورة يوسف الآية ٥٢ .

الفصل السابع والثلاثون

أخواني ! جدوا فقد سبقتم ، واستعدوا فقد لحقتم ، وانظروا بماذا من الهوى علقتم ؟ ، ولا تغفلوا عما له خلقتم ، ذهبت الأيام وما اطعمتم وكتبت الآثام وما أصغيت ، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا وانقطعتم ، أهذا التوبيخ لغيركم أو ما قد سمعتم ؟

(لصردر) : (١)

ما ضاع من أيماننا هل يُغرمُ	هيهات والأزمانُ كيف تقومُ
يومٌ بأرواحٍ يباع ويشترى	وأخوه ليس يُسامُ فيه درهم
لي وقفة في الدار لا رجعت بما	أهوى ولا يأسى عليها يُقدم
وكفأك اني للنائب عاتبٌ	ولصمُ أحجار الديار اكلمُ (٢)
ومن انبلادة في الصبابة اني	مستخير عنهن من لا يفهم
واذا البليغ شكاً إليه بثه	عبناً فما بال المطايا تُرزمُ
كل كنى عن شوقه بلغاته	ولربما ابكى لفصيح الاعجم
نرجو سلوكاً في رسوم بينها	الأغصان سكر ، والحمام متيم
هذي تميل اذا تتسمت الصبا	والورق تذكر إلقتها فترتم

آه على زمان فات ، وعلى قلب حي مات ، كيف الطمع فيما مضى ؟ هيهات ، (رداً على ليالي التي سلفت) أين الزمان الذي بان ؟ أترأه بان ، أين القلب الصافي ؟ كان وكان .

(١) قاله في منح الوزير أبي المعالي بن عبد الرحيم ، أنظر الديوان ص ٣٤ .

(٢) في الديوان « مكلم » .

سقياً لمتزلة الحمى ومكثيها اذ لا أرى زمناً كأزماني بها
ما اعرف اللذات الا ذاكرأ هيهات قد خلفت أوقاتي بها

يا من كان له قلب فانقلب * قيام السحر يستوحش لك * صيام
النهار يسأل عنك * ليالي الوصال تعاتبك :
أين أيامك والدهر ربيع والنوى معزولة والقرب وال

يا من كان قريباً فطرد * يا من كان مشاهداً فحجب * يا عزيزي
ما الفت الشقاء ، فكيف تصبر ؟ أصعب الفقر ما كان بعد الغنى *
وأوحش الذل ما كان بعد العز وأشدّهما على الكبر * يا هذا بت
بيت الاحزان من قبل البيات * وثب إلى الميثب وثبة ثبات * ولا
تجاوز الجنب ودر حول الدار * واستقبل قبلة التضرع وقل في
الاسحار :

قد قلق الحب وطال الكرى واظلم الجو وضاق الفضاء
لا يعطش الزرع الذي نبتة بصوت أنعامك قد روضا
ان كان لي ذنب تجرّمته فأستأنف العفو وهب ما مضى
لا تبر عوداً أنت ريشته حاشي لباني المجد أن يقصا
كيف لا أبكي لاعراض من أعرض عني الدهر اذ عرضا
قد كنت أرجوه لنيل المنى فاليوم لا أطلب الا الرضا

يا من فقد قلبه وعدم التحيل في طلبه * تنفس من كرب الوجد
فبريد اللطف يحمل الملطفات * ريح الاسحار ركابي الرسائل * ونسيم
الفجر ترجمان الجواب .

(للمهيار) : (١)

فيا ريح الصبا اقترحي على الاحشاء واحتكمي

(١) من قصيدة كتب بها إلى العميد علي بن المزرع يعاتبه على تأخير رسه ، أنظر ديوان شعره

اراك نُسَمْتُ مُخْتَبِرِينَ ما عهدي وما ذهبي
فهذي في يدي كبدي وذا في وجنتي دمسي
سلامٌ كلما ذُكرتُ ليالينا بندي سَلَم

اخواني ، صعداء الانفاس واصل لا يمنع . لسان الدمع افصح
من لسان الشكوى ، شجو التائب يطرب سمع الرضا ، حزن النادم
يسرق قلب التعبد ، قلق المسكين محبوب الرحمة ، آسى من اسا فرح
العفو ، بكاء المفرط يضحك سن القبول ، دمع المحزون مخزون
لخزانة الخالص ، ريح نفس آسف أطيب من ندى ند ، قطرة من الدمع على
الحد أنفع من ألف مطرة على الأرض :

ضمنت حالي للقصة ورفعتها فأتاني التوقيع يشرح حاله
فأتيت ديوان الهوى فلكثرة العشاق لم ينهي لي ايصاله
حتى اذا أوصلتها نظروا إلى شخص تبقى للعيون خياله
قلت ارحموا هذا الفقير فانه من حين هجركم تمزق حاله

يا دائرة الشقاء أين أولك ؟ يا أرض التيه متى آخرك ؟ يا
أيوب البلاء إلى كم على الكناسة ؟ متى ينسخ الزمن ؟ زمن (اركض) :
سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنّت إلى ألف بعيد
فازعجت القلوب وقلقتها فما زلنا نقول لها أعيدي
أرى ماءً وبني عطشٌ شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

تعلق بالليل فهو شفيع مشفع ، تمسك بالبكاء فهو رقيق صالح ،
ادخل في زمرة المتجهدين على وجه التطفل في فلوات الخلوات
بلسان التذلل :

يا راحم عبدة المسيء المحزون دهمي مبذول وحزن قلبي مخزون
شوقي يسعى إليك والصبر حرون من تهجره أنت ترى كيف يكون

أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي ولا بالحجارة بل بنفس محتاج :

(للمهيار) (١) :

آه والشوق ما تأوّهت منه ليال « بالسفح » لو عُدُنْ أخرى
قلّبوا ذلك الرمادَ تُصَيِّبوا فيه قلبي ان لم تُصَيِّبوا الجمر

يا هذا ، إذا رأيت نفسك متخيلة لا مع المحبين ولا مع التائبين
فابسط رماد الأسف واجلس مع رفيق اللهف وابعث رسالة القلق
مع بريد الصعداء لعله يأتي بالجواب بكشف الجوى :

ولي زفرات لو ظهرنَ قتلني لشوق ليلاتي التي قد تولت
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى مثل تيك أظلمت
حلفت لهم بالله ما ام واحد إذا ذكرته آخر الليل أنت
وما وجدا عراية قد فت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت أحاليب الرعاء وخيمة بنجد فلم يقدر لها ما تمننت
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه وبرد حصاه آخر الليل حنت
لها أنه وقت العشاء وانه سحيراً فلو لا انتاها لحننت
بأكثر مني لوعة غير انني أجمجم أحشائي على ما اجنت

نيران الخوف في قلوب التائبين ما تحبو . وقلق المذنبين مما جنوا لا
يسكن . وضجيج المحبين في جيوش الشوق ما يفتر :

واهاً لزماننا الذي كان صفا أبكي مرضي وليس لي منه شفا
ذابت روحي وما أرى غير جفا هذا رمقي تسلموه بوفا

(١) من قصيدة كتبها إلى صديق ، أنظر ديوان شعره ١ / ٤٠٦ - ٤١١ .

الفصل الثامن والثلاثون

ألا يعتبر المقيم منكم بمن رحل ؟ ألا يندم من يعلم عواقب الكسل ؟
آه لغافل كلما جد الموت هزل ، ولعاقل كلما صعد العمر نزل .

اعد على فكرك أسلاف الامم	وقف على ما في القبور من رمم
ونادهم أين القوي منكم	القاهر أم أين الضعيف المهتمم
تفاصلت أوصالهم فوق الثرى	ثم تساوت تحته كل قدم
قبرُ البخيل والكريم واحد	ما نفع البخل ولا ضرر الكرم
واعجباً لغافل أمامه	هجوم ما لا يتقي اذا هجم
اذا تخطاه على عهد الصبي	أو الشباب لم يفته في الهرم
أما كفى الانسان موت بعضه	وهو المشيب المستطير في اللمم
أي خليلين أقاما أبداً	ما افترقا وأي حبل ما انصرم
ان النجوم الدائرات ابداً	تضحك من مبتسم اذا ابتسم

اخواني ، بادروا آجالكم • وحاذروا آمالكم • آمالكم عبرة فيمن
مضى ؟ آمالكم ، ما هذا الغرور الذي قد امالكم ؟ ستتركون على رغم
آمالكم مالكم .

اخواني ، صدقتم الأمل فكذبكم • وأطعتم الهوى فعذبكم • أما
أنذركم السقم بعد الصحة • والترحة بعد الفرحة ، في كل يوم يموت من
أشباحكم ما يكفي في نعي أرواحكم • ويحل بعقوقكم وفنائكم ما
يغيركم عن شتاتكم وفنائكم • فخذوا حذرکم قبل النوائب • فقد
ثبتتم من كل جانب ، وتذكروا سهر أهل النار في النار • واحذروا فوت

دار الابرار • ونخوفوا يوم الفصل بين الفريقين أن يصيبكم من البين
البين .

اخواني ، أبصاركم قوية وبصائركم ضعيفة • ومن ترائي هواه
توارى عنه عقله • سبحان من ظهر لخلقه بخلقه • غير ان عالم الحس لا
يرونه ، أما قلبك من نقطة إلى علة وأنت كالحمد • كلما نفخ فيك
الروح بعث الزاد يساق إليك من دم الأم فتناول به اجتذاب السرة •
إذ لو طرق الحلقوم تلفت • فلما خرجت إلى فلاة الدنيا رأيت أدواني
التدين معلقين لشربك • وكانت عمور الاسنان تكفي في اجتذاب
المشروب • فكلما اعتصرته خرج مغربلا لثلا يقع شرق • فلما قويت
المعا وافترقت إلى غذاء فيه صلابة أنبت الاسنان لتقطع والاضراس
لتطحن ومن العجائب ، أنه أخرجت غيباً لا تعلم شيئاً • فلو أخرجك
عاقلاً لرأيت من اطم المصائب تقلبك في الحرق والمصائب • ثم جعل
بكاءك حينئذ متقاضياً بالمصالح وبث القوى في باطنك ففوة تطلب
الغذاء وثانية تمتدبه إلى الكبد وثالثة تمسكه لها حتى تطبخه فيصير دماً •
ورابعة تهضمه وخامسة تفرق بين صفوه وكدره وسادسة تتولى
قسمته • فلو بعثت إلى الخلد ، ما تبعث إلى الكخذ صار بمقداره •
وسابعة تدفع ثقله .

أفيحسن بعد تفرقة الجاهلية على العسكر ، أن يشوا في المخالفة للمنعم ؟
ثم انظر إلى هذا الهواء الذي قد ملأ به الفضاء كيف تنتصب منه
النفس إلى النفس ؟ ثم هو للاصوات من حيث المعنى كالقرطاس •
يرقم فيه الحوائج ثم يمتحي فيعود نقياً • فأقوام يرقمون فيه الذكر
والتسبيح • وآخرون يرقمون كل قبيح • وكم بين من يرقم تلاوة
القرآن • وبين من يرقم أصوات العيدان ؟ ثم تأمل آلات الأصوات •
تري الرثة كالزرق • والحنجرة كالأنبوب • فاذا ظهر الصفر أخذ
اللسان والشفتان في صناعته الحاناً • فهو كالأصابع المختلفة على قم
المزمار .

ثم تأمل الأرض ، كيف مدها بساطاً وأمسكها عن الاضطراب

لتصبح السكنى • ثم يزلزلها في وقت ليفطن الساكن بقدره المزعج • وجعل فيها نوع رخاوة ليقبل الحفر والزرع • ورفع جانب السماء لينحدر الماء • وفرق المياه بين الجزائر ليرطب الهواء • وأودع المعادن كما تودع الحاجات في الخزائن ، ولما بث الطير صان عنها السنبل ، لأنه قوتك بقشور صلبة قايمات كالابر لثلا تستغه فتموت بشماء ، فيفوت الحظان ، ثم تأمل الرماية كيف حشيت بالشحم بين الحب • ليكون غذاءاً لها إلى وقت عود المثل • ثم جعل كل حشوتين لفاقة لثلا يتصاك فيجري الماء ، ثم جاء بالشمس سراجاً ومنضجاً للثمر تجري لتعمر الاماكن ثم تغيب ليسكن الحيوان ، ولما كانت الحوائج قد تعرض بالليل جعل في القمر خلفاً ولم يجعل طلوعه في الليل دائماً • لثلا تنبسط الناس في أعمالهم كانبساطهم بالنهار • فيؤذى الحريص كلاله ، ولما قدر غيبة القمر في بعض الليل جعل أنوار الكواكب كشعل النار في أيدي المقتبسين ، ولما كانت حاجة الخلق إلى النار ضرورية أنشأها وجعلها كالمخزون • تستنفض وقت الحاجة فتمسك بالمادة ، قدر مراد المسك ، ثم انظر إلى الطائر ، لما كان يختلس قوته خوف اصطيداده ، صلب منقاره لثلا ينسحج من الإلتقاط لان زمان الإنتهاب لا يحتمل المضغ ، وجعل له حوصلة يجمع فيها الحب ثم ينقله إلى القانصة في زمان الامن ، فإن كانت له أفراخ أسهمهم من الحاصل في الحوصلة قبل النقل ، فإن لم يكن له حنة على أفراخه أغنوا عنه باستقلالهم من حين انشقاق البيضة كالفراريج .

واعجباً كيف يُعصى من هذه نعمه ، وكيف لا تموت النفس حباً لمن هذه حكمه ، إن دنت همتك فخف من عقوبته ، وإن علت قليلاً فارغب في معاملته ، وإن تناهت فتعلق بمحبته ، (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) إن قصرت همتك فأثرت قطع النشوك صحبك حمار ، وإن رضيت سياسة الدواب رافقك بغل ، وإن سددت بعض الثغور أعطيت فرساً ، فإن كنت تحسن السباق كان عريباً ، فإن عزمت على الحج ركبت جملاً ، وإن شمخت همتك إلى الملك فالقيل مركب الملوك .

رأيت عليات الأمور منوطه بمستودعات في بطون الاساود

ليس كل الخيل للسباق ولا كل الطيور تحمل الكتب ، من الناس
من تشغله في الدنيا سوداء ، ومنهم من لا يلهيه في الجنة قصر ، ولا يسليه
عن حبيبه نهر ، قوته في الدنيا الذكر وفي الآخرة النظر .

يقول اناس لو تناسى وصاها وواصل أخرى غيرها لساها
فلا نظرت عين تلذ بغيرها ولا بقيت نفس تحب سواها

الفصل التاسع والثلاثون

أيها الغافل في إقامته عن نقلته ، الجاهل وقد ملا بما يملي بطن
صحيفته ، ألك زاد لسفرك على طول مسافته ؟ .

خف الله وانظر في صحيفتك التي حوت كلما قدمته من فعالكا
فقد خط فيها الكاتبان فاكثروا ولم يبق الا أن يقولوا فذالك
والله ما تدري اذا ما لقينها أتوضع في يمينك أو في شمالكا
فلا تحسبن المرء يبقى مخلداً فما الناس الا هالك فابك هالكا

يا من تحصي عليه اللفظة والنظرة ، مزق بيد الجد أثواب الفترة ،
وتأهب فما تدري السير عشاء أو بكرة ، واعتبر بالقرباء فالعبرة
تبعث العبرة ، وتزود لسفرة ما مثلها مسفره ، واقنع باليسير نالحساب
عسير على الذرة ، وإياك والحرام وانظر من أين الكسرة ؟ ، قبل أن
تلقى ساعة حسرة وتلقى بعدها في ظلمة حفرة .

لا يغرنك الزمان بيسر وسرور ولا يرعك بعسره
ان مر الزمان يمحق عسر المرء في لحظة ويذهب بسره
وسواء اذا انقضى يوم كسرى في نعيم ويوم صاحب كسره

أترى في عين العبرة رمد ؟ ، أما تبصر انسلاخ الامد ؟ يا دائم
المعاصي ما غيره الابد ، تصلي ولو التعود لم تكد ، القلب غايب
إنما جاء الجسد ، الفكر يحول في طلب الدنيا من بلد إلى بلد ، يا معرضاً
عن بحر برناء لا تقنع بالنمد ، يا مقتول الهوى ولكن بلا قود . بين الهوى
والمنى ، ضاع الجلد ، أما يحول ذكر الموت في الخلد ؟ أرايت أحداً

من قبلك خلد ؟ رب يوم معدود وليس في العدد ، إنما الروح عارية في هذا الجسد ، هذا بحر الغرور يقذف بالزبد ، كم ركه جاهل فغرق قبل البلد ، هذا سهم المنون يفري حلق الزرد ، أخواني دنا الصباح فقولوا لمن رقد : أين الوجوه الصباح ؟ مرت على جدد ، أين الظباء الملاح ؟ اغتالها الاسد ، هذا هو المصير . أما يرعوي أحد ؟

قال عمر بن عبد العزيز لابي حازم : عظمي ، فقال : اضطجع . ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فجد فيه الآن وما تكره أن يكون فيك فدعه الآن .

أيها الطالب للدنيا وما يجد ، كيف تجد الآخرة وما تطلب ؟ ما مضى من الدنيا فحلم ، وما بقي فأمني ، سبعة يظلمهم الله في ظله ، منهم رجل دعت امرأه ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخشى الله .

إسمع يا من أجاب عجوزاً على مزبلة ، ويحك إنها سوداء ، ولكن قد غلبت عليك ، عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم بطحاء مكة ذهباً فأبى ، يا محمد ممن تعلمت هذه القناعة ؟ قال لسان حاله : من عجة أبي ، الحريص دائم السرى وما يحمد الصباح ، من لا همة له سوى جمع الحطام معدود في الحشرات .

يا أطيوار القلوب إلى كم في مزبلة الحبس ؟ أكسري بالعزم قفص الحصر ، واخرجني إلى فضاء صحراء القدس ، روحي خماساً من الهوى تعودى بظاناً من الهدى ، بين أبي الحركة وأم القصد ينتج ولد الظفر ، لا ينال الجسيم بالهويننا . حمل النفس على حمل المشاق مدرجة إلى الشرف ، واعجباً من توقف الكألى والدريثر ، أشهود كنياب ؟ أكانون في آب ؟ ، الحرب خصام قائم وأنت غلام نائم إدخل بسلامتك لابس لامتك ، ليس في سلاح المحارب أحد من نبلة عزم ، أجرأ الليوث أجراها للصيود .

ليس عزماً ما مرض العزم فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام
طر بجناح الجسد من وكر الكسل ، تابعاً آثار الاحباب تصل .

(للشريف الرضى) : (١)

تَلَقَّتْ حَتَّى لَمْ يَبَيِّنْ مِنْ دِيَارِهِمْ (٢) جناب (٣) ولا من ناره من وقود
وان التفات القلب من بعد طَرْفِهِ طَوَالَ اللَّيَالِي نَحْوَهُمْ (٤) ليزيد
ولو قال لي الغادون: ما أنت مُشْتَهَ غداةً جزعنا الرمل قلت : أعود
أَصْبِرُ وَالْوَعَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ (٥) واعلامُ خَبْتٍ ؟ اني جليد

يا مخنث العزم أين أنت والطريق ؟ سبيل نصب فيه آدم ، وفناح
لأجله نوح ، ورمى في النار إبراهيم الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ،
وبيع يوسف بدراهم ، وذهبت من البكاء عين يعقوب ، ونشر بالمنشار
زكريا ، وذبح الحصور يحيى ، وضمنى بالبلاء أيوب ، وزاد على المقدار
بكاء داود ، وتنغص في الملك عيش سليمان ، وتخير برد (لن)
موسى ، وهام مع الوحوش عيسى ، وعالج الفقر محمد صلى الله عليه
وسلم .

فيا دارهم بالخزن ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

أول قدم في الطريق بذل الروح ، هذه الجادة فأين السالك ؟
هذا قميص يوسف فأين يعقوب ؟ ، هذا طور سينا فأين موسى ؟
يا جنيد احضر ، يا شبلي اسمع .

بدم المحب يباع وصلهم فمن الذي يتنازع بالسعر

(٤) في الديوان « نحوكم » .

(٥) في الديوان « بينكم » .

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٩٠ .

(٢) في الديوان « بلادكم » .

(٣) في الديوان « دخان » .

الفصل الرابعون

أخواني ، إعتبروا بالذين قطنوا وخزنوا ، كيف ظعنوا وحزنوا ؟
وانظروا إلى آثارهم تعلموا أنهم قد غبنوا ، لاحت لهم لذات الدنيا
فاغثروا وفتنوا ، فما انتشعت سحب المني حتى ما تواتوا ودفنوا .

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا وبنوا مساكنهم فما سكنوا
فكأنهم كانوا بها ظعنًا لما استراحوا ساعة ظعنوا

يا من قد امتطى بجعله مطا المطامع ، لقد ملا الوعظ . في الصباح
والمساء المسامع ، أين الذين بلغوا آمالهم ؟ فما لهم في المني منازع ،

ما زال الموت يدور على بدور الدور حتى طوى الطوالع ،
صار الجندل فراشهم بعد أن كان الحرير فيما مضى المضاجع ،
ولقوا والله البلا في تلك البلاقل ، قال شداد بن أوس : لو أن الميت
نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم .

وقال وهب ابن منبه : لو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على
أهل الارض لوسعهم ألماً .

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت
والقيامة ثم يبكون ، حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال يحيى بن معاذ : لو ضربت السماء والارض بالسياط التي
ضرب بها ابن آدم لانقادت خاشعة للموت والحساب والنار .

يا هذا الشيب أذان والموت إقامة ولست على طهارة ، العمر صلوة
والشيب تسليم ، يا من قد خيم حب الهوى في صحراء قلبه أقلع الاطناب

فقد ضرب بوق الرحيل ، أما تسمع صوت السوط في ظهور الإبل ؟
أما ترى عجلة السلب وقصر العمر ؟ شارف الركب بلد الإقامة
فاستحث المطي ، يا مشاهدة ما تمت بغيتها حتى وقع النهب فيها ، إستلب
منك لك قبل أن تستلب الجملة ، الايام تسرع في تبذير مجموع صورتك
وأنت تسرع في تبذير مهانك .

يا شباب الجول ، يا كهول التفريط ، يا شيوخ الغفلة ، إجلسوا معنا
ساعة في مآثم الاسف يا سحائب الاجفان . لمطري على ربيع الذنوب ،
يا ضيف الندم على الإسراف أسكن شغف التلوب ، يا أيام الشيب
إنما أنت بين داع ووداع ، فهل لماض من الزمان ارتجاع .

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن تودعا
فليس عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا
تلفت نحو الحمى حتى وجدني وجعت من الاصغاء لينا واخذعا
واذكر أيام الحمى ثم انثني على كبدي من خشية أن تصدعا

أخواني ، سكران الهوى بعيد الإفاقة ، فلو تذكر إقامة الحد طار
السكر ، من تحسى مرق الهوى احترقت شفتاه ، من أكل من الظلم ثمرة
أداها قوصرة . ويحك ، لغسل العثرة بعبرة ، وادفع الحوبة بتوبة ما دام
في الوقت مهلة وفي زمن السلامة فسحة ، قبل أن تموت وتفوت
وتعلو بعد الخيل على تابوت ، قبل أن ترى السمع والبصر قد كلا ،
وتقول (رب ارجعون) فيقال كلا ، قبل أن يصير دمع الاسى من
جفن من أسى ، ويقال هلا كان هذا قبل هذا ، هلا .

أترك من تحب وانت جار وتطلبه اذا بعد المزار
وتبكي بعد تأبهم اشتياقا وتسأل في المنازل أين ساروا
تركت سؤلهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديار
فنفسك لم ولا تلم المطايا ومث كدأ فليس لك اعتذار

يا من أجله يذوب ذوبان الثلج في الحر ، أينقشع غيم العمر ؟ لا عن
هلال الهدى ، أنؤثر الفاني المرذول على النفيس الباقي ؟

ارضينا بشيائ اللوى عن زرود يا لها صفقة غبن

ما يخفى علامات الإدبار عليك ، يفتش دارك فلا يرى سواك
للطهارة ، بلى ملاعق الأكل ، ليس في البيت مصحف بل تقويم ،
أبضع وجود التقويم ؟ ، يا مهتماً بالنظر في الطالع طالع ما قد خبي لك
كأنك بالموت قد طلع ، وما طالع فكرك عاقبة ، إسمع حسابي حقاً وما
ارجم ، ودع لكلماتي هذي قول الهاذي المنجم ، إن ضم الندم على
التفريط إلى العزيمة على الإنابة فساعة سعد ، وإن اجتمع في القلب
حب الدنيا على إثثار الكسل فقران نحس .

الفصل الحادي والاربعون

ما هذا الحب للدنيا والصبابة ؟ وإنما يكفي منها صبابة ، فقل للنفس الحريصة ، لقد بعث الأخرى رخيصة .

يا نفس ما الدهر الا ما علمت فكم الست حدثني اني أتوب فلم
اياك اياك من سوف فكم خدعت . واهلكت أمماً من قبلها وأمم
توبني يكن لك عند الله جاه تقى وقدمي من فعال الصالحين قدم
يا راقد للبلى حث المشيب به الا فكن خائفاً لا تقعدن وقم

يا من قد أخذ الهوى بأزمته ، وأمسك الردى بلمته ، يا رهين
ديون تعلقت في ذمته ، هذا أو أن جدك إن كنت مجداً ، هذا زمان
استعدادك إن كنت مستعداً .

(الشريف الرضى) : (١)

يا نفس قد عز المراد فخذني ان كنت يوماً تأخذين أو ذرى
نُهزةً مجد كنت في طلابها مثلها ينصف ساقى مثرري
عمر الفتى شبابه وانما آونة الشيب انقضاء العمر

رض مهر النفس يتأت ركوبه ، أمت زئبق الطبع يمكن استعماله ،
تلمح فجر الاجر بين ظلام التكليف : إحذر حبة القم فلإنها بتراء ،
إذا خرجت من شفة غدرك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تلحقها ،
ونسل الخصام مذموم ، أوثقه سبع غضبك بسلسلة حلمك ، فإنه إن

(١) قاله مفتخراً ، أنظر ديوان شعره ١٠ / ٧٥ .

أفلت أثلف ، متى قمت بحدة الغضب انطفى مصباح الحلم ، بحر
الهوى إذا مد أغرق ، وأخوف المنافذ من الغرق فتحة البصر فلا يشتغل
زمان الزيادة إلا باحكام القورح .

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

لو حضرت مع الاحباب الباب ، لسامح الناقد ببهرجك ، رحلت
رفقة (تنجاني) ، ومطروود النوم في حبس الرقاد ، فما فك عنه السجان
قيد الكرى حتى استقر بالقوم المنزل ، فقام يتلمح الآثار بباب الكوفة
والاحباب قد وصلوا إلى الكعبة .

(لصردر) : (١)

من يطلع شرفاً فيعلم لي هل روح الرعيان بالابل ؟
ام قعقت عمّد الخيام أم ارتفعت قباهم على البزل ؟
ام غرد الحادي بقافية منها غرابُ البين يستلمي ؟
فضلت دموعي عن مدّى حزني فبكيت من قتل الهوى قبلي
ما مر ذو شجن يكتمه الا اقول : متيم مثلي

من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا
يوليه ، الزهاد عين العارفين ، الارواح في الاشباح كالاطيار في
الابرار ، وليس ما أعد للإستفراخ كما هي للسباق ، من حلق بعين
الفكر إلى مطلع الهدى لاح له الهلال ، كم أداوي بصر بصيرتك وما
يتجلى ، ما أظن الضعف إلا في الوضع ، ضعف عين الخفاش ليس
برمد ، وحدة ناظر الهدهد خلقة ، مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة
منيرة ، قبل الشرايع (يكاد زيتها يضيء) (٢) وحدد قس (٣)

(١) قاله لبعض الرؤساء ، أنظر الديوان ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) سورة النور ، الآية ٢٥ .

(٣) قس بن ساعدة .

وما رأى الرسول ، وكفر ابن أبي وقد صلى معه ، مع الضب ري يكفيه ، ولا ماء ، وكم من عطشان في الموجة ، إذا سبق الانعام في القدم فذلك غنى الابد ، لما تقدم اختيار الطين المنهبط صعد على النار المرتفعة ، وكانت الغلبة لآدم في حرب إبليس ، فاكثفت جهنم بما جرى فسلمت يوم « جزيا مؤمن » سبق العلم بنبوة موسى وإيمان آسية فسبق تابوته إلى بيتها ، فجاء طفل منفرد عن أم ، إلى امرأة خالية عن ولد ، قرينان مرتعنا واحد .

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى بيت يهودي يعود (١) فقال له أسلم ، فنظر المريض إلى أبيه فقال : له أجب أبا القاسم ، فأسلم (٢) ، فكان ذلك قريباً من نسب (سلمان منا) فصاحت ألسنة المخالفين : ما لمحمد ولنا ؟ ، والقدر يقول : مريضنا عندكم (كيف انصرافي ولي في داركم شغل) .

لما عم نور النبوة آفاق الهدى رآه سلمان دون العم ، قويت ظلمات الشرك بمكة فتخبطت قريش في الضلال ، فلاح مصباح الفلاح من سجف دار الخيزران ، فإذا عمر على الباب ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم (انبثهم باسمائهم) ، غير أن النهار ليل عند الاعشى ، رجع الخفاش إلى عشه ، فقال : أوقدوا المصباح فقد جن الليل ، فقالوا : الآن طلعت الشمس ، فقال : ارحموا من طلوع الشمس عنده ليل ، فسبحان من أعطى ومنع ولا يقال لم صنع ؟ سلم التوفيق قريب المراقبي ، وبئر الخلدان بلا قعر ، ربما أدرك الوقفة أهل مصر وفاتت أهل نخلة ، لا بد والله من نفوذ القضاء فاجنح للسلم .

كم بالمخصب من عليل هوى طريح لا يعلل
وقتيل بين بين خيف مني وجمع ليس يعقل

(١) هو غلام كان يخدمه .

(٢) وتماه (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار) رواه البخاري عن أنس .

كيف تتقي نبال القدر والقلب بين إصبعين .

لا تغضبن على قوم تحبهم فليس ينجيك من أحبابك الغضب
ولا تحاصمهم يوماً إذا حكموا ان القضاة اذا ما خوصموا غلبوا

كان إبليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فهلك
أهلها (فتلك بيوتهم خاوية)^(١)

من لم يكن للوصال اهلا فكل احسانه ذنوب

أخذ كساء ترهبه فجعل جلاً لكلب أصحاب الكهف ، فأخذ
المسكين في عداوة آدم فكم بالغ واجتهد ؟ وأبى الله أن يقع في البئر
إلا بمن حفر ، ويحك ما ذنب آدم ؟ أنت الجاني على نفسك ، ولكنه
(غيظ الاسير على القد) .

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطاب فصارعه فصرعه عمر ، فقال بلسان
الحال : أنا مقتول بلسان الخذلان قبل لقاءك « فإياك عني لا يكن بك
ما بيا » ، يا عمر أنت الذي كنت في زمان الخطاب لا تعرف الباب
وأنا الذي كنت في سدة السيادة وأتباعي الملائكة موصل منشور
« لا يسئل » فعزلي وولاك فكن على حذر من تحول الحال .

فان الحسام الصقيل الذي قتلت به في يد القاتل

لما تمكنت معرفة عمر بتقليب القلوب لعب القلق بقلبه ، خوفاً
من قلبه ، فبادر بطريق باب البريد بالعرل والولاية ، يا حذيفة يا
حذيفة المحبة العظمى ، ارتباط أمرك بمن لا يبالي بهلاكك ، فكم قد
أهلك قبلك مثلك ، كم مشارف بسفينة عمله ؟ على شاطئ النجاة ،
ضربها خرق الخذلان فغرقت وما بقي للسلامة إلا باع أو ذراع ،
أي تصرف بقي لك في قلبك ؟ وهو بين إصبعين .

(١) سورة النمل ، الآية ٥٢ .

يا قلب إلام تطالبي
أرسلتك في طلي لهم
سلم واصبر واخضع لهم
ما احسن ما اعقلت به

بلقا الاحباب وقد رحلوا
لتعود فضعت وما حصلوا
كم مثلك قبلك قد قتلوا
أما لك منهم لو فعلوا

الفصل الثاني والاربعون

يا من قد أسره الهوى فما يستطيع فكاكاً ، أفق قبل الومى ، وها
هو قد أدركك إدراكا قبل أن لا ينفع البكاء الباكي ولا التباكي
من تباكى .

(لابي العتاهية) : (١)

كفأك نذير الشيب فيك كفاكا	بليت وما تبلى ثياب صباكا
مقام الشباب الغص ثم نعاكا	ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً
باهلاكه للهاكين عناكا	ولم تر يوماً مر الا كأنه
أتطمع أن تبقى فلست هناكا	ألا أيها الفاني وقد حان حينه
كأني بداع قد أتى فدعاكا	تسمع ودع من أفسد الغي سمعه
المنية فيما بينهن شراكا	ورب امان للفتى نصبت له
ويوشك أن تهدي هديت كذاكا	أراك وما تنفك تهدي جنازة
وينسأك من خلفته هو ذاكا	ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى
وهب واذا الكرب الشديد علاكا	ألا ليت شعري كيف انت اذا القوى
وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا	تموت كما مات الذين نسيهم
عليك اذا الخطب الجليل آناكا	كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة
غلغن فلم يقبل لمن فكاكا	نرى الارض كم فيها رهون دفيئة

كم سكن قبلك في هذه الدار ، فحام الموت حوم حماهم ودار ،

(١) لم اجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان ، أنظر ديوان شعره ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ثم ناهضهم سريعاً وثار ، كأنه ولي يطلب الثأر ، وقد خوفك بأخذ
الصديق وسلب الجار ، ومن أُنذر قبل هجومه فما جار .

يا هذا ، العمر عمر قليل وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تعرض
البقية للتأويل ، وقد آن الآن أن يرحل النزير ، ما أرخص ما يباع
عمرك وما أغفلك عن الشرا ، والله ما بيع أخوة يوسف بشن
بخس ، يا عجب من بيعك نفسك بمعصية ساعة ، متى ينتهي الفساد ؟
متى يرعوي الفؤاد ؟ .

يا مسافراً بلا زاد ، لا راحلة ولا جواد ، يا زارعاً قد آن الحصاد ،
يا طائراً بالموت يصاد ، يا بهرج البضاعة أين الجياد ؟ يا مصاب
الذنوب أين الحداد ؟ ، لو عرفت المصاب فرشت الرماد ، لو
رأيت سواد السر لبست السواد ، جسمك في واد وأنت في واد ،
نثر الدر لديك وما تنتقي ، وقربت المراقبي إليك وما ترتقي ، لقد
ضيعت ما مضى وشرعت في ما بقي ، يا واقفاً في الماء الغمر وما
ينقى .

ان قلت قم قال رجلي ما تطاوعني أو قلت خذ قال كفى ما تواتني

واعجباً لنفاسة نفس رفعت بسجود الملك لما ، كيف نزلت
بالخساسة حتى زاحمت كلاب الشره ، على مزابيل الذل ، هيهات
لن تفلح الاسد إذا أنفقت عليها المبتات الفساد .

يا هذا ، جسدك كالناقة يحمل راكب القلب ، فلا تجعل القلب
مستخدماً في علف الراحلة ، تالله إن جوهر معنالك يتظلم من سوء
فعلك ، لانك قد ألقيته في مزابيل الذل ، ماء حياتك في ساقية عمرك
قد اغدودق ، فهو يسيل ضائعاً إلى مهاوي الهوى ، وينسرب في أسراب
البطالة ، فقد امتلأت به خربات الجهل ومزابيل التفريط ، وشربته
أدغال الغفلات ، ويحك ، أُرده إلى مزارع التقوى لعله يعدق نور
حديقة ، إلى متى يمتد ليلي الغفلة ؟ ، متى تأتي تباشير الصباح ؟ .

هل الدهر يوماً بوصل يجود وأيامنا باللوى هل تعود

زَمان تَقْضي وعيش مَضَى بِنَفْسي والله تلك العهود
ألا قُلْ لكان وادي الحبيب هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وأنتم ورود

لما سبق الإختيار لاقوام في القدم ، جذبوا بعد الزلق في
هوة الهوى إلى نجوة النجاة . يا عمر ، كيف كانت حالك ؟ قال :
كنت مشغولاً بهبل فسمعت هتاف (فَتَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ) (١) فخرجت
على المنادي ، فإذا أنا في دار الخيزران يا فضيل ، من أنت ؟ قال
أخذت من قطع الطريق ، فاخذت في قطع الطريق . يا عتبة الغلام ،
من أنت ؟ قال كنت عبد الموى فحضرت مجلس عبد الواحد ، فصرت
عبداً للواحد يا سبي من أنت ؟ قال كنت ابن الرشيد فعرض لي
رأي رشيد فإذا عزمي قد أخذ المرومر . يا ابن أدهم ، من أنت ؟
قال أخذني حبه من منظرتي فصيرني ناطور البساتين . يا رابعة ، من
أنت ؟ قالت كنت أضرب بالعود فما سمع غيري .

بالله يا ربيع الصبا	مري على تلك الربا
وبلغي رسالة	يفضها أهل قبا
واحربا وهل يرد	فاتيا واحربا

يا طفلاً في حجر العادة محصوراً بقمط الموى ، مالك ومزاحمة
الرجال ؟ تمسكت بالدنيا تمسك الموضع بالظئر ، والقوم ما أعاروها
الطرف ، ما لك والمحبة وأنت أسير حبة ؟ كم بينك وبينهم ؟ ،
وهل تدري أين هم ؟ .

سلام على تلك المعاهد أنها شريعة وردي أو مهب شمالي
ليالي لم نخدر حزون قطيعة ولم نمش الا في سهول وصال
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلب برق أو بطيف خيال
سار القوم ورجعت ، ووصلوا وانقطعت ، وذهبوا وبقيت ، فإن
لم تلحقتهم شقيت .

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٠ .

لبس البياض بذات عرق معشر ولبت من حزن ثياب حداد
وصلوا إلى عرقات يبغون الرضا وبقيت منكسراً بطن الوادي
رفعوا أكفهم وضجوا بالدعا وضممت من كمد يدي بقوادي

يا من كلما استقام عثر ، يا من كلما تقرب أبعد ، استسلم
مع الحرية واستروح إلى دوام البكاء وصح بصوت القلق على
باب دار الأسف .

ليس لي فيك حيلة	غير صبري على القضا
وبكائي على الوصال	الذي كان وانقضى
ليتني تبت توبة	وقضى الله ما قضى

الفصل الثالث والاربعون

يا هذا ، من اجتهد وجدَّ وجَدَّ ، وليس من سهر كمن رقد
والفضائل تحتاج إلى وثبة أسد .

(للمهيار) : (١)

خاطرُ فلما عيشة حرة يُرغدها العزُّ ولما الحِمامُ
زاحمُ على باب العلى واجتهد لا بد أن تدخلَ بين الزحامِ
رام بها الليلَ فما يُسفر المصباحُ الا عن نقابِ الظلامِ
مَوارقاً عن عَقْلِ أشطانها مروقَ فوق السهم عن قوسِ رامِ
مَيِّزُ من الناس على ظهرها نفسك لا ميزةَ تحت الرخامِ (٢)
من طلب الغايةَ خطواً على ظهر الهوينا رامَ صعبَ المرامِ

لقد رضيت الغبن والغبن ، وبعث عذرَكَ بأقل ثمن ، وأنفقت فيما
يرد بك الزمن ، وفترت في الصحة ولا فتور الزمن ، يا مغروراً
بخضراء الدمن ، يا جامعاً مانعاً قل لي لمن ؟ ، كيف ينال الفضائل
مستريح البدن ، سلع المعالي غاليات الثمن ، وإن ساومتها فبزهد
أوبس وفقه الحسن .

يا هذا أوقد مصباح الفكر في بيت العلم ، تلح لك الأعلام ،
من سد ثغور الهوى يجمد الجلد ملأ عين راحته من نوم الطمأنينة ، من
دق صراط ورعه عن الشبهات عرض الصراط له يوم الجواز ، لله در

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين ، أنظر ديوان شعره ٣١٨ / ٣ - ٣٢٢ .
(٢) في الديوان « إحتشام » .

أقوام تأملوا الوجوب ففهموا المقصود ، فالناس في رقادهم وهم
في جمع زادهم ، والخلائق في غرورهم ، وعبونهم إلى قبورهم .

قال الإمام أحمد لقد رأيت أقواماً صالحين ، رأيت عبدالله بن
ادريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون ، رأيت أبا داود
الحفري وعليه جبة محرقة قد خرج منها القطن وهو يصلي فيترجع
من الجوع ، ورأيت أيوب النجار ، وقد خرج من كل ما يملكه .

وكان في المسجد شاب مصفر يقال له العوفي ، يقوم من أول الليل
إلى الصباح يبكي .

إذا ما الخيام البيض لاحت لدى منى فخرج فانا بعدها بقليل
ترانا لدى الاطناب صرعى من الهوى نكفكف دمعاً لافتقاد خليل
وكم أنه أردفتها بتنفس وكم عبرة أتبعته بعويل
قفوا وانظروا ذلي وعز معذبى تروا عجباً من قاتل وقتيل

عملت في قلوبهم معاول الحزن معاً ، فانبعثت من كل ركية ، ركية
ماء اسي ، فجري من طرف طرفين ماء فجرى وسخاً فغسل وسخاً .

قد كنت اطوي على الوجد الضلوع ولا ابدي الهوى وأسوم القلب كتماناً
فخاني الصبر اذ ناديته ووفت لي الشؤون فعاد السر اعلانا
أكتم الوجد والعينان تظهره للحب أعظم مما رمته شانا

قال أبو عمران الجربي : أرثني أُمي موضعاً من الدار قد انحفرت ،
فقلت هذا مرضع دُوع أبيك .

وكان حسان بن أبي سنان : يحضر مجلس مالك بن دينار ، فيبكي
حتى يبيل ما بين يديه ولا يسمع له صوت . (للعتبي) : ^(١)

أجاب دمعي وما الداعي سوى طَلَلِ دعا فلبّاه قبل الركب والإبل
ظلت بين أصيحابي اكفكفه فظل يسفح بين العُذر والعَدَلِ

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام ٣٤١ ، أنظر الديوان ص ٣٢٨ .

وما صباية مشتاق له أمل من اللقاء كمشاق بلا أمل

دموع المحبين ، غدران في صحاري الشوق ، من عادة القوم ألف
البراري والجلوس إلى الشجر فإن سمعوا هتاف الحمام استغنوا عن نايح .

شوقي إليك مجاوز وصفي وظهور وجدي دون ما اخفي
ما دار ذكر منك في خلدي الا طرفت بدمعي طرفي

إذا تمكنت المحبة استحال السلو ، تعلق يد المحبة بتلايب القلب
فلا يمكنه التخلص ، فيدور معها في دار المداراة .

ليكفكم ما فيكم من جوى نلقى فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
وحرمة وجدي لا سلوت هواكم ولا رمت منه لا فكاكا ولا عتقا

وهل للمحب قلب ، هيهات مزقته المحبة ، برائن أسود في شلو
ضعيف ، على شدة جذب مع وام التقلب .

ان ترحلت أو أقمت فعندي فيض دمع يجري ووجد مقيم
وقوادي ذاك الفؤاد المعنى وغرامي ذاك الغرام القديم

إنكشف اليوم السر ، إفتضح العاصي والعارف .

(لتوبة) :

خليلي قد عم الاسى وتقاسمت فنون البلى عشاق ليلي ودورها
وكنت اذا ما جئت ليلي تبرعت فقد رابني منها الغداة سفورها

وقع الحريق في زوايا المجلس رشوا عليه من مزاد الدمع ،
يا كثيف الطبع بيض الحمام يفرق من صوت الرعد ولا حس له ،
أفميت أنت وهذه الصواعق حولك ؟

لو ترى العاشقين في مآتم الذل وقد شققت جيوب الوصال

لعلرت الذي بلى بفراق ورحمت المحب في كل حال

هبت اليوم نسمة من أرض كنعان إلى مصر ، غنت حمامات
اللولى في أرض نجد ، تنفس المشتاق فانقشع غيم الهجر ، سعى
سمسار المواعظ في الصلح .

(للغزي) :

هبت لنا وبرود الليل أسمال
مرت بسفح اللوى والشح متشح
مريضة في حواشي مرطها بلل
دع جمرة لسويدا القلب محرقة
حدثت عن منحني الوادى وساكنه
وامزج بماء المنى قلت : من خبر
ريح لها من جيوب الوصل أذبال
بلؤلؤ الطل والجرباء معطال
يهدي لكل مريض منه ابلال
يا لآثمي ثم قل لي كيف احتال
كرر حديثك لا حالت بك الحال
فان اخبار ذاك الحى جريال

الفصل الرابع والاربعون

أخواني ، شحم المنى هزال ، وشراب الآمال سراب وآل ،
ولذات الدنيا منام وخيال ، وحربها قتل بلا قتال .

والمرء يبله في الدنيا ويخلقه حرص طويل وعمر فيه تقصير
يطوق النحر بالآمال كاذبة ولهزم الموت دون الطوق مطرور
جدلان يسم في اشراك ميتته ان افلت الناب أردته الأظافير

تيقظ لنفسك واذكر زوالك ، ودع الامل ولو طوى الدنيا
وزوى لك ، فكأنك بالموت قد حيرك وأبدى كلالك ، ونسبك
الحبيب ، لانه أرادك له لا لك ، وخلوت تبكي خلالك في زمان
خلا لك ، وشاهدت أمراً أفضلك وهالك ، تود أن تفتديه بالدنيا
لو أنها لك ، فتنبه من رقاد الهوى لما هو أولى لك ، واحذر أن
أعمالك ، أعمى لك وأفعالك كالافعى لك .

لو كان لك باعث من نفسك ، ما احتجت إلى محرك من خارج ،
هذا الديك يصيح في أوقات معلومة من الليل لا تختلف ، يؤدي
وظائفها يباعث الطبع وإن لم يكن في القرية ديك غيره ، وأنت
تؤخر وظائف صلواتك ، وتنقص من واجبات عباداتك ، فإن
يكيت في المجلس فلبكاء الجماعة ، فإذا خلوت خلوت من محرك ،
هيئات من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، إذا لم يكن للدجاجة
همة الحضان لم تنفع تغطيتها بمنخل الحاضن ، تصابر الشقاء لما تأمل
من العواقب والرعاء تكسر البيض قصداً .

للخصائص أوضاع والسوابق خواص " هؤلاء في الجنة ولا أبالي

وهؤلاء في النار ولا أبالي « المغناطيس يجذب الحديد بخاصية فيه ، العظيم
يبتلع الحصى والحجارة فيذيبها حرّاً قانصته حتى يجعلها كالماء الجاري ،
ولو طبخ ذلك بالنار لم ينخل ، ذنب الجرادة يشق الصخرة وليس بالقوى ،
إبرة العقرب تنفذ في الطشت ، خرطوم البعوضة يغوص في جلد الجاهل وس ،
من تعلق عليه برادة الحديد لم يغط في نومه ، إذا ترك الرصاص أو الزينق
في تنور سقط الخبز كله ، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم ،
إذا كان الزعفران في دار لم تدخلها وزغه ، إذا دفن الحديد في الدقيق
زال عنه الصدا ، إذا ترك سراج على شيء في شهر سكنت ضفادعه ،
إذا دفنت ذبّة في قرية لم تدخلها الذئب ، إذا نظر صاحب التأليل
إلى كوكب ينقض فمسح يده حينئذ على ثأليه ذهب ، إذا عسرت
الولادة فصاحت بالمرأة بكر يا فلانة أنا جارية عذراء وقد ولدت
وأنت لم تلدي ولدت في الحال للنملة ، فضل حسن في الشم تدرك
الاراييح البعيدة ، لما شق ختام نافجة النبوة ملأت ريحها الأرض ،
فاستنشقها أهل العافية ، فوصل إلى خياشم سلمان في فارس وصهيب
في الروم وبلال في الحبشة ، وكان ابن أبي مزكوماً فما نفعه قرب
الدار ، كم من نفر دخلت مجلسي وهي حامل جنين الاصرار ، فلما
استنشقت ريح المواعظ أسقطت .

أيها التائب من حركك ؟ وقد كان تحريك الجبل دون إزعاجك
(صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ) ^(١) أتدرون هذا التائب لم انزعج ؟
أما تجدون في نفسه حرّاً وهج .

صبا لنسيم الصبا اذ نفح	وارقه لمع بسرق لمع
واذكره عيشه بالحمى	وعهداً تقادم سرب سنخ
فحن إلى السفح سفح العقيق	فسح له دمه وانسفح
وكان كتماً لسر الهوى	ولكن جرى دمه فافتضح
فدعه يتنادي طول الحمى	ويسأل رame عن نرح

يا غائباً عنا ، وهو حاضر اما لك ناظر ناظر ؟ اما دموع الوجد

قد ملأت المحاجر ؟ ، أف لبدوي لا يطربه ذكر حاجر ، أقل أحوال
الزمن أن يبكي إذا رأى المشاة ، أنظر إلى التائبين وحرقتهم ، والتفت
إلى العارفين وقلقهم .

اسمع أنين العاشقين	ان استطعت له سماعا
راح الحبيب فشيخته	مدامع تجري سراعا
لو كلف الجبل الأصم	فراق الف ما استطاعا

كلما بكى الخائفون أزعجوني، وكلما استغاث الواجدون ألهفوني
واني لمجلوب لي الشوق كلما تنفس باك أو تألم ذو وجد
تعرض رسل الشوق والركب هاجد فيوقظني من بين نوامهم وحدي
يا صبيان التوبة . إرفقوا بمطايا أبدانكم فقد ألفت الترف (ولا
تضاروهن لتضيّقوا عليهن)^(١)

هب لها من النسيم رائد	فعادها من الغرام عائد
نوق نفى عنها الحمى طيب الكرى	فهي كما شاء السرى سواهد
انحلها تحت اللؤب اينها	فمارت الانساع والقلائد
فلا تخالفها اذا ما التفتت	شوقاً إلى بان الحمى يا قائد
وقل لها لما اذا ما عثرت	فهي لحمل وجدها تكابد
مذ حكم الين عليها لم تزل	تبكي عليها اليد والقدافد

يا صبيان التوبة ، للنفس حظ وعليها حق (فلّا تَميلوا كلَّ
الميل)^(٢) خذوا ما لها . واستوفوا ما عليها (وزِنوا بالقسطاسِ
المُسْتَقِيم)^(٣) فإن رأيتم من النفوس فتوراً فاضربوهن بسوط المهجر
(فإن أظعنكم فلا تبيغوا عليهن سبيلا)^(٤) على أي أوصي صبيان
التوبة بالرفق ، وبعيد أن يقر خائف أو يسمع العذل محب .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٢٥ .

(١) سورة الطلاق ، الآية ٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٢٩ .

سعة تفسح كرب المضيق	ليت شعري هل أرى في طريقي
فخذوا يا قوم كف الغريق	قد رماني الحب في لجج بحر
حل مني كل عقد وثيق	حل عندي حبكم في شغافي
وتساوى خامها والديقي	عفت دنياي اشتياقاً اليكم
فانجلى لي كل معنى دقيق	ورفضت الكل شغلاً بوجدني
فاله عني واشتغل يا صديقي	يا صديقي عندي اليوم شغل
فاعد ذكرهم يا رفيقي	يبدان تذكر لي حب قلبي
واحريقني في الهوى واحريقني	غصني الشوق إليهم برريقي

الفصل الخامس والأربعون

أخواني . البدار البدار فما دار الدنيا بدار ، إنما هي جلبة لجريان
الاعمار ، وكم تبقى الفريسة بين النيوب الاظفار .

ما دار دنيا للمقيم بدار	وبها النفوس فريسة الاقدار
ما بين ليل عاكف ونهاره	نفسان مرتشفان للاعمار
طول الحياة اذا مضى كقصيرها	واليسر للانسان كالعسار
والعيش يعقب بالمرارة حلوه	والصفو فيه مخلف الاكدار
وكأنما تقضي بنيات الردى	لفنائنا وطراً من الاوطار
ويروقنا زهر الاماني نضرة	هدم الاماني عادة المقدار
والمرء كالطيف المطيف وعمره	كالنوم بين الفجر والاسحار
خطب تضاءلت الخطوب لهوله	أخطاره تعلو على الأخطار
تلقى الصوارم والرماح لهوله	ونلوذ من حرب إلى استشعار
ان الذين بنوا مشيداً وانشوا	يسعون سعي الفاتك الجبار
سلبوا النضارة والنعيم فاصبحوا	متوسدين وسائد الاحجار
تركوا ديارهم على أعدائهم	وتوسدوا مدرأ بغير دثار
خلط الحمام قويمهم بضعيفهم	وغنيهم ساوى بذى الاقتار
والدهر يعجلنا على آثارهم	لا بد من صبح المجد الساري
وتعاقب الملون فينا نائر	بالكر ما نظما من الاعمار

تالله ما صبح من يطلبه مرضه ، ولا سر من سير وصل حل غرضه
ولا استقام غصن يلويه كاسره ، ولا طاب عيش الموت آخره ، إن
الطمع لعذاب ، وحديث الأمل كذاب ، وفي طريق الهوى عقاب ،

وآخر المعاصي عقاب ، فلا يمددك ضياء ضباب ، ولا يطعمك شراب
 سراب ، فمجيء الدنيا على الحقيقة ذهاب ، وعمارة القاني إن فهمت
 خراب ، وفرح الغرور ثبور واكتئاب ، ودنو الشيب ينسخ ضياء الشباب
 وكلما نادى الامل (فابلغه مأمنه) ^(١) صاح الاجل (فضرب الرقاب) ^(٢) .
 ياتاياها في ظلمة ظلمه .

يا موزلاً في مفازة تيهه ، يا باحثاً عن مدينة سحنه ، يا حافراً زبية
 هلكه ، يا معمقاً مهواة مصرعه ، بشس ما اخترت . لأحب الا نفس إليك ،
 ويحك ، تطلب الحادة ولست على الطريق ، كم فغر الزمان بوعظه
 فماً ، فما سمعت (لينذر من كان حياً) ^(٣) كيف تطيب الدنيا ؟ لمن لا يأمن
 الموت ساعة ، ولا يتم له سرور يوم إذا كان عمرك في إدبار ،
 والموت في إقبال : فما أسرع الملتقى ، لقد نصبت لك اشراك الهلاك ،
 والانساف أدق الحبائل ، يا ماشياً في ظلمة ليل الهوى لو استضئت
 بمصباح الفكر فما تأمن من بر بوار ، الشهوات مبثوثة في طريق
 المتقين ، وما يسلم من شرها شره الاولياء في حرم التقوى (ويتخطف
 الناس من حولهم) ^(٤) الدنيا مثل منسام والعيش فيها كالاحلام ، قيل
 لنوح عليه السلام يا أطول النبين عمراً كيف وجدت الدنيا ؟ قال : كدار
 ذات بايين ، دخلت من باب وخرجت من باب .

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً
 يا ثقیل النوم ، أما تنبهك المزعجات ؟ ، الجنة فوقك تزخرف ،
 والنار تحتك توقد ، والقبر إلى جانبك يحفر وربما يكون الكفن قد غزل
 (أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم) يا اضراً يرى الثائنين ، وهو في عداد
 الغائبين .

واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقي
 عاتب نفسك على هواها فقدوهاها ، قل لها ادرجي درج المدرج
 وقد لاحت مني ، لا يوقفتك في الطريق طاقة من أم غيلان ، فالحبط

(١) سورة التوبة ، الآية ٦
 (٢) سورة محمد ، الآية ٤
 (٣) سورة يس ، الآية ٧٠
 (٤) سورة النكبات ، الآية ٦٧ .

في المنزل مهيو لك ، تلمح عواقب الهوى بين عليك الترك ، تفكر في حال يوسف لو كان زل من كان يكون ؟ ، هل كانت إلا لذة لحظة وحسرة الابد ، عبرت والله اجمال الصبر سليمة من مكس وبقيت مديحة (إنه عن عبادنا المخلصين) (١) .

يا هذا . لحسب صبر يومك ساعة نومك تحظ في غمك برغلك ، البدار إلى الشهوات والندامة فرسا رهان ، والتواني عن التوبة والحياة رضيعا لبان ، واعجبا غرتك جبة فنج فحصلت وما حوصلت ، اليوم واطربا للكاس ، وغداً واحربا للإفلاس ، آه من حلالة لقم أورثت مرارة نقم ، تأمل العاقبة لا يحصل إلا لنا قد بصير ، من تلمح إذا تلا (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) (٢) وعرف قدر مدح (فآتمهن) علم أنه لم يبق في فيه شيئاً من مرارة البلى مرارة (وإذا ابتلى) ضجت الملائكة حين هموا بلقائه في النار ، فقالوا ائذن لنا حتى نطفي عنه ، فقال تعالى : إن استغاث بكم فأغيثوه وإلا فدعوه ، فلما ألقى عرض له جبريل ، وهو يسوي في الهواء فأراد أن ينظر هل للهوى فيه أثر ؟ ، فقال ألك حاجة ؟ قال اما إليك فلا ، فأقبل بمنشور (وإبراهيم الذي وفى) (٣) .

قالت لطيف خيال زارها ومضى	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظماء	وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته	يا برد ذلك الذي قالت على كبدي

(٢) سورة النجم ، الآية ٣٧ .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

الفصل السادس والاربعون

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً ، إفتح عين الفكر تر العلم لأنحاً ،
إحذر بئر الغفلة فكم غال سائحاً ، وتوق بحر الجهل فكم أغرق ساجحاً .

يا غادياً في غفلة ورائحاً إلى متى تستحسن القبايح
وكم إلى كم لا تخاف موقفاً يستنطق الله به الجوارح
يا عجباً منك وانت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ في غد صحيفة قد حوت القضايح
وكيف ترضى أن تكون خاسراً يوم يفوز من يكون راجحاً

يا معدوماً في الامس ، فانياً في الغد ، عاجزاً في الحال ، من أنت حتى
تغتر بسلامتك ؟ وتنسى حتفك ؟ وأملك بين يديك وأجلك خليفك ،
وكتابك قد حوى تفريطك ، كم نتهيت عن أمر ؟ فما كفك التهي
أن تبسط كفك ، يا من قد طال زله وتعثيره ، تفكر في عمر قد مضى
كثيره ، يا قلباً مشتتاً قل نظيره ، كم هذا الهوى ؟ واكم هوى أسيره ؟
أيها القاعد عن أعالي المعالي ، سبق الابطال والبطال ما يبالي ، ستعرف
خبرك يوم عتسائي وسؤالي ، وستقول عند الحساب مالي ومالي ، أعمالك
إذا تصفحت لهاك لآلي ، لو أشر فيك وعظي ومقالي لكنك لحر
الحسرات على حر المقالي .

إلى أي حين أنت في زي محرم وحنى متى في شقوة وإلى كم
فالا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسي الذل غير مكرم
فتب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجاجنى النحل في القم

ويحك ، إنما يكون الجهاد بين الامثال ، ولذلك منع من قتل النساء والصبيان ، فأني قدر للدنيا حتى يحتاج قلبك إلى محاربة لها ؟ أما علمت شهواتها جيف ملقاة ، أفيحسن بياشق الملك أن يطير عن كفيه إلى ميتة ؟ مهلاً (لا تمدن عينيك) لو علمت أن لذة قهر الهوى أطيب من نيله لما غلبك ، أما ترى الهرة تتلاعب بالفأرة ولا تقتلها ليبين أثر اقتدارها وربما تغافلت عنها ، فتمعن الفأرة في الهرب فتشب فتسدر كرها ولا تقتلها لإثارة اللذة القهر على لذة الاكل ، من ذبح حنجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق القلب من أسر الرق ، من ردم خنادق الحرص بسكر القناعة ظفر بكيمياء السعادة ، من تدرع بدرع الصدق على بدن الصبر هزم عسكر الباطل ، من حصد عشب الذنوب بمنجل الورع طالبت له روضة الاستقامة ، من قطع فضول الكلام بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة في القلب ، من ركب مركب الحذر مرت به رخاء الهدى إلى رجاء النجاة ، من أرسى على ساحل الخوف لاحت له بلاد الامن ، إلا عزيمة عمرية ، إلا هجرة سلمانية جاءت بمركب عمر ، جنوب المجانية للحق إلى دار الخيزران ، فلما فتح له الباب انقلب شمالاً ، مد يده لتناول خمر الفتك فاستحالت في الحال خلا ، جاء وكله كدر ، فلما دنا من الصفا صفا ، كان ماء قلبه لما جنى ملحاً آجناً فلما تلقاه النذير بالعذاب عذب .

يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب

سقم قلب سلمان من معاناة أمراض المجوس ، فخرج إلى أودية الادوية فالتقطته يد ظالم ، وما عرفت * فهان على يوسف البيع ليلقى العزيز ، فيينا هو في نخلة يحترفها قدم مخبر بقدم الرسول ، فتزل ليصعد وصاح به : حدثني .

نزّلوا جبال تهامة فلأجلهم يهوى القواد تهامة وجبالها يا صاحبي قفا علي بقدر ما أسقي بواكف عبرتي اطلالها

واعجباً . أطلب الشجاعة من حسان ، وأسأل عن الهلال لمن أم

مكتوم ، أتسلو سورة يوسف على روبييل ، أستملني الفصاحة من باقل ،
وأنظر الوفاء من عرقوب ، لقد رجعت لإذن بخفي حنين ، يا من نقده
مردود ، وعقله محلول ، نيتك في الحيرانية لو أنضجتها نيران خوف
أو شوق لانتضعت بها .

ولي قوادم لو اني جذب بها لا نهضتني ولكن افرخي زغب

غمض عينيك على الدواء يعمل ، وافتحها لروية الهدى تبصر ،
حجر المعصية تطحطح اناء القلب ، وضبة التوبة شعاب ، يا من عزمه في
الإثابة جزر بلا مد ، وقفت سفينة نجاتك ، ليل كسلك قد طبق آفاق
التردد ، وقد طلبت فيه أطيوار الحمة أوكار الدعة ، فلو قد طلعت
شمس العزيمة في نهار اليقظة لانبث عالم النشاط في صحراء المجاهدة
يا صبيان التوبة ، تزودوا للبادية تأهبوا لحاجر ، إنعلوا الإبل قبل
زرود ، ولا تنسوا وقت تناول الزاد جما لكم .

بين العقيق والكثيب الفرد	علاقة لي من هوى ووجد
سل هضبات الرمل من جزع اللوى	يوم النوى عن قلقي ووجدني
واستخير الانجم عن صبابتي	بساكني نجد وأرض نجد
فمن مجيري أو ممن استعدي	وليس عند عاذلي ما عندي

الفصل السابع والاربعون

واعجباً ، لنفس تدعى إلى الهدى فتأبى ، ثم ترى خطأها بعين
الموى صواباً ، كم أذهبت زمناً وكم أفنت شباباً ، وكم سودت في
تبييض أغراضها كتاباً .

أبت إلى هذه الدنيا فما أتأت	استغفر الله من نفس طغت وأبت
أجابت النصيح لكن سيئاً جلبت	جابت لي الشيب أوقات الشباب فما
وكم أرابت ورابت ثم ما رأبت	خانت فخابت وما طابت ولا سعدت
ولو توافق أمست للتقي دابت	ودأبها في أمور غير نافعة
خطب اذا هي في غير التقى ربت	همت بخير فلم تعزم وزريشها
لكل طرف سرى عنه الكرى لحبت	أما طريق المعالي فهي واضحة
على ركائب عن معروفها نكبت	والعالمون جميعاً عالمون بها
علام جمعت الاجناد واحتربت	ألا يسائل أملاك الورى فطن
ولا مسرة ان فازت بماء طلبت	ان الذي طلبته لا يدوم لها
كانوا باحسن ما كانوا بها ذهبت	ألم يروا دول الماضين قبلهم
ستشرد الليالي كلما وهبت	لا تفرحوا بهيات من زمانهم
نحت الانام أو الخضراء ما ثقت	لو اعلمت علمنا الغبراء ما ركدت
كام صل اذا ما عضت انقلب	وام دفر اذا ميزت حالتها
كلما الناس فيه من أذى جلبت	وكيف ترجو صلاحاً من خلائقها

لله در أقوام تأملوا غيبها وما زالوا حتى رأوا عيها ، نزلوا من
من الدنيا منزلة الاصياف ، أخذوا الزاد وقالوا ما زاد إسراف ،
وقفوا عند المموم والمؤمن وقاف ، رموا فضول الدنيا من وراء قاف

لو رأيتهم في الدجى ، يراعون النجوم ، وخيل الفكر قد قطعت حلقات
الهدوم يشكون جرح الذنوب ويكـون الكلام ، أحرقت أحزانهم
أجسامهم ، وبقيت الرسوم بلغتهم البلغ ورمتك التخم في التخوم ،
سكروا من مناجاة الكريم ، لا من بنات الكروم ، أصبحت عليهم آثار
الحبيب والطيب نموم ، هذه سلع الاسحار من يشتري ؟ من يسوم ؟
أين قلبك الغائب ؟ قل لي لمن تلوم ؟ ، جسمك في أرض العراق وقلبك
في أرض الروم ، مهر الطبع ما ريف ، أهاب البشرية ما دبغ ، في عين
البصيرة عشا ، عرائس الموجودات ترفل في حلل مختلفة الصنعة
والصبغة والصبغة ، تعبر إلى المعبر في معبر الإعتبار ، فهل حفظك حفظها
من النضارة أن تحظى من النظر بحظ .

واعجباً لك لو دخلت بيت ملك لم تزل تتعجب من رقوش نقوشه
فارفع بصر التفكير واخفض عين البصيرة ، فهل أحسن من هذا الكون ؟
تلمح نخم السقف كيف مدّ بلا أطناب ؟ ، ثم زخرف نقشه برقم
النجوم ، والملال دملوج في عضد السماء ، فإذا جن الليل كحلت
العيون بأمد النوم ، واجتلاها أهل (تتجافى) (١) فإذا جلى ركب
الدجى ، جلا ضوء الشمس عن الابصار رمد الظلام ، أنظر إلى الارض
إذا تابت من زوج القطر ، ووجدت لفقد إنفاقه مس الجذب ، كيف
تحد في ثياب (وترى الارض خاشعة) (٢) طالما لازمت حبس الصبر
وسكنت مسكن المسكنة لولا ضجيج أطفال البلر ، فإذا قوي فقر القفر
إمتدت أكف الطلب تستعطي زكاة السحاب ، فهبت الجنوب من
جناب اللطف ، فسحبت ذيل النسيم على صحصح الصحاري ، فتحركت
جوامد الجلاميد وانبه وسان العيـدان لقبول تلقيح اللواقح ، فإذا
لبس الجو مطارفه الادكن ، أرسل خيالة الفطر شاهرة أسياف البرق
وأنذر بالاقدام صوت الرعد ، فقام فراش الهواء يرش خيش النسيم ،
فاستعار السحاب جفون العشاق وأكف الاجواد ، فامتلاّت الاودية
أنهاراً ، كلما لمستها كف النسيم حكى سلساها سلاسل الفضة ، فالشمس

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٩ .

(١) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

تسفر وتتقّب ، والغمام يرش وينسكب ، فانعقد بين الزوجين .
 عقد حب الحب ، فلا يزال السحاب يسقي ذر البلر . بلدي الندى ،
 وكلما احتاج إلى فضل قوت كر الرك ، وشط الطش ، ودق الودق (١)
 فطم إلى أن فطم الطفل ، فإذا وقعت شمس الشتاء في الطفل ، نشأ أطفال
 الزرع فارتبع الربيع أوسط بلاد الزمان ، فأعار الارض أثواب الصبا
 وروح كرها بنسيم الصبا ، فانتبهت عيون النور من سنة الكرى ،
 فكم نهضت من الغروس عروس بين يديها الاوراق كالوصائف
 فصافحت ريحها الخياشم ، ومنظرها الخلق ، فكان عين النرجس عين
 وورقه ورق ، فالشقايق تحكي لون الحجل والبحار يصف حال
 الوجل ، والتيلوفر يغفى ويتبه ، والاغصان تعتق وتفترق ، وقد
 ضرب الربيع جل ناره في جلناره ، وبثت الاراييح أسرارها إلى النسيم
 فتم ، فاجتمع في عرس التواصل فنون القيان ، فعلا كل ذي فن على
 فن ، فطارخت الاطيسار مناظرات السجوع ، فأعرب كل بلغته عن
 شوقه إلى الفه ، فالحمام يهدر ، والبلبل يخطب ، والقمري يرجع ، والمكاء
 يغرد ، والاغصان تتمايل ، كلها تشكر الذي بيده عقدة النكاح ، فحينئذ
 نجد خياشم المشوق ضالة وجده .

لي بذات البان أشجان	حبذا من أجلها البان
حبذا رياه يوقظه	من نسيم الفجر ريعان
حبذا ورق الحمام اذا	رنحتها منه أغصان
داعيات بالهديل لها	فيه اسجاع والحان
اعجميات اذا نطقت	ليس الا الشوق تبيان
كلما غنيتني هزجاً	هاجني للذكر أحزان
ما لي بي ميل الغصون بها	طربي فالكل نشوان
يا حمام البان يجمعنا	وجدنا اذ نحن جيران
يحن بالشكوى إلى فما	بين أهل الحب كتمان

(١) الرك والطش والودق أنواع المطر .

واحدًا والوجد	الوان	يتشاكي الواجدون جوى
أزواج	واقران	أنا مخلص القرين وانتن
شاقه للبان	أوطان	وبعيد الدار عن وطن
والهوى سر	واعلان	آه من داء أكاظمه
أنا بالأشواق	سكران	لا تزدني يا عذول جوى

الفصل الثامن والأربعون

من علم أن هبات الدنيا هبا حل من غل ذل .

الدهر مستعجل يحب	فاختم وطن الكتاب رطب
ان الذي انت فيه حلم	وسوف تنساه اذا تهب
توق مكر الزمان واحذر	ولا تثق فالزمان خب
جميع أفعاله غرور	وكل ما نحن فيه لعب
وليس يبقى عليه شيء	يكربه المرء أو يحب
أسمع أحاديث من تقضي	يسا من له ناظر وقلب

الدنيا تعطي تفاريق وتسترجع جملاً ، وترضع أفاريق وتقطع عجلاً ، يراني خيرها وإن واني لمعا ، ثم يأتي شرها حين يأتي دفعا . فترى العبرات عند فقدانها تراق ولا ترقا ، والزفرات عند سلبها تهد ولا تهدأ ، ويحكم أن المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه ،

إخواني : ذودوا هممكم عن مرعى المنى فإنه يزيدها عجقاً ، ولا تولوا الهوى على ميدان الابدان (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يُظنهم في الارض الفساد)^(١) الهوى وثن ينصب في جاهلية الشباب فإن صح إسلام العزم جعل أصنام الشهوات جذاذاً ،

يا معاشر الشباب زيدوا في سلاسل الهوى فإن شيطان الهوى وارد ، زنوا حلوى المشتبهى بمر العقاب بين لكم التفاوت ، إلى متى يقودكم الهوى ؟ إلى متى تستعبدكم الدنيا . ؟

(١) سورة غافر ، الآية ٢٦ .

(١) (للشريف الرضي) :

كم اضطبارٌ على ضيمٍ ومنقصةٍ وكم على الذل اقرارٌ واذعانٌ
ثوروا لها وكتهن فيها نفوسكم ان المناقب للارواح اثمانٌ

إلى متى جمود الاناث ؟ أين الحركة الرجولية ؟ .

(للمهيار) :

قم فانتشطها حسبها أن تُعقلا ودع لها ايديها والارجلا
لا يطرحُ الذل وراء ظهره إلا فتي يُنضي المطايا الذللا

الجد الجدد فالطريق طويلة ، دار الناقة بذكر الدار عللها بصوت
الحداة ، فإذا لاح لها المنزل فشوقها يسوقها .

(للمهيار) :

ارخ لها زمامها والانسعا وارم بها من العلى ما شسعا
وارحل بها مغترباً عن العدى توطك من أرض العدى متسعا
يا رائد الظعن بأكتاف اللوى بلغ سلامي ان وصلت لعلما
ماذا عليهم لو رثوا لساهر لولا انتظار طيفهم ما هجعما

إخواني : انبعث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالاجر ،
فإذا حصل تسليم النفوس في الجهاد إلى القتل كان النهاية في كمال
اليقين ، فإذا وقع الفرح بأسباب التلف دل على كمال المحبة ، كما قال
عبدالله بن جحش اللهم سلط على غداً عدواً يبقر بطني ويجدع
أنفي ، فإذا لقيتك قلت هذا فيك ومن أجلك .

وطعن حرام بن ملحان ، فنفذ فيه الرمح فقال : فزت ورب الكعبة .

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد ، أنظر الديوان ٢ / ٤٤٨ - ٤٥٣ .

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن بريس ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٢٠٠ - ٢٠٦ .

لو رأيتهم والمعتك قد اعتكر وقد تقدموا في القدموس^(١) فانبلج الامر
 وجاش جاش الجيش في افرة^(٢) فلم يتميز الهلقام^(٣) السرعرع ،
 من القلهزم^(٤) الحزقرة ، وإذا الغضنر^(٥) الدممكم والقخر^(٦)
 العلندي والضباضب^(٧) الدلامر كلهم في مقام اجفيل^(٨)
 فلما انزعجت الطباع تذكروا قبيح الجناية ، فمدوا أيدي التسليم
 للودايغ ، فخضب الدماء محاسن وجوه ، طال ما صبرت على برد الماء
 وقت الاسباغ ، وحصدت مناجل السيوف زروع روس طال ما
 أطرقت في الاسحار ، وعادت خيولهم خلية عنهم فوطئتهم بعد السنا
 تحت السنايك ، واقتسم لحومهم عقبان السماء وسباع الارض ، فكم
 من رجل رجل ، طالما قامت فصلت فصلت ، وكم من يد بالدعاء
 رفعت وقعت ، وكم من بطن حمل بالصيام ما شق شق ، وكم من
 عين كانت تعين الخزين بالفيض وقعت في منقار طائر هذا حديث
 الاجسام فأما الارواح ففي دار السلام ، والله ما كانت إلا غفوة
 حتى أعطاهم العفو عفوا عفوه ، وكأنكم بأجسادهم التي تفرقت قد
 تلفقت ، وبالقبور التي جمعتهم قد تشققت ، وقد قاموا بالسلاح
 حول العرش ينادون بلسان الحال ، عن صاحبه حاربنا ولاجله قتلنا ،
 وكلومهم يومئذ قد انفجرت فجرت ، اللون لون الدم والريح ريح
 المسك ، فليعلم الاشهاد حيثئذ أنهم الشهداء ، إسمع يا من لا يحارب
 الموى ولا ساعة فلو فانتك الغنائم وحدها قرب الامر ، وإغنا لقب جبان
 قبيح ، أين أرباب العزائم القوية ؟ إمتلأت بالابرار البرية ، رحلوا عنها
 وفاتوا ، ونحن متنا وهم ما ماتوا .

خَلَّتِي طَرْفِي وَالبكا ان كنتَ حَلِي
 فالحمي اقفر من جار واهل
 والح من لم يدر ما طعم الاسى
 انا عن لومك في اشغل شغل

-
- (١) الملك الضخم .
 (٢) بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء الإختلاط
 (٣) أي الصلب الضخم .
 (٤) أي الضخم الطويل .
 (٥) أي القوي العظيم .
 (٦) أي الجبان .
 (٧) أي الأسد الشديد .

لم يدع وقر الهوى في سمعي
غير قلبي أن تأسى عاشق
أثاف ما ترى تشكو الصلا
هذه من بعدهم آثارهم
ما وقوفي في محل ساكن
يتمنى طيفكم صب لكم
والذي يستجلب الطيف الكرى
بعت حلمي طائماً لا كارهاً
وانقضى أكثر عمري في القلى
حملوني الخف من مجركم
عجباً لي ولقلب ضائع
سل بقلبي عن خيام باللوى
ذات طوق مثل شجوى شجوها
أنا في النوح اضطراراً مثلها
حرم الله على البان الصبا
ما على السائق لو حل النقى
فعمسى تدنى المنى منى منى

واعترضات الهوى باباً لعذل
للتأسي أو تسلي للتسلي
أم قلوب بين حصباء ورملي
والتجاني عن بلى الاطلاع يلي
في فؤادي أهله لا في المحل
مستهام والمي جهد المقل
من لعيني أن ترى النوم ومن لي
بسفاهي فاشتروا عزي بذلي
جفوة منكم فرقوا للأقل
وارحموا من ما له طاقة ثقل
بان عني بين بانات وائل
ناه قلبي في حماها ضل عقلي
غير أن ما شكلها في الحزن شكلي
وهي في غير اضطرار فيه مثلي
وحماه الغيث من طل ووبل
وأراح العيس من شد وحل
ولعلي أن أرى الخيف لعلي

الفصل التاسع والأربعون

عجباً لراحل عن قليل غافل عن زاد الرحيل لا يعتبر بأخذ الجليل
ولنما هو تأخير وتعجيل ، أين التزيل ؟ أزيل . أين القويم ؟ اميل . أين
المطمئن ؟ اغتيل .

إن الليالي لا تبقى على حال والناس ما بين آمال وآجال
كيف السرور باقبال وآخره إذا تأملته مقلوب إقبال

تفظوا فالأيام دائبة ، وتحفظوا فالسهم صائبة ، واحذروا دنياكم
فما هي موأية ، واذكروا اخراكم فما هي آتية ، أما رأيتم الدنيا
فقد أبانت خدعها ومكرها ، إذا بان من جمعها مكرها ، أين الارتداد
للسلامة غدا ، أين الاستعداد ؟ قبل الندامة أبدا ، كأنكم بالمسير عن
الربع قد أزف ، وبالكثير من الدمع قد نرف ، وبالمقيم قد ابين مما
الف ، وبالكريم قد أهين لما تلف .

يا طالب الدنيا دنا فراقها تزويجها أسرع أم إطلاقها
ودين من يخطها صداها

عباد الله من تعلق قلبه بالجنة لا يصلح لنا ، فكيف بمن يهوى
الدنيا ، ؟

أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

السلطان لا يزاحم في داره ، « لا يسعني شيء ويسعى قلب عبدي المؤمن » (١)

غبت عن العين القريحة فيكم وسكنتم في القلب دار مقام
وسلبتم جلدي التصبر عنكم فالصبر أول راحل بسلام

خرج المرید الصادق من ديار الهوى إلى بادية الطلب ، فجنى
عليه ليل التحير فجنى ، فإذا نار القرى تلوح إن حملت رجل الرجل .

(للمهيار) : (٢)

قد ابصرت حقاً مناهي « الحمى » وظنّها « بحاجر » يقيناً
فبَلَّغْتَ - أدعو لها - وبَلَّغْتَ وخانني من لم يقل : آميناً

كرب المحب بالنهار يشنده لمزاحمة رقباء المخالطة ، فبلبل بلباله
يتبلل في قفص الكتم ، فإذا هبَّت نسيمُ السحر وجد بروحه روحاه
يصل من قصر مصر المنى إلى أرض كنعان الامل ، فيقدم ركب الشوق
يتجسس النسيم ، من فرج الفرج وآه وآه ، فنهض توق الشوق فتكلم
قلم الشكوى ، ورقم وصف القوم وحكى ما حاكى ، وكفى عن ما
كفى .

عاود القلب غرامه	وجفا	الجفن	منامه
كلما قلت جوى الشوق	خبا	زاد	اضطرامه
أنا في أسرك والماصور	قد	يرعى	ذمامه
آه من عتبك في الليل	إذا	جن	ظلامه
سيدي هائمك الحيران	قد	زاد	هيامه
هو ميت غيران لم	تبل	في الترب	عظامه
كنهاري منذ فارقتك	لبي	لا	أنامه

(١) ليس له أصل ، راجع لإحياء علوم الدين مع التخريج ١٥ / ٣ .

(٢) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع ، أنظر ديوان شعره ٩٣ / ٩٧ .

إذا اعتكرك الليل اعترك الهم ، طال الدجى على الأبدان وقصر
على القلوب .

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقتصر الليل عندنا
لو رأيت رواحل الأبدان قد أنضأها طول السهر وأضناها ، فلما
هبت نجديّة السحر مدت أعناق الشوق فزال كل الكلال .

(لصردر) : (١)

تزاوَرَن عن « أذرعات » يمينا نواشَرَ ليس يُطعنَ البرينا (٢)
كلّفَن « بنجد » كأنّ الرياضَ اخذَن « لنجد » عليها يمينا
وأقسمَ يحملن إلا نحيلا إليه ويُبْلغنَ إلا حزيننا
ولما استمعن زفيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحينا
إذا جئتما بانه « الواديين » فأرخو النسوع وحلّوا الوضينا (٣)
فتمّ علائقُ من أجلها ملاءُ الدجى والضحي قد طويّنا
وقد انبأتهم مياهُ الجفون بان بقلبك داء دفيننا

دموع الخافين يحبسها بالنهار مراقبة الخلق ، فإذا جن الليل
انفتح سكر الدموع (فسالت أودية بقدرها) (٤) أرواح الاسحار
أقوات الارواح ، رقت فرقت حرجد الوجد ، وبلغت رسائل الحب
ومكروب الشوق يرتاح للرياح .

يا نسيم الريح هل من وقفة تظني الغلة أو تشفي الاواما
كن رسولاً بسلام عائداً نحو من أنقذني فيك السلاما
لم تثر شجوى حمامات اللوى بل غرامي علم الشجو الحماما

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام ٤٤٨ ، أنظر ديوان شعره ١٥ .

(٢) أذرعات : بلد في أطراف الشام ، البرين : حلقة تجعل في أنف البعير يكون فيها
زمانه .

(٣) النسوع : حبل يشد به الرجل . الوضين : بطان مريض منسوج يكون للهودج .

(٤) سورة الرعد ، الآية ١٧ .

كانت بردة العابدة تنادي في جوف الليل : غارت النجوم ونامت
العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يا خير محبوب ،
أفترأك تعذبني ؟ وحبك في قلبي لا تفعل يا حبيباه .

إن شئت سألت دمع عيني عني يخبرك بأنني أسير الحزن
منك الغفران والخطايا مني ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافل القلب ، ما هذا الكلام لك ؟ ، ليس على الخراب خراج ،
لا يعرف البر إلا سائح ، ولا البحر إلا سايح ، ولا الزناد إلا قاذح .

ضمنا يوم تنادوا للقا موقف يعرفه من عشقا

لما عشقت اللبابة الشجر ، تقلملت طلباً لاعتناق الرؤس ولثم
الحدود ، فقيل لها مع الكثافة لا يمكن ، فرضيت بالنحول ، فالتفت
فالتفت .

حبي والوجد أورياني سقما هذا جسمي يعد عظماً عظما
دعني والشوق قد كفاني خصما يا سهم الين قد أصبت المرمى

الفصل الخمسون

إخواني : من تفكر في ذنوبه بكى ، ومن تلمح سير السابقين وانقطعه
شكا ، ولا أقلق القلب مثل الحزن ولا نكا .

عند قلبي علاقة ما تقضي وجوى كلما ذوى عاد غضا
وبكاء على المنازل ابلتهن أيدي الأيام بسطاً وقبضا
من معيد أيام ذي الاثل او ما قل منها دبنا علي وقرضا
سامحا بالقليل من عهد نجد ربما أقنع القليل وأرضى
مهدياً لي من طيب أرواح نجد ما بداوي نكس العليل المنضى

إخواني : تفكروا في ذنب أبيكم ونزوله بالزلزل ، ويكفيكم
رمز إلى آدم بأنك عبد ، في قوله (أَنْ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى)^(١)
لان العبد ليس له إلا ما سد الجوعة وستر العورة ، فجاء إبليس
يطمعه في الملك ، فلما خرج إلى الطمع خرج . نام في الجنة فانتبه
وقد خلقت له حوى ، فقال : ما هذا ؟ قيل : من يريد النوم يخاف
له ضجيج كفى بالثوق مسهرا ، فلما وقع في الزلزل طار النوم .

متى شق جيب الجنح بالبارق الومض وهبت قبول فالسلام على الغمض

بالامس جبريل يسجد له ، واليوم يحمر بناصيته للاخراج ،
ولسان حاله يستغيث .

حدأة العيس رفقا بالأسير ليغم نظرة قبل المسير

(١) سورة طه ، الآية ١١٨ .

ويا بان الحمى هل فيك ظل فعند حشاي مزدحم الزفير
ويا ربح الشمال بحق حيي وصدق هل مررت على الغدير
وهل سحبت على شيع ورنند ذبولك يا مبللة الضمير

بكى على زلته ثلثمائة عام حتى سالت الاودية من دموعه ، لسمع
يا من يضحك عند المعاصي .

سلوا بعدكم وادي الحمى ما أساله دمي ودموعي في هواكم أم القطر
وهل ما أراه الموت أم حادث النوى وهل هوشوق في فؤادي أم الجمر

كان يقول لولده : يا بني طال والله حزني على دار أخرجت منها ،
فلو رأيتها زهقت نفسك .

قف فتلك الطلول	وابكها يا رسول
واقر عني سلامي	من عليها نزول
رب سكان دار	في فؤادي حلول
فاسأل الدار عنهم	واستمع ما تقول
لي وللين فيهم	شرح حال يطول
قد كفاني غرامي	لا تزد يا عنول
لست أدري إذا ما	لمتني ما أقول
خلفوني معني	والمعنى حصول

قيل له : رد إقطاعنا فحل الإقطاع بخناية لقمة ، فاما غسل آدم
جنازة الجناية رد الإقطاع عليه ، لولا لطف (فتلقى) لقتله الاسف .

من لي من لي بوصل حب نازح لو بيع بمهجتي لكنت الرابع
صالح من عاش بالأمانى صالح سامح في النقد يا حبيبي سامح

يا من جرى عليه ما جرى على أبيه ، إسلك طريقه من البكاء .

خل دمع العين ينهمل بأن من تهواه فاحتسبوا
كل دمع صانه كلف فهو يوم البين مبتذل

أكتب قصة الندم بمداد الدموع ، وابعثها مع ريح الزفرات ، لعل
الجواب يصل برفع الجوى .

كيف لا أبكي على عيش مضى بعث عمري بحقير الثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى وطيبني في الهوى أمرضني

إنته لنفسك يا من كلما تحرك تعرقل ، فيك جوهرية السباق
ولكن نحتاج إلى رائف ، قلبك محبوس . في سجن طبعك ، مقيد بقيود
جهلك ، فإذا ترنم حاد تنفس مشتاق إلى الوطن ، فالبس لامة عزمك
وسر بجند جدك ، لعلك تخلص هذا المسلم من أيدي القراعة .

أبالغوا يشاق تلك النجودا رميت بقلبك مرمى بعيدا
فؤاد أسير ولا يفند لي وجفن قتيل البكا ليس بودي

لك الحديث يا معرض : أنت المراد يا غافل ، يا مستلذاً برد
العيش تذكر حرقة الفارقة ، يا من يسلمه موكلان إلى موكلين ، ما
لانبساطك وجه ، إنما تملي عليها رسالة إلى ربك ، وما أراك تمل ، قَبَحَ
ما تمل ، يا جامد العين اليوم ، غداً تدنو الشمس إلى الرؤس ، فتفتح
أفواه مسام العروق فتبكي كل شعرة بعين عروقها ، يبرز يوسف
الهيبة فيقد قميص الكون ، نفخ الريح اليوم يحرك الشجر ، ونفخ
النور غداً يعمل في الصور ، ريح الدنيا بين مثير لاقح تثير
دفائن النبات وتلقح الاشجار وتثير دفائن الاعمار ، وريح الاخرى
تلقح الاشباح للأرواح لقراءة دفاتر الاعمار ، أين الذين نصبوا الآخرة
بين أعينهم فنصبوا ، وندبوا أنفسهم لمحو السيئات وندبوا ، كان داود
الطائي ينادي بالليل ، همك عطل على الهموم ، وحالف بيني وبين
السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك حال بيني وبين اللذات ، فأنا في سجنك
أيها الكريم مطلوب .

يا مالك مهجتي ووالي ديني كم ينشرني الهوى وكم يطويني
مجرانك مع محبي يفنني هل تدركني بنظرة تحميني

إذا جن الغاسق جن العاشق .

طال ليلى دون صحتى سهرت عيني وناموا

كانوا يتراسلون بالمواعظ لتتفع المساعدة على اليقظة ، كصباح
الحارس بالحارس . يا نيام السحور :

(للمصنف) :

عرجوا بالرفاق نحو الركب	وقفوا وقفة لأنشد قلبي
وخذوا لي من النقيب لماظاً	أوردوا بي إلى العذيب وحسي
فهبوب الرياح من أرض نجد	قوت روحي وحذا من مهب
يا نسيم الصبا ترنم على الدوح	بصوت يشجي وإن طار لي
من معيد أيامنا بلوى الجزع	وهيهات أين مني صحتي

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهون بالمزاج زاحوا ؟ أين شاربوا الراح راحوا ؟ وبك وبك
يا صاح ، لقد ندبوا في قبورهم على الونى وناحوا .

يا أيها الواقف بالقبور بين أناس غيب حضور
قد سكنوا في جدث معمور بين الثرى وجندل الصخور
ينتظرون صيحة النشور إنك عن حظك في غرور

أين أرباب المناصب ؟ ، أبادهم الموت المناصب ، أين المتجبر الغاصب ؟
أذله عذاب واصب ، أفت والله الأكفان كالعصائب ، على تلك العصائب ،
وحلت بهم آفات المصائب إذ حل بلباتهم سهم صائب ، فيا من يأمن
هذه النوائب ، أحضر أنت أم غائب ؟ كم عاص بات في ذنوبه ،
يتقلب على فراش عيوبه ، مزمار ومزهر ومسكر ومذكر ، فجاءه الموت
فجاءة فأنساه ولده ونسائه ، وجلب مساوئه ما ساءه ، فنقل إلى اللاحد
ذميما ، ولقي من غب المعاصي أمراً عظيما .

بينا تراه غادياً رائحاً في نعم غادية رائحة
إذا بيوم طالع نخرج من خبئه آماله الصالحة
كم سالم صحته موته وقائل عهدي به البارحة
أمسى وأمست عنده قينة فأصبحت تندبه فائحة
فكن من الدنيا على صيحة واينا ليست به صائحة
من كانت الدنيا به برة فلإنها يوماً له ذابحة

واعجباً ، لمن رأى هلاك جنسه ولم يتأهب لنفسه قال البازي

للديك : نيس على الارض أقل فاءا منك ، أخذك أهلك بيضة نحضنرك
فلما خرجت جعلوا مهدك حجورهم ومائدتك أكفهم ، حتى إذا
كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ها هنا وها هنا وصحت ،
وأنا أخذت مسياً من الجبال فعلموني ثم أرسلوني ، فجئت بصيدي
فقال له الديك : إنك لم تر بازياً مشوياً في سفود . وكم رأيت في سفود
من ديك ؟

أخواني الزهد في الدنيا زبد ، مخض مخض الفكر . حظ الحريص على
الدنيا في الحضيض ، والقنوع في أعلى النوى ، سائق الحرص يضرب
ظهر الحريص بعصا التحريض . فلو قد عصى الهوى كفت العصا ،
كلما زاد على القوت فهو مستخدم الكاسب يا موغلاً في طلب الدنيا
الحساب حبس . فإن صح لك الجواب تعوقت بمقدار التصحيح ، وإن
لم يصح فمطورة جهنم .

ويحك ، طالع دستور عملك ترى كل فعلك عليك ، من وقف
على صراط التقوى ويده ميزان المحاسبة وعك الورع يستعرض
أعمال النفس ، ويرد البهرج إلى كبر التوبة سلم من رد الناقد يوم
التقيض .

ويحك ، سلطان الشباب قد تولى ، وأمير الضعف قد تولى ، ومعول
الكبر يعرقل حيطان دار الاجل ، « وحسبك داء أن تصح وتسلما » ،
قف على ثنية الوداع نادياً قبل الرحيل على ديار الإلفة .

يا متزلاً لم تبل أطلاله حاشى لأطلاك أن تبلى
والعشق أولى ما بكاه الفنى لا بد للمحزون أن يسلى
لم أبلك أطلاك لكنني بكيت عيشي فيك إذ ولى

كان ثابت البناني يستوحش لفقد التعبد بعد موته ، فيقول : يا
رب إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي .

وكان يزيد الرقاشي يقول في بكائه : يا يزيد من يبكي بعدك عنك ؟
من يترضى ربك لك ؟ ،

احبكم ما دمت حياً وإن أمت فواكبدي من ذا يحبكم من بعدي

لما علم المحبون إن الموت يقطع التبعيدات كرهوه لتدوم الخدمة ،
جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فلطم عينه ، فإذا
قامت القيامة باد إلى العرش طالت غيبته فاستعجل استعجال مشوق
كانوا يحبون أماكن الذكر ومواطن الخلوة ، والمؤمن ألوف للمعاهد
عهد عند المحب لا ينساه ، « أسكن حراء » .

احبسا الركب بوادي سلم فبذاك المنحنى طل دمي
وانشدا قلبي في مكانه فمن السكان أشكو ألمي
أخلوا قلبي وأبقوا جسدي فوجودي بعده كالعدم
صل محباً جفته لم ينم وابلائي أن خصمي حكمي

واعجباً للمحب يستر ذكر الحبيب . بذكر المنازل ، وما يخفى مقصوده
على السامع « احد جبل يحبنا ونحبه » . (١)

الا اسقني كاسات دمي وغني بذكر سليمي والرباب وتنعم
ولياك واسم العامرية لأنني أغار عليها من فم المتكلم

رياح الاسحار تحمل الرسائل وترد الجواب .

(للخفاجي) :

أفي نجد تحاورك القبول أظن الريح تفهم ما تقول
تغنت في رحال الركب حتى تشابهت الذوائب والذبول
صبحنا في ديارهم صباها يناوبها التنفس والنحول
وأمطرنا سحب الدمع حتى حسبنا أنها مهج تيسل
وعجنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلول

ديار الاحباب درياق هموم المحبين « على أنني منها استفدت
غرامي » . كان قيس إذا رحلت ليلي تعلل بالاثار واستشفى بالدمن ،
واستنشق الصبا وشام برق بني عامر .

(١) رواه البخاري وسلم وابن ماجه وابن حنبل .

اقتل ادواء الرجال الوجد	وق نجداً فالغرام نجد
حيث الرياض والنسيم أنف	ودنف ما يستفيق بعد
إن الصبا إذا جرت قاذحة	نار الغرام فقوادي الزند
تعدى المحيين الصبا كأنما	لها على أهل الغرام حقد
لا تتلق نفحة نجديّة	هزلا فهزل النفحات جد
دع الصبا فعل الهواء كالهوى	سيان منه قصره والمد
ما كبدي بعدك إلا جذوة	لها بترجيع الحنين وقد
يسترها الجلد ولولا أدمعي	ما كان قط ستر نار جلد
كيف يرثي والطبيب ممرضي	يصد والداء العضال الصمد
النار قلبي والسموم نفسي	والماء طرفي والتراب الخد
قد كدت أخفى عن عيون غنلي	كذا وجود العاشقين فقد

الفصل الثاني والخمسون

العزلة حمية البدن والمناجاة : قوت القلب ، ومن أنس بمولاه
إستوحش من سواه .

يا متهى وحشى وأنسى كن لي إن لم أكن لنفسي
أوهمني في غد نجاتي حلمك عن سيئات أمسي

خلق القلب طاهراً في الاصل ، فلما خالطته شهوات الحسن
تكدر ، وفي العزلة يرسب الكدر ، الحيوان المميز على ثلاثة أقسام ،
فالملائكة خلقت من صفاء لا كدر فيه ، والشیاطین من كدر لا
صفاء فيه ، والبشرى . مركب من الضدين فالعجب أن تقوى عنده
التقوى ، تقدیس الملائكة . يدور على السنة لا تشاق بالطبع إلى الفضول
سبح تسبیحهم عقود ما نظمها كلف التكليف ، تمرات زروعهم ،
نشأت لا عن تعب ، سقاها سيح العصمة ، فكثرت في زكوات تعبدهم
قدر الواجب (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) (١) .

كانت أقدم تعبدهم سليمة فاستبطثوا سير زماني الهوى ، فقليل :
(إذا رأيتم أهل البلاء ، فسلوا الله العافية) (٢) واعجباً من منحدر في
سفن التعبد يستبطئ مصاعداً في . الشمال ، سمعوا بيوسف الهوى
وما رأوه ، فأخذوا يلومون زليخا الطبع من حبس عتب (تراودُ
فتّاها) (٣) فلما قالت الدنيا يوم هاروت وماروت (أُخْرِجْ عليهن) (٤)

(١) سورة الشورى ، الآية ٥ .

(٢) لم اجد هذا الحديث بنصه ، انظر موطأ مالك

(٣) سورة يوسف ، الآية ٣٠ . (٤) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

قطعوا أكف الصبر وصاح في تلك المواقف مواقف (أُنَجِّعُلُ فيها)^(١)
« إن للحرب رجالاً خلقوا » أَلَمْ أَنْبِئِ الْمَذْنِينَ ؟ أَوْ خُلُوفِ الصَّائِمِينَ ،
أو حرقه ، المحيين ، أما عب بحر الامانة يوم (إِنَّا عَرَضْنَا الْإِمَانَةَ)^(٢)
توقفت الملائكة على الساحل ، ونهضت عزيمة الآدمي لسلوك سبيل
الخطر ، بلى لاقدام المحب أقدام ،

يغلبي شوقي فأطوي السرى ولم يزل ذو الشوق مغلوبا

لا نحتاج أن ننظر الملائكة بالانبياء ، بل نقول . هاتوا لنا مثل عمر ،
كل الصحابة . هاجروا سرّاً وعمر هاجر جهراً ، وقال للمشركين قبل
خروجه ها أنا . على عزم الهجرة فمن أراد أن يلقاني فليلقني في بطن
هذا الوادي (فليت رجالاً فيك . قد نذروا دمي) مذ عزم عمر على
طلاق الهوى أحد أهله عن زينة الدنيا .

وعزيمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

لما ولي عمر بن عبد العزيز خير النساء ، فقال : من شاءت
فلتقم ومن شاءت فلتذهب ، فإنه قد جاء أمر شغلني عنكن .

(للمهيار) : (٣)

أَقَسَمَ بِالْعَفَةِ : لَا تَيْمَهُ ظِيٌّ رَنَا أَوْ غَصْنٌ تَأَوَّدَا
وكلما قيل له : قِفْ تَسْرَحْ جزت المدى قال : وهل نلت المدى

للعزائم رجال ليسوا في ثيابنا ، وطنوا على الموت فحصلت
الحياة .

إذا ما جررت الرمح لم يشني أب ملح ولا أم تصيح ورائي
وشيعني قلب إذ ما أمرته أطاع بعزم لا يروغ ورائي

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

(٣) من قصيدة يبنى فيها الوزير أبا المعالي في النيروز ، أنظر ديوان شعره في ٢٣٢ - ٢٣٦

يا مختار القدر أعرف قدر قدرك ، فإنما خلقت الاكوان كلها لاجلك .
يا خزانة الودائع يا وعاء البدائع ، يا من غذي بلبان البر وقلب بأيدي
الايادي ، يا زرعاً تهيم عليه سحب اللطاف ، كل الاشياء شجرة
وأنت النمرة ، وصور وأنت المعنى ، وصدف وأنت الدر . ومغضة
وأنت الزبد ، مكتوب اختيا ناك . واضح خلط ، غير أن استخراجك
ضعيف ، متى رمت طليبي فاطلبي عندك .

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فاذكره
غاب عن سمعي وعن بصري فسو يدا القلب تبصره

ويحك لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي ، إنما أبعدنا إبليس
لأجلك لانه لم يسجد لك ، فالعجب منك كيف صالحته وهجرتنا ؟
رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنا له الود القديم فضيعا
وواصلت قوماً كنت أنهارك عنهم وحقق ما أبقيت للصالح موضعا

يا جوهرة بمضيعة ، يا لقطسة تداس ، كم في السموات من ملك
يسبح ؟ ما لهم مرتبة (تتجافى) ^(١) لا يعرفون طعم طعام ، وما لهم
مقام (واخلوف) ^(٢) أين المذنبين عندنا ، أو في من تسبيحهم ، سبحان
من اختارك . على الكل وجادل عنك الملائكة قبل وجودك (إني أعلم) ^(٣)
خاق سبعة أبحر واستقرض منك دمعة ، له ملك السموات والارض
واستقرض منك حبة ،

الماء عندك مبذول لسوارده وليس يرويك إلا مدمع الباكي

كانت الامتعة المثمنة واللالىء النفيسة تباع بمصر فلا ينظر
إليها يوسف فإذا جاءت اجمال صوف من كنعان لم تحل إلا بين يديه
« لا تسئل عن عبادي غيري » .

(١) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٢) من حديث الصيام (واخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(للخفاجي) :

لاح وعقد الليل مـسـلوب برق بنار الشرق مشبوب
اسأله عنكم وفي طيه سطر من الأحباب مكتوب

لو كان في قلبك حجة ، لبان أثرها على جسدك ، عجب ربنا من رجل
ثار عن وطانة ولحافه إلى صلاته ، تلمح معنى ثار ، ولم يقل قام ، لان
القيام قد يقع بفتور ، فأما الثوران فلا يكون إلا بالإسراع حذراً من فائت

إذا هزنا الشوق اضطربنا لهزه على شعب الرحل اضطراد الأرقام
فمن صبوات تستقيم بمائل ومن اريحيات تهب بنائم

أنخواني من- ناقره الوجد نافره النوم قال سفيان الثوري : بت
عند الحجاج ابن الفرافصة إحدى عشرة ليلة ، فما أكل وما شرب ولا
نام .

اسأل عيني كيف طعم الكرى علالة وهو سؤال محال
وكيف بالنوم على الهجر لي والنوم من شرط ليالي الوصال

الفصل الثالث والخمسون

يا طويل الامل في قصير الاجل ، يا كثير الزلل في يسير العمل ،
خلا لك الزمان وما سددت الخلل ، أفما عندك وجل من هجوم الاجل ؟
تجهز إلى الاجداث ويحك والرمس^(١) جهازاً من التقوى لا طول ما حبس
فإنك ما تدري إذا كنت مصباحاً بأحسن ما ترجو لعلك لا تسمى
سأتعب نفسي أو أصادف راحة فإن هوان النفس أكرم للنفس
وازهد في الدنيا فإن مقيمها كظاعنها ما أشبه اليوم بالأمس

يا معاشر الاصحاء إغثنموا نعمتي السلامة والإمهال ، واحذروا
خديعتي المنى والآمال ، قد جربتم على النفس تبذيرها في بضاعة العمر ،
فانتبهوا لانتهاج الباقي (ولا تؤثوا السفهاء أمموا الكُف)^(٢) الدنيا حلم
يقظة ، ويوم الحساب تفسير الاضغاث ، أيام معدودة وسيبقى العدد
وطريق صعبة على قلة العدد ، وقد سار الركب ولاح الجدد ، أترى
تظن أن تبقى على الابد ؟ ، أما يعتبر بالوالد الولد ، أين المتحرك في الهواء
حمد ، أين اضطرام تلك النار ؟ حمد ، أين ماء الاعراض الجاري ؟ حمد ،
تساوي في الممات الثعلب والاسد ، وشارك الوهي بين الحديد والمسد
وجمع التلف عنقاء مغرب والصرده ، واستقام قياس النفص للكل
وأطرد ، أفلا ينتبه من رقدته من قد رقد ؟ .

يا شاربين من منهل ابوى شرب الهيم ، يا جاعلين نهار الهدى

(١) الرمس : الدفن والقبر .

(٢) سورة النساء ، الآية ٥ .

كالليل البهيم ، مقيمين على الدنس وليس فيهم مقيم ، سالمين من
أمراض البدن وكلهم سليم ، أتعمرّون ربوع النعم برتوع النعم ؟
وتستبدلون بالقرآن . محرمات النعم ، وقد توطنتم ناسين تروح التروح
فلم تذكروا الممات . تروح الروح ، تالله ليعودن المستوطن في أهله
غريباً ، والمغتبط بفرحه مغبطاً كثيراً (إنهم يَرونَهُ بعيداً ونراهُ
قريباً ،) (١) .

أين أرباب البيض والسمر ؟ ، والمراكب الصفرة والحمرة ، والقباب
والقب الضمر ما زالوا يفعلون فعل الغمر إلى أن تفضي جميع العمر ،
يا من عمره قد رحل وولى ، كأنك بك تندم وتثقل ، والسمع والبصر
للموت قد كلا ، ويد التناول للتوبة شلا ، والعين تجري وابلاً لا طلا ،
وعصافير الندم قد أنفضجها القلا ، وأنت تستغيث (رَبِّ ارْجِعُونِ) (٢)
فيقال (كلا) ألا كان هذا قبل هذا .

ألا يا ثقیل النوم ، يا بطيء اليقظة ، يا عديم الفهم ، أما ينبهك الاذان ؟
أما تزعجك الحداة ؟ ، أترى نخاطب عجباً ؟ . أو نكلم صمّاً ، كم
نريك عيب الدنيا ؟ ولكن عين الهوى عوراء ، كم تكشف للبصر قصر
العمر ؟ ، ولكن حدقة الامل حواء .

ليس في الدنيا سرور إنما الدنيا غرور
ومآئيم إذا فكر ت فيها وقبور

يا من شاب وما تاب ولا أصلح ، يا معرضاً إلى ما يؤذي عن
الأصلح ، ليت شعري بعد الشباب بماذا تفرح ؟ ، ما أشنع الخطايا في
الصبا وهي في الشيب أقبح ، إذ نزل الشيب ولم يزل العيب فبعد
أن يبرح .

(١) سورة المنافج ، الآية ٩ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ .

(للبحثري) . (١)

وإذا تكامل للفتى من عمره خمسون وهو إلى التقى لا يمنح^(٢)
عكفت عليه المخزيات، فماله متأخر عنها ولا مترحزح^(٣)
وإذا رأى الشيطان^(٤) غرة وجهه حى وقال فدبت من لا يفلح

أخواني ، فتشوا احمال الاعمال ، قبل الرحيل (وَلَمْ تَنْظُرْ نَفْسٌ
مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) (٥) يا مطلقي النواظر ، في محرم المنظور (لَتَتَرَوْنَ
الْجَحِيمَ) (٦) لا يغرنكم إمهال العصاة (إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) (٧) يا من
عاهدناه من يوم (أَلَسْتُ) لا تحلن عقد العهد بأنامل الزلل فما يليق
بشرف قدرك خيانة .

بجرمة الود الذي يئسنا لا تفسد الاول بالآخر

أذكر ملازمة المطالبة بالوفاء في أضيق خناق . يا منكر ويا نكير
إنزلا إلى الخارج من بساتين الارواح فانظرا ، هل استصحب وردة
من اليقين أو شوكة من الشك ؟ ،

قفوا سائلوا بأن العقيق هل الهوى على ما عهدنا فيه أم حال حاله

استنكها فمه : الذي قال به (بلى) يوم (ألسنت) هل غير طيبه
طول رقاد الخفلة ؟ ، هل انجاس زلله ؟ مما يدخل قليلها تحت العفو ، هل
معرفته في قلب قلبه يبلغ قلتين ، أن مقيم له على الوفاء في كل حال ،
فانظر إلى حاله هل حال ؟

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٤٨٢ .

(٢) في الديوان « وإذا مضى للمرء من أعوامه - خمسون هو وعن الصبا لم يبرح » .

(٣) في الديوان « عكفت عليه المخزيات وقلن : قد اضمحكتنا وسررتنا لا نهرج » .

(٤) في الديوان « إبليس » .

(٥) سورة الحشر ، الآية ١٨ .

(٦) سورة التكاثر ، الآية ٧ .

(٧) سورة الفاشية ، الآية ٢٥ .

(لقيس المجنون) .

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عوبرضتي قبا بطول اللبالي هل تغيرتا بعدي
وعن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد

المعرفة غرس في القلب والتذكر ماء ، ومتى جفت المياه عن الغروس
جفت شجرات (ألت) تسقي من مياه « هل من سائل » .

إذا مرضنا أثيناكم نزوركم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

العقل ما ينسى إنما الحس مغفل ، سبب النسيان أمراض من التخليط
في مطاعم الهوى عقدت ، بخاراً في هام الفهم ، فإذا عاجلها طيبب الرياضة
تحللت فذكر ما نسي من عهد (ألت)
قيل لذي النون : أين أنت من يوم (ألت) ؟ قال كأنه الآن في أذني .

(للمهيار) . (١)

سل « ابرق الحنان » واجبس به	أين ليالينا على الابرق ؟
وكيف بانات « بسقط اللوى »	ما لم يُجدّها الدمع لم تورق ؟
هل حملت لا حملت بعدنا	عذك الصبا عرقاً لمستشقي ؟
يا سائق الاظعان رفقاً وإن	لم يُغن قولي للعسف : ارفق
لولا زفيرى خلف أجملهم	وحر أنفاسي لم تشق
سميت لي نجداً على بعدها	يا وله المشم بالمعرق

(١) في قصيدة يحيى بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٧٧ .

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائم على سوق الشهوات ، في سوق الشهات ناسياً سوق الملمات
إلى ساقى الملمات ، إلى كم مع الخطأ بالخطوات إلى الخطيئات ، كم
عانيت حياً فارق حياً ؟ وكفا كفت بالكفات .

(للشريف الرضى) . (١)

وأشدَّ اغترارنا بالأماني	ما أقل اعتبارنا بالزمان
مٌ على مزلقٍ من الحدّثانِ	وقفاتٌ على غرورٍ وأقدانِ
اليومَ في هدنةٍ مع الأزمانِ	في حروبٍ من الردى وكأننا
علمنا أننا من الحيوانِ	وكفانا مذكراً بالمنابسا
ووقعٌ من الردى بفلانِ	كل يوم رزيةٌ في فلانِ
للسير واستبلي ^(٢) عن الاغطانِ	قل لهذا الهواميل استوثقي
وغنى وراءك الحاديانِ	واستقيمي قد ضلّك اللقَمُ النهجُ
خلجُ البرى وجذبُ العنانِ	كم متحيدٍ عن الطريق وقد صرح
أو معينٌ بساعدٍ أو بئانِ	هل مجيرٌ بذابلٍ أو حُسامِ
ورأينا البنا فآين البانِ	قد مررنا على الديار خشوعا
أم أين صاحب الإيوانِ	أين رب السدير والخيرة البيضاء
والقنا الصمُّ من بني الديانِ	والسيوف الحدادُ من آل بدرٍ
في إباءٍ وعاجزٍ في هوانِ	ليس يبقى على الزمان جريء

(١) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس هو ابن الإمام المنصورى الذى توفى سنة ٣٩١ ،

أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٥٩ .

(٢) فى الديوان « واستشزى » .

يا عاصياً بالامس أين الإلتذاذ ؟ يا مطالباً بالجرم أين المعاذ ؟ ،
يا متمسكاً بالدنيا حبليها جذاذ ، ما راعت من راعت من المحبين
ولا الشذاذ ، بل ساوت في الهلاك بين الفقير وكسرى بن قباد . تخلص
من أسرها قبل أن يعز الإنقاذ ، وقبل أن تجري دموع الاسى بين
وبل ورذاذ ، إذا نبذوك في القبر انتبذوا أي نبذ وأي انتباز ، فتذكر
ضمة ، ما نجا منها سعد بن معاذ ، ألا يلين القلب ؟ أصخر أم فولاذ ،
تدعي العجز عن الطاعة وفي المعاصي أستاذ ، وتوثر ما يفنى على ما يبقى
وأنت ابن بغداد ^(١) يا مبتلياً عن أهله وماله يا خالياً في القبر بأعماله
ليته خلاك ما منه تخلت ، ليت ولي عنك أثم ما عنه توليت ، وأسفاً
من حالة حيلتها ليت .

وكل غن يتيه به غناه فمرئيج بموت أو زوال
وهب جدي زوى لي الأرض طياً ليس الموت يطوي ما زوى لي

إذا اخضر الربيع ناح الهزار وندب القمري وأنت تعتقده غناء ،
إنما هو بكاء على انتظار التكدير ، لا يغرنك صفو العيش فالرسوب
في أسفل الكاس ، من يسمع كلام الصامت ولم يسمع عبارة الجاحد
فليس بفطن .

قال أحمد ابن أبي الحواري : رأيت شاباً قد انحدر عن مقبرة ،
فقلت من أين ؟ فقال : من هذه القافلة النازلة ، قلت : وإلى أين ؟ قال : أتزود
لالحقها ، قلت : فأني شيء قالوا لك ؟ وأي شيء قلت لهم ؟ ، قلت : متى
ترحلون ؟ فقالوا . حتى تقدون ،

وكم من عبرة أصبحت فيها يلين لها الحديد وأنت قاس
إلى كم والمعاد إلى قريب تذكر بالمعاد وأنت نساس

ويحك تلمح عاقبتك بعين عقلك فلأنها بليمة من رمد ، العقل
محسب إذا وقع بميزان اذوى كسر العلاقة . يا صبيان التوبة ، قد

(١) مدينة السلام ، ويقال لها بغداد وبغدان بمهملتين ومعجتين وتقديم كل منهما وبغدان
وبغذين وبغدان .

عرفتم شرور اعطان الهوى فرحلتهم طالبين ريف التقى ففتحوا مطايا
الجد (ولا يلتفت منكم أحدٌ وامضوا حيث تؤمرون) (١) كلما شرف
المطلوب طالت طريقه ، الهرة تحمل خمسين يوماً ، والخزيرة أربعة
أشهر ، والخف والحافرة ستة ، فأما القيل فسبع سنين ، عموم الشجر
يحمل في عامه ، والصنوبر بعد ثلاثين سنة ، شرف النمل يوجب
القلة ، الشاة تلد واحداً أو اثنين ، والخزيرة تلد عشرين ، وأم الصقر
مقلات نزور ، يا هذا ينبغي أن تكون همتك على قدرك ولك قدر
عظيم لو عرفته .

إنما خلقت الداران لاجلك ، أما الدنيا فلتتزود ، وأما الاخرى
فلتتوطن ، أفتراك تعرف مكانة (اذكرهم) (٢) أو قيمة (يحبهم) (٣)
أو مرتبة « وإنا إلى لقاءهم أشد شوقاً » تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا « إذا
صعدت الملائكة عن مجلس الذكر ، قال الحق : أين كنتم ، فيقولون : عند
عبادك يسبحونك ويمجدونك ، فيقول : ما الذي طلبوا وما استعاذوا :
يا من يسائل عني القادمين إذا ما كنت بي هكذا صبا فكيف أنا

يا من كان في رفقة (تنجافى) (٤) ، فصار اليوم في حزب أهل النوم
(للشريف الرضى) (٥) :

يا ديارَ الاحباب كيف تغيرتِ ويا عهدُ ما الذي أبلاكِ
هل تولى (٦) الذين عهدي بهم فيك على عهدهم وأين أولاكِ
الذميلَ الذميلَ (٧) يا ركبُ إني لضمنُ أن لا تحبَ سراكِ

(١) سورة الحجر ، الآية ٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٤) سورة السجدة ، الآية ١٦ .

(٥) قاله في مدح بهاء الدولة عام ٣٩٧ ، أنظر ديوان شعره ٩٩/٢ - ١٠٢ .

(٦) في الديوان « أولاك » .

(٧) الذميل ضرب من السير السريع .

يا هذا ، لا تجزع من ذنب جرى فرب زلة أورثت تقويماً ،
« لو لم تذببوا »

من لم يذب مرارة الفراق لم يدر ما حلاوة التلاقي

ما لم يقع سهم في مقتل فالعلاج سهل ، إنحاء القوس ركوع
لا اعوجاج ، كانت صجة آدم للحق أصلية وتبعد إبليس تكلفاً
والعرق نزاع (كَانَ مِنَ الْجِنَّ) ^(١) وإنما يعالج الرمد لا الاكمة ،
تأملوا خمسة همة لإبليس إذ رضي بعد القرب من السدة بالتقاط القمامة
(إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ) ^(٢) إنه ليهجم على ساحة الصدر فيأخذ
في حديث الوسوسة فيصبح به حراس الايمان من شرفات قصر
« ويسعني » فيرجع بقلب الخناس ، فضائل بني آدم خفيت على الملائكة
يوم (انبتهم) ^(٣) فكيف يعرفها إبليس ؟ صعد إلى السماء منا ،
إدريس وعيسى ، وجال في مجاهم محمد ، ونزل منهم هاروت وماروت
وتدير عندنا إبليس ، لو علم المتدير ما قد خبي له من البلايا ؟ ما سأل
الانظار ، كلما غلب صاحب معصية وجلس يقسم في تقواه صدرت
عن التائب نشابة ندم ، فوقعت في صدر إبليس ، اطم ما على إبليس
مجلسي ، ما من مجلس أعقده إلا ويقلق لما يرى من النفع ، واليوم يغشى
عليه ويله ، ما علم أن الجنة إقطاعنا وإنما أخرجنا عنها مسافزين ، كتب
ديارنا تصل إلينا ، ورسائلنا تصل إليهم ويا قرب القا . كان فتح
بن شخرف ، يقول قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك .

(للمهيار) .

تُمدُّ بالأذان والمناخير « لحاجر » اني لها « بحاجر » ؟
أرض بها السائح من ربيعها وشوقها المكنون في الضمائر
سارت يميناً والغرام شامة يا سير بها يا « ابن الحداة » يا سر ^(٥)

(١) سورة الكهف ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ١٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .

(٤) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب ، أنظر ديوان شعره ٢٠ / ١٦ - ٢٢

(٥) في الديوان « يا بن رواح » .

الفصل الخامس والخمسون

يا من شاب وما تاب ، أموقن أنت أم مرتاب ؟ ، من آمن بالسؤال
أعد الجواب .

فخذ للسير إهبتة وبادر وجود جمع رحلك للذهاب
فقد جد الرحيل وأنت ممن يسير على مقدمة الركاب

أما أنذرك بياض الشمط ؟ أما يبيكيك قبح ما منك فرط ؟ إلى
متى تجري في الهوى على نمط ؟ إلى متى تضع وقتاً مثله يلتقط ؟ ، لقد
أحاط بك المنون وها أنت في الوسط ، واستل التلف سيفه عليك
سريعاً واختلط ، يا من يهفو وينسى والملك قد ضبط ، يا منفقاً نعم
المولى على العصيان هذا الشمط ، إمع باعترافك قبح اقترافك
وقد انكشط ، وقم في الدجى والليل قد سجي فرب عفو هبط ،
قد نصحتك بما أسععتك وقد أوقعتك على النقط .

يا مغموراً بالنعم معدوم الشكر ، كلما لطفنا بك قابلتنا بالمخالفة
لأنه لا عجب من ترك الشكر إنفاق النعم في مخالفة المنعم ، هذا عود
العنب يكون يابساً طول السنة فإذا جاء الربيع دب فيه الماء فاختضر
وخرج الحصرم ، فإذا اعتصر الناس منه ما يحتاجون إليه طول السنة
قلب في ليلة خلا ، فبانقلابه يوجب للعقل الدهش ، من صنع صانعه ،
وقدرة خالقه فينبغي أن يفرغ العقل للتفكير فيأخذ الجاهل العنب فيجعله
خمرأ ، فيغطي به العقل ، الذي ينبغي أن يحسر عن رأسه قناع الغفلة
(وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)^(١) ويحك ، قد أطعمتك إياه

(١) سورة غافر ، الآية ٣٣ .

حصراً وعنباً وزيبياً وخلاً ، فدع الخامس لي ، فقد سمعت في كلامي
(فإنَّ لله خُمسةٌ) (١) .

أيها الضال في بادية الهوى ، إحدِر من بئر بوار ، وليس في كل
وقت . تتفق سيارة ، ليل الصبا مرخي السدفة ، وبخارالاماني يعقد
دواخن الكسل ، فانهض عن حفش الكسل واستنطق ألسن الحكم
من موضوعات المصنوعات يمل عليك كلما في دستورهِ يا مقتولاً
ماله طائب ثأر يريد الموت ، مطلق الاعنة في طلبك وما يخفيك حصن ،
ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك . والآنفاستسلب ، ذرات
ذاتك وحركات الزمان ، قوية في النسيج الضعيف ، فيا سرعة التمزيق
آن الرحيل وما في مزادتك قطرة ماء ، ولا في مزود عملك قبضة زاد ،
وقد أحلت ناقتك على ما تلقى من العشب والجلب عام في العام ،
ويحك « عش ولا تغر » . يا رباطاً مناه بخيط الامل إنه ضيف القتل ،
صياد التلغ قد بث الصقور ، وارسل العقبان ونصب الاشرار ،
وقطع الجواد فكيف السلامة ؟ تهباً لصرعة الموت وأشد منها فلت
القلب ، فليت شعري إلى ماذا يؤول الامر ؟
(للحرثي) .

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى إذا جد جد البين أم أنا غالبه
فإن استطع أغلب وان يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه
آه من تأوه حينئذ لا ينفع ، ومن عيون صارت كالعيون مما تدمع .
(للمهيار) . (٢)

ولما خلا التوديع مما حذرته ولم يبق إلا نظرة تُتَفَنَّمُ
بكيتُ على الوادي فحرمت ماءه وكيف يحل الماء أكثره دم
نقلة إلى غير مسكن ، وسفر من غير تزود ، وقدم إلى بلد ربح
بلا بضاعة ،

(١) سورة الإنفال ، الآية ٤١ . (٢) الديوان ٣ / ٣٤٤ .

ولما تيقنا النوع لم يدع لنا مسيل غروب الدمع جفنأ ولا خذا
فلا صفوة إلا وقد بدلت قلدي ولا راحة إلا وقد قلبت كدا
فوالله ما أدري وقد كنت داريا اغورت الاظعان أم طلبت نجدا

يا لساعة الموت ما أشدها ، تتمنى أن لو لم تكن عندها ، وأعظم المحن
ما يكون بعدها ،

ولم أنس موقفنا للوداع وقد حان ممن أحب الرحيل
ولم يبق لي دمعة في الشئون إلا غدت فوق خلدي تسيل
فقال نصيح من القوم لي وقد كاد يأتي على الغليل
تأن بدمعك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل

تقسم الصالحون عند الموت ، فمنهم من صابر هجير الخوف ، حتى
قضى نجه ، كعمر كان يقول عند الرحيل : الويل لعمر إن لم يغفر له
ومنهم من أفلقه عطش الحذر فيبرده بماء الرجاء كبلال . كانت زوجته
تقول : واحرباه ، وهو يصيح : واطرباه ، غداً نلقى الاحبة محمداً
وحزبه ، علم بلال أن الإمام لا ينسى المؤذن ، فمزج كرب الموت
براحة الرجاء في اللقاء ،

بشرها دليلها وقالوا غدا ترين الطلح والجبالا

قال سليمان التيمي لابنه عند الموت : اقرأ علي أحاديث الرخص
لألقى الله وأنا حسن الظن به . إلى متى تتعب الرواحل ؟ لا بد من مناخ .

رفقاً بها يا أيها الزاجر قد لاح سلع ودنا حاجر
فخلها تخلع أرسائها على الربي لأراعها ذاعر
واذكر أحاديث ليالي مني لا عدم المذكور والذاكر

كان أبو عبيدة الحواص يستغيث في الاسواق وينادي : واشواقه
إلى من يراني ولا أراه .

جاء بها قالصة عن ساق تحن والحنة للمشتاق
ما أولع الحنين بالنياق تذكري رمل التقى واشتاق

الفصل السادس والخمسون

يا من أيام عمره في حياته معدودة ، وجسمه بعد مماته مع دودة .
رأيتك في النقصان مذ أنت في المهد تقربك الساعات من ساعة اللحد
ستضحك سن بعد عين تعصرت عليك وإن قالت بكيت من الوجد
أتطمح أن يشجى لفقدك فاقد لعل سرور الفاقدين مع الفقد

يا من عمره يقضي بالساعة والساعة ، يا كثير التفريط . في قليل
البضاعة ، يا شديد الإسراف يا قوي الإضاعة ، كأنني بك عن قليل
ترمي في جوف قاعة ، مسلوباً لباس القدرة وبأس الإستطاعة ، وجاء منك
ونكبر في أفطع الفطاعة ، كأنهما أخوان في الفطاعة من لبان الرضاعة ،
وأسميت نجني ثمار هندي الزراعة ، وتمنيت لو قدرت على لحفة لطاعة
وقلت (رَبِّ ارْجِعُونِي) ^(١) ومالك كلمة مطاعة ، يا متخلفاً عن أقرانه
قد آن أن تلحق الجماعة .

يا ساهياً لاهياً عما يسراد به آن الرحيل وما قدمت من زاد
ترجو البقاء صحيحاً سالماً أبداً هيهات أنت غداً فيمن غدا غاد

مركب الحياة تجري في بحر البدن برحاء الانفاس ، ولا بد من
عاصف قاصف تفككه وتفرق الركاب .

حكم المنية في البرية جبار ما هذه الدنيا بدار قرار
جبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الاقدار والأكدار
فاقضوا ما ربكم عجلاً إنما أعماركم سفر من الأسفار

(١) سورة المزمون ، الآية ٩٩ .

يا لقم الآجال يا أشباه الدجال ، أما تسمعون صريف أنياب
 الصرور ؟ كم غافل وأكفانه عند القصار ؟ ولبن قبره قد ضرب ،
 يا سخنة عين قرت بالغرور ، يا خراب قلب عمر بالمنى ، العمر زاد
 في بادية ، يوخذ منه ولا يطرح فيه ، يا من عمره يذوب ذوبان الثلج
 توانيك أبرد ، كان بعض من يبيع الثلج ينادي عليه : إرحموا من
 يذوب رأس ماله يا مؤخرأ توبته حتى شاب وقت الإختيار ، يا ابن
 السبعين لقد امهل المتقاضي ، البدار البدار فتقاضى البدن قد عرقب
 الأساس .

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أمانى
 بادر التوبة من هفواتك قبل فواتك ، فالمايا بالذنوس فواتك ،
 أعجب خلائق الخلاق . محسن في شبابه ، فلما لاح الفجر فجر ، آه
 لموسم فاتك ، لقد ملاً الأكياس الأكياس ، رجلت الرباحة فألحقهم
 في المترن ،

وكم وقفت وأصحابي بمنزلة بيت يقظانها ولهان وهلانا
 فهاجنا حين حيانا النسيم بما سقناه يوم النقى بالجزع أحيانا
 نبكي وتسعدنا كوم المطي فهل نحن المشوقون فيها أم مطايانا
 فلا ومن فطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لبلوانا

يا هذا عمالك يحثك على التوبة وهواك يمنع والحرب بينهما ،
 فلو جهزت جيش عزم فر العدو ، تنوي قيام الليل فتنام ، وتحضر
 المجلس فلا تبكي ، ثم تقول ما السبب ؟ (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِكُمْ) ^(١) عصيت النهار فنمت بالليل ، أكلت الحرام فاظلم
 قلبك ، فلما فتح باب الوصول للمقبولين طردت ، ويحك فكر القلب
 في المباحات يحدث له ظلمة ، فكيف في تدبير الحرام ؟ إذا غير المسك الماء
 منع الترضوء فكيف بالنجاسة ، متى تغيق من خمار الهوى ؟ متى
 تنته من رقاد الغفلة ؟ .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥ .

(للشريف الرضى) . (١)

يا قلب ما أطولَ هذا الغرامَ يوم نوى الحىَّ ويومَ المقامِ
متى تُفِيقَ اليومَ من لوعةٍ وأنتَ نشوانٌ بغيرِ المُدامِ
أين أنتَ من أقوامٍ كشفت عن أبصارِ بصائرهم أغطية الجهل ؟
فلاحَت لهم الحادة فجدوا في السلوك . كان مسروق يصلي حتى تنورم
قدماه ، فتقعده امرأته تبكي مما تراه يصنع بنفسه .

أمسى وأصبح من تذكاركم قلقاً يرثي لها المشفقان الأهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم واعتادني المضيان الشوق والكمد
وغاب عن مقلتي نومي فنافرها وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه وتحتة والخافقان القلب والكبد
كأنما مهجتي نضو ببلقة يعتاده الضاريان الذئب والأسد
لم يبق الاخفى الروح من جسدي فداؤك الباقيان الروح والجسد

يا هذا ، أول الطريق سهل ثم يأتي الحزن ، في البداية إنفاق البدن
وفي التوسط إنفاق النفس ، فإذا نزل ضيف المحبة تناول القلب . فأملق
المنفق قاتى القوم بلا سكون ، إنزعاجهم بلا ثبات ، خلقت جفونهم
على جفاء النوم ، فلو سمعت ضجيجهم في دياجى الليل .

من لقلب يألف الفكر - ولعين لا تذوق كسرى
ولصب بالفغرام قضى ما قضى من حبكم وطرا

احصر القوم في سبيل المحبة ، فأقعدتهم عن كل مطلوب (لا يستطيعون
ضرباً في الارض) (٢)

رأيت الحب نيراناً تلظى قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت إذا احترقت تفانت ولكن كلما نضجت تعود

لاحت نار ليل ليلاً فنهض المجنون ، فخبث فضل فضج .

ردوا الفؤاد كما عهدت إلى الحشى والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

(١) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام ٣٩٢ ، أنظر ديوان شعر ٣١٣-٣١٧

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

الفصل السابع والخمسون

أخواني ، قد كفت الكفات في العبر ، ووعظ من عبر من غير ،
وقد فهم الفطن الامر وخبر ، وما عند الغافل من هذا خبر .

يا أيها الناس أين أولكم	أما أناكم للذاهبين خبر
إعتبروا فالمقدمون خلوا	وكلهم للمؤخرين غير
تعبر بالمصر عابراً فإذا	سألت عمن تود قيل عبر
إصبر على العسر في الزمان فكم	عسر ويسر أنك ثمت مر
والصبر أولى بكل من . صحب	العيش ومن جرب الزمان صبر
يرفع شأن الكرام فعالهم	والفعل إن خالف الجميل حذر
كادت شخوص في الأرض بالية	تنطق حقاً إذا المقال غدر
بالأمس كنا من الأنعام فأما	اليوم في تربنا فنحن مدر

إبك على نفسك قبل أن يبكي عليك ، وتفكر في سهم قد صوب
إليك ، وإذا رأيت جنازة فاحسبها أنت ، وإذا عاينت قبراً فتوهمه
قبرك وعد باقي الحياة ربحاً .

(لمتعم بن نويرة) .

لقد لامني عند القبور على البكا	رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيت	لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا	فدعني فهذا كله قبر مالك

يا بعيد التيقظ والموت منه قريب ، يا من هو عما قليل في القبور

غريب ، يا راكباً عجز الهوى وفي يده جنب ، يا ماراً على وجهه
قل لي متى تنيب ؟ ألا تأخذ قبل الفوت بعض النصيب ؟ ألا تتزود
ايوم شره شر حصيب ؟ ، ألا تخرج عن وادي الجذب إلى الربع
الخصيب ؟ أحاضر أنت قل لي ، ما أكثر ما تغيب ، الا مريض لبيب
يقبل رأي الطبيب ، إن الرحيل بلا عدة فج ، فكيف به على بعد الفج ؟
أحرم عن الحرام وقدر أنه حج ، واسكب دموع الاسى واحسبه
ثج ، واستغث من الزلل ومثله العج ، وبادر ، فقد تنوت الوقفة أهل
وج (١) ، إقبل نصحي فمثل نصحي لا ينج . كم فهم وعظي ذو
فطنة فهج ، يا من يقول إذا شئت تبت .

اليوم عهدكم فأين الموعد هيهات ليس ليوم عهدكم غد
إن خرجت اليوم ولم تبت ، خرجت من أولى الفهم .

لاي مرمي تزجر إلا يانقاً إن جاوزت نجداً فليست عاشقاً
وقوع الذنب على القلب كوقوع الدهن على الثوب ، إن لم تعجل
غسله وإلا انبسط (وإن منكم لبيطون) (٢) .

يادي في قائم العضب فما الإبطاء بالضرب

ما دامت نفسك عند التوبيخ تنكسر ، وعينك وقت العتاب تدمع ،
ففي قلبك بعد حياة . إنما المعاصي أوجبت سكتة ، فانشق «واك حراق
التخويف وقد عطس ، يا من قد أبعدته الذنوب عن ديار لانس ،
إبك وطر الوطن عساك ترد .

قال بعض السلف : رأيت شاباً في سفح جبل عليه آثار القلق
ودموعه تتحادر ، فقلت : من أين ؟ ، فقال آبق من مولاه ، قلت : فتعود
فتعذر ؟ فقال : العذر يحتاج إلى حجة ولا حجة للدفراط ، قلت : فتتعلق
بشفيق ؟ قال : كل الشفاء يخافون منه ، قلت من هو ؟ ، قال : مولي

(١) وج : إسم واد في الطائف . (٢) سورة النساء الآية ٧٢

ربائي صغيراً فعصيته كبيراً ، فواحيائي من حسن صنعه وثبح فعلي ،
ثم صاح فمات ، فخرجت عجوز فقالت : من أعان على قتل البائس
الخيران ؟ فقلت : أقيم عندك أعينك عليه ، فقالت : خله ذليلاً بين يدي
قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه .

بالله عليك يا فتى الاعراب إن جرت على مواطن الأحباب
فاشرح سقمي وقل لهم عما بي ذاك المضي يموت بالأوصاب

أيها التائبون بألستهم ولا يدرون ما تحت نطقهم ؟ ، لا يحكم
بإقراركم (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) ^(١) متى صدقت توبة التائب
بنى بيت التعبد بصخور العزائم ولم يتنه في أساسه دون الماء ، ما ضرب
بسيف العزيمة قط إلا قط ، التوبة الصادقة تفلح آثار الذنوب ، إذا
قرئ على التائب عهد (أَلَسْتُ) ^(٢) ذكر الاقرار وعرف الشهود ،
فخجل من الخيانة فجرت العين وأطرق الرأس ، إن التائبين كاتبوا
الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب .

يا حادي الاطعان عج متوقفاً وانظر دموع العاشقين تراق
صبروا على ألم التهاجر والقلى وتجرعوا مر الفراق وذاقوا

يا معاشر التائبين من أقامكم وأقعدنا ؟ من قربكم أبعدنا ؟ (إن
نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ) ^(٣) قفوا لاجل زمن ، إرحموا من قد عطب .

ردوا المطايا وإلا ردها نفسي وأدعي فهما سيل ونيران
يا سائق الظعن قلبي في رحالهم أمانة رعيها والحفظ إيمان

يخيل لي . أن الحيطان تبكي معنا إن النسيم قد رق لحزننا .

فلا ومن فطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لبلوانا

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ١١ .

(١) سورة النساء ، الآية ٤٣ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٧٢ .

ما أحسن هؤلاء التواب ، ما أذل وقوفهم على الباب فاعتَبِرُوا (يا أولي الالباب) .

بما يبتنا من حرمة هل رأيتما أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفصح من عين المحب لسه ولا سيما إن أطلقت عبرة تجري

وجوههم أضوا من البدر ، جباههم أنور من الشمس ، نوحهم
أفضل من التسبيح ، سكوتهم أبغ من فصيح ، لو علمت الأرض قدر
خوفهم تزلزنت ، لو سمعت الجبال ضجيجهم تقلقلت .

(لابن المعتز) .

إسقي فاليوم نشوان	والربى صاد وريان
وندامى كالنجوم سطوا	بالمى والدهر جذلان
خطرنا والسكر ينفضهم	وذبول القوم أردان

كلما رأيت تقلقلهم ، تقلقل قلبي ، وإلا لمحت اصفرارهم تبلى
لبي ، وإذا شاهدت دموعهم زاد كربى ، وإذا سمعت حنينهم تبدد
ماء عيني ،

ما ناح في البان الحمام	الا ورنخي الغرام
فكأنني ثمل تمت	في مفاصله المدام
مالي وبانات اللوى	لولا الصبابة والهيام

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنون ترمي عن أقواس حتى طاحت الجسوم والانفس ،
وتبدلت النعم بكثرة الابداس ، واستوى في القبور الازئاب
والاروش ، وصار الرئيس كأنه قط لم يروش .

قل للمفرط يستعد	ما من ورود الموت بد
قد أخلق الدهر الشباب	وما مضى لا يسترد
فإلى م يشتغل الفتى	في لهوه والأمر جد
والعمر يقصر كل يوم	بي وآمالى تمد

لقد وعظت الدنيا فأبلغت وقالت ، ولقد أخبرت برحيلها قبل
أن يقال زالت ، وما سقطت جدرانها حتى أذيت ومالت ، قرب
الإغتراب في التراب ، ودنا سل السيف من القراب ، كم غنت رباب
برباب ثم نادت على الباب برباب يا من زمانه الذي يمضي عليه : عليه ،
يا طويل الأمل وهو يرى الموتى بعينه ، يا من ذنبه أوجب أن
لا يلتفت إليه ، قد مزجت لك كأس كربة ولا بد والله من تلك الشربة ،
يا منقولا بعد الانس إلى دار غربة ، يا طين تربة ، وهو يطالب في الدنيا
رتبة ، هذا مجلس ابن زيد فأين عتبة ؟ ، أأنهو برند الصبا وبانه ؟
ويروقك برق الهوى بلمعانه ، وتغتر بعيش في عفوانه ، فتمد يد الغفلة
إلى جنى أغصانه ، وتنسى أنك في حريم خطره وامتحانه ، أما لقمة أهلك
أخرجته من مكانه ؟ أما نودي عليه بالقطر في رمضان ؟ أما شأنه
شانه لولا وكف شأنه ؟ أما يستدل على نار العقاب بدخان ؟ نزل آدم
عن مقام المراقبة درجة فترل فكان يبكي بقية عمره ديار الوفا ،

برد النفس بالهوى لحظة أثمر حرارة القلق ألف سنة ، فاعتبروا ، سالت
من عينيه عيون إستحالت من الدماء دموع شغلته عن ذات الدنيا
همهم .

(للمهيار) . (١)

هل بعد مفترق الاطعان مجتمعٌ أم أهل زمان بهم قد فات مرتجعٌ
تحملوا تسعُ البيداءُ ركبهمُ ويحمل القلبُ منهم فوق ما يسعُ
الليل بعدهمُ كالهجر متصلٌ ما شاء والنومُ مثل الوصل منقطعٌ
إشتاق نعمان لا أرضى بروضته داراً وإن طاب مصطافٌ ومرتبِعٌ

كان آدم كلما عاين الملائكة تنزل تذكر المرتبِع في الربيع
فتأخذ العين أعلى في إعانة الحزين .

رأى بارقاً من نحو نجد فراعهُ فبات يسح الدمع وجداً على نجد
هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي كما كن لي أم لا سبيل إلى الرد
ما أمر البعد بعد القرب ، ما أشد الهجر بعد الوصل ، يا مطروداً
بعد التقريب أبلغ الشافعين لك البكاء .

(للمتنبيء) : (٢)

وكيف التذاذي بالاصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبّا
ذكرتُ به وصلاً كأن لم أفزبه وعيشاً كأنني كنت أقطعه وثبّا

كان لقوم جارية ، فأخرجوها إلى النخاس فأقامت أياماً تبكي ،
ثم بعثت إلى ساداتها تقول بجرمة الصحبة ردوني فقد ألفتكم .
يا هذا قف في الدياجي وامدد يد الذل ، وقل قد كانت لي خدمة ،
فعرض تفريط أوجب البعد ، فجرمة قديم الوصل ردوني فقد
ألفتكم ،

(١) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أنظر ديوان شعره

٢ ، ١٨١ - ١٨٤ .

(٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، أنظر الديوان ص ٣١٨ .

عللونا بوصال نافع إننا للبعد كالشيء اللقا
أو خذوا أرواحنا خالصة أو ذروا في كل جسم رمقا
وارحموا من تنقضي أيامه غمرات واليالي أرقا
ويح قلبي ما لقلبي كلما خفق البرق اليماني خفقا

يا هذا ، لا تبرح من الباب ولو طردت ، ولم تنزل عن الجنب
واو أبعدت ، وقل بلسان التماق إلى من أذهب ؟

يا ربع إن وصلوا وإن صرموا فهم الأولى ملكوا الفؤاد هم
شغلوا بحسبهم نواظرنا وعلى القلوب بحسبهم ختموا
اتبعتهم نظراً فعاد جوى ومن الشفاء لذى الهوى سقم
تمحو دموعي وسم إبلهم وزفير أنفاسي لها يسم
كان الحسن شديد الحزن ، طويل البكاء سئل عن حاله ، فقال :
أخاف أن يطرحني في النار ، ولا يبالي .

يعز علي فراقني لكم وإن كان سهلاً عليكم يسيراً
يا من كان له قلب فمات ، يا من كان له وقت ففات ، إستغث في
بوادي القلق (ردوا عليّ ليالي التي سلفت) أحضر في السحر فإنه وقت
الإذن العام ، واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور ، وابعث
سائل الصعداء فقد أقيم لها من يتناول .

(للمصنف) :

عبرت بريحكم الصبا سحراً فارتاح قلبي المدنف الحرض
ما لي أراك سقيمة بهم يا ربيع عندي لابلك المرض
اتبعتها نفساً أشيعها فإذا جروح القلب تنتفض
قف صاحبي إن كنت تسعدني عند الكئيب فثم لي غرض
وانشد فؤادي عند كاظمة في كل ركب راح يعترض
أشكو ومني مبتدى ألمي عيني رمت وفؤادي الغرض
فرضوا على الأجفان إذ هجروا لا تلتقي فاصبر لما فرضوا
كيف اصطباري بعد فرقتهم يا جيرة ما عنهم عوض

الفصل التاسع والخمسون

يا من سيب قلبه في مراعي الهوى ، وألقى حبله على الغارب ،
سلم من يطول نشدانه للضلال ؟ .

(للمهيار) : (١٢)

دع ملامي بالحبي أو رح ودعني واقفاً أطلب قلباً ضاع مني
ما سألتُ الدار أبغي رجعها رب مستول سواها لم يجبني
أنا يا دار أخو وحشٍ الفلا فيك من خان فعزمي لم يخني
ولئن غال مغانيك البلى عادة الدهر فشخصُ منك يُغني
إن خبَّتْ نارٌ فهذي كبدي أو جفا الغيثُ فهذا لك جفني

أكثر فساد القلب من تخليط العين ، ما دام باب العين موثقاً بالغض
فالقلب سليم من آفة ، فإذا فتح الباب طار طائر وربما لم يعد ، يا
متصرفين في إطلاق الابصار جاء توقيع العزل (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا
مِنْ أَبْصَارِهِمْ) (٢) إطلاق البصر ينقش في القلب صورة المنظور
والقلب كعبة (ويسعني) وما يرضي المعبود بمزاحمة الاصنام .

عيناى أعاننا على سفك دمي يا لذة لحظة أطالت ألمي
كم أندم حين ليس يغني ندمي وبلي ثبت الهوى وزلت قدمي
يا مطلقا طرفه لقد عقلك ، يا مرسلأ سبع فمه لقد أكلك ، يا

(١) مطلع قصيدة كتبها لمعيد الكفاة في النبروز ، الديوان ٤ ، ٧٢ - ٧٧ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٠ .

مشغولاً بالهوى مهلاً قتلک ، بادر رمقک فقد رمقک ، بالرحمة من
عذلك .

(للمهيار) : (١)

عثرت يوم العذیب فاستقل ما کل ساع یُحس بالزلزل
ما سلمت قبلك القلوبُ علی الحسن ولا الراجمون بالمقل
سافر طرقي یوم الظعائن بالسفح وآب الفؤاد بالخبل
نظرة غر جنت مقارعة یفتک فیها الجبان بالبطل
حصلت منها علی جراحاتها واستأثر الظاعنون بالنفل

إذا لاحت للتائب نظرة لا تحل ، فامتدت عین الهوى ، فزلزلت أرض
التقى ونهض معمار الإیمان (وألْقَى فی الارضِ رَوَاسِیَ أَنْ تَمِیدَ
بِکُمْ) (٢) لاحت نظرة لبعض التائبین ، فصاح :

حلفت بدين الحب لا خنت عهدکم وتلك یمین لو علمت غموس

إذا خیم سلطان المعرفة بقاع القلب ، بث جنده فی بقاع البدن ،
فصارت السباخ ریاضاً لریاضة « ساکن فی القاب یعمره » إذا نزل
الحبيب دیار القلب لم یبق فیہ نزالة .

وكان فؤادی خالیا قبل حبکم وكان بذکر الخلق یلهو ویمرح
فلما دعا قلبي هواک أجابه فلست أراه عن فنائک یرح
رمیت یبعد منك إن كنت کاذباً وإن كنت فی الدنیا بغیرک أفرح
فإن شئت واصلنی وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغیرک یصلح

أول منازل القوم ، « عزفت نفسي عن الدنیا » وأوسطها « لو
كشف الغطاء » ونهايتها « ما رأیت شیئاً إلا ورأیت الله فیہ » .

(١) مطلع قصيدة كتبها لعید الکفاة أبو سعد بن عبد الرحیم فی النیروز ، أنظر دیوان
شعره ٣ / ٨٧ .

(٢) سورة النحل ، الآیة ١٥ .

وما تطابقت الأجفان عن سنة إلا وجدتك بين الجفن والحدق
وهل ينام خزين موجد قلق أجفانه وكلت بالسهد والأرق
شغلت نفسي عن الدنيا ولذتها فأنت والروح شيء غير مفترق
فلم تعذبها بالصد يا أملي ؟ لإرحم بقية ما فيها من الرمق

أرواح المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العادات ، وهي في
حواصل طير الشوق تفررف على أطلال الوجد ، وتسرح في رياض
الانس عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا ؟ ، ما
ترى عين المحبين إلا المحبوب ، « فبي يسمع وبني يبصر » :

أنت عين العين إن نظرت ولسان الذكر إن ذكر
أنت سمعي إن سمعت به أنت سر السر إن خطرا
ما بقي لي فيك جارحة كلها يا قاتلي أسرا

باتت قلوبهم يقلقها الوجد ، فأصبحت دموعهم يسترها الجفن ،
فإذا سمعوا ناطقاً يهتف بذكر الحبيب ، أخذ جزر الدمع في المد ، من
أقلقه الخوف ، كيف يسكن ؟ من أنطقه الحب ، كيف يسكت ؟ ،
من ألمه البعد ، كيف يصبر ؟ سل عنهم الليل فعنده الخبر ، أتدري
كيف مر عليهم ؟ أبلغك ما جرى لهم ؟ (أيعلم سال كيف بات المتيم)
افترشوا بساط قيس ، وباتوا بليل النابغة ، إن ناحوا فأشجى من متيم ،
وإن ندبوا فأفصح من خنساء ، إجتمع أحزاب الاحزان ، على قلب
الخائف ، فرمت كبداء الخوف الكبد فوصل نصل القلق ففلق حبة
القلب فانقلب فصاح الوجد من شاء اقتطع ، فلو رأيت فعل النهاية
لرحمت المتمزق .

(١) (للمهيار)

أيها الرامي وما أجرى دماً لا تجنب قد أصبت الغرضاً

(١) من قصيدة كتبها في التبروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب ، أنظر ديوان شعره ١٥٢/٢

إطلبوا للعين في اثنائه نظرة تكحلها أو غمضا

طال حبس المحبين في الدنيا عن الحبيب ، فضجت ألسن الشوق
فلو تيقظت في الدجى سمعت أصوات أهل الحبوس .

(للمصنف) .

طال ليلى وداما	ومنعت المناما
وجد الوجد عندي	منذ بانوا مقاما
ليتهم حين راحوا	ودعوا مستهما
سار قلبي وجسمي	لم يسر بل أقاما
لست أدري فؤادي	إذ غدوا أين هاما
حبهم قرت قلبي	منذ كنت غلاما
حملوا ضعف قلبي	يذبلوا وشاما
كم رموني برشق	واحدوا سهاما
ما لعيني تبكي	إن سمعت حمانا
كلما ناح رشت	فظننت الغماما
هل نسيم لكربي	أين ريج الخزامي
هجركم يا حبيبي	كان موتاً زواما
أكل اللحم مني	ثم أبلى العظاما
صار ليلى نهارا	ونهارى ظلاما
إنما بت أشكو	لوعتي والغراما
فاعذروا أو فلواموا	ما أبالي الملاما
إفرجوا عن طريقي	قد خلعت اللجاما
ورميت سلاحي	وكشفت اللثاما
أسعدوني فإني	قد فنت سقاما

الفصل الستون

أخواني ، تفكروا في الذين رحلوا ، أين نزلوا ؟ ، وتذكروا أن القوم نوقشوا وسئلوا ، واعلموا أنكم كما تعذلون ، عدلوا ولقد ودوا بعد القوات لو قبلوا .

(لابي العتاهية) . (١)

سألت الدار تخبرني	عن الأحباب ما فعلوا
فقلت لي أناخ القوم	أياما وقد رحلوا
فقلت فأين أطلبهم	وأى منازل نزلوا
فقلت بالقبور وقد	لقوا والله ما فعلوا
أناس غرهم أمل	فبادرهم به الأجل
فنوا وبقي على الأيام	ما قالوا وما عملوا
وأثبت في صحائفهم	قبيح الفعل والزلل
فلا يستعقبون ولا	لهم ملجا ولا حيل
ندامى في قبورهم	وما يغني وقد حصلوا

أين من كانت اللسن تهذي بهم لتهديهم ، وأصبحت فلك الاختبار تجري بهم لتجريهم ، أقامت قيامتهم منادي الرحيل لتغري بهم لتغريهم ، فباتوا في القبور وحدانا لا أنيس لغريهم ، أين أهل الوداد الصافي في التصافي ، أين الفصيح الذي إن شاء أنشأ في القول الصافي ، أين قصورهم التي تضمنتها مدايح الشعراء صار ذكر القوى في القوافي ،

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوانه .

لقد نادى الموت أهل العوالي والقصور العوالي الطوافي ، تأهبوا لقدومي
فكم غرثان^(١) طوى في طوافي ، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق
كدر أوصافي ، ولقي في مره أمراً مرأ لا تبلغه أوصافي ، ذاقوا طعام
الامال فانتزع من أفواههم يوم المآل ، وعاد الخوى في الخوافي ،
عوى في ديارهم ذئب السقام . بتكذيب العوافي ، إنقطعت آمالهم .
وصار كل المنى في دفع المثاني ، تزلزل ود أحبابهم والتوى وبث التوي
في التوافي ، تالله لقد نال الدود والبلى . ما أرادا منهم وألفيا في الفياي .

آلت قبورهم إلى الخراب أولاً ، فلا يدري أهذا قبر المولى أو لا ،
وهم سواء في السوافي ، كم أعرضوا عن نصيح وقد رفعوا ما تلافى
التلافي ، كم ندموا على ضياع زمانهم الذي خلا في خلافي ، كم رأيت
عاصيهم قد أعرض عني إلى عدوى والتجا في التجافي ، أما أخبرتهم
بوصف النار إنها (نزاعة للشوى)^(٢) في الشوافي ، فاعتبر بحالهم
فإنه يكف كف الهوى وهو الواعظ الكافي ، أين الابصار الحوادث
قبل إحضار الشدائد ، أما استلبت القلائد من ترائب الولايد ، لا بد من
إزعاج هذا الراقد ، فيقع الفراق بين فريق الفراق ، يا موثقاً في حباله
الصائد ، والله ما كذبك الراقد ، يا عمي البصيرة ولا قائد ، كم أضرب
في حديد بارد .

أليلى وكل أصبح ابن ملوح ولبنى وما فينا سوى ابن ذريح

ذهبت أعماركم في طلاب الشهوة والموت قد دنا ، فما هذه الشهوة
والقلوب غافلة فالام القسوة ؟ والصالح معرض فختام الجفوة ؟ ،
أين رب المال أين ذو الثروة ؟ ، أما فرس الموت ذا الفرس ؟ واخل
الصهوة .

طوبى للمتيقظين إنهم لقدوة ، علموا عيب الدنيا فما أمسكا
عروة ، وأنت في حبها كتميس وعروة ، أحسن بعد الشيب لهو وصبوة ،

(٢) سورة المعارج ، الآية ١٦ .

(١) الفرث : الجوع .

أبقى نأى الزمان طيب نأى وقهوة ؟ قربت نوق الرحيل ، مساء
وغدوة ، جذبت أيدي المنون كرها وعنوة ، يا قليل التدبير ولا عقول
النسوة ، إلى كم عيب وعتب . أما فيكم نخوة ؟ واعجباً لتاجر يرضى
بتعب شهر ليتمتع بربحه سنة ، فكيف لا يصبر أيام عمره اقليلة
ليلتذ بربحها أبداً .

يا من يروح ويغدو في طلب الارباح ، ويحك لإربح نفسك ، يا
أطفال الهوى طال مكثكم في مكتب التعليم ، فهل فيكم من أنجب ؟
أقروا أدلة التوحيد من ألواح أشباحكم ، وتلففوها من أنفاس أرواحكم ،
قبل أن يستلب الموت من أيدي اللاهين ألواح الصور ، ويمحو سطور
التركيب بكف البلى وما فهم المكتوب بعد ، كم يلبث مصباح
الحياة على نكباء النكبات ، من رأى بعين فكره معاول النقص ،
في هذا المنزل ناح على السكان .

يا هذا مشكاة بدنك في مهاب قواصف الهلاك ، وزجاجة
نفسك في معرض الانكسار ، فاغتم زمان الصنفو فأيام الوصل قصار ،
كم يلبث قنديل الحياة على عواصف الآفات ، أنفاس الحي خطاه
إلى أجله ، درجات الفضائل كثيرة المراقبي وفي الاقدام ضعف وفي
الزمان قصر ، فمتى تنال الغاية ؟ .

وقف قوم على راهب ، فقالوا : إنا سائلوك أفهجيننا أنت ؟ قال :
سلوا ولا تكثروا ، فإن النهار لن يرجع والعمر لن يعود ، والطلاب
حيث في طلبه ذو اجتهاد ، قالوا : فاوصنا ، قال : تزودوا على قدر
سفركم فإن خير الزاد ما أبلغ البغية .

إخواني ، الايام صحائف الاعمار فخلدوها أحسن الاعمال ،
الفرص تمر مر السحاب والتواني من أخلاق الخوالب ، من استوطأ
مركب العجز عثر به ، تزوج التواني بالكسل فولد بينهما الخسران
كان غير وعائشة يسردان الصوم ، وسرد أبو طلحة أربعين سنة ،
وصام منصور بن المعتز أربعين سنة وقام ليلها ، وكان عامر بن عبدالله
يصلي كل يوم ألف ركعة ، وختم أبو بكر بن عياش في زاوية بيته

عاني عشر ألف ختمة : وكان لكهمش في كل شهر تسعون ختمة ،
وكان عمير بن هاني يسبح كل يوم مائة ألف تسيحة :

صافحوا النجم على بعد المئال واستطابوا القيظ من برد الظلال
واستدلوا الوعر من أخطارها إنما الأخطار أثمان المعالي
كبوا الضر إليها ربما صحت الأجسام يوماً بالهزال
جروا يوماً إلى غاياتها بالعوالي السمر والقب العوالي

وكان الاسود بن يزيد يصوم حتى يخضر ويصفر : وكان ابن أدهم
كأنه سفود من العبادة : وكانت رابعة كأنها شن بال ، ومات حسان
بن أبي سنان فكان على المغتسل كالخيط : وكان محمد بن النضر لو كشط
جميع لحمه لم يبلغ رطلاً :

جزى الله المسير إليه خيراً وإن ترك المطايا كالمراد

أكبر دليل على الحب تحول الجسم واصفرار اللون :

(للحارثي) :

سلبت عظامي كلها فركتها مجردة تضحي لديك وتخضر
وأخليتها من مخها فكأنها أنابيب في أجوافها الريح تصفر
إذا سمعت باسم الحبيب تقععت مفاصلها من خوف ما تنتظر
خذي بيدي ثم ارفعي الثوب تنظري ضني جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روح تذوب فتقطر

قال الجنيد : دخلت على سري السقطي فمد جلدة ذراعه وقد يبست
على العظم . فما امتدت : فقال : والله لو شئت أن أقول هذا من محبته
لقلت :

وهواك ما أبقي هواك على فيك ولا ترك
أيلومني فيك الذي يزري علي ولم يرك
رفقاً بعبدك سيدي هذا عبيدك قد هلك

الفصل الحادي والستون

يا من أيامه تعظه ، حين تبنيه وتنفضه ، يا من صحته تمرضه ، وسلامته
تخرضه ، يقرض عمره فيفنى ومن يقرضه :

أرى الدهر أغنى خطبه عن خطابه	بوعظ شفى البابنا بلبابه
له قلب تهدى القلوب صواديا	إليها وتعمى عن وشيك انقلابه
هو الليث إلا أنه وهو خادر	سقا فأغاب الليث عن أنس غابه
وهيهات لم تسلم حلاوة شهده	لصاب إليه من مرارة صابه
مبيد مباديه تفر وإنما	عواقبه مخنومة بعقابيه
ألم تر من ساس الممالك قادراً	وسارت ملوك الأرض تحت ركابه
ودانت له الدنيا وكادت تحله	على شهبها لولا خمود شهابه
لقد أسلمته حصنه وحصونه	غداة غدا عن كسبه باكتسابه
فلا فضة أنجته عند انفضاضه	ولا ذهب أغناه عند ذهابه
سلا شخصه ورائه بترائه	وافرده أترابه بترابه

كم دارس عليك إن الرابع دارس ، كم واعظ ناطق وآخر
هامس ، كم غمست حبياً في الثرى كف رامس ، كم طمس وجهاً
صحيحاً من البلى طامس ، تالله ما نجابطه بقراط ولا أرسطا طالس ،
صاح الموت بالقوم فتكس الفارس ، أين الفطن الليب أين اليقظ
القائس ؟ . أتشتري أخس الحسائس يا نفس النفائس ؟ أتؤثر لذة لحظة
تجنّي حرب اليسوس وداحس ؟ يا مقترين من التقى بل يا مفالس ،
يا منمكنين في الخطايا ما تنفع الملابس ، إشتروا نفوسكم عن الذنوب
تشتروا لها السنادس . أخواني : لو ذكرتم أنكم تبادون ما كنتم

بالمعاصي تبادون ، لقد صوت فيكم الحادون وما كأنكم للخير ترادون ،
واعجباً تصادون المواعظ ولا تصادون ، إلى متى تراوحون الذنوب
وتغادون ؟ يا مقيمين وهم حقاً غادون ، أتعادون من يقول إنكم
تعادون ؟ ، كأنكم بكم تغادون إلى مقام فيه تغادون ، أما سمعتم كيف
نادى المنادون ؟ كل شيء دون المني دون :

يا نائم الليل تنبه للتقى وانهض فقد طال بك القعود
بين يديك حادث لمثله يغسل عن أجفانه الرقود
ما جحد الصامت من نشأه ومن ذوي النطق أتى الجحود

الدهر خطيب كاف ، والفكر طيب شاف ، كم قطع زرع قبل
التمام فما ظن المستحصد ، من عرف الستين أنكر نفسه ، من بلغ
السبعين اختلفت إليه رسل المنية ، عواري الزمان في ضمان الإرتجاع ،
يوسف العقل ينظر في العواقب ، وزليخا الهوى تتلمح العاجل ، يا
مقدمين على الحرام أنتم بعين من حرم ، ينبغي لمن ألبس ثوب العافية
أن لا يدنسه بوسخ الزلل ، زرع النعم مفتقر إلى دوران دولاب الشكر ،
فإذا فتح القلب سكر الإعتراف بالعجز صار السقي سبجاً .

هذا اليوم يقول : ارضني وعلى رضا أمس ، السكون بالبلادة
أصعب من التحريك بالهوى ، إذا رآك عقلك ، وقد تولى حسك تدبيرك
تولى ، ويحك لا تأمن حسك على عقلك فإنه عكس الحكمة ، العقل
نور والحس ظلمة ، الحس أعشى والعقل عين الهدى ، الحس طفل
والعقل بالغ ، العقل يدخل في المضائق والحس أبله ، الحس لا يرى إلا
الحاضر والعقل يتلمح الآخر ، الصبر عن الاغراض صبر غير أن
الحازم يجعل مراقبة العواقب تقوية ، ما خلاقط وبجه سرور من تعبس
مكروه ، ولا سلمت كأس لذة ، من شائبة نغصة :

(للمثنوي) : (١)

فذي الدارُ أخونُ من مومس واخذعُ من كيفةِ الحابل

(١) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، الديوان ٢٥٨ - ٢٦٤ .

تَفَانَى الرجال على جَبْهَها وما يحصلون على طائل

كل صاف من الدنيا ، مقرون بكدر ، حتى أنه في الغيث عيث ،
أتريد أن لا ينعكس لك غرض ؟ فما هذا موضعه ، الهبات ذاهبات ،
والليالي مناهبات ، الدنيا قنطرة واستيطان القناطير بله .

هل نجد إلا منزل مفارق ووطن في غيره يقضي الوطر

الهم فيها أكثر من الفرح ، والسرور أقل من الحزن (وأنّ
الدار الآخرة لمي الحَيَوَان) ^(١) يا مجتهداً في طاب الدنيا ، اجعل
عشر اجتهادك للأخرى ، جهزت البنات وتزوجت البنين ، فأنت
بماذا تجهزت للرحيل ؟ .

يا متقاعداً عن أوامر الرب ، إحذر أن يقعدك عن نهضاتك ترمز ،
واعجباً إن حركت إلى الطاعة ، فزحل وإن لاح لك الهوى نعطارد
عينك قد استرقها المنظور ، ولسانك يتصرف فيه اللغو ، ويدك .
يحركها الزلل ، وخطا أقدامك إلى الخطأ ، ثم قد اسكنت الهوى قلبك ،
فأين يكون الملك ؟ « وهل ترك لنا عقيل من منزل » .

ويحك إن الإنسان يشد في إصبعه خيطاً يتذكر به حاجته ، وهل
في جسدك عرق أو شعرة إلا وهي تذكر بالخالق ، فما وجه هذا
النسيان البارد ، يا من باعنا نفسه ثم ماطل بالتسليم ، لا أنت ممن يفسخ
العقد ولا ممن يمضي البيع ، تدعي الرحلة إلى دار الحبيب ، ودهليز
سرادقك إلى بلد الهوى ، هيهات لا يدرك علم الربانية إلا من ربي فيه .

(للمهيار) : (٢)

يا قلب ما أنت وأهل الحمى وإنما هم أمسك الذاهب
دون نجد وطباء الحمى أن يُقرَح المنسيم والغارب

(١) سورة التنبؤ ، الآية ٦٤ .

(٢) من قصيدة يملح بها عميد الدولة ابن عبد الرحيم ، الديوان ١ - ١٣٦ .

لا بد في سلوك الطريق من مصابرة رفيق ، البلاء له خلق صعب
 فاصبر على مداراته ، البلاء ضيوف فأحسن قراها لترحل عنك إلى
 بلد الجراء مادحة لا قادحة ، من حك بأظفار شكواه جلد عيشه أدهى
 دينه ، البلاء ظلمة غبش ويا سرعة طرع الفجر ، اللهم أعن أطفال التوبة
 على ما ابتلوا به من جوع شديد ، فإذا أعد قرص الإفطار نزل ضيف
 (وَيُؤْتِرُونَ) ^(١) فزاحم ، فأراح (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْتَزُّوا) ^(٢)

إن هواك الذي بقلبي صبرني سامعاً مطيعاً
 أخذت قلبي وغمض عيني سلبني النوم والهجو عا
 فذر فؤادي وخذ رقادي فقال لا بل هما جميعاً

فإذا تمكنت قدم المريد وطاب له ارتضاع ثدي الوصال قطع
 عنه في أمناً ١٠ كان يراد منه زيادة القاق ، في الحديث يوحى الله تعالى
 إلى جبريل عليه السلام اسلب عبدي حلاوة مناجاتي فإن تضرع إليّ
 فردها ، فلو سمعت استغاثة المحبين ، لا ورثك القاق :

على بعدك لا يصبر من عادته القرب
 ولا يقوى على حببك من تيمه الحب
 فمهلاً أيها الساقى فقد يشهدك القلب
 فلن لم ترك العين فقد يشهدك القلب

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ١ .

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

الفصل الثاني والستون

يا من قد غلبته نفسه وبطش بعقله حسه ، إستدرك صباية اليقظة
وصح في سمع قلبك بموعظة .

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا	واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا
أما تروينا المنايا كيف تلقطنا	لقطاً وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه	نرى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أتركها	خلفي وأخرج من دنياي عريانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعباً	قد آن أن تقصري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعamy عن مصائرنا	نسئ بغفلتنا من ليس ينسانا
نزداد حرصاً وهذا الدهر يزجرنا	كان زاجرنا بالحرص أغرانا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا	مستبدلين من الأوطان أوطانا
خلوا مدائن كان العز مفرشها	واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
يا راكضاً في ميادين الهوى مرحاً	ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب	يكفيك ماقد مضى قد كان ما كانا

أين الزاد يا مسافر ؟ ، أين درع التقوى يا سافر ؟ لقد أنشب الموت
فيك الاظافر ولا تشكن إنه ظافر ، هذه النبل فأين المغافر ؟ كيف
تصنع إن غضب الغافر ؟ ، يا مبارزاً بالقبيح أؤمن أنت أم كافر ؟
إن قمت سددت من ثياب كبرك وإن أقمت سددت من شراب خمرك ،
إصطفقت أبواب المواعظ . وما استفقت ، تقف في الصلوة بغير خضوع
وتقرأ التخويف وما ثم خشوع ، يا نائماً عن صلاحه كم هذا المهجوع ؟

يا دائم الحضور عندنا هل عمرك إلا أسبوع ؟ ، إن لنجم الحياة لأفول ،
ولشمس الممات لطلوع ، أين أبوك أين جدك ؟ السيف قطوع ، كيف
تبقى مع كسر الاصول ضعاف الفروع ؟ تعاق الدنيا بقلبك وتعترد
بلفظ مصنوع ، إصرارك كالصحيحين وإقلاعاك حديث موضوع ،
مزق أملكك . فالعمر قصير ، حقق عملك فالناقد بصير ، زد زاد سفرك
فالطريق بعيد ، ردد نظر فكرك فالحساب شديد ، صح بالقلب لعاه
يرعوي ، سلمه إلى الرائف عساه يستوي ، يا مؤثر البطالة عالم الهوى
دنس ، عاشق الهوى جامد الفكر فلو ذاب ما ذاب .

سهر العيون لغير وجهك ضائع وبكاؤهن لغير وصلك باطل

يا هذا وجه ناقتك إلى بادية الزبارة ، فإن لها بنسيم نجد معرفة ،
قنقاها على الجادة وقد هب لها نسيم الشيخ من الحجاز ، إن أعوزك في
الطريق ماء فتمم مزادتك بالبكاء .

(لعل بن أفلح) :

دعها لك الخير وما بدا لها من الحنين ناشطاً عقلمها
ولا تعللها ببحر بابل فهو أهاج بالجو بليلها
ولا تعقها عن عقيق رامة فلأنها ذكراه قد أمالها
نشدتك الله إذا جث الربى فرد اضأها واستظل ضأها
وناوح الورق بشجو ثاكل أطفئ لها ريب الردى أطفأها

بدأ آدم في طريق ابتلائه ثلاثمائة سنة ، وعام نوح في دمه ثلاثمائة
عام ، وضج دأود من دأئه حتى نوى ، كان كلما هاج حر الحزن
هأج نبات الفرج ، فحألت الحال دمعاً فأجذب البصر وأعشب الوأدي
فلو وزنت دموعه بدموع الخلائق لرجعت .

(للشريف الرضى) : (١)

(١) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام ٣٨٧ ، أنظر ديوان شعره ١ / ٢٤٣ .

عندي من الدمع ما لو كان وارده مطيُّ قومك يوم الجزع ما نرحا
 غادرَنَ اسوانَ ممطوراً بعبرته ينحو مع البارق العلوي أين نحا
 هل تبلغنهم النفس التي تلفت ^(١) فيهم شعاعاً أو القلب الذي قرّحا
 إن هان سفحُ دمي بالبين عندهم فواجبٌ أن يهونَ الدمعُ إن سفّحا

كان يحیی بن زكريا يبكي حتى رق جلدة خده وبدت أضراسه ،
 هذا وقد كان على الجادة فكيف بمن ضل ؟ ، واعجباً من بكائه وما
 ثم ماتم ، فكيف بمن ما أنقضى يوم إلا وماتم ما تم ؟ ، يا هذا إن كان قد
 أصابك داء داود ، فنج نوح نوح نحي حياة يحيى .

لا تحسن ما العيون فإنسه لك يا لديغ هواهم درياق
 شنوا الإغارة في القلوب بأسهم لا يرتجي لأسيرها إطلاق
 واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسرار حتى درت الأماق

كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصل يبيكان الدم ، وقليل في
 جنب ما نطق به لسان الوعيد إذا خلا الفكر باليقين ، ثارت عجاجة
 الدمع ، فإذا أقرح الحزن القلب استحالت الدموع دماً .

(للمهيار) : ^(٢)

أجارتنا بالغور والركبُ منهم أيعلم خالٍ كيف بات المتيمُّ ؟
 بنا أنتم من ظاعنين وخلّفوا قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
 ولما انجلى التوديع عما حذرته ولم يبق إلا نظرة تتغنم
 بكيتُ على الوادي فحرمتُ ماءه وكيف يحلُّ المرءُ أكثره دم؟

واعجباً اطار حكم حديث العذيب وأنتم من وراء النهر ، يا منقطعين
 عن الاحباب تعالوا نمشي رفقة ، فمجمعنا ماتم الاسى ، موعداً مقابر
 الاسف .

(١) في الديوان « ذهبت » .

(٢) مطلع قصيدة يماثل فيها الكافي الأرواح ، أنظر ديوان شعره ٣ / ٣٤٤ - ٣٤٧ .

تعالين تعالج زفرة
نزود إذناً شكوى
ونبكي من يد البين
فما زاد النوى إلا
إلى ابن أما تعلم
إذا عرست بالجرعاء
فحبي الله يبرين

البين
وتودع نظرة عيننا
عسانا نعطف البنا
لحاجاً ما تباكيننا
يا سائقها الأينا
وسطا بين ما بينا
وعين الرمل حيننا

الفصل الثالث والسقون

يا هذا ، عاتب نفسك على تفريطها ثم حاسبها على تخليطها ، حدثها بما بين يدها وأخبرها ، أشر عليها بمصاحتها ودبرها .

إستمدي للموت يا نفس واسعي لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحسي خلود ولا من الموت بد
أي ملك في الأرض أو أي حظ لامرء حظه من الأرض لحد
كيف يهوى امرؤ للذادة أيام عليه الأنفاس فيها تعد

آه لنفوس بفرور هذه الدنيا يخذعن ، فإذا فاتهن شيء من فان
توجعن ، شربن من مياه الغفلة وتجرعن ، فلما بانث حبة الفخ أسرعن ،
فما انجلت ساعة التفريط سعتى وقعن ، أما علمن أنهن يحصدن ما
يزرعن ، أما تيقن أنهن في هلاكهن يشرعن ، يا قلة ما تمنعن ، ويا
احتقار ما تمتعن ، أما هن عن قليل في الالحد يضجعن ، أين تلك الاقدام
المشيعة هن ؟ تصدعن ، بشس حافظ الاجساد تراب يقول دعهن لما
أودعن ، طال ما كن يوترن الذنوب ويشفعن ، فلو رأيتهن بعد الموت
يتضرعن (رَبِّ أَرْجِعُون) ^(١) لا والله لا يرجعن ، يا عجباً هذه الآفات
لهن ويهجعن ، وهذا الحبس الشديد ويرتغن ، يا لها من مواعظ فهل
اثرن أو نهجن ؟ .

يا هذا ، اخل بنفسك في بيت الفكر ، واعلمها في الهوى فإن لم تلن
فاخرج بها على عسكر المقابر ، فإن لم ترعوي فاضربها بسوط الجوع .

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ .

يا هذا ، العزلة . تجمع الهم ، والمخالطة نهاية ، الهوى مرضع كثير
التخليط ، فهذا طفل قلبك كثير المرض ، عجل فطامه وقد صح ،
العزلة والقناعة والصبر والعفة والتواضع عقاير كيمياء النجاة يباغن
بمستعملهن مرتبة الغنى ، والحرص والشره والغضب والعجب والكبر
كلهم مجانين في مارستان العقل وهو القيم عليهم ، فليحذر الغفلة عنهم
فإنه إن أفلت مجنون حل الباقين .

يا هذا حصن السلامة العزلة ، أقل ما في الخروج منه من الاذى ،
مصادمة الهواء المختلف المهاب في بادية الشهوات ، وقد عقبته جنوب
المجانبة للصواب ، فصار وباء . وإياك أن تتعرض لهواء الوبي مغترأ بصحة
مزاجك ، فإنك إن سلست من فضول الفتن من التلف لم تأمن زكمة ،
ومتى تمكنت زكمة الهمة لم تشم الفضائل .

يا قلب الأم لا يفيد النصيح عمر ولى وقد توالى القبح
جرح دام وقد تبدى جرح ما تشعر بالحمار حتى تصحو

لما انقشع غيم الغفلة عن عيون أهل اليقين ، لاح لهم هلال الهدى
في صحراء اليقظة ، فبيتوا نية الصوم عن الهوى على عزم (عزفت نفسي
عن الدنيا) . دخل محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبد العزيز
وقد غيره الزهد فأنكره ، فقال يا ابن كعب فكيف لو رأيته بعد ثلاثة
أيام في قبري ؟ .

لم تبق فيهم حرارات الهوى وجوى الأحزان غير خيالات وأشباح
تكاد تنكرهم عين الخبير بهم لولا تردد أنفاس وأرواح

كان وهيب بن الورد قد نحل من التعب ، فكانت خضرة البقل
تبين تحت جلدة بطنه .

(للمهيار) : (١)

(١) من قصيدة كتبها إلى صاحب ابن عبد الرحيم في عيد النحر ، الديوان ٢ / ٣٢ - ٣٤

زعمت لا يُبلي هواك جسدي بكتي وحسي بكم لقد بلى
دارك تدري أنه لولا الهوى ما طل دمع مقلتي في طلل

إخواني من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

(لصردر) : (١)

وكم ناحل بين تلك الخيام تحسبه بعض أطنابها (٢)

انفضى القوم رواحل الابدان في سفر الشوق حباً لتعجيل اللقاء ،
فكم طووا متزلاً على الظماء حتى كل كل المطي بتلك الجمعية ،
ورفيق الرفق يصبح بهم .

(للمهيار) : (٣)

دعوها ترد بعد خمس شروعا وارخوا أزمته والنسوعا (٤)
وقولوا دعاء لها : لا عُقِرَتِ
حملن نشاوى بكأس الغرام فكل غدا لأخيه رضيعا
إذا أجدبوا خصمهم جد بهم وإن أخصبوا كان خصباً جميعاً (٥)
طوال السواعد شم الأنوف فطابوا أصولاً وطابوا فروعا
أحبوا فرادى ولكنهم على صبيحة الين ماتوا جميعا
حموا راحة النوم أجفانهم ولفوا (٦) على الزفرات الضلوعا
أسكان « رامة » هل من قيرى فقد دفع الليل ضيفاً قنوعا
كفاه من الزاد أن تمهدوا له نظراً أو حديثاً وسيعا

(١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان ، أنظر الديوان ١٢٩ .

(٢) أطناب : جمع طناب وهو حبل الخيمة .

(٣) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعد بن عبد الرحيم بهتة بالنيروز ، أنظر ديوان

شعره ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٦ .

(٤) النوع جمع نسع : حبل من آدم تشد به الرحال .

(٥) في الديوان « مريعاً » .

(٦) في الديوان « وشدوا » .

قيل لابي بكر النهشلي وهو في الموت إشرّب قليلاً من الماء
فقال : حتى تغرب الشمس .

(للمهيار) : (١)

نقرّها عن ورّدها « بحاجر » شوقٌ يعوقُ الدمعَ في المحاجر (٢)
وردها على الطوى سواغباً ذلُّ الغرام وحنينُ الذاكر (٣)

واشوقاه إلى تلك الاشباح ، سلام الله على تلك الارواح .

ها إنها منازل تعودت مني إذا شارفتها التسليما
وقفت فيها سالماً راد الضحى ورحت من وجد بها سليما
يا نفحة الشمال من تلقائها ردي على ذلك النسيما

يا هذا إن أردت لحاق السادة فخل مخاللة الوسادة ، واجعل جلدتك
بردتك ، وحد عن الخلق والزم وحدتك ، أكحل عينيك بالسهر والدمع
وضع على قروح الجوع مرهم الصبر ، وتزود للسير زاد العزم ،
واقطع طريق الدنيا بقدم الزهد ، واخرج إلى خصب الاخرى عن
ضنك الدنيا ، وسح في بوادي التقى لتنزل بوادي الفخر ، فإن وصلت
إلى دوائك تناولته من يد (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٤) وإن مست
بدائك فمقابر الشهداء (في مقعد صدق) (٥) .

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عيد الرؤساء أبي طالب في المهرجان ، أنظر ديوان شعره

٦٦ - ٦٣ / ٢ .

(٢) في الديوان (الماء في الحناجر » .

(٣) في الديوان « ذل الغريب وحنين الزاجر » .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٥٤ . (٥) سورة القمر ، الآية ٥٥ .

الفصل الرابع والستون

يا مشغولاً بتفريق ماله عن تحقيق أعماله : من خطر ذكر الرحيل
ببالة قنع بالبلغ ولم ببالة .

مالك للحادثات نهب أو للذي حازه ورائه
أولك أن تتخذ ذخراً فلا تكن أعجز الثلاثة

لا بد والله من العبور إلى منزل القبور ، يسفي عليك الصبا والديبور
وأنت تحت الأرض تبور ، آه من طول الثبور . بعد طيب الجبور .
يا لكسر بعيد الجبور ، لا ينفع فيه صبر الصبور ، يندم على عثرته العثور
 ويفترش الدثور حتى يثور ، أين كسرى وبهرام جور أين المتقلبون
حجور الفجور ؟ ، أين الحلیم أين الضجور ؟ ، أين المهر العربي ،
والناقة العيسجور . أين الظباء الكنس والأتراب الحور كن يزین
در البحور بالنحور ، غرق الكل في يم من التلف زخور ، واستوى
الوضيع والفخور ، تحت الصخور ، لا فرق بين ذات الایماء وذوات
الحدور في ذلك المهبط الحدور ، لقد بان للكل أن الدنيا غرور ،
وعرفوا في المصير . شرور السرور ، وتيقنوا أن تزوير الامل للخلد زور
وتفصّلت أعضاؤهم ولا تفصيل لحم الجزور ، ودكت بهم الأرض
ولا كما دك الطور ، وبانت حساباتهم وفيها قصور وتأسفوا على
مساكنة القصور في مساكن القصور ، وهذا المصير ولو عمرتم عمر
النسور ، والرامي مصيب وما يدفع السور ، فإذا انقضت بعده تلك
العصور ونفخ في الصور ، وخرجت أطيّار الارواح من أعجب
الوكور ، وبانت الأرض تموج والسماء تمور ، ولقي الكفور ناراً
تلتهب وتغور ، لزعج الخليل والكليم . فمن بشر وطيفور .

كم للمنايا في بني آدم توسع منه تضيق الصدور
فالوقت لا تحدث ساعاته إلا الردى المحض بوشك المرور
أيامنا السبعة أيسارنا وكلنا فيها شبيهه الجزور
ظهرت ثوباً واهياً ثم ما قلبك إلا عادم للطهور
لو فطن الناس لدنياهم لا اقتنعوا منها اقتناع الطيور

ويحك إن الدنيا تغر ولا بد لك منها ، فخذ قدر الحاجة على حذر ،
أما ترى الطائر كيف يختلس قوته ؟ هذا العصفور يألف الناس فلا
يسكن داراً لا أهل بها وهو مع هذا الانس شديد الحذر ممن جاور ،
هذا الخطاف يقطع البحر لطلب الانس بالانس ثم يتخذ وكره في
أحصن مكان من البيت ، ولا يحمله الانس بهم على ترك الحذر منهم ،
بل يعطي الانس حقه والحزم حقه .

أما عرفت أدب الشرع في تناول المطعم ، ثلث طعام وثلث
شراب وثلث نفس ، شره الحرص يغنى بلا غم البلادة ، ولا يسهل
شرب المسهل إلا على من تأذى بحركات الاخلاط ، لا يقدر على الحمية
إلا من تلمح العافية في العاقبة ، شغل العقل النظر في العواقب ، فأما
المهرى فإيثاره لذة قليلة تعقب ندامة طويلة ، فملبس في قضاياه ،
المؤمن بين حرب ومحراب وكلاهما مفتقر إلى جمع الهم ، ويريد
المحراب القيام باشرط الوضوء والدنيا في مقام امرأة واللمس ناقض
طريق المتيقن تفتقر إلى رواحل ، وابل عزائمكم كلها كال ، إنما
يصالح للملك قلب فارغ ممن سواه .

وقلبك خان كل يوم وليلة يفارقه ركب وينزله ركب

في كل يوم ترهن قلبك على ثمن شهوة فيستعمله المرتين فقد
اخلق ، أنت توقد نار التوبة في المجلس ، في الحلفاء ، فإذا أردت منها
قبساً بعد خروجك لم تجد ، تبكي ساعة الحضور على الخيانة والمسروق
في جيبيك ، يا مظهراً من الخير ما ليس له لا تبع ما ليس عندك ، كم
نباك عن نظرة وتعلم إنه بالحضرة ، أفلا تراقب الناظر برد الناظر ،

وكانك ما تعرف أن الحاضر حاضر ، واعجباً لك . تعد التسبيح بسبعة ،
فهل جعلت لعد المعاصي أخرى ، يا من يختار الظلام على الضوء ، الذباب
أعلى همة منك ، متى أظلم البيت خرج الذباب إلى الضوء ، أما ترى
الطفل في القمط ؟ يناغي المصباح ، ويحك ، خذ بتلايب نفسك ، قبل
أن يجذبها ملك الموت ، وقل أيتها النفس الحمقاء ، إن كان محمد صادقاً
فالمسجد وإلا فالدير .

الناس من الهوى على أصناف هذا نقض . العهد وهذا واف
ميهات من الكدور تبغي الصافي لا يصلح للحضرة قلب جاف

يا هذا ، أكبر دليل لك علينا ، إنك كنت مبدداً في ظهور الاصول
فنظمت بالقدرة نظماً عجيباً خالياً عن العبث ، فما تنقض إلا لامر هو
أعجب منه ، مدت أطناب العروق ، وحفرت خنادق الاعصاب ،
وضربت أوتاد المفاصل ، وأقيم عمد الصلب ، ثم مد السرادق ، فنصب
سرير القلب في الباطن للملك « ويسعني قلب عبدي المؤمن » (١)

إذا لم يجد صب على النأي مخبراً عن الحي بعد البين أين أقاموا
فعند النسيم الرطب أخبار منزل به لسلمي بالعقيق خيام

يا هذا ، إن كنت محباً فحيبك معك في كل حال ، حتى عند
الموت ، وفي بطن اللحد .

(للغزي) .

يا حبذا العرعر النجدي والبان ودار قوم بأكتاف الحمى بانوا
وأطيب الأرض ما للقلب فيه هوى سم الحياط مع الأحاب ميدان

إذا أفقر قلبك من ساكن « ويسعني » فتحت النفس باباً لعناكب
الغفلة ، فسجت في زواياه من لعب الامل ، طاقات المنى ، اللهم اجر
القلوب من جور النفوس ، يا سلطان القلب ، نشكو إليك النزلة .

(١) لا أصل له وقد مر .

الفصل الخامس والسقون

أخواني ، اعرقوا الدنيا وقد سلمتم ، ثم اعملوا فيها بما عملتم ، لا
يغرنكم منها الوفرة ، فإنكم فيها سفر ، أما بعد توطئة المهادر الحفر ؟ ،
أتوطن مني وتنسى النفر ؟ .

أرى الدنيا وما وصفت ببر متى أغنت فقيراً أرهقته
إذا خشيت لشر عجلته وإن رجيت لخير عوقته
تعلقها ابن جهل في صباه فهم بفارك ما علقته
سقته زمانه مقراً وصاباً وكأس الموت آخر ما سقته
أبادت قصر قيصر ثم جازت بليوان ابن هرمز فارتقته
أما افتحت له في الأرض بيتاً فأوته التريل وأطبقتة
إذا انفلت إبنها عنها بزهد ثنته بزخرف قد نمقتة

أترى لم تنفع التجارب ؟ ، أما ترون الدنيا كيف تحارب ؟ ، ألا
تلقون حبلها على الغارب ؟ ، أما سيف الهلاك في يد الضارب ؟ ، تالله
لقد جلا صبح اليقين ظلام الغياهب ، الاعزم زاهد ، يتوكأ على عصا
راهب .

ودنياك إن وهبت باليمين يسار الفتى سلبت باليسار

أخواني ، احذروا الدنيا ، فإنها أسحر من هاروت وماروت ، ذانك
يفرقان بين المرء وزوجه ، وهذه تفرق بين العبد وربّه ، وكيف لا ،
وهي التي سحرت سحرة بابل ، إن أقبلت شغلت ، وإن أدبرت قتلت .

نظرت فاقصدت القوآد بسهما ثم اثنت عنه فكاد يهيم
ويلاه إن عرضت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن الهم

كم في جرع لذاتها من غصص • طالبا معها في نقص :
بكي عليها حتى إذا حصلت بكى عليها خوفاً من الغير

إنها إذا صفت حالاً ، كدرت الدين ، فكيف إذا أخذت من
حرام ؟ ، إن لحم الذبيحة ثقيل على المعاء ، فكيف إذا كان ميتة ؟ ،
الظلمة في الظلمة يمشون في جمع الحطام ، يصبحون ويمسون على فراش
الاثام (فَمَا رُبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) ^(١) من نبت جسمه على الحرام ،
فمكاسبه كبريت به يوقد ، الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب ، أترام
نسوا ؟ طي الليالي سالف الجارين ، وما بلغوا معشار ما أتيناهم ، فما
هذا الإغترار (وقد خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّات) ^(٢) فهم ينتظرون
من لهم إذا طلبوا العود (فحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُون) ^(٣) كم
بكت في تنعم الظالم ؟ عين أرملة ، وأحرقت كبد يتيم (وَلَتَعْلَمُنَّ
نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) ^(٤) ما ابيض لون الرغيف حتى اسود وجه الضعيف
ما تروقت المشارب حتى ترنفت المكاسب ، ما عبل جسم الظالم حتى
ذوت ذواب ذات قوة ، لا تحتقر دعاء المظلوم ، فشر قلبه محمول بعجيج
صوته ، إلى سقف بيتك ، نباله مصيب ، ونبله غريب ، قوسه حرقه ،
ووتره قلقه ، ومرماته هدف (لانصرنك) وسهم سهمه الإصابة « وقد
رأيت وفي الايام تجريب » .

كم من دار دارت بنعم النعم ، دارت عليها دوائر النقم (فجعلناها
حصيداً) ^(٥) كم جار في حلبة المني ؟ ، قد استولى طرفه على الامد ،
صدمه قهر عقوبة ، فألقاه أسرع من طرف ، بينا القوم ينسطون على
البيسطة ، كفت أكنهم بمقامع القمع ، لسبتهم عقارب ظلمهم
نفخ عليهم ثعبان جورهم ، عقرتهم أسود بطشهم ، نسفتهم عواصف
كبرهم ، وفي الغير عبر ، ويحك ، إذا كانت راحة اللذة تعقب تعب

(٤) سورة ص ، الآية ٨٨ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٣٤ .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٦ .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٥٤ .

العقوبة ، فدع الدعة تمضي في غير الدعة ، والله ما تساوي للدة سنة
غم ساعة ، فكيف والامر بالعكس ؟ ، كم في يم الغرور ، مسن تمساح
فاحذر يا غائض ، يا من قد أمكنه الزمان من حركات التصرف في العدل
فما يؤمن من الزمن الزمن .

ومنى بلغت إلى الرئاسة فاستلب كرة العلى بصوالج المعروف
كان عمر يخاف مع العدل ، يا من يأمن مع العدول ، روى بعد
موته بإثنتي عشرة سنة ، فقال الآن تخلصت من حسابي ، واعجباً ،
اقم أكثر من سنى الولاية ، أفيتبته بهذا راقد الهوى ؟ ، أحسن شعائر
الشرائع ، العدل ، الظلم ظلمة في نهار الولاية ، وجذب يرعى لحوم الرعية ،
والعدل ، صوت في صور الحياة ، يبعث به موتى الجور ، أيها الظالم ،
تذكر عند جورك عدل الحاكم ، تفكر حين تصرفك في سرفك ،
عجباً لك ، تدعي الظرف وتأخذ المظروف والظرف ، كلا ، أو في
الظرافة رافة ، ستعلم أيها الغريم قدر غرامك « إذا يلتقي كل ذي دين
وماطله » من لم يتبع بمنقاش العدل ، شوك الظلم من أيدي التصرف ،
أثر ما لا يؤمن تعديه إلى القلب .

يا أرباب الدول ، لا تعربدوا في سكر القدرة ، فصاحب الشرطة
بالمرصاد ، سليمان الحكم قد حبس آصف العقوبة ، في حصن (فلا
تَعَجَّلْ عليهم) ^(١) وأجرى رخاء الرجاء (لئلا يكون للناس على
الله حجة) ^(٢) فلو قد هبت سموم الجزاء من مهب (ولئن مسَّتْهم
نفحة) ^(٣) قلعت سكر (إنما نُصلي لهم) ^(٤) فإذا طوفان التلف ، ينادي
فيه نوح (لا عاصم) فالخذر الخذر (قبل أن تقول نفس يا حسرتنا) ^(٥)
(ولات حين مناص) ^(٦) وأنت أيها المظلوم فتذكر من أين أتيت ؟
فإنك لا تلقى كدراً ، إلا من طريق جنابة (لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى
يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم) ^(٧) .

(٥) - سورة الزمر ، الآية ٥٦ .

(٦) - سورة ص ، الآية ٣ .

(٧) - سورة الرعد ، الآية ١١ .

(١) - سورة مريم ، الآية ٨٤ .

(٢) - سورة النساء ، الآية ١٦٥ .

(٣) - سورة الأنبياء ، الآية ٤٦ .

(٤) - سورة آل عمران ، الآية ١٧٨ .

كان لبّان يخلط الماء باللبن ، فجاء سيل فذهب بالغم ، فجعل
يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ، ولسان الجزاء
يناديه « يداك أوكنا وفوك نفخ » إذكر غفلتك عن الأمر والأمر وقت
الكسب ، ولا تنسى اطراح التقوى عند معاملة الخاق ، فإذا انقض عاصف
فسمعت صوت سوطه يضرب عقد الكسب جزء الخيانة العقود ، فلا
تستطرف ذلك ، فأنت الجاني أولاً ، والبادي أظلم .

الفصل السادس والستون

يا مشغولاً بأمله ، عن ذكر أجله ، راضياً في صلاح خلاله بخلله
هل أتى المساكن لكسله إلا من قبله .

أضحى لك في قبضة المطامع آمال	ترجو دركاً والردي لعمرك مغتال
هل أنت معدٌ ليوم حشرك زاداً	يوماً يجد الفوز بالقيمة عمال
إن أغفلك الدهر برهة فسيأتيه	ك على غفلة بختك معجال
بادر بمتاب فربما طرق المو	ت بسهم من المنية قتال
أين المتحامون عن زخارف دنيا	إن أوطنت المرء عقبته بترحال
خلاصة عقل يبطل متمسداً	غرارة صناد رأى المطامع كالال
إن شيم سحاب لها فذاك جهام	أوطن بها وابل فذلك خال
دع عنك حديث الركاب أين تولت	أو ذكر ديار بها العفاء وإطلال
يا حسرة من أنفق الحياة غروراً	قد باع لها الفرصة الرخيصة بالغال
لا تحقر الذنب فالصحائف تحصى	ما كنت تناسيت من قبائح أفعال

يا ضاحكاً ملء فيه سروراً واغترباطاً ، وقد ارتبطت له المنون خيل
التلف ارتباطاً ، أما بسط الإنذار على باب الدار بساطاً ؟ ، أما الحادي
مجد : فما للمنادي يتباطى ؟ ، أيحسن بالكبير أن يتمرس الهوى ويتعاطى ؟
عجباً لعالم يقرب المنايا ، كيف لا ينتهب التقى التقاطاً ، ولجسد بال ،
جر بالعجب والرياء رباطاً ، إلى كم هذا الإسراع في الهوى والوجيف ؟
وباب البقاء في الدنيا قد سد وجيف ، إن الامن في طريق قد أخيف ،
رأي رذيل . وعقل سخيف ، يا من يجمع العيب إلى الشيب . ويضيف ،
لا الماء بارد . ولا الكوز نضيف ، إن إشار ما يفنى على ما يبقى لمزيف

لا ظريف ، كم أتى خريف وكم أناخ ريف ، ويكفي من الكل
كل يوم رغيف ، أيجوع بشر الحافي ؟ ويشبع وصيف ، وبذل هذا
ويخدم هذا مائة وصيف ، وما أدرك هذا مد هذا . ولا النصيف ، إلا
أريب إلا ليبب إلا حصيف ؟ ، لا يعجبكم استقامة غصن الهوى ، فالغصن
قصيف ها نحن قد شتونا ولعلنا لا نصيف .

سل الأيام ما فعلت بكسرى وقصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للموت طراً فلم تدع الحليم ولا السفهيا
دنت نحو الدنى بسهم خطب فأصمته وواجهت الوجيها
أما لو بيعت الدنيا بفلس أنفت لعاقل أن يشتريها

يا من عمره يذوب ، وما يتوب ، إذا خرقت ثوب دينك بالزلزل
فارقعه بالإستغفار ، فإن رغاء الندم صناع في جمع المتمزق .

يا هذا ، إنما يضل المسافر في سفره يوماً أو يومين ، ثم يقع على الجادة
واعجباً من تيه خمسين سنة ، يا واقفاً مع الصور خالط عالم المعنى ، أما
علمت أن تغريد الحمام نياحة ، أنت تظن البلبل يغني ، وإنما يبكي على
أحبابه .

ليت شعري عن الذين تركنا بعدنا بالحجاز هل يذكروننا
أم لعل المدى تطاول حتى بعد العهد بيننا فنسوننا
أرجعوا حرمة الوصال فإننا لهم في الهوى كما عهدونا

لو صفت لك فكرة ، كان لك في كل شيء عبرة ، كل المخلوقات
بين مخوف ومشرق ، حر الصيف يذكر حر جهنم ، وبرد الشتاء
يحذر من زمهريرها ، والخريف ينبه على اجتناء ثمار الاعمار ، والربيع
يحث على طلب العيش الصافي ، أوقات الاسحار ربيع الابرار ، وقوة
الخوف صيف ، وبرودة الرجاء شتاء ، وساعات الدعاء والطلب
خريف ، إذا استحر الحر تقحم القحل ، فطلق القسر الارض ، فلبست
سربال الجذب ، واحدت في حفش الذل ، فلما طالت أيام الائمة ، أو ما

إلى المراجعة الرجع ، فبكت قطراته لطول الهجر ، فضحك لكثرة بكائه
روض الأرض ، فبنى البناء ريع الريع ، فنهضت ماشطة القدرة ،
لإخراج بنات النبات من مخدر الثرى ، ففرشت الحلل بمصبغات
الحلل ، فسمع الورد هتاف العندليب ، وحين الدوايب ، ففتح فاه
مشتاقاً إلى مشروب ، فإذا الطل صبح ، فقال ألا منادم ؟ ، فأبت
الازهار مصاحبة من لا يقيم ، فأجابه بعد الياس الياسمين ، فقال انا نظيرك
في قصر العمر ، والموانسة في المجانسة ، فاشر أنت إلى المذنب ، باحمرار
الحجل ، حتى أشير أنا إلى الخائف ، باصفرار الوجل ، فرأى البلبل
طيب الاجتماع فغنى ، فرنت ديار اللهو ، فدخل الناطور والصيد ،
فاقتطف الناطور رأس الورد ، واختطف الصيد البلبل الوغد ، فذبح
في الحال العصفور ، وحبس الورد في قوارير الزور ، وقيل للياسمين .
لم اغتررت بزور ؟ (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) (١) فلما
بكى الورد بكاء نادم على الاغترار ، صلح للمتطيين (أنين المذنين
أحب إلينا من زجل المسبحين) فانتبه ياخذوع ، فالعمر الورد ، والزجاجة
القبر ، والنفس البلبل ، والقفص اللحد .

الفصل السابع والستون

أخواني ، المستقر يزول ، والمقيم منقول ، والاحوال تحول ،
والعتاب على القاني يطول ، وكم نعدل وكم نقول ؟ .

سيقطع ريب الين بين الفريقين لكل اجتماع فرقة من يد الين
وكل يقضي ساعة بعد ساعة تخاتله عن نفسه ساعة الحين
وما العيش إلا يوم موت له غد وما الموت إلا رقدة بين يومين
وما الحشر إلا كالصباح إذا انجلي يقوم له اليقظان من رقدة العين
أيا عجباً مني ومن طول غفلي أومل أن أبقي وأنى ومن أين

أين قطان الاوطان ؟ ، أين الاطفال والشمطان ؟ ، أين الجائع
والمبطان ؟ ، أين حطان وقحطان ؟ أين العبيد والسلطان ؟ ، أين الباني
وماطان ؟ ، أين السقوف والحيطان ؟ ، أين المروج والغيطان ؟ ، أين
المهاري والاشطان ؟ ، أين الآجال والحيطان ؟ ، أين المحب والحبيب
في الثرى خطان ، تعرف وتصدف (هذا من عمل الشيطان)^(١) الطريق
الهادية واسعة الفجاج ، والدليل ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج ، وأما
بحر الهوى فما يفارقه ارتجاج ، ما فيه ماء للشرب ، بل كله اجاج ،
والعجب من راكب فيه ، يتجر في الزجاج ، كم مزجور عنه غرفته
في لجة لجاج .

يا معاشر العصاة ، قد عم الجذب أرض القلوب ، وأشرفت زروع
التقوى على التوى ، فأخرجوا من حصر الذنوب ، إلى صحراء الندم ،
وحولوا أردية الغدر عن مناكب المهود ، ونكسوا رؤوس الرياسة ،

(١) سورة القصص الآية ١٥ .

على أذقان الذل ، لعل غيوم الغيوم على ما تلف تأتلف ، أخواني ،
قد بشر الرشاش فاثبتوا ، وقد سال الوادي .

واحبس الركب علينا ساعة نندب الربيع ونبكي الدمناء
فلذا الموقف أعددنا البكا ولذا اليوم الدموع تفتني
زمناً كان وكنا جيرة يا أعاد الله ذاك الزمناء
بيننا يوم اثيلات النقى كان عن غير تراض بيننا

إذا خرجت القلوب بالتوبة من حبس الهوى إلى بيداء الإنابة ،
جرت خيول الدمع في حلبات الوجد ، كالمرسلات عرفاً ، إذا استقام
زرع الفكر ، قامت العبرات تسقي ، ونهضت الزفرات تحصد ، ودارت
رحا التحير تطحن ، واضطربت نار القلق تنضج ، فحصلت للقلب بلة ،
يتقونها في سفر الحب ، يا من لم يصبر عن الهوى ، صبر يوسف ، تعين
عليك ، حزن يعقوب ، فإن لم تطق ، فذل إخوته ، يوم (وتصدق علينا) ^(١)
خوف السابقة ، وحذر الخاتمة ، قلقل قلوب العارفين ، وزادهم إزعاجا
(يحول بين المرء وقلبه) ^(٢) كلما دخلوا سكة من سكك السكون ،
شرع بهم الجزع في شارع من شوارع القلق ، لما حرك نسيم السحر
أغصان الشجر ، أخذت ألسن قلوبهم في بث القلق ، فكاد نفس النفس
يقطع الحيازيم ، لولا حزم التمسك .

(للشريف الرضي) : ^(٣)

ولاني لأغرى بالنسيم إذا سرى وتعجبتني بالأبرقين ربوع
ويحني على الشوق نجدي مزنّة وبرق بأطراف الحجاز لموع
ولا أعرف الأشجان حتى تشوقني حمام ورق في الديار وقوع ^(٤)

في كل الليل تهب الرياح ، ولكن لنسيم السحر خاصية ، ما أظنه
تعطر إلا بأنفاس المستغفرين ، لنفس المحب عطرية ، ثم على قدر طيبة :

(١) سورة يوسف الآية ٨٨ .

(٢) سورة الانفال ، الآية ٢٤ .

(٣) أنظر ديوان شعر ١٠ / ٦٢١ .

(٤) الشعر الثاني في الديوان « حمام بطن الواديين سجوع » .

أحب الثرى النجدي من أجرع الحمى كآني لمن بالاجرعين نسيب
إذا هب علوي الرياح رأيتني أغص جفوني أن يقال مريب

المحبون على شواطئ أنهار الدمع تزول ، فلو سرت عن هواك
خطوات ، لاح لك الخيام :

وصلوا إلى مولاهم وبقينا وتنعموا بوصاله وشقينا
ذهبت شيبتنا وضاع زماننا ودنت منيتنا فمن ينجينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا نبكي شهوراً قد مضت وسنينا

كان بعض السلف يقول : اللهم إن منعتني ثواب الصالحين ، فلا
تحرمني أجر المصاب على مصيئته ، وكان آخر يقول إن لم ترضى عني
فاعف عني ، كان القوم زينة الدنيا ، فمذ سلبوا تسلبت . خلت والله
الديار ، وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر ، وبقي أهل النوم ، واستبدل
الزمان آكلي الشهوات بأهل الصوم :

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
يا من كان له في حديث القوم ذوق ، أين اثار الوجد والشوق ؟ ،
إذا طالت لبث الطين في حافات الانهار تكامل ربه ، فإذا نصب الماء
عنه استلبت الشمس جميع ما فيه من رطوبة ، فيقوى شوقه إلى ما فارق
فلو تركت قطعة منه على لسانك لأمسكته شوقاً إلى ما فارقت من رطوبة .
أشد الناس حباً لحديث الحجاز من سافر :

فكانت بالفرات لنا ليلال سرقناهن من ريب الزمان
يا هذا كنت تدعي حبنا وتؤثر القرب منا فما هذا الصبر الذي قد
عن عنا ؟ كنت تستطيب رياح الاسحار وما تغير المحب ولكن دخل
فصل برد الفتور ، ولم تحزره ، فأصابك زكام الكسل ، كنت في
الرعيل الأول ، فما الذي ردك إلى الساقة ؟ قف الآن على جادة التأسف
والزم البكاء على التخلف فأحق الناس بالأسى من خص بالتعويق دون
الرفقاء :

يا صاحبي أطبلا في موانسي
وحدثاني حديث الخيف إن له
ما ضر ربيع الصبالو ناسمت حرقى
داء تقادم عندي من يعالجه
يمضي الزمان وآمالى مصرمة
واضيعة العمر لا الماضى انتفعت به
بلى علمت وقد أيقنت يا أسفاً
وناشداني بخلائي وعشاقى
روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقى
واستنقذت مهجتي من أسراشواقى
ونفثة بلغت منى من الراقى
ممن أحب على مطل وإملاق
ولا حصلت على علم من الباقي
أنى لكل الذى قدمته لاق

الفصل الثامن والستون

إخواني : من عامل الدنيا خسر ومن حمل في صف طلبها كسر
وإن خلاص محبها منها عسر وكل عاشقها قد قيد وأسر (فمنهم مَنْ
قَضَى نَجْبَهُ ومنهم مَنْ يَنْتَظِرُ) . (١)

أرى الشهد يرجع مثل الصبر فما لابن آدم لا يعتبر
وخبره صادق في الحديث فإن شك في ذاك فليختبر
ودنياك فالتى بطول الهوان فهل هي إلا كجسر عبر

يا طالباً ما لا يدرك تمنى البقاء وما ترك كأنك بالحادي قد أبرك ،
وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك ؟

وكيف أشيد في يومي بناء وأعلم أن غد عنه ارتحالي
فلا تنصب خيامك في محل فإن القاطنين على احتمال

يا من أعماله رياء وسمعة ، يا من أعمى الهوى بصره وأضمر سمعه
يا من إذا قام إلى الصلاة لم يخلص ركعة ، يا فائماً في انتباهه إلى متى
هذه الهجعة ؟ يا غافلاً عن الموت كم قلع الموت قلعة ؟ كم دخل
دارك فأخذ غيرك وإن له لرجعة ، كم شرى شخصاً بنقد مريض ؟
وله الباقي بالشفعة ، كم طرق جباراً فاشت شمله وأخرب ربه ، أفلا
يتعظ البيذق ، بسلب شاه الرقعة .

يا عامر الدنيا إنما الدنيا دار قلعة كم مزقت قلباً بحبها ، فرجع ألف

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

قطعة إن خصت بطيب المذاق أغصت وسط الجرعة يوم ترحها سنة وسنة
فرحها جمعة ، إنها لمظلمة ولو أوقدت ألف شمعة ، وهي مع هذا خائنة
ولو حلفت بربعة ، كم درست عليكم مجلدات ؟ تقول ما هذه الأنفس
مجلدات ، أين الأقارب ، أين اللذات ؟ أفلا روائد ذهن للأخبار
متسمات ، آه للقاعدين عن طلب المكرمات ، آه للمستريحين لقد
رضوا بمولات :

ذهب العمر وفات يا أسير الشهوات
ومضى وقتك في هو وسهو وسبات
ينما أنت على غيك حتى قيل مات

اخواني : ما لقلب العزم قد غفل ولنجم الحزم قد أفل ، مهلاً
فشمس العمر في الطفل ومن لم يحضر الوغى لم يحرز النفل :

ثواني هم فلم أقره اوائل من عزمي أو ثواني
فياهنلون عن المكرمات من لا يساور بالهند واني

يا معاشر العلماء أتقنعون من الصفات بالأسماء ؟ اتؤثرون الأرض
على السماء ؟ أفي السكر أنتم أم في الإغماء أترضون بالثريا الثرى ؟
أثغضون العيون من غير كرى ؟ أتنامون . فمن يحمد السرى ؟ أتميدون
وفي الأنف البرى ؟ أتخلون عقد (إن الله اشترى) ^(١) إنكم لأحق بالحرز
فيما أرى ، احضروا ناحية ، لا تكلفكم الكرى :

يا قومنا هذي الفوائد جمعة فتخيروا قبل الندامة وانتقوا
إن مسكم ظمأ يقول نذيركم لا ذنب لي قد قلت للقوم استقوا

يا معاشر العلماء قد كتبتم ودرستم ثم إن طلبكم العلم فلسم في
بيت العمل ، ثم لو ناقشكم الإخلاص لا فلسم ، شجرة الإخلاص
أصلها ثابت ، لا يضرها زعزع (أين شركائي) ^(٢) وأما شجرة الرياء
فاجتثت عند نسمة (وقفوههم) ^(٣) كم متشبه بالمخلصين ؟ في تخشعه

(٣) سورة الصافات ، الآية ٢٤ .

(١) سورة التوبة ، الآية ١١١ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٢٧ .

ولباسه وأفواه القلوب تنفر من طعم مذاقه وأسفي ما أكثر الزور ؟ و أما
الخيام فإنها كخيامهم « ليس كل مستدير يكون هلالا ، لا لا .
وما كل من أومى إلى العز ناله ودون العلى ضرب يدمي النواصيا
كم حول معروف من دفين ذهب اسمه كما بلى رسمه ومعروف
معروف :

فما كل دار أقفرت دائرة الحمى ولا كل بيضاء الترائب زينب
لريح المخلصين عطرية القبول وللمرائي سموم النسيم ، نفاق
المثاقين صير المسجد مزبلة (لا تقم فيه أبداً) ^(١) وإخلاص المخلصين
رفع قدر الوسخ (رب أشعث أغبر) . ^(٢)

أيها المرأى قلب من ترائيه بيد من تعصيه لا تنقش على الدرهم
الزائف لاسم الملك ، فما يتبهرج الشحم بالورم ، المرائي يتبرطل على باب
السلطان ، يدعي أنه خاص وهو غريب أتدرون ما ذنب المرائي ؟ (دعا
باسم ليلي غيرها) فيا أسفي ذهب أهل التحقيق وبقيت بنيات الطريق ،
خلت البقاع من الأحباب وتبدلت العمارة بالخراب ، يا ديار الأحباب
عندك خبر المخلص يبهرج على الخلق بستر الحال ، وببهرجته يصح
النقد ، كان في ثوب أيوب السخنياني ، بعض الطول لستر الحال ،
وكان إذا وعظ فرق فرق من الرياء فيمسح وجهه ويقول ما أشد
الزكام .

(لصردر) : ^(٣)

احبس دمي فِينِدْ شاردأ كأنني أضبطُ عبداً آبقا
ومن محاشاة الرقيب خِلْتُنِي يومَ الرحيل في الهوى منافقا
كان أيوب يحبى الليل كله فإذا كان عند الصباح رفع صوته كأنه
قام تلك الساعة :

(لصردر) : ^(٤)

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) قاله يمدح عفيفاً القاسمي ، أنظر الديوان ص ١٤٩ .

(٤) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير ، وهو آخر شعر قاله ، أنظر الديوان ص ١٠٥ .

أكلف القلب أن يهوى وألزمه صبراً وذلك جمع بين أضداد
وأتمم الركب أو طاري^(١) وأسأله^(٢) حاجات نفسي لقد أنعت روائي
هل مدلج عنده من مبكر خبر وكيف يعلم حال الرائح الغادي
إن رويت أحاديث الذين مضوا^(٣) فعن نسيم الصبا والبرق اسنادي

كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاءه. وكان
ابن أبي ليلى إذا دخل داخل وهو يصلي لضطجع على فراشه .

أفدى طباء فلاة ما عرفن بما مضى الكلام ولا صيغ الحواجيب
مرض ابن أدهم فجعل عند رأسه ما يأكله الاصحاء ، لئلا يتشبه
بالشاكين ، هذه والله بهرجة لإصح من نقدك .

(للعباس بن الأحنف) : (٤)

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فِرَقاً
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

إشتهر ابن أدهم ببلد فقيل هو في البستان القلافي ، فدخل الناس
يطوفون ويقولون أين إبراهيم بن أدهم ؟ فجعل يطوف معهم ، ويقول
أين إبراهيم بن أدهم .

(للمهيار) : (٥)

ضناً بأن يعلم الناس الهوى ولمن وهبت للسر فيه لذة العلى
عرض بغيري ودعني في ظنونهم إن قيل من يك يخفي الحق في الظن

قرئ على أحمد بن حنبل في مرضه أن طائوساً كان يكره الأثنين
فما أن حتى مات .

(١) في الديوان « أسراري » .

(٢) في الديوان « وأسألم » .

(٣) في الديوان « نأوا » .

(٤) أنظر ديوان شعره ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير ، الديوان ٤ / ٢٧ - ٢٩ .

(لصردر) : (١)

تفيض نفوسٌ بأوصابها وتكتم عوادها ما بها
وما أنصفت مهجةٌ تشتكي هواها إلى غير أحبابها

لما هم الطبع بالتأوه من البلاء كشفت الحقائق سجف المحبوب فلم
يبق لتقطيع الأيدي أثر :

بدا لها من بعد ما بدا لها روض الحمى إن تشتكي كلاها

رحل والله أولئك السادة • وبقي والله قرناء الرياء والوسادة .

ذم المنازل بعد مترلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس وأرى خشوعاً أصله من إبليس .

(للمهيار) : (٢)

تشبهت حورُ الطباء بهم	إذا سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامتُ بناطقٍ ونافرٌ بآنسٍ	وذو خلاٍّ بذئ شجن
مشتبهٌ أعرفه وإنما	مغالطاً قلت لصحي : دارُ مَنْ
قفٌ باكياً فيها وإن كنت أخاً	موانساً فبكها عنك وعن
لم يُبق لي يومُ الفراق فضلةٌ	من دمةٍ أبكي بها على الدّمَن

(١) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان ، أنظر ديوان شعره ص ١٣٨ .

(٢) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب ، الديوان ٤ / ٤٧ .

الفصل التاسع والستون

التفكر في عجائب خلق الله

يا من قد أرخى له في الطول وأمهل له بمد الأجل ، لإخل بنفسك وعاتبها وخذ على يدها وحاسبها لعلها تأخذ عدتها قبل أن تستوفي مدتها :

وجدت أيامي لي رواحلاً وآن أن ينحط عنها الراحل
وصيح بي عرس فقد طال المدى وكل ركب في التراب نازل
تهدد الحين فهل من سامع وجاء بالنصح فأين القابل
وكل شيء زاجر محدث يفهم ما قال الحصيف العاقل

أخواني : بادروا قبل العوائق واستدركوا فما كل طالب لاحق ، واشكروا نعمة من ستركم عن الذنوب ، واعرفوا فضله فقد أعطاكم كل مطلوب ، ما أعم وجوده لجميع خلقه وما أكثر تقصيرهم في حقه عم إحسانه الآدمي والبهائم والمستيقظ والنائم والجاهل، والعالم والمتقي والظالم من تأمل حسن لطفه لخليقته حيره الدهش، خلق الجحش، خلق الجحش في بطن الأم فجعل وجهه إلى ظهرها لئلا يجري الطعام عليه ، وجعل أنفه بين ركبتيه ليتنفس في فراغ وسبق قوته في مصران السرة وليس العجب تغذيه لأنه متصل بحمي ، إنما العجب ، خلق الفرخ في البيضة المنفصلة فإنه من البياض يخلق ومن المح يتغذى ، فقد هيا له زاد الطريق قبل سير الإيجاد، إذا تفقأت بيضة الغراب خرج الفرخ أبيض فتنفر عنه الأم لمباينته إياها ، فيبقى مفتوح الفم لطالب الرزق فيسوق القدر إلى فيه الذباب ، فلا يزال يغتذي به حتى يسود ، فتعود أمه إليه ، خلق الطير ذا جؤجؤ مخدد لتجري سفينة طيرانه في بحر الهوى ، وجعل في جناحه

وذنبه ريشات طوال لينهض للطيران ولما كان يختلس قوته خوفاً من اصطباره ، جعل منقاره صلباً لثلاً ينسحق ولم يخلق له أسنان لأن زمان الإنتهاب لا يحتمل المضغ . وجعلت له حوصلة كالمخللة ، فينقل إليها ما يستلب ثم ينقله إلى القانصة في زمان الأمن ، فإن كانت له فراخ أسهمهم قبل النقل كلما طالت ساق الحيوان طال عنقه ليتمكن تناول طعمه من الأرض ، هذا طائر الماء لا يقف إلا في ضحضاح ، فيتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى ما يريد خطا خطوات على مهل فيتناول ولو كان قصير القوائم ، كان حين يخطو يضرب الماء ببطنه فيهرب الصيد ، هذه العنكبوت تبني بيتها بصناعة يعجز عنها المهندس إنها تطلب زاوية فجعلت فيها خيطاً ، ووصلت بين طرفيها بخيط آخر وتلقي اللعاب على الجانبيين فإذا أحكمت المعاهد ورتبت القسط كالسدى أخذت في اللحمه فيظن الظان أن نسجها عبث ، كلا ، إنها تصنع شبكة لتصيد قوتها من الذباب والبق فإذا أتمت النسج لانزوت إلى زاوية ترصد رصد الصائد ، فإذا وقع صيد قامت تجني ثمار كسبها فتغتذي به فإذا أعجزها الصيد طلبت زاوية ووصلت بين طرفيها بخيط ثم علقت بنفسها بخيط آخر ، وتنكست في الهواء تنتظر ذبابة تمر بها فإذا دنت منها دبّت إليها واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها ، أفترأها علمت هذه الصنعة بنفسها ؟ أو قرأتها على بعض جنسها أفلا ينظر إلى حكمة من علمها ؟ وتثقيف من ألهمها .

فإن لم يكن لك نظر يعجبك منها فيعجب من عدم تعجبك ، فإن أعجب أفعال القدر (وَأَصْلَهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ) ^(١) القلب جوهر في معدن البدن ، فاكشف عنه بمعمل المجاهدة ولا تطينه بتراب الغفلة ، رميت صخرة الهوى على ينبوع الفطنة ، فاحتبس الماء ، إنقب تحتها إن لم تطلق رفعها لعل الجرف ينهار .

في قربنا نيل المني فتنهوا يا غافلين
عجبا لقوم أعرضوا عنا وقوم واصلونا

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .

نقضوا اليهود وبارزونا بالصلود كاشفونا
واستعذبوا طعم القطيعة والحقا حتى نسونا
يا ويحهم لو قد دروا ما فاتهم لاستعطفونا

إلهي ، ما أكثر المعرض عنك والمعرض عليك ، وما أقل المتعرضين
لك يا روح القلوب أين طلابك ؟ يا نور السموات أين أحبابك ؟ يا رب
الأرباب أين عبادك ؟ يا مسبب الأسباب أين قصادك ؟ من الذي عاملك
بلبه فلم يربح ؟ من الذي جاثك بكربه فلم يفرح ؟ أي صدر صدر عن
بابك ولم يشرح ؟ من ذا الذي لاذ بجبلك فاشتبهى أن يبرح ؟ يا معرضاً
عنه إلى من أعرضت ؟ يا مشغولاً بغيره بمن تعوضت ؟ .

مت على من غبت عنه أسفاً لست عنه بمصيب خلفا
لن ترى قرّة عين أبداً أو ترى نحوهم منصرفا

بعت قيام الليل بفضل لقمة ، شربت كأس النعاس ففالك الرفقة ،
ضرب على أذنك لا في مرافقة أهل الكهف ، تناولت خمر الرقاد ،
فوقع بك صاحب الشرطة فعمل في حقلك بمقتضى « قم وانم » فجعل
حدك الحبس عن لحاق المتهمجين ، والله لو بعت لحظة من خلوة بنا
بعمر نوح في ملك قارون لغبت لا بل بما في الجنان كلها ما ربحت ومن
ذاق عرف . أخواني : إسمعوا بجرمة الوفاء فما كل وقت يطلع سهيل ،
فلذا خرجتم من المجلس فاقصدوا المساجد الخراب ، وضعوا وجوهكم
على التراب وابعثوا أنفاس الأسف وكفى بها شفيعاً في الزلل فإن وجدتم
قلوبكم قد حضرت فاذكروني معكم .

(للشريف الرضي) : (١)

وقولوا لجيران على الخيف من منى تراكم من استبدلتم بجواريا
ومن ورد الماء الذي كنت واردا به ورعى العشب (٢) الذي كنت راعيا
فوا لهفتي كم لي على الخيف شهقة تذوب عليها قطعة من فؤاديا

(١) من قصيدة قالها عند توجه الناس إلى الحج عام ٤٠٠ ، أنظر ديوان شعره ٥٧٠ - ٥٧١

(٢) في الديوان « الروض » .

الفصل السبعون

يا تائهاً في بوادي الهوى أنزل ساعة بوادي الفكر يخبرك بأن اللذة قصيرة والعقاب طويل واعجباً لمن يشتري شهوة ساعة بغم الأبد . كانت المعصية ساعة لا كانت فكم ذلت بعدها النفس وكم تصاعد لأجلها النفس وكم جرى لتذكارها دمع .

(للشريف الرضى) : (١)

قَضَمْتُ الْمَنَازِلُ يَوْمَ كَاطِمَةٍ	أَنَّ الْمَطْيَّ يَطُولُ مَوْقِفُهَا
سَبَقَتْ مَدَامَعُنَا بِرَشْتِهَا	مِنْ قَبْلِ أَنْ يُومِي مُكَفِّفُهَا
إِنْ كُنْتُ انْقَذْتُ الدَّمْعَ بِهَا	فَالْوَجْدُ بَعْدَ الْيَوْمِ يُخْلِفُهَا
لَا تَنْشُدَنَّ الدَّارَ بَعْدَهُمْ	لِإِنِّي عَلَى الْإِقْوَاءِ أَعْرِفُهَا
رَفَقًا بِقَلْبِي لَا تَعَذِّبْهُ (٢)	الْعَيْنُ مِنْكَ وَأَنْتَ تَطْرِفُهَا
فِي الْقَلْبِ مِنْكَ جِرَاحَةٌ عَظُمَتْ	مَا زِلْتَ أَدْمَلُهَا وَتَقْرِفُهَا
هَلْ يَعْطِفَنَّكُمْ تَوَجُّعُهَا	أَوْ يُقْبِلَنَّ بِكُمْ تَلَهُّفُهَا

يا من قد هبت على قلبه جنوب المجانية فلفقت غيم الغفلة ، فأظلم أفق المعرفة لا تياس فالشمس تحت الغيم ، لو تصاعد نفس أسف دارت شمالاً فتقطع السحاب ، أنفع دواء أجده لك نقض أخلاط التخليط بالدموع ، بضاعة المذنب دمه رأس مال المقر حزنه ، راحة الأبواب قلقه ، عيشة التواب حرقه ، كان آدم يبيكي بعد هبوطه حتى يخوض في دمه ، فكان جبريل يأتيه فيقول كم هذا البكاء ؟ ولسان حاله يجيب .

(للشريف الرضى) : (٣)

(١) من قصيدة قالها في معاناة صديق له ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٣٠ - ٣٣ .
(٢) في الديوان « رفقا بقلبي يا أبا حسن » . (٣) أنظر ديوان شعره ٢ / ١٠٩ .

يا عاذل المشتاق دعه فإنه يطوي على الزفرات غير حشاك
لو كان قلبك قلبه ما لنته حاشاك مما عنده حاشاك

يا جبريل : ما تغير عليك أمر وأنا نقلت من برد عيش إلى حر ،
ما سكنت قط مسكني ولا توطنت موطني ، فاقراً على ربي سلامي
وقل له لا تنس أياي .

(للمصنف) :

إذا جزت بالغور عرج يميناً	فقد أخذ الشوق منا يميناً
وسلم على بانة الوادين	فإن سمعت أوشكت أن تبين
ورو ثرى أرضهم بالدموع	وخل الضلوع على ما طوينا
وصح في مغانيهم أين هم	وهيهات أموا طريقاً شطونا
أراك يشوقك وادي الارك	ألدار تبكي أم الساكنينا
سقى الله مرتعنا بالحوى	وإن كان أورث داءاً دفينا
وعاذلة فوق داء الحب	رويداً رويداً بناقد بلينا
فمن تعذلين أما تعذرين	فلو قد نفقت دفعت الانينا
إذا غلب الحب صح العتاب	تعبت وأتعبت لو تعلمينا

ما زال آدم يشيم برق العفو فلما طال عليه الزمان حمل صعداء الوجد
رسالة شكوى ما علمت بمضمونها الرياح .

إذا بدا البرق من نجد طربت له وكدت من طربي أقضي لذكرهم
وتحمل الريح إن هبت شامية مني السلام إلى أطلال ربهم
فرض علي أراعيهم وأحفظهم على البعاد ويرعوني بفضلهم

يا معاشر المذنبين . تأسوا بأبيكم في البكاء ، تفكروا كيف باع
داراً قد ربي فيها وضاع الثمن لا تبرحوا من باب الذل فأقرب الخطائين
إلى العفو المعترف بالزلل ، ما انتفع آدم في بلية (وعصى) بكمال
(وعلم) ولا رد عنه عز (اسجدوا) وإنما خلصه ذل (ظلمنا) . قال
سري : بت ببعض قرى الشام ، فسمعت طائراً على شجرة يقول طوال

الليل ، اخطأت لا أعود فقلت لأهل القرية : ما اسم هذا الطائر ؟
فقالوا فاقد إلفه .

(للمهيار) : (١)

تأوهت تأوه (٢) الأسير ورقاء ذات ورقٍ نصير
تنطق عن قلب لها مكسور كأنها تنطق عن ضمير
لييك يا حزينّة الصفير إن استجرت بي فاستجير
لك الخيار أنجدي أو غوري وحيثما صار هواك صيري
قصي جناحي زمن فطيري

أخواني : نفترق على هذه الحال غفلة شاملة ودموع جامدة لا بالله
لا تفعلوا .

يا حادي العيس لا تعجل بنا وقف تجري دموع هواهم ثم ننصرف
فما يزال نسيم من يمانية يأتي إلينا برياً روضة أنف

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه ، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه
لا تعجبوا من واجد ما لم تجدوه .

(لابن المعتز) :

دعوه ليطفي بالدموع حرارة على كبد حرى دعوه دعوه
سلوا عاذليه يعذروه هنيهة فبالعدل دون الشوق قد قتلوه

لا تلوموا صاحب الوجد فما يرى بحضرته أحدا .

ظن الاراك لدى واديه أظعانا فما استطاع لما أخفاه كتماناً
فبان للركب ما قد كان يستره عن كل مستخبر عن حب من بانا

كان أبو عبيدة الخواص يمشي في الطريق ويصبح : واشوقاه إلى
من يراني ولا أراه .

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٤٥ . (٢) في الديوان « ترنمت ترم » .

هذا ولهي وكم كتمت ألها صوناً لحديث من هوى النفس لها
يا آخر محنتي ويا أولها أيام عنائي فيك ما أطولها

ليس للمحب قرار ولا له من الحب فرار ، تعرقل وفات وخنق
فمات .

ولي عبرات تستهل صباية عليك إذا برق الغمام تألقا
ألقت الهوى حتى حلت لي صروفه ورب نعيم كان جالبه شقا
واذهل حتى احسب الصد والنوى بمعترك الذكرى وصالا وملتقى
فها أنا ذو حالين أما تلذذي فحي وأما سلوتي فلك البقا

لو أشرفت على وادي الدجى لرأت خيم القوم على شواطئ أنهار
الدموع ، خلوا والله بالحبيب وطال الحديث ، عين تبكي من المحبوب
وأخرى تبكي عليه ، لفظة تشكو منه وأخرى تشكو إليه . رى تام
لمحبته ، وعطش محرق إلى رؤيته .

(للمصنف)

الماء عندي قد طما	وأنا الذي أشكو الظما
جسمي معي لكن قلبي	عند سكان الحمى
وأما لهم لو أنهم	عادوا وجادوا لي فما
أرجو نوالاً منهم	هيات هم حي وما
ميلي إلى غير الأولى	سكنوا فؤادي إنما
أشكو إليهم منهم	كلما يزيد وكلما
هجروا تفاقم أمرهم	يا ليتهم داوا كما
جرحوا فلو طبوا شفوا	هيات لولا هم لما
ذهب الزمان بأن أقول	عسى وأرجو ربما
يا أيها المفضى بهم	لم يبق منك سوى الدما
فاللما كان الوصال	فعاد مرأ علقما

تركوك بعد فراقهم	متحيراً تبكي دما
يا بانة الوادي ارحمي	من لا يزال متيما
يا نسمة الريح الشمال	ألا أبلغهم بعض ما
ألقى فحر سائم الا	نفاس يكفي معلما
نفسى تكابد وجدها	بكم فما ففرت فما
لكن آثار المحبة	ليس تخفى أينما

الفصل الحادي والسبعون

اخواني : ألا ناظر لنفسه قبل الموت ، ألا مستدرك زاد رمسه ؟
قبل الفوت ألا مزدجر بواعظ أمسه ؟ فقد أسمعته الصوت .

ما ضر عبد نفسه قبل خروج نفسه
هل يومه أو غده إلا نظير أمسه
وعله يلقي الردى قبل غروب شمسه
كم مدلج مهجر يسعى لبعل عرسه
واكيس الناس امرؤ جد ليوم رمسه

اخواني : حبال الآمال رثاث وساحر الهوى نفاث والأمانى على
الحقيقة أضغاث ، والمال المدخر رزق الوراثة ، عجباً لأجسام ذكور
وعقول إناث ، ألام الرواح في الهوى والتغليس ؟ وحتام السعي في صحبة
إبليس ؟ وكم بهرجة في العمل وكم تدليس ؟ أين الأقران هل لهم من
حسيس ، أما تعلم أنهم ندموا على إثثار الحسيس تالله لقد ودوا طلاق
الدنيا قبل المسيس ، لقد أسمعك الموت وعيدك وكأنك به قد ضعضع
مشيدك وأخلى منك دارك وملأ بك بيدك ، لقد أمرضك الهوى وفي
عزمه أن يزيدك هل لذت لذة الدنيا فصفت هل عافت ؟ إلا وعافت
وعفت هل تبعت عرضاً ؟ وقفت فوقفت هل أرشفت شفة من رضاها ؟
فشفت بينا محبتها يناجيها بالفاظ المنى ، خفت ما بلغ المراد منها إلا من
صد عنها والتفت .

عين المنية يفضي غير مطرفة وطرف مطلوبها مذكان وسمان
جهلاً تمكن منه حين مولده فالمرء صاح ولب المرء سكران

كم نرمي هدف سمعك برشق كلام ، كم نلدغ أصل قلبك بحمة
ملام لا تنفع الرياضة إلا في نجيب ، لو سقى الحنظل بماء السكر لن
يخرج حلواً، شجر الاثل وإن دام الماء تحته لم يثمر، سحاب الهدى قد
طبق بيد الأكوان ، وأظن أرض قلبك سبخاً إنما يغلب هذا على ظني
لبعد صلاحك وقد يستحيل الخمر خلا، كم تحضر المجلس وتخرج وما
علقت بشيء ويحك ، هذا البنفسج يطرح في الشبرح فيعقب به طول السنة
وكذلك الورد في الأشنان .

ومن البلية عدل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم

ويحك ، إلى كم تعدو خلف موكب الهوى وما تربح إلا الغبار،
دع جبل الرعونة من يد التمسك فإنه لا مرة له، ما قتل أحد بأحد من
سيف « سيوفي » ومواهب الأعمار مسترجعة بالأنفاس حتى تستوفي ،
ألست نقضت عهد (ألت) بعد عقد عقده فكيف حل لك الحل ؟
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إلا ما رجعت إلى الوصل

نحن لك على الوفاء ما زلنا ، وأنت ما ثبت يومين .

(لكثير) :

وكنا ارتقينا في صعود من الهوى فلما علوانه ثبت وزلت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما توافينا شددت وحلت

واعجباً ، تنبه الحيوانات بالليل فتصوت وأنت غافل ويحك إذا
فتحت عينيك في الدجى فصح بقلبك .

قم بنا يا أخي لما نتمنى واطرد النوم بالعزيمة عنا
قم فقد صاحت الديوك ونادت لا تكون الديوك أطرب منا

أخواني : مصيبتنا في التفريط واحدة وأهل الأحران أهل .

انا ليجمعنا البكاء وكلنا نبكي على شجن من الأشجان

مجلس الذكر ماتم الأحزان هذا يبكي لذنوبه وهذا يندب لعيوبه
وهذا على فوات مطلوبه وهذا لاعراض محبوبه .

يتشاكى الواجدون جوى واحداً والوجد ألوان

يا نائح الفكر نضد ، يا نادب الحزن عدد ، يا لائم النفس شدد ،
يا رامي القلب سدد ، يا جامع الدمع بدد ، يا مطرب السر ردد .

(للمهيار) : (١)

نشدتك يا بانة « الاجرع » متى رفّع الحى من « لعلع »
وهل مر قلبي في التابعين أم حار ضعفاً فلم يتنبّع
رأيت له (٢) بين تلك القلوب إذا اشتبهت انة الموجّع
أدر يا نديمي كأس الحديث (٣) فكأسي بعدهم مدمعي

يا مقيداً عن السير بقيود الشواغل أبطنح في لحاق الطير مقصوص
القوادم ؟ صوت في الاسحار بالسائرين لعل عطفاً ينمطف إليك في عطفة
رحمة ، فقد ترق الساعة لأهل الفاقة .

(للمهيار) : (٤)

ردوا لنا يوماً ولو ساعة على الغضا من عيشنا الزائل
لي ذلة السائل ما يينكم فلا تفتكم عزة الباذل

سل الليل عن الأحباب فعنده الخبر ، خلا الفكر بالقلب في بيت
التلاوة فجرت أوصاف الحبيب فنهض قلق الشوق يضرب بطون
الرواحل لينهر السهر فلا وجه لنوم القوم .

(للخفاجي) :

(١) من قصيدة طويلة كتبها الوزير ذي السادات ، أنظر ديوان شعره ٢٠٥ / ٢٤٢ - ٢٥٠ .

(٢) في الديوان « فأنته لك » .

(٣) في الديوان « المدام » .

(٤) من قصيدة يمنح بها زعيم الدين أبا الحسن ، الديوان ٣ / ٢١٨ .

أترى طيفكم لما مرى أخذ النوم وأعطى السهرا
 ما ظلوم الليل بل نعدره إنما طوله من قصرا
 يا عيوننا بالغضا راقدة حرم الله عليكم الكرى
 لو عدلتن تساهمنا جوى مثل ما كنا اشتركنا نظرا
 حبذا فيك حديث باطن فطن الدمع به فانتشرا

من لم يكن له مثل تقواهم لم يعلم ما الذي أبكاهم ؟ من لم يشاهد
 جمال يوسف لم يعلم ما الذي ألم قلب يعقوب ؟ •

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم بدر كيف تفتت الأكباد

لو دمت على سلوك البادية طابت لك ريح الشبح .

تقر لعيني أن أرى رملة الحمى إذا ما بدت يوماً لعيني قلاها
 ولست وإن أحببت من يسكن الغضا بأول راج حاجة لا ينالها

الفصل الثاني والسبعون

يا من كانت له معنا معاملة ، وطالت بيننا وبينه المواصللة ثم اختار
الهجر والمفاصلة إن، لم يكن جميل فلتكن مجاملة ، تفكر تعرف قدر ما
فاتك وابك لذنب حرمك الفوز وافاتك ، أسكب دموع أسفك قرب
دم بالأسى سفك واندب أطلال مألّفك لعلك تغاث في موقفك .

(للمهيار) : (١)

تظنُّ ليالينا عُوْدًا	على العهد من « برقيي شهدا »
ويا صاحبي أين وجهُ الصباح ؟	وأيْن غدٌ ؟ صِفْ لعيني غدا
وخلفَ الضلوعِ زفيرُ أبي	وقد بَرَدَ اللَّيْلُ أن يبرُدا
خليلي ، لي حاجةٌ ما اخفَّ	« لرامة » لو حَمَلَتْ مُسْعِدا
أريد لاكم وابن الاراك	يفضحها كلما غردا
أحب وإن اخصبَ الحاضرون	بيادية الرمل أن أخلُدا
أرى كبدي قُسمتْ شعبتين	مع الشوق غور أو أنجدا
تمناك عيني وقلبي بِرّاك	بشوقي حاشاك أن تُفقدا

اللهم نور دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيماننا في الإتصال بك
وانظم شتاتنا في سلك طاعتك ، فأنت أعلم بتلفيق المقررف ، اللهم
قوِّ من أطفال التوبة بلبان الصبر ، أرفق بمرضى الهوى في مارستان
البلاء ، إفتح مسامع الأفهام لقبول ما ينفع ، سلم سيارة الأفكار من
قاطع طريق ، إحرس طلائع المجاهدة من خديعة كمين ، إحفظ شجعان

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين أحمد بن عبد الله مشرقاً أيام اجتماعه ومستوحشاً لبدده
أنظر ديوان شعره ١ / ٢٦٣ - ٢٦٧ .

العزائم من شر هزيمة ، وقع على قصص الإنابة بقلم الغفو ، لا تسلط جاهل
الطبع على عالم القلب ، لا تبدل نعيم عيش الروح بجحيم حر النفس ،
لا تمت حي العلم في حي الجهل أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام
لا تجعلنا ممن رأى الصبح فنام ، لا تؤاخذنا بقدر ذنوبنا ، فلأنك قلت :
(وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) ^(١) واعجباً لمن عرفك ثم أحب غيرك
ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك .

حرام على العيش ما دمت غضباناً وما لم يعد غني رضاك كما كانا
فأحسن فلاني قد أسأت ولم تزل تعودني عند الإساءة غفرانا

إلهي ، لا تعذب نفسك قد عذبت الخوف منك ، ولا تخرس لساناً كل
ما يروى عنك ، ولا تقذ بصراً طالماً يبكي لك ، ولا تخيب رجاءاً هو
منوط بك ، إلهي ، ضع في ضعفي قوة من منك ، ودع في كفي كفي
عن غيرك ، لإرحم عبرة تترقق على ما فاتها منك ، برد كبداً تحترق على
بعدها عنك .

(للشريف الرضي) : (٢)

أشكو إليك مدامعا تكيفُ بعد النوى وجوانحاً تجفُ
ما كان أسرع ما نَبَا زمنٌ وتكدرت من ودنا نُطْفُ
جبلٌ ، غدا بأَكْفِنَا طَرْفٌ منه وفي أيدي النوى طَرْفُ
لهفي على ذاك الزمان وهل يثني زماناً ماضياً لهفُ

والأسفي لمنقطع دون الركب متأخر عن لحاق الصاحب بعد الساعات
في متى ولعل ويخلو يفكر في عسى وهل .

(لقيس المجنون) :

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧ .

(٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه ، أنظر ديوان شعره .

٢ / ٢١ - ٢٤ .

أصد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرًا لا أعد الليالي
وأخرج من بين البيوت لعلي أحدث عنك النفس بالليل خاليا
يمينا إذا كانت يمينًا وإن تكن شمالًا ينازعني الهوى عن شماليا
ألا يا حمامي بطن نعمان هجما على الهوى لما تغنيتما ليا
وأبكيتاني وسط صحبي ولم أكن أبالي بدمع العين لو كنت خاليا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت لها وهج مستصرم في فؤاديا
خليلي ما أرجو من العيش بعدما أرى حاجتي تشرى ولا تشرى ليا
وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن تلاقيا

أيها المتخلف في أعقاب الواصلين إستغث بهم ، علق على قطارهم
قلعل جملك يصل .

يا صاح والصاحب لا يدعى به إلا إذا لج الغرام واعتدى
خذ بيدي من سطوة الين فما أظن أن الين أبقي لي يدا
أين ليالينا القصار بالحمى واكبدًا على الحمى واكبدًا

يا من قد مضت له ليالي مناجاة ثم طبق الدستور ، وقطع المعاملة ،
أندب زمان الوصال لعل حالًا حال يعود .

(للمهيار) : (١)

يا ليلي « بحاجر » إن عاد ماضٍ فارجمي
بتنا على الاحقاف (٢) تنهال بكل مضجع
قالوا الصباح فأنبته فقال لي الطيف اسمع
فممت مخلوطاً أظن البازل ابن الربع (٣)
حيران طرني دائرٌ أطلب ما ليس معي

(١) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٢٠٤ - ٢١١ .

(٢) الاحقاف جمع حقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، وهي المنطقة المعروفة .

(٣) البازل : المسن من الإبل ، والربع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول التاج .

أرضي بأخبار الرياح والبرق اللّمع
وأين من برق « الحمى » شائمة « بلعم »
أفرشني الجمرَ وقال : إن أردت فاهجع

ذكر الوصال في زمان الهجر تلف ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيب
خلف . قال ابن مسروق : كنت أمشي مع الجنيد في بعض دروب
بغداد ، فسمع منشداً يقول .

منازل كنت تهواها وتألّفها أيام أنت على الأيام منصور

فبكي الجنيد بكاءً شديداً وقال ما أطيب منازل الإلفة والأنس ،
وأوحش مقامات المخالفة لا أزال أحن إلى أول بدء إرادتي وجدة سعيي .

(للمهيار) : (١)

يا ليلي بذات الشيخ والفضال	ومنت البان من نعمان عودا لي
ويا مرايع أطلالي بذي سلم	لهفي على ما مضى من عصرك الخالي
ويا مآرب نفسي والدين هم	بالوصل والهجر أعلالي وأبلالي
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فمذ	نا يتم صار مأوى كل بلبال
فلو شربت بعمرى ساعة سلفت	من عيشتي معكم ما كان بالغالي
مالي أعلل نفسي بالوقوف على	منازل أقفرت منكم وأطلال
من لي بكتمان ما ألقاه من ألم	وظاهري معرب عن باطن الحال
قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلاً	منا وذلك فعل الخائن السالي
وكيف أشغل قلبي عن محبتكم	بغير ذكركم يا كل أشغالي

(١) لم أجده هذا الشعر في ديوان المهيار الديلمي

الفصل الثالث والسبعون

واشوقاه إلى أرباب الإخلاص واتوقاه إلى رؤية تلك الأشخاص ،
إني لأحضر ذكركم فأغيب وإن بقيت بذكركم لطيب .
(للشريف الرضى) : ^(١)

إذا هزنا الشوق أضطربنا لهزه
على شُعَبِ الرحل اضطراب الأرقام
فمن صبوات تستقيمُ بمائل
ومن أريحيات تهب بنائم
وأستشرف الأعلامَ حتى يدلي
على طيبتها مر الرياح النواسم ^(٢)
وما أنسم الأرواح إلا لأنها
تهب ^(٣) على تلك الرَبى والمعالم

الإخلاص مسك مصون في مسك القلب تنبه ريحه على حامله ، العمل
صورة والإخلاص روح ، المخلص يعد طاعته لاحتقاره لها عرضاً وقلم
القبول قد أثبتها في الجوهر خالصاً ، الإخلاص اليسير كثير ووجود
عمل الرياء عدم قراضة الأمانى لا تقف ، وصحيح الشبه مردود ، خليج
صاف أنفع من بحر كدر ، إذا لم تخلص فلا تتعب لا يكسر الجوز بالعهن ،
أتحدو وما لك بعير ؟ أتمد القوس وما لها وتر ؟ أنتجشاً من غير شيع ؟
واعجباً من وحشي بلا جبل كم بذل نفسه وراء ؟ لتمدحه الخلق .
فذهبت والمدح ولو بذلها للحق لبقيت والذكر ، عمل المرآئي بصلة كلها
قشور ، المرآئي يحشو جراب العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه ، ربح الرياء
جيفة تتحاماها مسام القلوب ، وما يحفي المرآئي على مسانح الفطن ، لما

(١) من قصيدة قالها مفتخراً ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٥ .

(٢) في الديوان « المواجه » .

(٣) في الديوان « تجوز » .

أخذ دود القز ينسج أقبلت العنكبوت تشبه وقالت : لك نسج ولي نسج
فقلت دودة القز : ولكن نسجي أردية للملوك ونسجك شبكة للذباب
وعند مس النسيجين يبين الفرق .

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

شجرة الصنوبر تثمر في ثلاثين سنة وشجرة الدبا تصعد في أسبوعين
فتقول لشجرة الصنوبر إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قد قطعتها
في أسبوعين ، فيقال لي شجرة ولك شجرة فتجيبها : مهلاً إلى أن
تهب ريح الخريف ، قال الدب للادمي : أنت تمشي على رجلين
وأنا أيضاً فقال الآدمي : ولكن صدمة تردك إلى أربع وكم أضدم وأنا
منتصف .

كان الأشياخ في قديم الزمان أصحاب قدم والمريدون أصحاب ألم
فذهب القدم والألم ، كان المريد يستل عن غصة والشيخ يعرف القصة
فالיום لا غصة ولا قصة ، كان الزهد في بواطن القلوب ، فصار في
ظواهر الثياب ، كان الزهد حرقه فصار اليوم خرقة ^(١) ويحك صوف
قلبك لا جسمك * وأصلح نيتك لا مرقعتك ، غير زيك أيها المرائي
فهو يصيح خذوني ، تحملن السيف وما تحسن القتال سيف ودرع لزمن
هتكة ، ولقعد فضيحة ، بهرج يتبين عند الحك إذا كان العلوى ثابت
النسب لم يحتاج إلى ضفيرتين ولا يصير المخنث تركياً بلبس القباء ،
ولا المرائي ولياً بلبس العباء ، هذه من النكت الخفايا وفي الزوايا خبايا
واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي ، الباطن ينطق لما علم الصالحون خطر
البيات ، أدجلوا بأحمال الأعمال في ليل الكتم ، كان البكاء إذا غلب
أيوب قال ما أشد الزكام .

هيني أسر البلوى ليس الدمع يفضخي
لساني فيك أملكه ودمع العين يملكني

(١) أشار إلى هذا المعنى قبلا القشيري (ت ٤٦٥) في رسالته ص ٢ - ٣ ، طبعة القاهرة

صام داود بن أبي هند أربعين سنة لم يعلم به أحد ، كان يأخذ
غداه ويخرج إلى الدكان فيتصدق به في الطريق فيظن أهل السوق أنه
قد أكل في البيت ويظن أهله أنه قد أكل في السوق .

(لجاير الجرمي) :

ومستخبر عن سر ليلى رددته فأصبح في ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها وما أنا إن أخبرتهم بأمين

كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك ، فإذا جاء الليل أخذ
في البكاء والعويل .

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزني إليك المضاجع
أقضي نهارى بالحديث وبأمانى ويجمعني والهـم بالليل جامع

كان خوفهم من الرياء يوجب مدافعة النهار ، فإذا خلوا بالحبيب
لم يصبر المشوق .

أحن بأطراف النهار صباية وبالليل بدعوني الهوى فأجيب

لو قدروا على استدامة الكتمان ما أذاعوا « وكم يقدر المشتاق أن
يكتم الوجد » إذا جن الليل وظلامه ، ثار سجن المحب وسقامه ، ورمى
الوجد فأصابته سهامه ، واستطلق مزاد العين فأنهل سجامه ، وطال
بالخزين قعوده وقيامه .

كم بذكراك ولوعي يا جوى بين الضلوع
هجع العاذل لكن من لعيني بالهجع
هي في شغل عن النوم بمرفض الدموع
اتغني بك في الحى كورقاء سجع

لو أبصرت طلائع الصديقين في أوائل القوم أو شاهدت ساقية
المستغفرين في أواخر الركب ، أو سمعت استغاثة المحبين في وسط الليل .

من رأى البرق بنجد إذ ترآى سلب النوم وأهدى البرحاء
فاض فيضاً كجفوني ماؤه والتظى وهناً كأنفاسي التظاء
نام سمار الدجى عن ساهر اتخذ الهم سميراً والبكاء
أسعدته أدمع تفضحه فإذا ما أحن الدمع أساء

إذا رأيتم حزينا فارحموه ، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه . وإذا رأيتم
باكياً فوافقوه .

الدمع يخون كل كاتم والحب يحلل الغزائم
القلب بحكم لديغ ما أقلقني من الأرقام
والوجد يغالب المقاوي والسالم فيه من يسالم
هذا ولعين في هواكم سلمت لكم فما أخاصم
سالت بكم دموع عيني والدمع بمقلتي يزاحم
أبكى أثر الحبيب كرها والحزن تهيجه المعالم
يا مانع مقلتي كراها مر الليل ولست نائم
قد صمت عن الهوى لاحظي في الحب لكم بأجر صائم
هل يبذل وردكم لظام حيران على الورود حائم
ناحت فزجرتها حمام ما لي تزعجني الحمام
يرقبن إلى ذرى غضون أنى تحملك القوائم
تبكين وما شجاك شوق شكواك إذا من العظام
إن كنت صدقت فاسعديني لا نسمع لومة اللوام
طارت وبقيت في ضماني لا أبرح والزعيم غارم

الفصل الرابع والسبعون

أخواني : سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا ، وأجابوا الداعي .
وامتنعنا ، ونجوا من الاشرار ووقعنا ، تعالوا ننظر في آثارهم وندرس
دارس أخبارهم ونبكي على التفريط ما نابنا ، ونندب ما لحقنا ، وأصابنا .

(للمصنف) :

ودعوا يوم النوى واستقلوا ليت شعري بعدها أين حلوا
يا نسيم الريح بلغ إليهم أن عقدي معهم لا يحل
لي من الريح الشمال انتحال فإذا هبت سحيراً فعل
عرضوا قلبي لسقم طويل باطن يظهر منه الاقل
لو بكت عيني على قدر وجدي صار وادهم دماً لا يحل

سافر القوم على رواحل الصدق ، فقطعوا أرض الصبر حتى وقعوا
برياض الأنس ، فعبقت قلوبهم بنشر القرب وتعطرت بنسيم الوصل ،
فعادت سكرى من صرف سلاف الوجد وعربدت على عالم الجسم ،
فكلما ربا الحب ذاب .

خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ضنا جسدي لكنني أنكتم

حاتم أرواحهم مسجونة في أقفاص أشباحهم ، تصوت لشجو
شوقها وتقلق لضيق حبسها .

(للمهيار) : (١)

(١) في قصيدة كتبها إلى صاحب أبي القاسم في عيد الفطر ، أنظر الديوان ١ / ٢٤٣ .

بالغور دارٌ وبنجد هوى يا لطف من غار بمن أنجدا
يا حبذا الذكرى وإن اسهرت بعدك والدمع وإن أومدا

البكاء دأبهم والدمع شرابهم والجوع طعامهم والصمت كلامهم
فلو رأيتهم وعذالهم وقد زادوا بالعدل أنقالهم .

سلمت مما عناني فاستهنت به لا يعرف الشجو إلا كل ذي شجن
شتان بين خلي مطلق وشجج في ربة الحب كالمصفود في قرن
أمسيت تشهب باد من ضنى جسدي بداخل من جوى في القلب مكتمن
إن كان يوجب ضري رحمتي فرضي بسوء حالي وحل للضنى بدني
منحتك القلب لا أبغي به ثمنا الا رضاك وواقري إلى الثمن

أعندك من حديثهم خبر ؟ ألك في طريقهم أثر ؟ .

(لخالد الكاتب) :

رقدت ولم ترث للمساهر وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقاد ما فعل الدمع بالناظر

نازلهم الخوف فصاروا ولين ، وفاجأهم الفكر فعادوا متحيرين
وجن عليهم الليل فرآهم ساهرين ، وهبت رياح الاسحار فمالوا
مستغفرين ، فإذا رجعوا وقت الفجر بالأجر نادى نادى الهجر يا خيبة
النائمين .

ولما وقفنا والرسائل بيننا دموع نهاها الوجدان تتوقفا
ذكرنا الليالي بالعتيق وظلها الانيق فقطعن القلوب تأسفا

جليت أوصاف الحبيب في خلية الكمال فقاموا على أقدام الشوق
يسبحون في فلوات الوجد فلو رأيتموهم لقلتم مجانين ، هيهات من لا
يعرف مناسك الحج ، نسب المحرمين إلى الخبل ، الناس يضحكون
وهم يبكون ، ويفرحون وهم يحزنون ، وينامون وهم يسهرون .

تركت ليلي أمد من نفسي وأسفي للفرار وأسفي

لما تمكنت المعرفة من قلوبهم أثرت شدة الخوف ، فارتفع ضجيج
الوجد .

رأى الصديق طائراً فقال : طوبى لك يا طائر ، تقع على الشجر .
وتأكل من الثمر ولا حساب عليك ، ليتني كنت مثلك . وقال عمر :
ليتني كنت تبنه ، ليت أُمي لم تلدني . وقال ابن مسعود : وددت أني إذا
مت لا أبعث . وقال عمران ابن حصين : ليتني كنت رماداً . وقال أبو
الدرداء : ليتني كنت شجرة تعضد . وقالت عائشة : ليتني كنت نسياً
منسياً .

ودخلوا على عطاء السلمي وحوله بلل ، فظنوه قد تروضاً فقالت
عجوز في داره : هذه دموعه .

(لصردر) : (١)

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضكم حاملةٌ للماء من أدمعي
وكل ريحٍ زعزعتْ ثركم فإنها الزفرة من أضلعي

أتاهم من الله وعيد وقدهم ، فباتوا على حرق ، وأكلوا على تنغيص
فنومهم نوم الغرقى ، وأكلهم أكل المرضى عجزت أبدانهم عما حملت
قلوبهم (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) (٢) .

قال فرقد : دخلت بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف
والمسوح ، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في مقام واحد .
قال أبو طارق شهدت ثلاثين رجلاً دخلوا مجالس الذكر يمشون بأرجلهم
صباحاً إلى المجلس ، وأجوافهم والله قرحة ، فلما سمعوا الذكر ،
إنصدعت قلوبهم .

(١) في قصيدة كتبها إلى الرئيس ابن المطلب ، أنظر ديوان شعره ١٦٢ - ١٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

قصوا على حديث من قتل الهوى إن التآسي روح كل حزين

قال عبد الواحد بن زيد لو رأيت الحسن ، لقلت قد بث عليه حزن
الحلائق ، ولو رأيت يزيد الرقاشي لقلت مثكل ، أقبل ولد يزيد يوماً
يعاتبه على كثرة بكائه ، فجعل يصرخ ويبكي حتى غشي عليه . فقالت
أمه يا بني ما أردت بهذا ؟ فقال إنما أردت أن أهون عليه .

صحة الشوق أحدثت علة الصبر وبعد المزار زاد السهادا
كم عذول عليكم رام لإصلاحي فكان الصلاح منه فسادا
كلما زاد عذله زاد وجدي فكللنا في أمره قد تمادى
من لقلب أصليتموه لظي الجمر وجنب أفرشتموه القتادا

المحب إن تذكر الربع حن وإن تفكر في البعد أن وإن جن عليه الليل
أظهر ما أجن . قطع عليه رضاع الوصال فلم يتهن .

(للمصنف) :

يا بريق الحى حرمت المناما	فانقضى الليل سهاداً وقياما
أترى ما قد أرى يا صاحبي	كيف والشوق بروحي يترامى
يا سقى الله حماهم مزنة	حلبت أشطرها أيدي النعامي
يا نسيم الريح بلغ واعد	أن نفسي مع أنفاس الخزامي
آه لو عاد زمانى بهم	عند جرعاء الحمى عوداً لماما
يا ليالينا بذى الاثل ارجعي	أسفاً لو أنه يشفي النداما
يا صاحبي بلغوا إن جزتم	بنقي الرمل عن الجسم السلاما
إن قلبي يوم طفنا باللوى	ورحلنا عنه بالوجد أقاما
يا غرامي إن شدت ورق وهل	علم الورق سوى وجدي الغراما
قلقي في حرقى من أرقى	يرتقي بل يتقي مني العظاما
طربي في كربى من حربى	رجع الماء بواديهم حراما
لوجرت عيني على قدر الأسى	رجع الماء بواديهم حراما

الفصل الخامس والسبعون

أخواني : الخلوة مهر بكر الفكر وسلم معراج الهمة ، حريم العزلة
مصون من عيب غيث عبث ، إذا خلت دار الخلوة عن الصور تفرغ
القلب للملاحظة المعاني .

أوحشتني	خلواتي	بك من كل أنيس
وتفردت	فعايتك	بالغيب جليسي
ودعاني الوجد	والحب	إلى المعنى النفيس
فبدا لي أن مهر	الحب	أنفاس النفوس
فكتبت العهد	للحب	على طرس الرئيس

يا هذا ، إذا رُزقت يقظة فصنها في بيت عزلة ، فإن أيدي المعاشرة
نهاية ، إحذر معاشرة الجهال فإن الطبع لص ، لا تصادقن فاسقاً ، فإن
من خان أول منعم عليه لا يفي لك ، يا أفراخ التوبة لازموا أوكار
الخلوة فإن هر الهوى صيود ، إياك والتقرب من طرف الوكر والخروج
من بيت العزلة حتى يتكامل نبات الخوافي وإلا كنت رزق الصائد ،
الأنس بالأنس ربك ، المخالطة توجب التخليط وأيسر تأثيرها تشيت الهم .
أقل ما في سقوط الذئب في غنم ان لم يصب بعضها أن ينفر الغنم

قطع العلائق أصل الأصول ، فرغ لي بيتاً أسكنه ، إن الطائر إذا
كان زاقاً لم يرسل في كتاب ، تأملوا إلى الفرس إذا قدم إلى الماء
الصافي كيف يضرب يديه فيه حتى يتكدر ؟ أتدرون لم ؟ لأنه يرى
صورة نفسه في الماء الصافي وصورة غيره فيكدره حتى لا تتبين فيه

الصور فبتنهى بالشرب ، لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق ، كان
أويس يهرب من الناس فيقولون مجنون . وصف الرسول صلى الله عليه
وسلم لأصحابه حلية حلقه فقوي توق عمر وكان في كل عام يسأل عنه
أهل اليمن .

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب إلينا بطن نعمان وادبا

لما كانت آخر حجة حجها عمر قام على أبي قيس فنادى بأعلى
صوته أفيكم أويس ؟

(للشريف الرضى) : (١)

وأني للشوق من بعدهم	أراعي الجنوب رواحاً ومغدى
وأفرح من نحو أوطانهم	بغيت يجلجلُ برقاً ورعدا
إذا طلع الركب يمتهم	أحيي الوجوه كهولاً ومردا
وأسألهم عن عقيق الحمي	وعن أرض نجد ومن حل نجدا
نشدتكم الله فليُخبرنَّ	من كان أقرب بالرمل عهدا
هل الدار بالجزع مأهولة	أنار الربيع عليها رأسدي
وهل جلب الغيث أخلاقه	على محضر من زرود ومبدا ؟

كان أويس يأتي المزابل إذا جاع فأناها يوماً فنجح عليه كلب فقال
يا كلب لا تؤذ من لا يؤذك كل مما يليك ، وأكل مما يلبي فإن دخلت
الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير مني .

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف

كان الصبيان يرمونه بالحجارة ، والعقلاء عند نفوسهم يقولون مجنون
والمحبة تنهاه أن يفسر ما استعجم .

(١) من قصيدة قالها يفتخر بقريش ونزار على قطان واليمن ، أنظر ديوان شعراء ١ / ٣٤٢

أبشهم وجدي وهم بي أعلم وأرجو شفائي منهم وهم هم
 وكم كدت من شوق أبين من هم ويمتغني من ذاك خوفي منهم
 وكم عذلوني فيهم غير مرة فقلت لهم والله بالصدق أعلم
 إذا كان قلبي موثقاً في جبالكم وجسمي لديكم كيف أفهم عنكم
 فإن شئتم أن تعدلوا فتوصلوا إلى أن يعود القلب ثم تكلموا

صاحب أهل الدين وصافهم ، واستفد من أخلاقهم وأوصافهم ،
 واسكن معهم بالتأدب في دارهم وإن عاتبوك فاصبر ودارهم ، إن لم
 يكن لك مكنة البذر ولم تطق مراعاة الزرع فقف في رفقة (وإذا
 حَضَرَ القِسْمَةَ أولوا القُرْبَى) (١) أنت في وقت الغنائم نائم ، وقلبك
 في شهوات البهائم هائم ، إن صدقت في طلابهم فانهض وبادر ، ولا
 تستصعب طريقهم . فالمعين قادر ؟ تعرض لمن أعطاهم وسل فمولوك
 مولاهم ، رب كثر وقع به فقير ، ورب فضل فاز به صغير ، علم
 الخضر ما خفي على موسى ، وكشف لسليمان ما غطي عن داود .

يا هذا ، لا تحتقر نفسك فالتائب حبيب ، والمنكسر مستقيم
 إقرارك بالإفلاس غنى ، إعرافك بالخطأ إصابة ، تنكيس رأسك بالندم
 رفعة ، عرضت سلعة العبودية في سوق البيع فبذلت الملائكة نقد (ونحن
 نُسَبِّحُ) (٢) فليل ما تؤثر سكة دراهمكم ، فلإن عجب الضارب
 بسرعة الضرب أوجب طمساً في النقش فقال آدم : ما عندي إلا فلوس
 إفلاس ، نقشها (ربنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) (٣) فليل هذا الذي ينفق على
 خزانة الخصاص ، أتين المذنبين أحب إلينا من زجل المسبحين .

واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا الأسرار حتى دبرت الاماق

يا معاشر المذنبين إن كان يأجوج الطبع ، ومأجوج الهوى ، قد
 عاثوا في أرض قلوبكم (فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٢٣ .

(١) سورة النساء ، الآية ٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

رَدَمًا) (١) إجمعوا لي عزائم قوية تشابه زبر الحديد ، وتفكروا في خطاياكم لتثور سعداء الأسف فلا أحتاج أن أقول (إنفُخُوا) شيدوا ببيان العزائم بهجر المألوف ، ليستحجر البناء فنستغني أن نفرغ عليه قطرا ، هكذا بناء الأولياء قبلكم ، فجاء الأعداء (فما استطاعوا أن يظهروه) (٢)

ليس عزمًا ما مرض المرء فيه ليس همًا ما عاق عنه الظلام

الجد الجدد فما تحتمل الطريق الفتور ، ضاقت أيام الموسم ، فجمعجعوا بالإبل كذا أسيد الضبي إذا عوتب في كثرة بكائه يقول : كيف لا أبكي وأنا أموت غداً ؟ والله لا أبكين فإن أدركت بالبكاء خيرا ، فمن من الله علي وإن كانت الأخرى فما بكائي في جنب ما ألقاه ؟ . كانت عابدة لا تنام من الليل إلا يسيراً فعوتبت في ذلك : فقالت كفى بطول الرقدة في القبور رقادا .

أيها العذال لا تعذلوا إنما العذل لمن يقبل وأرى ليلى لا ينقضي طال ليلى والهوى أطول

تزوج رباح القيسي امرأة فرأته نائماً طول الليل فقالت : ليت شعري من غرني بك يا رباح ؟

يا عقيق الحمى حمى الله مغناك وروى ثراك من مزن دمع
من لصب يشوقه لامح البرق فيرتاح قلبه للجزع
يا خليلي ما أنت لي بخليل ورفيق إن لم تقف بالربع

هذه طريقهم فأين السالك ؟ هذه صفاتهم فأين الطالب ؟ .

هذي المنازل والعقيق فأين سلمى والخيام
لم يبق مذ صاحوا النوى لم يتم فيها مقام

(١) سورة الكهف ، الآية ٩٥ . (٢) سورة الكهف ، الآية ٩٧ .

الفصل السادس والسبعون

أيها المقصر عن طلب المزداد ، كيف تدرك المعالي بغير اجتهد ؟
 أين أهل السهر من أهل الرقاد ؟ أين الراغبون في الهوى من الزهاد ؟
 رحل المتيقظون مستظهرين بكثرة الزاد كل جواد لهم يعرف الجواد
 فساروا فزاروا والكسلان عاد .

(للشريف الرضي) : (١)

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه أهفوا إلى الركب تعلولي ركائبهم تفوح (٣) أرواحُ نجد من ثيابهم يا راكبان قفا لي فاقضيا وطري هل رُوِضَتْ قاعة الوعساء أم مطرت أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمة فلم يزالا إلى أن نَمَّ بي نَفْسِي	خَلَفَتْ نجداً وراء المَدْلَج الساري من الحمى في أُسَيْحاق (٢) وإطمار عند القدوم (٤) لقرب العهد بالدار وحدثاني (٥) عن نجد بأخبار خميلة الطاح ذات البان والغاري داري وسمَّار ذاك الحي سماري وحدث الركب عني مدمعي الجار
--	---

لما صفت خلوات الدجى • نوذي آذن الوصول أقم فلانا وأنم فلانا
 خرجت بالأسماء الجرائد ، وفاز الأحباب بالفوائد ، قال أحمد بن أبي
 الحواري : قلت لامرأتي رابعة وقد قامت من أول الليل قد رأينا أبا

(١) قصيدة قالها متغزلا ، أنظر ديوان شعره ١ / ٥١٧ .

(٢) اسحاق مصفر اسحاق وهي الثياب البالية .

(٣) في الديوان « تضرع » .

(٤) في الديوان « عند النزول » .

(٥) في الديوان « وخبراني » .

سليمان وتعبدا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت سبحان الله مثلك يقول هذا ؟ أما أقوم إذا نوديت . (للمتنبي) :

تقولين ما في الناس مثلك وامق جدي مثل من أحبته تجدي مثلي
ذريني أنل ما لا يتال من العلى فصعب العلى في الصعب والسهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

لما دارت كؤوس النوم على أفواه العيون ، فسكرت بالشراب
الألباب فطرحت الأجساد على فراش (يَتَوَقَّى) ^(١) صاحت فصاحة
الحب بالمحب « كل مسكر حرام » ^(٢) فلما نفخ في صور الإيقاظ في أبان
(ويرسلُ الأخرى) ^(٣) قام أموات النوم وقد رحل سفر الوصال .
فلم يروا إلا آثار القرب في مناخ الأحباب وأثا في (تتجافى) ^(٤) ستر
القوم قيامهم بالليل فستر جزاءهم أن يطلع عليه الغير (فلا تعلمُ نفس) ^(٥)
فلو عانيتهم وقددارت كؤوس المناجاة بين مظاهر التلاوة فأسكرت قلب
الواجد ، ورقمت في صحائف الوجبات تعرفهم (بسيماهم) ^(٦) .
وتمشت في مفاصليهم كتمشي البرء في السقم

إشتهر بقيام الليل كله ، وصلاة الفجر بوضوء العشاء ، سعيد بن
المسيب وصفوان سليم ومحمد بن المنكدر المدنيون وفضيل ووهب المكيان
طاوس ووهب البمايان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان
الداراني وأبو جابر الفارسيان وسليمان التيمي ومالك بن دينار ويزيد
الرقاشي وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس ورابعة البصريون .

قالت ام عمرو بن المنكدر : يا بني أشتهي أراك نائماً : فقال يا أماه
إن الليل ليرد علي فيهلوني فينقضي عني وما قضيت منه مأربي . وصحب
رجل رجلاً شهرين فما رآه نائماً فقال مالك : لا تنام ؟ فقال : إن عجائب
القرآن أطرن نومي ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى .

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
(٢) رواه اصحاب الكتب الستة وآخرون .
(٣) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ١٦ .
(٥) سورة السجدة ، الآية ١٧ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٧٣ .

لا تلحه إن كنت من سجراته عدل المحب يزيد في إغرائه
ودع الهوى يقضي عليه بحكمه ما شاء فهو مسلم لقضائه
فشقاؤه فيما يراه نعيمه ونعيمه في ذاك عين شقاؤه
كحلت مآقيه بطول سهاده وحت أضالعه على برحائه
دنف ببابل جسمه وفؤاده بالخيف واعجباً لطول بقائه

قال سفيان إن لله ريحاً تسمى الصبحية ، مخزونة تحت العرش تهب
عند الاسحار فتحمل الأئين والإستغفار .

(للنهياري) : (١)

يا نسيم الريح من « كاظمة » شد ما هيجت الاسا والبرحا
الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
أذكرونا ذكرنا عهدكم ربّ ذكرى قربت من نزحا
وارحموا صبا إذا غنى بكم شرب- اللمع وعاف القدحا

يا طويل النوم فانتك مدحة (تنجافى) (٢) وحرمت منحة
(والمستغفرين) (٣) ولست من أهل عتاب « فإذا جنه الليل نام غني »
ليس في ليل الهجر منام ومتى رأيت محباً ينام ؟

(للمتنبى) : (٤)

فإن نهاري ليلةً مدهمةً على مقلة من فقدكم في غياهب
بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كل هذب بحاجب

ثورت في الليل الحداة وعكمت أحمال الأعمال وسارت رفقة
المتجهدين وترنم كل ذي صوت بشجر ، وأنت في الرقدة الأولى بعد .

(١) من قصيدة كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة ٤١٤ ، أنظر
ديوان شعره ١ / ٢٠٢ - ٢٠٥ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٨ .

(٤) من قصيدة طويلة له ، أنظر الديوان ص ٢٠٩ .

لم يخل مرجان دمع من عقيق دم شوق بلا عبرة ساق بلا قدم

يا هذا ، كيف تطيق السهر مع الشبع ؟ كيف تزاحم أهل العزائم
بمناكب الكسل :

دع الهوى لأناس يعرفون به	قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه
بلوت نفسك فيما لست تجربه	والشيء صعب على من لا يجربه
فاقن اصطباراً وإن لم تستطع جلدأ	فرب مدرك أمر عز مطلبه
أحنو الضلوع على قلب يحبرني	في كل يوم ويعيني قلبه
تناوح الريح من نجد يهيجه	ولا مع البرق من نعمان يطربه

الفصل السابع والسبعون

إذا هبت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم النعم على ما
سلف ، وساقته إلى بلد الطبع المنحرف برعد الوعيد وبرق الخشية ،
فتترقى دموع الأحزان من بحر قعر القلب إلى أوج الرأس فتسيل في
ميازيب الشئون على سطوح الوجنت فإذا أعشب السر إهتز فرحاً
بالإنابة .

محت بعدكم تلك العيون دموعها	فهل من عيون بعدها نستعيرها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر	إذا هب نجدي الصبا يستثيرها
أنسى رياض الغور بعد فراقها	وقد أخذ الميثاق منك غديرها
يجعده مر الشمال وتسارة	يغازله كر الصبا ومرورها
الاهل إلى شم الخزامى وعرعر	وشيع بوادي الاثل أرض نسيرها
ألا أيها الركب العراقي بلتغوا	رسالة محزون خواه سطورها
إذا كتبت أنفاسه بعض وجدها	على صفحة الذكرى محاه زفيرها
ترفق رفيقي هل بدت نار أرضهم	أم الوجد يذكي ناره ويثيرها
عد ذكرهم فهو الشفاء وربما	شفى النفس أمر ثم عاد يضرها
ألا أين أزمان الوصال التي خلت	خلا ماحلا منها وجاء مريها
سقى الله أياماً مضت وليالياً	تضوع رياها وفاح عبيرها

من تفكر في تفريطه أن ، ومن تذكر أيام وصله حزن ، من سمع
صوت الحمام ظنه لحسن الصوت ، كلا بل لذكر ما مر من العيش ،
إذا نظر الأسير إلى نفسه في ضيق القد ولم يقدر على ضحك القيد قطع
حزنه حيازيم القلب فتنفسه بالأسف في آخر نفس .

تيم إذا ربح الصبا نسمت لها وتبكي إذا الورقاء في الغصن غنت
إذا جذب الصبح اللثام تأوحت وإن نشر الليل الجناح أرنت

كان داود يؤتى بالإناء ناقصاً فلا يشربه حتى يتمه بالدموع .

يا ساقى القوم إن ذارت علي فلا تمزج فإني بدمعي مازج كأسي

كان في خد عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء وكان في
وجه ابن عباس كالشراكين الباليين من الدمع .

(للمهيار) :

ألا من لعين من بكأها على الحمى تجف ضروع المزن وهي حلوب
بكت وغدير الحي طام وأصبحت عليه العطاش الحائمات تلوب
وما كنت أدري أن عيناً ركية ولا أن ماء الماقيين شروب

كان الحسن يبكي حتى يرحم . وكان الفضيل بن عياض يبكي في
النوم حتى ينتبه أهل الدار ببكائه . وكان عطاء يبكي في غرفة له حتى
تجري دموعه في الميزاب ، فقطرت يوماً إلى الطريق على بعض المارين
فصاح يا أهل الدار : اماؤكم طاهر ؟ فصاح عطاء : إغسله فإنه دمع
من عصي الله .

ومن له مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقالوا لعطاء السلمي : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن أبكي حتى لا
أقدر أن أبكي .

وإن شفتائي عبرة مهراقسة فهل عند رسم دارس من معول

كان أشعث الحداني وحبيب العجمي يتزاوران فيبكيان طول النهار
وكان حزام وسهيل وعبد الواحد كل واحد في بيت يتجاوبون بالبكاء .

(للخفاجي) :

ركب هوى تجاذبوا حديثه فاترعوا من الغرام اكؤسا
واسبلوا من الجفون أدمعاً ظننتها ماءً وكانت أنفسا
لقد سمعت في الرحال أنه أظنها نشطة وجد حبسا

البكاء موكل بعيون الخائفين كلما همت بفتح طرف لتنظر إلى
طرف من طرف الدنيا طرفته دمعة ، قال عليه السلام : « عينان لا تمسهما
النار ، عين بكّت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله » (١) .
قال الحسن : لو بكى عبد من خشية الله لرحم من حوله ولو كانوا
عشرين ألفاً . وقيل لثابت البناني عالج عينيك ولا تبك * فقال : أي
خير في عين لا تبكي .

(لصردر) :

إذا لم أفر منكم بوعد ونظرة إليكم فمانعني بسمعي وناظري
متى غنت الورقاء كانت مداوتي دموعي وزفراتي حنين مزاهري

البكاء لأجل الذنوب مقام المرید ، والبكاء على المحبوب مقام
العارف .

روحي إليك بكلها قد أجمعت لو كان فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك بكلها عن كلها حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بتعطف فلطالما متعتها فتمتعت

أخواني : حر الخوف صيف الذوبان وبرودة الرجاء شتاء الغفلة .
ومن لطف به كان زمانه كله فصلا :

عين تسر إذا رأتك وأختها تبكي لطول تباعد وفراق
فاحفظ لواحدة دوام سرورها وعد التي أبكىتها بتلاق

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس ، وأبو يعلى في مستدركه عن أنس وهو صحيح لشواهد ،
أنظر مشكاة المصابيح ٣٨٢٩ طبع المكتب الإسلامي .

سبحان من روح أرواح الخائفين بريح الرجاء الضعيف ، إذا لم
يتلاف تلف لا بد للمكروب من نسيم بارد :

بالله يا ريح الشمال إذا عزمت على الهبوب
فتحملي شكوى المحب المستهام إلى الحبيب
قرب الضنى من مهجتي لما بعدت عن الطيب

وقف عتبة الغلام ليلة على ساحل البحر إلى الصباح يقول : إن
تعذبني فلاني لك محب ، وإن ترحمني فلاني لك محب . يا قومنا المحب مع
بذل روحه يرتاح إلى المنى وإلى لعل لأنه لا يرى ما بذل ، يصلح
ثمناً لما طلب :

بقلبي منهم علق ودمعي فيهم علق
وبني من جهنم حرق لها الأحشاء تحترق
وما تركوا سوى رمقي فليتهم له رمقوا

كان عبد الواحد يقول لعبته : أرفق بنفسك فيبكي ويقول : إنما
أبكي على تقصيري .

قالوا تصبر فما هذا الجنون بهم فقلت يا قوم ليس القلب من قبلي
واعجباً ، أو يقدر المحب على التصرف في قلبه ؟ كلا دين المحب
الجبر (لأبي الشيص الخزاعي) :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حباً لذكرك فليمني اللوم
دخلوا على رابعة فقالت : لقد طالت عليَّ الأيام بالشوق إلى لقاء
الله تعالى ، ودخلوا عليها مرة أخرى فقالوا : أنتشاقين إليه ؟ فقالت :
هو حاضر معي ، قالوا : يا رابعة هذا ضد الأول . أجابت بلسان الحال :
هكذا تحير المحب .

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل عنهم من أرى وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي
 إذا بدت رابعة في القيمة مخمرة وقعت لهية خمارها طيالة العلماء،
 كان سفيان يتأدب لرابعة كان هو صاحب خزن العلم فتردد إلى
 القهرمانة لأن لها دخولا أكثر منه رحل الملاك وبقي المدعون ، أترى
 أي طريق سلكوا ؟ نحن ملكنا والقوم ملكوا .

(للشريف الرضى ، وللمهيار) : (١)

يا صاحبي رَحَلِي قَفَا	فَسَائِلًا لِي الدِّمْنَا
وامطرا دمعكاً (٢)	ذاك الكئيبَ الایمْنَا
ما الدار عندي سكن	إذا عدمت السكنا
كان فؤادي وهُمُ	فقطعنا
مُنَى لعيني أن ترى	تلك الثلاث من « منى »
ويوم « سلع » لم يكن	يومي « بسلع » هينَا
ويوم « ذي البان »	تبايعنا فحزتُ الغبنا
كان الغرامُ المشتري	وكان قلبي الثمنا
وبارق اشيمه	كالطرف أغضى ورنَا
ذكرني الأحباب	والذكرى تهيج الحزنا
من بطن مر والسرى	تؤام عسفا ننا
وبالعراق وطرى يا	بعد ما لاح لنا

(١) من قصيدة قالها الشريف الرضى خلال ذهابه إلى المدينة عام ٣٩٤ ، أنظر ديوان شعره

٤٨٠/٢ ، وفي قصيدة قالها المهيار يهني كمال الملك أبا المعالي ، أنظر الديوان ١٤٢/٤ .

(٢) في الديوان للمهيار « من سائل لي بالحمى »

الفصل الثامن والسبعون

المحب يتعلق بكل شيء وبهم في كل واد، على القلق بمشي وعلى
الحرق بمشي :

بقيت على الأطلال من بعدكم ملقى أهيم بكم غرباً وأطلبكم شرقاً
واسأل أنفاس الرياح إذا جرت يمانية عنكم واستنبؤ البرقا

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى حراء ويبدو إلى
التلاع^(١) . مقاساة الخلق ظلمة ، والحبيب لا يتجلى إلا في خلوة .

وأخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس في السرخاليا

المحب مقتول بلا سيف ملقى في منى المنى لا عند الحيف ، إذا
سمع صوت منشد قد غرد خلع لحام الصبر وتشرّد .

ولما غرد الحادي وسار القوم في الوادي
وراح القلب يتبعهم بلا ماء ولا زاد
رأيت قتيل بينهم صريعاً ما له فاد

أول علامات المحبة دموع العين وأوسطها قلق القلب ونهايتها
احتراقه .

(لقيس ذريح) :

(١) التلاع : سيل الماء في الصحاري .

هل الحب إلا زفرة بعد زفرة وحر على الأجساد ليس له برد
وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

قال ذو النون: لقيت امرأة متعبدة فوعظتني فبكيت فقالت : لم
تبكي ؟ قلت لها : أو العارف لا يبكي ؟ قالت : إذا بكى استراح ولا
راحة للمؤمن دون لقاء ربه .

لا وحيك لا أصافح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أهون من أن تقطعا
لم تدع سورة الضنى في السقم موضعها

المحبة نزالة وقوتها المهج . كانت أضلاع عمر بن عبد العزيز تعد ،
وكان جسد سري كالشن . وقف أبو يزيد في المحراب فكبر فتعقعت
عظامه .

وإني لتعروني للذكراك روعة لها بين جلدي والعظام ديب
فما هو إلا أن أراها فجأة فأبته حتى لا أكاد أجيب

إذا رأيت محباً ولم تدر لمن ؟ • فضع يدك على نبضه . وسم كل
من تظنه المحبوب • فإن النبض لا يتزعج إلا عند ذكره (إنما المؤمنون
الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) (١) .

(للمهيار) : (٢)

الا فتى يسألُ قلبي ماله يتزو إذا برق الحمى بداله
فهب يرجو خبراً من الحمى يسنده عنه فما روى له
أراد نجداً معه فانقضت إرادة هاجت له بلباله
وانتمس الريح الصبا ومن له بنفحة من الصبا طوبى له

(١) سورة الإنفال ، الآية ٢ .

(٢) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز ، أنظر ديوان شعره ٢٢٧ / ٣

المحب في قلق لا سكون • والعجب أنه يتكلف الثبات .

الوجد يحركه والليل يقلقه والصبر يسكته والحب ينطقه
ويستر الحال عن ليس يعذره وكيف يستره والدمع يسبقه

المحب يبالغ في كتمان وجده • غير أن الدمع تمام .

آفة السر من جفو ن دوام دوامع
كيف يخفى من الدموع الهوامى الهوامع

كان أكثر القوم ، إذا جائه البكاء دافعه • اتقاء اللاحي له • فيغلبه
فلا حيلة .

(للمتنبى) : (١)

حاشى الرقيبَ فخاته ضمائره وغبضَ الدمع فأنهلت بوادره
وكانمُ الحب يوم البين مفتضح وصاحبُ الوجد لا تخفى سرائره

إذا أقلقه الحب ضج ، وإذا أرقه الشوق عج ، وكلما حبس دمه
ثج ، وإذا استوحش من الخلق هج ، فالحموم تنوبه من كل فج ،
حشيت قلوب القوم بالغموم ، حشو الورد في قوارير الزور ، وكلما
التهبت نار الحذر جرت عيون الدمع في جداول العيون فرشت على
الحدود ماء ، ما ماء الورد عنده بطيب .

(لابي المعتز) :

أسر القلب فأمسى لديه فهو يشكوه ويشكو إليه
عذب الأحباب بالهجر حيناً فهم يكون بين يديه

واعجباً لضعف بدن العارف كم يحمل ؟ وآسفا لقلب المحب كم
يصبر .

(١) ما قاله في صباه ، أنظر الديوان ص ٣٦

نعم تحمل الأشواق والعيس ظلم ويمشي الهوى والناقلات قعود

ما أقوى جلد جلد القلب على نار الحب ، كأنه قد ألبس ريش
السمندل على أنه لا بد من لدغ يبين أثره في صعود الصعداء دلالة تدل
على الحريق ، إشتط اللهب فشاطت القلوب لولا أن القوم على شواطئ
بحر الدموع نزول ؟

(للشريف الرضي) : (١)

خُذني حديثك في نفس من النفس وَجَدُ الْمَشُوقِ الْمُعْنَى غير ملتبس
الماء في ناظري والنار في كبدي إن شئت فاعترني أو شئت فاقبسي

أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم، واعجباً من خلي
يعذل ذا شجى ويحك خل شأنه وشانه .

فيا حبههم زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشر

لما أسلم سعد بن أبي وقاص قالت له أمه : والله لا أكل ولا
أشرب ولا يظلني سقف بيت حتى تكفر بمحمد . فقال : إسمعي يا
أماه ، والله لو كان لك مائة نفس فخرجت واحدة بعد واحدة لسم
أكفر بمحمد . ويحها ما خبرت خبر المحبة ؟ متى وقع السلو في حب
صادق ؟ (للمتنبي) :

عذل العواذل حول قلبي التائه	وهوى الأوبة منه في سودائه
القلب أعلم يا عذول بدائه	وأحق منك يجفنه وبماه
فومن أحب لأعصينك في الهوى	قسماً به وبحسنه وبهائه
أحبه وأحب فيه ملامه	ان الملامه فيه من أعدائه
لا تعذل المشتاق في أشواقه	حتى تكون حشاك في أحشائه

واعجباً لعاذل في حب ما ذاقه ، وآمر بهجر حبيب ما شاقه .

(١) مطلع قصيدة قالها في شكوى الزمان ، أنظر ديوان شعره ١ / ٥٥٧ .

وماذا على مفرد بالعراق تذكر بالرمل عهداً فحنا
ولاني لكل شج عاذر إذا ناح من طرب أو تغنى

كانت أم الربيع بن خيثم إذا رأت قلقه بالليل . قالت : يا بني لعلك
قتلت قتيلاً فيقول يا أماء قتلت نفسي ، قيل لعابد كان ينتحب : إنك
تفسد على المصلين صلاتهم بارتفاع صوتك . فقال : إن حزن القيامة
أورثني دموعاً غزاراً فأنا أستريح إلى ذرفها أحياناً .

مهلاً عذول صليت نار جوانحي وغرقت في تيار دمعي المسبل
هذي حشاي لديك فانظر هل ترى قلباً فإن صادفت قلباً فاعذل

غاية العاذلين إيصال اللوم إلى الأسماع ، فأما القلوب فلا سبيل
إليها .

سيان إن لاموا وإن عذروا ما لي عن الأحباب مصطر
لا غرو إن أغرى بجهنم إذ ليس لي في غيرهم وطر
لا بد لي منهم وإن تركوا قلبي بنار الهجر يستعر
وعلي أن أرضى بما صنعوا وأطيعهم في كل ما أمروا

لو رأيت المحب يهرب من العذل إلى فلول الخلوات، فإذا ناوله
الوجد كأس الدموع اقترح عليه غناء الحمام .

ذكر الأحباب والوطنا	والصبيا والألف والسكنا
فبكى شجواً وحق له	مدنف بالشوق حلف ضنى
أبعدت مرمى به رجمت	من خراسان به اليمنا
من لمشتاق تميله	ذات سجع ميلت فتنا
لم تعرض في الحنين بمن	مسعد إلا وقلت أنا
لك يا ورقاء أسوة من	لم تذيقي طرفه الوسنا
بك أنسي مثل أنسك بي	فتعالى نبذ ما كنا
نتشاكي ما نجن إذا	بحت شكوى صحت واحزنا

أنا لا أنت البعيد هوى	أنا لا أنت الغريب هنا
أنا فرد يا حمام وها	أنت والألف القرين ثنا
اسرحا رآد النهار معاً	واسكننا جنح الدجى غصنا
وابكيا يا جارتى لما	لعبت أيدي الفراق بنا
أين قلبي ما صنعت به	ما أرى صدري له وطنا
كان يوم النفر وهو معي	فأبى أن يصحب البدنا
أبه حادي الرفاق حدا	أم له داعي الفراق غنى

الفصل التاسع والسبعون

يا هذا : قد سمعت أخبار المتقين فسر في سربهم ، وقد عرفت
جدهم فتناول من سربهم ، ثم سل من أعانهم يعنك (فما كان بهم) .
(لابن هندو) :

لا يؤيسنك من مجد تباعده فإن للمجد تدريجاً وترتياً
إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمي وتنبئ أنبؤاً فأنبؤاً
إستغنى القوم بطيبهم عن مدح خطيبهم فاسلك طريقهم تكن رفيقهم .
(لابن الرومي) :

وسائل عنهم ماذا يقدمهم فقلت فضل به عن غيرهم بانوا
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا منهن في سبل العلياء ما صانوا
المنعمون وما منوا على أحد يوماً بنعمي ولو منوا لما مانوا
قوم يعزون إن كانت مغالبة حتى إذا قلرت أيديهم هانوا

أطار خوف النار نومهم وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم
يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام الأحزان .

مكتئب ذو كبد حرى تبكي عليه مقلة عبرى
يرفع يمناه إلى ربه يشكو وفوق الكبد اليسرى
يبقى إذا حدثته باهتاً ونفسه مما به سكرى
تحبه مستمعاً ناصتاً وقلبه في أمة أخرى

إذا ذكروا العفو طاب العيش ، وإذا تصوروا العذاب جاء الطيش .

أمد بإحدى مقلتي إذا بدت إليها وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ولم يدر أنني أخذت لعيني من حبيبي نصيبها

قال صالح المري : كان عطاء السلمي قد اجتهد حتى انقطع ،
فصنعت له شربة سويق فلم يشرب . فقال : إني والله كلما هممت
بشربها ذكرت قوله تعالى (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) ^(١) فلم أقدر *
فقلت : أنا في واد وأنت في واد .

أطلت وعذبتني يا عدول بليت فدعني حديثي يطول
أبيت أراقب نجم الدجى إلى الصبح وجدي ودعني يسيل

إنبعثت غيوم الغيوم من أودية القلوب ، فاستمتت قبيل الصبح
فهطلت ، فلها مع الشئون شئون فجرت الأرواح في موتى العيدان ،
فقدحت فحسرت ، فارتقت ورق الشوق منابر الشدو ، فأطربت
فصدحت بلابل المحبة بين متثور متثورها قبلت .

يا نفحات الريح مري سحرأ فبليلي طرة أرض بابل
صفي لأهل بابل بلا بلى وبلغهم في الهوى رسائل
كم من دم طاح بغير نائر وكم قتيل كلف بالقاتل

قلب المحب تحت فحمة الليل جمرة كلما هب النسيم التهت .

يمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغصنا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
قرية عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

سهر القوم يقع ضرورة ، لأن القلق مانع من النوم وليس لهم في
تلك الشدائد راحة سوى جريان الدموع .

(للسري) :

(١) سورة المزمل ، الآية ١٣ .

بلاني الحب فيك بما بلاني فشاني أن تفيض غروب شاني
أيت الليل مرتفقاً أناجي بصدق الوجد كاذبة الأمانى
فتشهد لي على الأرق الثرىا ويعلم ما أجن الفرقدان
فيا ولع المواذل خل عني ويا كف الغرام خذي عثاني

من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ، شيمة المحبة لا تخفى وصحائف
الوجوه يقرؤها من لم يكتب ، « خذي حديثك في نفسي من النفس »
قطعت نياق جدهم بادية الليل ولم تجد مس تعب ، الطريق إلى المحبوب
لا تطول .

بداها من بعدما بداها روض الحمى أن تشتكي كلاها
فخلها تمرح في زمامها فإنها قد سمّت عقاها
اذكرها مر النسيم سحراً مراتاً تفيات ظلالها
رنحها الشوق الممض والسرى فسحبت من وجدها جلالها
تحسبها سكرى وما ذاك بها وإنما شوق الحمى أمالها

يا رب ، قرب أرض كنعان من مصر فقد نفذ صبر يعقوب ،
كان أبو زيد يقول : إلهي إلى متى تحبس أعضاء محبيك تحت التراب ؟
أحشرهم واجعلني جسراً لعبروا إليك واويلاه أنا أشرب وأنا أطرب ،
يتركوني أسير وجدي أسير وحدي هلا سعت معي رجل رجل ، أو
أعاني ساعد مساعد ، أين شرط الرفقة ؟ أو ما العزاء للكل .

لو عدلتن تساهمنا جوى مثل ما كنا اشتركتنا نظرا

يا حاضرين عندنا بنية التنزه لستم معنا ، عودوا إلى أوكار الكسل
فالحرب طعن وضرب ، يا مودعين ارجعوا فقد عبرنا العذيب دعونا
نخل بالوجد في صحراء نجد ، ستأتيكم أخبارنا عن قريب بعد فيد ، وأنت
أيها الحادي عرض المازمين والخيف تعلمك الدموع كيف ترمي حصي
الخذف .

الاغنياني بالديار فلانني
ووين النقي والأنعمين محلة
ونعمان يا سقياً لنعمان ما جرت
وللقلب عند المازمين وجمعها

أحب . زروداً ما أقام ثراها
حبيب لقلبي قاعها وربها
عليه النعماني بعدنا وصباها
ديون ومقضى خيفها ومناها

الفصل الثمانون

يا مقيماً في دائرة دار الغير كم حضرت فيها محتضر . كم عابنت
عينك قبراً يحضر . لقد ألانت مواعظها كل صلد حجر ، عجياً لفرخها
ما عيد حتى نحر .

إن في نأي زماني عظة تشغل العاقل عن نأي زنام
ومدام الفكر فيمن قد مضى مسكر يغنيك عن شرب مدام
عرس القوم وغربان الدجى إنما صاحت بتقويض الخيام
وحمامات الضحى صادحة نوحاً ينذرنا صرف الحمام
ومطايا الخيف قد زمت لكم ودعوا يا قوم وامضوا بسلام
ودعوا عنكم أباطيل المنى ليست الدنيا لنا دار مقام
أقسم الساقى بكاسات الردى ليدورن على كل الأنام

يا من إذا عامل خان وظلم ، يا من أمر بما ينفعه فلم . هذا القدير
في الرأس كالعلم ، أبقى بعد نوره يا ظالم ظلم * ألم يقل لك ألسم
الضعف انتبه ، ألم ، أين رفيقك ؟ ادلج وقد عرفت المنهج والرحيل
قد أزعج وهذا فرس مسرح والبضاعة كلها بهرج .

ويحك تعاهد قلبك فإذا رأيته قد مال إلى الهوى ، فاجعل في الجانب
الآخر ذكر العقاب ليستقيم ، فإن غلبك الهوى فاستغث بصاحب القلب ،
وإن تأخرت الإجابة فابعث رائد الإنكسار خلفها « تجدني عند المنكسرة
قلوبهم » .

يا هذا ، أما علمت أن اللطف مع الضعيف أكثر . لما كانت الدجاجة

لا تحنو على الولد أخرج كاسياً ، ولما كانت النملة ضعيفة البصر أعينت بقوة الشم فيها تجد ريح المطعوم من بعيد فتطلب ، لما كان التمساح مختلف الأسنان صار كلما أكل حصل بين أسنانه ما يؤذيه فيخرج إلى شاطئ البحر فاتحاً فاه ، طالباً للراحة فيأتي طائر فينقر ما بين أسنانه فيكون ذلك رزقاً للطائر وترويحاً عن التمساح ، هذه الخلد دويبة عمياء قد ألهمت وقت الحاجة إلى القوت أن تفتح فاهها فيسقط الذباب فيه فتناول منه ، هذه الأطيار تترنم طول النهار . فيقال للصفدع ما لك لا تنطقين ؟ فتقول : مع صوت الهزار يستبشع صوتي * فيقال : هذا الليل يحكمك « أنا عند المنكسرة قلوبهم » لما خلق الأخرس لا يقدر على الكلام سلب السمع لئلا يسمع ما يكره ، ولا يمكنه الجواب فكل أخرس أطروش ، لما تولع الجذام بأظفار أصحابه ، صعب عليهم الحك فمنع منهم القمل فليس في ثياب المجذومين قملة ، سبحان من هذا لطفه ، سبحان من لا يعطف عنا عطفه ، ثكلت خواطر أنست بغيرك عدمت قلباً يجب سواك :

لا أذاق الله عيناً أبصرت غيركم يا قوت روحي وسنا
لا ولا كانت قلوب سكنت عند ذكراكم ولا نالت مني

إلهي ، ادلنا من نفوسنا التي هي أقرب اعدائنا منا وأعظمهم نكايه فينا ، إلهي تلاعبت خوادع آمالنا ببضائع أعمارنا فصرنا مفاليس ، أغارت علينا خيول الهوى فاستأسرتنا بأسرنا وأوثقتنا من أسرنا ورمتنا في مطامير طردنا . فيا مالك الملك إنقذ حبيسنا وخلص أسيرنا وسير أوبتنا من بلاد غربتنا ، كم عدنا مريضاً ؟ وما عدنا ، كم رأينا الأحاد تبني ، وما تبنا ، كم أبصرنا ؟ وما أقصرنا وانتهينا وما انتهينا يا ملاذ العارفين يا معاذ الخائفين ، خذ بيد من قد زلت قدم فطنته في مزلق فتنته أقم من قعد به سوء عمله :

كم كم أشكو وأين نفع الشكوى قد قل تصبري وحل البلوى
ما لي جلد على جفاهم يقوى أهوى قلتي إذا جفا من أهوى

يا من أصلح السحرة فجعلهم بررة ، جاؤا يحاربون وخلع الصلح

قد خيبت، ونيجان الرضى قد رصعت ، وشراب الوصال يروق . فمدوا
أيدهم إلى ما اعتصروا من خمر الهوى فإذا به قد استحال خلا ،
فافطروا عليه .

واعجباً لسكارى من شراب الحب عربدت عليهم المحبة ، فصلبوا
في جذوع النخل ارتقى سلطان عزمهم إلى سموات قلوبهم (فأوحى
في كل سماء أمرها) ^(١) واعجباً لعزم صلب ما هاله الصلب ، لا
تعرض بنار المحبة إلا أن يكون لقلبك جلد السمندل أو صبر الفراش .

يا هذا ، الإحتراق على قدر الإشتياق لما اشتد شوق الفراش إلى
النار ، تعجل احتراقه وهجم يبتغي الوصال فصال عليه المحبوب :

لاذ بهم يشتكي جواه فلم يجد في الهوى ملاذا
ولم يزل ضارعاً إليهم تهطل أجفانه رذاذا
فقرّبوه فحادثوه واتلفوه فكان ماذا

لما علم المحبون أن الصبر محبوب شمروا لحمل البلاء ، ثم حلّ لهم
فعدوه نعمة .

سقي في الحب عافيتي ووجودي في الهوى عدمي
وعذاب ترتضون به في فمي أحلى من النعم

كان الربيع بن خيثم يقول في شدة مرضه ، ما أحب أن الله نقصي
منه قلامة ظفر .

مرض الحب شغائي في الهوى	كلما أكرمني طارني
فبقائي من فنائي فيكم	وسروري منكم في حزني
وشربتم بوصال مهجتي	وأنا منتظر للثمن
كيف أرجو البرء من داء الهوى	وطيبي في الهوى أمرضني
وإذا البلوى أفادت قربكم	فمن النعمى دوام المحن

(١) سورة فصلت ، الآية ١٢ .

أخواني ، لسنا من رجال البلاء فسلوا الله العافية ، يفصق الخناق
على المحب ويمنع من التنفس « لئن قلت آه لأمحونك »

الحب يقول لا تشع أسراري والدمع يسيل هاتكأ أستاري
فالشوق يزيدني على المقدار وأناري إذن من الهوى وأناري

الفصل الحادي والثمانون

يا من أنفاسه عليه معدودة وأبواب التقى في وجهه مسدودة ،
وأعماله بالرياء والتفاق مردودة ، غير أن محبة التفريط معه مولودة :

حياتك أنفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت به جزء
فتصبح في نقص وتسمي بمثله أمالك معقول تحس به رزء
يمتلك ما يحيلك في كل ساعة ويحدوك حاد ما يريد بك الهزء

كم أسرعت فيما يؤذي دينك ودأبت ؟ كم خرقت ثوب إيمانك
وما رأبت ؟ كم فرقت شعب قلبك وما شعبت ؟ كم فاتك من خير وما
اكتأبت ؟ يا كاسب الخطايا بنس ما كسبت ، جمعت جملة من حسناتك
ثم اغتبت ، وحصن دينك ثلثت لما ثلثت ، وأنت الذي بددت ما جلبت ،
إن لاح لك أخوك عبته وإن لاجى سبيته .

يا عقرب الأذى كم لدغت ؟ كم لسبت ؟ تعلم أن مولاك يراك
وما تأدبت ، تؤثر ما يفنى على ما يبقى ما أصبت ، تصبح تائباً فلماذا
أمسيت كذبت ، تمشي مع اليقين فلماذا قاربت انقلبت ، تعمر ما لا يبقى
وما يبقى خربت ، تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت كأنك بك في
القبر تبكي ما كسبت ، لقد حسبت حساباً كثيراً وهذا ما حسبت .

يا وادي الشيخ كيف يقال لو أعشبت ؟ يا هذا أكثر الانعام عليك
كف كف فضول الدنيا عنك إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص ، فاعلم
أنه قد لطف بك لأن المنعم لم يقلصه عليك بخلاً أن يتمزق لكسن
وفقاً بالماشي أن يتعر ، أحرم عن الحرام بتزع غيظ الهوى لعل
جذب القدر يقارن ضعف كسبك :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

يا تائهاً في فلات الغفلات ، اعل بأقدام الذهن نشر الفكر تلح لك
البلد، ويحك ، تركب البحار في طلب الدنيا فإذا أمرت بخير ، قلت إن
وفقني ، أصم الله سمع الهوى فما يسمع إلا ما يريد .

يا ملولا كلما تقف بالعدل التوى
عتسا تطلب في فالودج الهوى نوى

ما أحسن قولك ، وما أقبح فعلك ، كم يشكو حزينان ؟ نطقك
من كانون عزمك، ويحك، بادر در الأرباح ما دام ينثر ، فسينادي عن
قليل (يا سماءُ أقلعي) ^(١) أتخسب تحصيل المعالي سهلاً ؟ نيل سهيل
أسهل من أدلج في ليل الصبر فات المكاس ، يا من يتعب في التعب ولا
يجد له لذة ، أنت بعد في سواد البلد أخرج إلى البادية تجد نسيم نجد ،
الإعتبار عندنا بالأعمال القلبية ، غلبت حرارات الخوف قلب داود
فصار كفه كبيراً (وألنا له الحديد) ^(٢) وقويت روحانية محمد فنبع
الماء من بين أصابعه :

لولا مدامع عشاق ولوعتهم لبان في الناس عز الماء والنار
فكل نار فمن أنفاسهم قدحت وكل ماء فمن طرف لهم جار

أيها المصلي طهر شرك قبل الطهور ، وفتش على قلبك الضائع قبل
الشروع ، حضور القلب أول منزل فإذا نزلته انتقلت إلى بادية العمل ،
فإذا انتقلت عنها أنخت بباب المناجى ، وأول قرى ضيف اليقظة كشف
الحجاب لعين القلب ، وكيف يطعم في دخول مكة منقطع قبل الكوفة ،
همك في الصلاة متشبث ، وقلبك بمساكنة الهوى متلوث ، ومن كان
متلطحاً بالأفذار لا يغلف ، أدخل دار الخلوة لمن تناجي واحضر قلبك
لفهم ما تتلو ففي خلوات التلاوة ترف أبكار المعاني ، إذا كانت مشاهدة

(١) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة سبا ، الآية ١٠ .

مخلوق يسوم (أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ) (١) إستغرقت إحساس الناظرات
(فَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) (٢) فكيف بالباب عقلت ؟ فعقلت على الباب .

لها بوجهك نور تستدل به ومن نوالك في أعقابها حاد
لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لو أحببت المخدم لحضر قلبك في الخدمة : ويحك ، هذا الحديد
يعشق المغناطيس فكيف ما التفت التفت ، إن كنت ما رأيت هذا الحجر
فانظر إلى الحرابي تواجه الشمس ، فكيف مالت قابلتها .
(للشريف الرضى) : (٣)

وإني إذا اصطكت رقاب مطيكم وثور حاد بالرفاق عجل
أخالف بين الراحتين على الحشى وانظر أنى ملتم فأميل

قبل لعامر بن عبد قيس أما تسهو في صلاتك ؟ قال أو حديث أحب
إليّ من القرآن حتى أشتغل به ، هيهات ! مناجاة الحبيب تستغرق
الإحساس . كان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته ولقد انهدمت ناحية
من المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت . وكان إذا دخل منزله
سكت أهل بيته فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علماً منهم أن قلبه
مشغول . وكان يقول في مناجاته : إلهي ، متى ألقاك وأنت غني
راضي ؟ .

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يامتتهى شغلي
فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرضا ومن لي بأن ألقاك والكل لي من لي
كان الفضيل يقول أفرح بالليل لمناجاة ربي وأكره النهار للقاء الخلق .

الموت ولا فراق من أهواه هذي كبدي تذوب من ذكراه
ما أشوقني له متى ألقاه ما مقصودي من المني إلا هو

(١) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣١ .

(٣) من شعره في النسيب ، أنظر الديوان ٢ / ٢٢٠ .

كان أبو يزيد يقول : وددت أن الله تعالى جعل حساب
الخلق علي . قيل لماذا ؟ قال : لعله يقول في خلال ذلك يا عبدي .
فأقول : لبيك ، ثم ليصنع بي ما شاء .

هل الطرف يعطي نظرة من حبيبه أم القلب يلقي روحة من وجبيه
وهل لليالي عطفة بعد نفرة تعود فيلهي ناظر عن غروبه
أحنُ إلى نور اللوى في بطاحه واضماً إلى ريا اللوى في هبويه
وذاك الحمى يغدو عليلاً نسيمه ويمسي صحيحاً مأؤه في قلبيه
هو الشوق مدلول على مقتل الفتى إذا لم يعد قلباً بلقيا حبيبه

يا واقفاً في صلاته بجسده والقلب غايب ، ما يصلح ما بذلته من
التعبد مهراً للجنة فكيف ثمناً للجنة ، رأت فأرة جملاً فأعجبها فجرت
خطامه فتبعها فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال ، إما
أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك أو محبوباً يليق بدارك ، خذ من هذه
إشارة إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك أو تتخذ معبوداً يليق بصلاتك .

الفصل الثاني والثمانون

عجباً لمن رأى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نجبه ، واستبداله
ضيق المكان بعد رحبه من لم ينتبه بوكزره فسينتبه بسحبه :

أهل ضلال وغمه	ما لبني الدنيا غدوا
كأنه حلف كنه	بصيرهم من جهله
فلا تقل لم ولله	أنت مقيم سائر
في غير بر كلمه	ولا تكلم أحدا
أوقاته منصرمه	فكل معطى مهل
شؤونه المنتظمه	ولا ندوم للفتى
وما عليها نسمة	يأتي على الأرض مدى
حاجاتنا المزدحمه	ضاق رحيب العمر عن

أين الأقران وأين سلكوا ؟ تالله لقد فنوا وهلكوا إجتمع ، الأضداد
في الاتحاد واشتركوا ، وخانهم حبل الأمل بعدما امتسكوا ، ونوقشوا
على ما خلفوا وتركوا وصار غاية الأمانى أن لو تركوا ، تالله لقد
سعد من تدبر وسلم من الأذى من تصبر ، وهلك مؤثر الحرى وأدبر
فكأنكم بالفراق يا ركاب المعبر . يا نائماً في لموه وما نام الحافظ لاحظ
نور الهدى فلا حظ إلا للاحظ ، ولا تغتر ببرد العيش فزمان الحساب
قائظ ، يا مدبراً أمر دنياه ينسى أخراه فخفف النداء اللافظ ، وعجائب
الدهر تغني عن وعظ كل واعظ ، يا من رأينا يد التفریط قد ولعت به
فأتينا للومه ولعبه أما مصير السلف نذير الخلف ، أما مهد الطفل عنوان
اللحد . يا من لمع له سراب الأمل فبدد ماء الإحتياط أترك ما علمت

أن الأماني قمار . مد نهر الهوى وقلبك على الشاطئ ، فمر به صم
مسمع اليقظة فصمت على الزلل أكل الزمان (وهم بها) أما تقع في
يوم (واستعصم) الورع عن الذنوب . يوجب قوة قلبية .

قال بعض السلف: إرتكبت صغيرة فغضب علي قلبي فلم يرجع إلي
إلا بعد سنة . أخواني : إطلاق البصر سيف يقع في الضارب :

يا للرجال لنظرة سفكت دماً ولحادث لم ألفه مستسلماً
وأرى السهام تؤم من يرمي بها فعلام سهم اللحظ يصمي من رمى
المحرمات حرم ونظر المملوك إلى حرم المالك ، من أقبح الحيانة .
يا بني آدم تلمحوا تأثير (وعصى) لقمة أثرت إن عثرت ، فعري
المكتسبي ونزل العالي وبكى الضاحك ، وقام المترفة يخدم نفسه فاشتد
بكاؤه فتزل جبريل يسليه فزاد برؤيته وجده . (للشريف الرضى) : (١)

رأى على الغور وميضاً فاشتاق ما أجلبَ البرق لماء الآفاق
ما للوميض والفؤادُ الخفّاقُ قد ذاقَ من بين الخليط ما ذاقُ
داءُ غرامٍ ما له من إفراقٍ قد كلَّ آسِهٍ وقد ملَّ الراقُ
قلبي وطرفي من جوى وإملاقٍ في غرق ما ينقضي وإحراقُ (٢)
يا ناقَ أذاك المؤدي يا ناقَ ماذا المقامُ والفؤادُ قد ناقَ
هل حاجة المأسور إلا الاطلاق

كان آدم كلما عاين الملائكة تصعد إلى السماء وجناحه قد قص
زاد قلقه .

وأصبحت كالبازي المنتف ريشه يرى حشرات كلما طار طائرا
يرى خارقات الجوىخرقن في الهوى فيذكر ريشاً من جناحه وافرا
وقد كان دهوراً في الرياض منعماً على كل ما يهوى من الصيد قادرا

(١) مطلع قصيدة ينهى فيها ملك الملوك قوام الدين بالنيروز سنة ٤٠١ أنظر ديوان شعره

٤٢ / ٢ - ٤٥ .

(٢) هذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان .

إلى أن أصابته من الدهر نكبة فأصبح مقصوص الجناحين حاسرا
أعظم البلايا تردد الركب إلى بلد الحبيب يودعون عند فراقهم
الزمن :

ولم يبق عندي للهوى غير أنني إذا الركب مروا بي على الدار أشهق
كانت الملائكة إذا نزلت إليه • استنشق ريح الوصال من ثياب
الواصلين وتعرف أخبار الديار من نسيمات القاصدين .

خبراني عن العقيق خبيراً أنتما بالعقيق أحدث عهدا
يا ناقضي العهود دوموا على البكاء فمن أشبه أباه فما ظلم .

كانت عابدة من أحسن النساء عينا فأخذت في البكاء فقبل لها :
تذهب عيناك ، فقالت : إن يكن لي عند الله خير فسيبدلني خيراً منهما
وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزن عليهما :

(للمتنبى) : (١)

قد علمَ الينُ منا الينَ أجفانا	تدمى وألّفَ في ذا القلب أحزانا
قد كنت أشفق من دمعي على بصري	فاليومَ كل عزيز بعدكم هانا
تُهدي البوارق أخلافَ المياه لكم	وللمحبّ من التذكار نيرانا

من سعى إلى جناب العز بأقدام المسكنة ، ووقف بباب الكرم على
أخمص المسئلة ، ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالخيبة .

ملكتم قلبي فما	لي عنكم منصرف
فودكم منه مكا	ن كبدي أو الطف
فلا برى وجددي بكم	ولا أفاق الشغف
لست وإن أعرضتم	أبأس من أن تعطفوا
وصبر يعقوب معي	حتى يعود يوسف

(١) مطلع قصيدة يمدح بها أخاه أبا سهل ، أنظر الديوان ١٦٧ .

يا معاشر المذنبين إسمعوا وصيتي ، إذا قمتم من المجلس فادخلوا دار
الخلوة وشاوروا نصيح الذكر وحاسبوا شريك الحياة وتلمحوا تفريط
التواني في بضاعة العمر ، ويكفي ما قد مضى فليحذر الأعور الحجر ،
إذا نقي خاطر المذكر من ذل هوى ، وصفى معين معنى كلامه مسن
كدر طمع ، إنكشف الغشاء عن عينه فرأى بالفطنة موضع قطنة مرهم
العافية فربى حشائش الحكم وركب فيها معاجين الشفاء ففتحت سد
الكسل واستفرغت أخلاط الشواغل ، فأما مجتلب الدنيا بنطقه فإنه كلما
حفر قليب قلبه فأمعن ، لاستنباط معنى ، طم الطمع إذا صدر العلم من
عامل به كان كالعربية ينطق بها البدوي ، وأحلى أبيات الشعر ما خرج
عن أبيات الشعر جمعت بين الكتاب والسنة ففتحا لي هذه المغاني فهي
تنادي السامعين « ولدت من نكاح لا من سفاح » ومن جمع بين الجهل
والبدعة هذى الهذيان فكلامه في مرتبة ابن زانية ، إذا فتحت الورد
عينها رأت الشوك حولها فلتصبر على مجاورته قليلاً فوحدها تجتني وتقبل ،
واعجباً لألفاظي وعملها بطل السحر عندها كل المذكورين رجالة وأنا
فارس اخرج إلى المعاني في كمين فأصيدها لا بأجولة إذا حضرت
ملككت العيون ، وإذا غبت استرھنت القلوب .

(للمهيار) : (١)

طرفُ نجدية وظرفُ عراقي	أي كاس يديرها أي ساق
سنحت والقلوبُ مطلقة ترعى	وثابت وكلها في وثاق (٢)
لم تزل تخدع العيونَ إلى أن	علقت دمة على كل مآق

(١) مطلع قصيدة قالها في تهنته نقيب النقباء أبا القاسم بن ما بمقد نكاح ، أنظر ديوان شعره

. ٢٩٠ / ٢

(٢) في الديوان « وعاشت » .

الفصل الثالث والثمانون

أخواني : أعجب العجائب أن النقاد يخافون دخول البهرج في أمواهم والمبهرج آمن ، هذا الصديق يمسك لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ، وهذا عمر ، يقول : يا حذيفة هل أنا منهم ^(١) ؟ والمخلط على بساط الأمن :

الناسكون	يحاذرو	ن	وما	بسيئة	الموا
كانوا	إذا	راموا	كلما	مطلقا	خطموا
و	زمو				
إن	قبلت	الفحشاء	أو	ظهرت	عموا
فمضوا	وجاء	معاشر		بالمكرات	طموا
فقم	لطعم	فاغر		ويد	على
عدلوا	عن	الحسن	الجميل	وللخنا	عمدوا
وإذا	هم	أعيتهم		شنعاؤهم	كذبوا
فالصدر	يفلي	بالهوا		جس	مثل
				ما	يفلي
				المحم	

لله در أقوام شغلهم حب مولاهم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثهم إن كنت ما تراهم ، خوفهم قد أزعج وأقلق وحذرهم قد أتلف وأحرق وحادى جدهم مجد لا يترق ، كلما رأى طول الطريق نص وأعنى ، وكيف يحسن الفتور ؟ وأوقات السلامة تسرق دموعهم في أنهار الحدود تجري وتندفق ، يشاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أشوق ، يا حسنهم في الدجى ونورهم قد أشرق ، والحياة فائض والرأس قد أطرق ،

(١) أي من المنافقين ، إذ أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين ، فلم يكن غيره يعرفهم .

والأسير يتلظى ويترجى أن يعتق ، إذا جاء الليل تغالب النوم والسهر ،
والخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة والكسل والتواني في كتيبة
الغفلة ، فإذا حمل الصبر حمل على القيام فانهزمت جنود الفتور ، فما
يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان ، سقر الليل ، لا يطيقه إلا مضمر
المجاعة، النجائب في الأول وحاملات الزاد في الأخير ، قام المتجهدون
على أقدام الجحش تحت ستر الدجى ليكون على زمان ضاع في غير الوصال :

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرندا
يا نفاس كبرق في أنين يشبه الرعدا

إن ناموا توسدوا أذرع الهمم وإن قاموا فعلى أقدام القلق، لما امتلأت
أسماعهم بمعاتبة « كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام غني »
حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

إن كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسني

ما زالت مطايا السهر تذرع بيد الدجى ، وعيون آمالها لا ترى إلا
المنزل ، وحادي العزم يقول في إنشاده : يا رجال الليل جدوا إلى أن
نم النسيم بالفجر . فقام الصارخ ينعي الظلام فلما هم الليل بالرحيل ،
تشبثوا بذيل السحر .

فاستوقف العيس لي فإن علي خلب فؤادي تشد أرحلها
إن دثرت دارها فما دثرت منازل في القلوب تترلها

قال علي بن بكار، منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر، لو
قمت في السحر لرأيت طريق العباد قد غص بالزحام لو وردت ماء
مدين ، وجدت عليه أمة من الناس يسقون :

بانوا وخلفت أبكي في ديارهم قل للديار سقاك الراح الغادي
وقل لأطعائهم حيث من ظعن وقل لواديعهم حيث من واد

يا بعيداً عنهم يا من ليس منهم ألك نية في لحاقهم ؟ أسرج كيتك

واجبرر زمامك يقف بك على المرعى، يا من يستهول أحوال القوم تنقل
في المراقبي تعل . قال أبو يزيد : ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي
نكي حتى سقتها وهي تضحك .

(للمتنبي) : (١)

ما زلتُ أضحك لبلي كلما نظرت إلى من اختضبت اخفافها بدم
من اقتضى بسوي الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

قال أبو يزيد : كنت إثني عشرة سنة حداد نفسي ، وخمسين
سنة مرآة قلبي ، ولقد أحبيت الله حتى أبغضت نفسي .

(للخفاجي) :

ثورها ناشطة عقالها	قد ملأت من بدننها جلالها
فلم تزل أشواقه تسوقها	حتى رمت من الوجي رحالها
ماذا على الناقة من غرامة	لو أنه أنصف أو رثى لها
أراد أن تشرب ماء حاجر	أريها نطلب أم كلالها
إن لها على القلوب ذمة	لأنها قد عرفت بلبالها
كانت لها على الصبا تحية	أعجلها السائق أن تنالها
وامتدت الفلاة دون خطوها	كأنها قد كرهت زوالها
فعللوها بحديث حاجر	ولتصنع الفلاة ما بدا لها

(١) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام ٣٥٢ ، الديوان ٥١٠ - ٥١٣ .

الفصل الرابع والثمانون

أخواني : دنا رحيلكم وقد بان سبيلكم وسيهجركم خليلكم ،
وقد نصحكم دليكم :

يا مقيمين ارحلوا للذهاب بشفير القبور حط الركاب
نعموا الاوجه الحسان فما صونكموها إلا لعفر التراب
والبسوا ناءم الثياب ففي الحفرة تعرون عن جميع الثياب
قد نعتك الأيام نعيماً صحيحاً بفراق الإخوان والأصحاب

تذكر يا من جنى ركوب الجنازة ، وتصور ما من مأوى في طول
المقازة ، ودع الدنيا مودعاً للحلاوة والمزاة ، أرقم من قلبك ذكر
الجزاء على جزاة ، كم ظالم تعدى وجار فما رعى الأهل ولا الجار
حل به الموت فحل الأضرار ، وأدبر عن الأوامر فأحاط به الأدبار ،
ودار عليه بالدوائر فأخرجه من الدار ، وخلا بعمله (ثاني إثنين) ولكن
لا (في الغار) فانتبهوا فإنما هي جنة أو نار :

تعلقت	بآمال	طوال	أي	آمال
واقبلت	على	الدنيا	أني	إقبال
فيا هذا	تجهر	لفر	اق	الأهل والمال
فلا بد	من	الموت	على	حال من الحال

يا من يحدثه الأمل فيستمع ويخوفه الأجل فلا يرتدع ، وصل
الصالحون إلى المنى يا منقطع ، وجوزوا على صبرهم أي والله لم يضع ،
تلمح العواقب فتلمحها للعقل وضع ، كأنه ما جاع قط من شبع إذا
تلاحت غروس المجاهدة تلاحت ثمار المدائح :

أفلح قوم إذا دعوا وثبوا لا يحسبون الأخطار إن ركبوا
 سارون لا يسألون ما فعل الفجر ولا كيف مالت الشهب
 عودهم هجرهم مطالبة الراحة أن يظفروا بما طلبوا

اشراف الأوصاف أوصاف الأشراف ، سادات العادات عادات
 عادات السادات، أحرار الشيم شيم الأحرار ، أقدموا على الفضائل
 وتأخرت وقدموا الأهم وأخرت ، الشجاع يلبس القلب على الدرع ،
 والجبان يلبس الدرع على القلب .

(للمتنبي) : (١)

وتكساد الظُّبَا لما عودوها تتضي نفسها إلى الأعناق
 وإذا أشفق الفوارسُ من وقع القنا أشفقوا من الإشفاق
 ومعالٍ لو ادعاهما سواههم لزمته جناية السُّراق

لوح للقوم فأجابوا وكرر الصباح بك وما تلتفت، إذا سمعوا موعظة
 غرست في قلوبهم نخيل العزائم ونبات عزمك عند الزواجر كنبات
 الكشوثة (٢) كم بين ثلاثة الأثافي وسادسة الأصابع . بع باعاً
 من عيشك بفر من حياتهم ؟ لو صدق عزمك قذفتك ديار الكسل إلى
 بيداء الطلب ، كان سلمان أعجباً فلما سمع بني عربي صار بدوي
 القلب .

(للمهيار) : (٣)

ولقد أحنُّ إلى « زرود » وطني من غير ما فطرت عليه « زرود »
 ويشوقي عجف الحجاز وقد ضفا ريفُ العراق وظلُّه الممدودُ
 ويَطْرِبُ الشادي وليس يهزني وينال مني السائقُ الغريدُ

(١) من قصيدة يمنح بها أبا المشائر ، الديوان ٢٢٤ - ٢٢٧ .

(٢) بالقصر وبالمد . نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض .

(٣) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي ، أنظر ديوان شعره ٣٢٦ / ١ -

أين وصفك من هذه الأوصاف ؟ أين شجرة الزيتون من شجر الصفصاف ؟ صعد القوم ونزلت وجدّوا في الجذ وهزلت .

شم العرائن في أنف من القبيح وفي أعناقهم صيد
إن تلقهم تلق منهم في مجالسهم قوما إذا سئلوا جادوا بما وجدوا
نالوا السماء وحطوا من نفوسهم إن الكرام إذا انحطوا فقد صعدوا

إن بينك وبين القوم كما بين اليقظة والنوم، أين مسك من حماة ؟ *
وبخور من بخار ؟ . وصفوة من قذى ؟

دخلوا على عابد فقالوا له : لو رفقت بنفسك فقال : من الرفق
أتيت . إسمع يا كسلان كانوا في طلب العلى يجتهدون ولا يرضون
بدون، على أنهم يعانون فيما يعانون القوم مع الحق حاضرون ، عن الخلق
غائبون ، فقولوا لعاذليهم لمن تعذلون .

(للمهيار) : (١)

كثّر فيك اللوم	فأين سمعي منهم ؟
قلبي واللوم عليك	منجد ومتهم
قالوا سهرت والعيون	الساهرات نوم
وليس من جسمك	إلا جلدة وأعظم
وما عليهم سهرى (٢)	ولا رقادي لهم
وهل سمات الحب	إلا سهر وسقم
خذ أنت في شأنك	يا دمعي واخل عنهم (٣)

كان بشر لا ينام الليل ويقول أخاف أن يأتي أمر وأنا نائم :

رقد السمار وارقه هم للبين يرزده
فبكاه النجم ورق له مما يرعاه ويرصده

(٢) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالمهرجان، أنظر ديوان شعره

٣ / ٣٢٢ - ٣٢٦ .

(٣) في الديوان « وخذ ودعهم » .

(٢) في الديوان « أرقى » .

وغدا يقضي أو بعد غد هل من نظر يتزوده
يهوى المشتاق لقاءكم وصروف الدهر تقيده

بقي بشر خمسين سنة يشتهي شهوة ، فما صفا له درهم ، وبضائع
أعماركم كلها منققة في الشهوات من الشبهات ، أبشروا بطول المرض يا
مخلطين :

واويلاه من ضياع كل العمر قد مر جميعه بمر الهجر
ضاعت حيلي وضل عني صبري يا قوم عجزت من تلافي أمري

يا من فاتوه وتخلف بل تراهم من دمع الأسف .

دع شأنَ عينِكَ يا حزين وشأنها وضع اليدين على الحشا وتململ
هذا وإن فراقهم ولقل ما يُغني وقوفك ساعة في المتزل

جز بنادي المحبة وناد بالقوم تراهم كالفراش تحت النيران .

(للشريف الرضي) : (١)

يا دارُ من قَتَلَ الهوى بعدي وجدَّوا ولا مثلَ الذي عندي
لو حركتُ ذاك الرماد يدُ لرأت بقايا الجمرِ والوقدِ

تشتد عليهم نار الخوف فيشرفون على التلف « لولا نسيم بذكراهم
يروخني » يتبسطن انبساط المحب ، ثم ينقبضون انقباض الخائف *
هذا اللينوفر ينشر أجنحة الطرب في الدجى ، فإذا أحس بالفجر جمع
نفسه واستحى من فارط فإذا طلعت الشمس نكس رأسه في الماء خجلاً
من انبساطه :

أبسطه على جزع	كشرب الطائر الفرع
رأى ماءً فاطمعه	وخاف عواقب الطمع
فصادف فرصة فدنا	ولم يلتذ بالجرع

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف ، أنظر ديوان شعره ١ / ٣٢١ .

كلما جاء كلامي صعد ، كلما زادت الوقود فاحت ربيع العود ،
أفيكم مستنشق ؟ أو كلكم مزكوم ؟ « إني لأجد نفس الرحمن من قبل
اليمن » (باح مجنون عامر بهواه) .

وما بحت حتى أستنطق الشوق أدمعي واذكري عهد الحمى المتقادم

أنجدون يا أخواني ما أجد من ربيع النسيم ؟

ألا يا نسيم الريح مالك كلما تجاوزت ميلاً زاد شرك طيباً
أظن سليماً خبرت بسقامنا فأعطتك رباها فجئت طيباً

الفصل الخامس والثمانون

يا من كل يوم يقدم إلى القبر فارط ، لا تغتر بالسلامة فربما قبض
الباسط ، إنهض للنجاة بقلب حاضر وجأش رابط ، قبل أن يلقيك على
بساط العجز خابط ، ونفس النفس تخرج من سم إبرة خائط .

قل للمؤمل أن الموت في أثرك وليس يخفى عليك الأمر من نظرك
فيمض مضى لك إن فكرت معتبر ومن يمت كل يوم فهو من نذكرك
دار تسافر عنها من غد سفرأ فلا تؤب إذا سافرت من سفرك
تضحى غداً سمرأ للذاكرين كما صار الذين مضوا بالأمس من سمرك

إخل بنفسك في دار المعاتبة ، واحضرها دستور المحاسبة وارفع
عليها سوط المعاقبة وإن لم تفعل خسرت في العاقبة :

خلقت جسماً ثرياً ثم زرت ثرى فصرت خطأ وطالت مدة فمحي
قف بالمنازل من عاد وغيرهم فما ترى ثم من شخص ولا شبح
كل مجازى بما اسداه من حسن وسيء فاهجر سوء آت وانتزح

لقد وعظك أمس واليوم وأنت من سنة إلى نوم، أين العشائر ؟ أين
القوم؟ إشتراهم البلى بلا سوم، لا فطر عندهم ولا صوم، بلى بلابل العتاب
والنوم هذا رشاش الموج ينذر بالعويم ويخبر بالحداثات أشمامها والروم .

إغتم صفو الليالي إنما العيش اختلاس
تلبس الدهر ولكن متعة ذاك اللباس

يا جامع الخطام ولا يدري ما جنى ، كلما نقض الواعظ أصلاً

من حرصك بنا ، بادر القوت فإن الموت قد دنا ، هذا بشير القبول :
إياك عني النثار كثير . فما هذا الوقوف والوني ؟ أمدد يد الصدق وقد
نلت المني ، « هذه الخيف وهاتيك مني » أما تهزك هذه المواعظ ؟ أيها
المهزوز أما يوقظك الصريح ؟ ولا المرموز أما كل وقت عود الهلاك ؟
مغموز أما كل ساعة غصن ؟ مقطوع ومحزوز ، أما تراهم بين مدفوع
وموكوز كل أفعالك إذا تأملت ما لا يحوز ، أين أرباب القصور ؟ أين
أصحاب الكنوز ؟ هلك القوم وضاع المكنوز وحيز في حفرة البلى من
كان للمال يحوز، بينما تغرهم الإناءة وقعت النواة في الكوز أين كسرى
أين قصير أين فيروز ؟ عروا عن الأكفان وما كانوا يرضون الخروز،
وأبرز الموت أوجهاً عز عليها البروز وساوى بين العرب والعجم والنبط
والخوز ، ونسخ بحسرات الرحيل لذات الثيروز ، وكشف لهم نقاب
الدنيا فإذا المعشوقة عجوز ما رضىت إلا قتلهم وكم تدلت بالنشوز،
لقد أذاقتهم برد كانون الأول فأذاهم في تموز وإنما قصدت غرورهم
لتقتلهم في كالوز .

واعجباً، بحر الوجود قد جمع الفنون: العلماء جواهره ، والعباد غيره
والتجار حيتانه والأشرار تماسيحه والجهال على رأسه كالزبد، فيا من يجري
به على هواه وهو عليه كالقنفا قف يا قفيا ، كم تحضر مجلساً وكم
تردد ؟ وكم تخوف عقبى الذنوب وكم تهدد ؟ يا من لا يلين لواعظ
وإن شدد ، يا راحلاً عن قريب ما عليها مغلد، تلمح قبرك لا قصرك
المشيد وتعلم أن المطلق إذا شاء قيد، أترى تقع في شركي ؟ فلإني جثت
أنصيد ، يا من يسأل عن مراتب الصالحين مالك ولها ؟ تساوم في راحلة
وما تملك ثمن نعل تجمع من جوانب الحافات خبازى وتريد أن تطعم
أخضر ، نطلب سهماً من الغنيمة وما رأيت الحرب بعينك .

يحاول نيل المجد والسيف بمغمد ويأمل إدراك العلى وهو نائم

البلايا تظهر جواهر الرجال . وما أسرع ما يفتضح المدعي .

تنام عينك وتشكو الهوى لو كنت صباً لم تكن نائماً

رأى فقير في طريق مكة امرأة فتبعها فقالت : مالك ؟ فقال : قد
سلب حبل قلبي . قالت : فلو رأيت أخي ؟ فالتفت فلم ير أحدا .
فقالت : أيها الكاذب في دعواه ، لو صدقت ما التفت :

والله لو علمت روحي بمن علقت قامت على رأسها فضلاً عن القدم

إذا كنت تشتغل اليوم عنا بسوداء فكيف تذكرنا إذا أعطيناك الخور؟
يا مؤثراً ما يفنى على ما يبقى هذا رأى طبعك هلا استشرت عقلك لتسمع
أصح النصائح ، من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب * ويحك، لعزم
على مجنون هواك بعزيمة فرب شيطان هاب الذكر * تلمح غيب الخطايا
لعله يكف الكف * لا تحقرن يسير الطاعات فالذود إلى الذود لإبل ،
وربما احتجج إلى عويد منبوذ ، لا تحقرن يسير الذنب فلإن العشب
الضعيف يقتل منه الحبل القوي فيختنق به الحمل المغتلم أو ما نفذت في
سدسها ؟ حيلة جرد من عرف شرف الحياة اغتتمها ، من علم أرباح
الطاعات لزمها ، العمر ثوب ما كف، والأنفاس تستل الطاقات ، كم
قد غرقت في سيف سوف ، سفينة نفس .

يا هذا: أنت أجبر وعليك عمل فإذا انقضى الشغل فألبس ثياب الراحة،
قال رجل لعامر بن عبد قيس : كلمني فقال : أمسك الشمس . دخلوا
على الجنيد عند الموت وهو يصلي فقبل له في هذا الوقت ؟ فقال الآن
تطوى صحيفتي :

حشوا المطى فهذه نجد بلغ المدى وتجاوز الحد
يا حبذا نجد وساكنه لو كان ينفع حبذا نجد

يا ديار الأحباب أين السكان ؟ يا منازل العارفين أين القطان يا
أطلال الوجد أين ؟ أين البنیان ؟ .

تعاهدتك العهد يا طلل خبر عن الظاعنين ما فعلوا
فقال ألا اتبعتهم أبدا إن نزلوا متزلاً وإن رحلوا
تركت أيدي النوى تقودهم وجئتني عن حديثهم تسل

رحل القوم يا متخلف وسبقوك بالعزائم يا مسوف . فقف على
الآثار وقوف متلهف ، وصح بالدمع سر يا متوقف .

(للشريف الرضى) : (١)

يا قلبِ جددْ كَمَدًا	فمُوعِدُ البَيْنِ غدا
لَمْ أَرَّ فَرْقًا بَعْدَهُمْ	بَيْنَ الفِرَاقِ والرَدَى
يا زفرةً هيجها	حَادٍ مِنَ الغَوْرِ حَدَا
أرعى الحُمُولَ ناظراً	أَوْ أُلْزَمُ القَلْبَ يدا
وأطردُ الطَّرْفَ على	اثَارِهِمْ ما انطردا
مُدَّ أوقدوا بأضلعي	حر الجوى ما بردا ^٢
ومذ إذا أبوا ماء عيني	للأسى ما جمدا
كنتُ أداوي كبدي	لو تركوا لي كبدا

(١) أنظر ديوان شعره ١ / ٣٥٣ - ٣٥٧ .

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان « جمر الغضا ما خمدا » .

الفصل السادس والثمانون

أخواني : المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه، وبقدر الإلتذاذ يكون التأسف ، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء .

مال ما كان المني ما آلا صار ما أوصلته قد صارما
بينما أضحك مسروراً به سال ماء العين إذا ما سالما

الدنيا فلاة فلا تأمن الفلا ، بل تيقن أنها مارستان بلا ، ولا تسكن إليها وإن أظهرت لك الولا ، على أنها تخفض من علا ، فلينظر الإنسان بمنة فهل يرى إلا محنة ؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ ، أما الربيع العامر فقد درس وأما أسد الممات ففرس وأما الراكب فكبت به الفرس وأما الفصيح فاستبدل الخرس وأما الحكيم فما نفعه إن احترس ، ساروا في ظلام ظلمهم ما عندهم قبس ووقفت سفينة نجاتهم لأن البحر يبس ، وانقلبت دول النفوس كلها في نفس وجاء منكر بآخر نبأ ، ونكير بأول عبس أفلا يقوم لنجاته ؟ من طال ما جلس .

آه ، لنفس رفلت من الغفلة في أثوابها فتوى بها الأمر إلى عدم ثوابها ، آه لعيون أغشاها الأمل فسرى بها إلى سراها . آه ، لقلوب قلبها الهوى عن القرآن إلى أربابها قربا بها ، آه لمرضى علم الطيب قدر ما بها ، وقد رمى بها . (لأبي العتاهية) :

يا نفس ما هو إلا صبر أيام كأن مدتها أضغاث أحلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة وخل عنها فإن العيش قدامي

يا مغرورين بحجة الفخ ناسين خنق الشرك ، تذكروا فوات الملتقط
مع حصول الذبح (فلا تَغُرَّتْكُمْ الحياةُ الدنيا) (١) الحذر الحذر
من صياد يسبق الطير إلى مهابطه بفخاخ مختلفة الحيل ، قدروا أنكم لا
ترون خيط فخة ، أما تشاهدون ذبائحهم ؟ في خيط (كَمَا أَخْرَجَ أَبُوَيْكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ) (٢) .

(للشريف الرضى) : (٣)

يا قلب كيف علقت في اشراكهم ولقد عهدتك تفلت الاشراكا
لا تشكون إلى وَجدا بعدها هذا الذي جَرَّتْ عليك يداك

ألا يصبر طائر الهوى عن حبة مجهولة العاقبة * وإنما هي ساعة *
ويصل إلى برج أمنه . وفيه حبات :

فلن حننت للحمى وطيبه فبالغضا ماء وروضات اخر

واعجباً أن يكون حامل الكتاب من الطير أقوى عزيمة منك ، لعل
وضمك على غير الاعتدال ، الخلق يدل على الخلق ، لا تكون الروح
الصفية إلا في بدن معتدل ولا الهمة الوافية إلا لنفس نفيسة ، لا يصلح
لحمل الرسائل إلا الطير الأخضر أو الأتمر ، لأنه إذا كان أبيض ،
كان كالغلام الصقلاني ، والصقلاني فطير خام لم ينضج في محل الحمل ،
وإذا كان الطائر أسود دل على مجاوزة خد النضج إلى الإحترق ،
فإن اعتدل اللون دل على نفاسة النفس وشرف الهمة * فحينئذ يعرف
الطائر سر الجناح فيقول بلسان الحال : عرفوني الطريق بتدريج ثم
حملوني ما شئتم ، فإذا أدرج فعرف حمل فحمل فصابر الغربة . ولازم
بطون الأودية وسار مع الفرات أو دجلة فإن خفيت الطريق تنسم الرياح
وتلمح قرص الشمس وتراه مع شدة جوعه يحذر الحب الملقى خوفاً من

(١) سورة لقمان ، الآية ٣٣ / سورة فاطر ، الآية ٥ .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ٢٧ .

(٣) أنظر ديوان شعره ٢ / ١٠٩ .

دفيئة فُخ ، يوجب تعرقل الجناح ونضييع المحمول فإذا بلغ الرسالة ،
أطلق نفسه في أغراضها داخل البرج .

فيا حاملي كتب الأمانة إلى عبادان العبد أكثركم على غير الجادة
وما يستدل منكم من قد راقه حب حب فتزل ناسياً ما حمل فارتهن
بفخ قد نفخ فذبح ، ومنكم من بان لتعرقل جناحه ، وما قصده الذابح
بعد فلا الحبة حصلت ولا الرسالة وصلت .

قطاة غرهما شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
فلا في اغيل نالت ما تمننت ولا في الصباح كان لها براح

لو صابرتم مشقة الطريق لانتهى السفر ، فتوطنتم مستريحين في جنات
عدن ، فيا مهملين النظر في العواقب سلفوا وقت الرخص فما يؤمن
تغير السعر ، سلسلوا سباع الألسن فإن انحلت افترستكم ، لا ترمسوا
بأسهم العيون ففيكم تقع ، رب راعي مقلة أهملها فأغير على السرح ،
من رأى الحقائق رأى عين غض طرفه عن الدارين ، لو حضرتم حضرة
القدس لعقبتم بنشر الأنس .

أطلبوا	لأنفسكم	مثل ما وجدت أنا
قد وجدت لي سكنا	ليس في هواه عنا	
إن بعدت قربني	أو قربت منه دنا	

يا هذا أعرف قدر لطفنا بك وحفظنا لك ، إنما نهيناك عن المعاصي
صيانة لك لا لحاجتنا إلى امتناعك ، لما عرفتنا بالعقل حرمتنا الخمر لأنها
تستره ، ومثل يوسف لا ينجأ ، يا متناولاً للمسكر لا تفعل يكفيك سكر
جهلك فلا تجمع بين خليطين ، اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عنه ، وشكر
لمن تعنيك نعم ، وطاعتك لمن لا ترجو خيراً إلا منه ، وبكائك على قدر
ما فاتك منه ، وارفع إليه يد الذل في طلب حوائج القلب تأتي وما تشعر .

يا هذا عندك بضائع نفيسة دموع ودماء . وأنفاس وحركات
وكلمات ونظرات فلا تبذلها فيما لا قدر له ، أبصليح أن نبكي لفقد ما لا

يبقى ؟ أو تتنفس أسفاً على ما يفنى ، أو تبذل مهجة لصورة عن قليل
تمحى أو تتكلم في حصول ما يشين ويتوى ، واعجباً . من مجنون بلا ليل
ويحك دمعة فيك تظفي غضبنا ، وقطرة من دم في الشهادة تمحو ذلك ،
ونفس أسف ينسف ما سلف وخطوات في رضانا تغسل الخطيئات ،
وتسيح نغرس لك أشجار الخلد ونظرة بعبرة تثمر الزهد في الفاني
ولكن تصحيح النقد شرط في العقد سلع (وإني لغفار) لا تباع إلا بدينار
(لمن تاب) إذا كان خارجاً من سبيكة (وامن) عن سكة (وعمل
صالحاً) من دار ضرب (ثم اهتدى)^(١) .

يا هذا : لو استشعرت زمرانة الزهد تحت مطرف « رب أشعث
أغبر » وسحت في بادية (يدفعون) لأفضنا عليك خلع (إذا رأوا
ذكر الله) يا هذا إن لم تقدر على كثرة العمل فقف على باب الطلب
تعرض يجذبة من جذبات الحق ففي لحظة أفلح السحرة .

لا تجزعن من كل خطب عرا ولا ترى الأعداء ما تشمت
يا قوم بالصبر ينال المنى إذا لقيتم فئة فاثبتوا

طريق الوصول صعبة وفي رجلك ضعف ، ويحك دم على السلوك
تصل ، أول النخلة السحوق^(٢) فسيلة ، بداية الآدمي الشريف مضغة ،
ثمن المعالي جد الطلب والفتور داء مزمن ، بلد الرياضة سحيق (لم تكونوا
بالغية إلا بشق الأنفس)^(٣) سحابة الصيف أثبت من قولك والخط على
الماء أبقي من عهدك .

من السلوة في عينيك آيات وآثار
أراها منك بالذهن وفي الأبواب أبصار
إذا ما برد القلب فما تسخنه النار

يا هذا ، إذا حضر قلبك فنسيم الريح يذكرك ، وإن غاب فمائة ألف
نبي لا يوصلون التذكرة إليك ، تالله لقد ألعنا المعنى وما ألزمتنا الزمنى .
ولي ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

(١) سورة طه ، الآية ٨٣ ، ص وما قبلها . (٢) سورة النحل ، الآية ٧ .

(٢) السحوق : الطويلة .

الفصل السابع والتمانون

يا من يرحل في كل لحظة عن الدنيا مرحلة ، وكتابة قد حوى حتى
قدر خردلة ، كن كيف شئت ؟ فبين يديك الحساب والزلة ، يا عجباً
من غفلة مؤمن بالجزاء والمسئلة أيقين بالنجاة ؟ أم غرور وبه .

تبنى وتجمع والآثار تدرس وتأمل اللبث والأرواح تختلس
ذا اللب فكر فما في الخلد من طمع لا بد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط معركة موتى وماشى الورى من فوقهم يطس
وعمهم حدث وضمهم جدث باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو نظرت عينك ما صنعت يد البلى بهم والدود يفترس
من أوجه ناظرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف تنطمس
وأعظم باليات ما بها رمق وليس تبقى لهذا وهي تنتهس
والسن ناطقات زانها أدب ما شأنها شأنها بالافة الحرس
ثلثهم السن للدهر فاغرة فاما فاما لهم إذ بالردى وكسوا
عروا عن الوشي لما ألبسوا حللاً من الرغام على أجسادهم وكسوا
حاتم يا ذا النهي لا ترعوي سفها ودمع عينك لا يهمي وينبجس

أيها المطمئن إلى الدنيا وهي تطلبه بدخل * قد مرضت عين بصيرته
فيها ، فما ينفع الكحل ، يتبختر في رياضها وما يصبح إلا في الوحل ،

إنّبه للرحيل . ثمّ أشدد الرجل ، واستبدل خصب المراب . عن قحل المحل ،
وتأمر على نفسك . فللنخل فحل .

أترك الشر ولا تأمن بشر وتواضع إنما أنت بشر
هذه الأجسام ترب هامد فمن الجهل افتخار واطر
جسد من أربع يلحظها سبعة من فوقها في إثني عشر
في حياة كخيال طارق شغل الفكر وخلاك ومر

تالله لقد كشفت الغير ما انسدل . فلم يبق مرآء ولا جدل ،
هذا حمام الحمام قد هدل . فكم صرخ صوته وكم جدل ، يا
جائرين احذروا ممن إذا قضى عدل . واعلموا أن الآخرة ليس منها
بدل . هذا هو الصواب ، لو أن المزاج اعتدل ، يا من عمره كزمان
الورد ، إلتقط واعتصر لا في زور ، يا شمس العصر على القصر ، قد
بلغ مركبك ساحل الأجل . ووقف بعيرك . على ثنية الوداع . وقاربت
شمس عمرك الطفل . وبقي من ضوء الأجل . شفق . فاستدرك باقي
الشعاع . قبل غروب الشمس .

أَيُنْفَقُ العمرُ في الدنيا مجازفةً . والمالُ يُنْفَقُ فيها بالموازينِ

البدار البدار . قبل القوت ، الحذار الحذار . قبل الموت ، ما في
المقابر من دفين . إلا وهو متألم من سوف .

يا هذا متى تبت بلسانك . وما حلت عقد الاصرار من قلبك .
لم تصح التوبة . كما لو سكنت الأمراض بغتة من غير استفراغ . فإن
المرض على حاله .

يا هذا : إذا لم يتحقق قصد القلب . لم يؤثر النطق باللفظ ، إن
المكره على اليمين . لا تنعقد يمينه . « لئنما الأعمال بالنيات » ^(١) وقلبك
كله مع الهوى . « إن في البدن مضغة . إذا صلحت صلح البدن .

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمر .

وإذا فسدت فسد البدن • الا وهي القلب • (١) أكثر الأمراض • أمراض
الهوى • وأكثر القتل بسيفه • أرباب الهوى ، أطفال في حجب العادات
وإن شابوا ، انحدرت عزيمتك . في جريان نهر الهوى • فاصبر صبر
مداد . لعلك ترددها .

ويحك . إنته لإصلاح عيوبك ، لعل المشتري يرضى ، تالله . إن
المشتري ما يحب بطة زحل ، أكفف ثوب الكلام بالصمت . والا تنسل ،
أطف حراق الهوى . وإلا عمل ، أرفق بزجاج العمر . فما ينشعب إذا
انكسر .

واعجباً ، الظاهر غير طاهر • والباطن باطل • الامل بخار فاسد •
الرعوثة علة صعبة • منام المني أضغاث ، رائد الآمال كذوب ، مرعى
المشتهي هشيم ، العجز شريك الحرمان ، التفريط مضارب الكسل ،
ديجور الجهل معتم ، سؤر الهوى مغرق ، روض اللهو وبى ، غدير
اللذات غدر .

ظَلَلْتُ أَكْرُ عَلَيْهِ الرَقَى وَتَأَبَى عَرِيكَتُهُ أَنْ تَلِينَا
كم قد لمتك وما نفع ، كم قد نصبت لك شركاً وما نفع ، قفل
قلبك رومي . ما يقع عليه فش .

يا هذا: المجاهدة حرب . لا يصلح لها إلا بطل • متى تغير من جنود
عزمك على الإنابة قلب واحد • لم أمن قلب الهزيمة عليك .

وإذا كانَ في الأنايبِ خلفٌ وقع الطيشُ في رؤسِ الصعَادِ

أيها المريد . تلطف بنفسك في الرياضة تفضل ، مشي القطا بدبير •
ومشى العصفور نقران ، العنكبوت الفطن ينسج في زاوية • والمغفل
ينسج على وجه الارض ، كن قيماً على جوارحك ، وقفها الحظوظ •
واستوف منها الحقوق ، أما ترى حاضن البيض يقلبه بمنقاره • لتأخذ

(١) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ولفظه « وان في الجسد مضغة ..
وإذا فسدت فسد الجسد » .

كل بيضة حظها من الحزن ، ثم أكثر ساعات الحزن على الأثرى .
لاشتغال الذكر بالكسب . فإذا صار البيض فراخاً كان أكثر الزق
على الأب ، (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (١) ما لقيت
حواء عشر ما لقي آدم . لأنها وإن شاركت في العلم بفقد صورة
النعم . فهو منفرد عنها بملاحظة المعنى . بعد عز (أَسْجُدُوا
لآدَمَ) (٢) يقبض جبريل على ناصيته للإخراج . والمدنف يقول
أرفق بي :

يا سائق البكرات استبق فضلتها على الغوير فظهر الفكر معقور
كان يتوقف في خروجه لو ترك . ويتشبث بذيل لو نفع .
ولسان الأسى . يصبح بمن أسا :

تزود من الماء النقاخ فلن ترى بوادي الغضا ماءً أنقاخاً ولا برداً
ونل من نسيم البان والرنند نفحة فبهيات واد ينبت البان والرنندا
وكر إلى نجد بطرفك إنه متى تسر لا تنظر عقيقاً ولا نجدا
ما زال مذ نزل . يرفع قصص الغصص ، على أيدي أنفاس الأسف .
فتصعد بها سعداء اللهف :

ألا يا نسيم الريح من أرض بابل تحمل إلى أهل الحجاز سلامي
ولاني لأهوى أن أكون بأرضهم على أنني منها استفدت سقامي
واعجباً من فاق آدم ، بلا معين على الحزن . هوام الأرض
لا تفهم ما يقول . وملائكة السماء عندها بقايا (أتجعل) فهو في
كربة . وحيد بدار غربة :

ألا راحم من آل ليل فاشتكي غرامي له حتى يكل لسانيا

(١) سورة طه ، آية ١١٧ .

(٢) سورة طه ، آية ١١٦ .

الفصل الثامن والثمانون

أخواني : أيام العافية غنيمة باردة ، وأوقات السلامة لا تشبهها
فائدة ، فتناول ما دامت لديك المائدة ، فليست الساعات الذاهبات بعائدة .

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً واتبعه يوم عليك شهيد
فإن تلك بالأمس اقترفت اساءة فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غداً يأتي وأنت فقيد
إذا ما المنايا اخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود

كأنكم بالقيامة قد قامت . وبالنفس الأمارة بالسوء ، قد لامت .
وانفتحت عيون . طال ما نامت . ونحيرت قلوب العصاة وهامت .

غداً توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن اساءوا فبئس ما صنعوا

شبكة الحساب ضيقة الأعين . لا يعبرها شيء . وكيل المطالبة
خصم ألد . أينطق بأقل عذرِكَ بين يدي سحبان المناقشة . كلا أيقن
بالسجن . يا هذا ، إنك لم تزل في حبس . فأول الحبوس صلب الأب .
والثاني بطن الأم . والثالث القماط . والرابع المكتب . والخامس الكد
على العيال . والسادس الموت . والسابع القبر فإن وقعت في الثامن . نسيت
مرارة كل حبس .

يا هذا ، إدخل حبس التقوى باختيارك اياماً . ليحصل لك الإطلاق
في الأغراض على الدوام . ولا تؤثرن إطلاق نفسك فيما تحب . فإنه
يؤثر حبس الأبد في النار . إلى متى تسجن عقلك في مطمورة هواك ؟ .

أو يحبس طاوس في ناووس ؟ . ويحك . تفكر فيما بين يدبك *
وقد هان الصبر عليك ، لما خفيت العواقب على المتقين * فزعوا إلى
القلق * وأكثروا من البكاء * فعذلم من يشفق عليهم ، وما يدري
العاذل . إن العذل على حمل الحزن علاوة .

قيل لبعض العباد : لم تبكي ؟ قال : إذا لم أبك فما أصنع ؟ :

ما كان يقرأ واش سطر كتماني لو أن دمعي لم ينطقُ بتبيانِ
ماء ولكنه ذوب النفوس وهلْ ماء تولدُهُ مِنْ حَرِ نيرانِ
ليت النوى إذ سقتني سُمَّ أسودها سدت سبيل امرئ في الحب يلحانِ
قد قلتُ بالجزع لما انكر واجزعي ما أبعد الصبرُ ممن شوقُهُ دانِ
عجنا على الربع نستسقي له مطراً وفاض دمعي فأرواه وأظماني

قوي حصر الخوف فاشتد كرب القوم * فكل ما هب نسيم
من الرجاء ولوا وجوههم شطره :

يا طرباً لنفحة نجيبة اعدلْ حَرَّ القلب باستبرادها
وما الصبا ريحي لولا أنها إذا جَرَّتْ مَرَّتْ على بلادها

عبارة النسيم لا يفهمها إلا الأحباب . وحديث البروق . لا يروق
إلا للمشتاق :

ومرنح فطَنَ النسيمُ بوجدِهِ غروى له خَبَرَ العذيب معرضاً

العارف غائب عند ذكر الدنيا * وحاضر عند ذكر الأخرى
وطائش عند ذكر الحبيب * يحضر المجلس موثقاً بقيود الهم * فإذا
ذكر الحبيب قطع الوجد السلاسل ، إن مداراة قيس تمكن * ولكن
لا عند ذكر ليلي (للخفاجي) :

رَمَتْ بالحمى أبصارها مطمئنةً فلما بدتْ نَجْدٌ وهَبَتْ جنوبها
بَخِلْنَا عليها بالبرى فتقطعتْ وقل لنجد لو تفرت قلوبها

لو برزت ليلي ليلاً * لصار الظلام عند قيس * أوضح من ضحي :

إذا ما وُنت نادى بها الشوق فأنبرت تجرد ومن نادى به الشوقُ أسرعاً
من سمع ذكر الحبيب . ولم يثر قلبه عن مستقره فهو مدع .
(للمهيار) :

إذا ذُكِرَ المَجِيبُ عند مُحِبِّهِ تَرَنَّجَ نشوانٌ وجن طروبُ
إذا قِيلَ مي لما يَسْعَى لذكرها خباء ولم يحبس بكاي رقيبُ

كلامي صحيح المزاج * خفيف الروح * أنا صايغ صانع * بابلي
لفظي يبلبل * أنا ماشطة القوم * أنا لسان الوقت :

فكأن قِيساً في عكاظ يخطُبُ وكأنَّ ليلي الأخيلية تنذب
وكثير غرة يوم بين يطنب وابن المقفع في اليتيمة يُسهبُ

أنا طيب لبيب . أمزج التحذير بالتشويق للعاملين * وأجعل كأس
التخويف . صرفاً للغافلين * وأجتهد في التلطف . جهدي بالعارفين ،
الحام يعجب البدوي * وأما الحضري فدق مصر ، الأدوية الحادة .
تؤذي الأبدان النحيفة ، الزاهد ملاح الشط * والعارف ناتاني المركب .
الزاهد مقتب * والعارف في محمل ، نفس الزاهد تسير به * وقلب العارف
يطير به ، العارف حال في الرحمة * غريب في الوطن * خلوته بمعرفه
طوره * متى تقاضاه الشوق . حضر لا عن ميعاد * إذا وطى بساط
الإنبساط . قال (أرني)^(١) فإذا سمع صاعقة الهيبة . قال (تبت إليك)^(٢)
ويأبى الجوى أن اسر الهوى إذا امتلأ القلب فاض اللسان

إذا رأيتم ناطقاً بالحكمة قد طرب ، فاعذروه * وإنه قد صدر ولم
تردوا بعد ، العالم المحقق . قد اعتصر من كروم المعارف * خندر
يس المعاني * فشرب منها حتى غلب ، فإذا عربد بالطرب . فلم يعذره
الصاحي . أمر ساقى النطق . أن يدور بكأس اللفظ . على أرباب الألباب
فإذا القوم . نشاوى من الثمل * فيصبح حينئذ مواقف (تراود فتاها)^(٣)

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٣٠ .

(فذلكن الذي لمتني فيه) (١) عبرناكم يا منقطعين • وعلينا أن نرد ،
لا بد للأمر أن يقف للساقفة • عودوا إلى أوكار الكسل • فنحن على
نية دخول القلاة ، إسمعوا وصايانا . يا مودعين • إذا جن الليل ،
فسيروا في بوادي الدجى • وانيخوا بوادي الذل • واجلسوا في كسر
الإنكسار • فإذا فتح الباب للواصلين ، دونكم فاهجموا هجوم الكذابين
وابسطوا كف (وتصدق علينا) (٢) لعل هاتف القبول يقول (لا تريب
عليكم اليوم) (٣) .

وإذ جئتم ثنيات اللوى	فلجوا ربع الحمى في خطري
وصفوا شوقي إلى مكانه	واذكروا ما عندكم من خبري
واحني نحو أيام مضت	بالحمى لم أقض منكم وطري
كلما اشتقت تمينتكم	ضاع عمري بالنى واعمري

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٩٢ .

الفصل التاسع والثمانون

آه لئنفس أقبلت على العدو وقيلت ، وبادرت إلى ما يؤذيها من
الخطايا وعجلت ، من لها إذا سئلت عن قبيحها ؟ فنجلت . وسل
عليها سيف العتاب . فقتلت .

ما لنفسي عن معادي غفلت	أتراها نسيت ما فعلت
أيها المغرور في هو الهوى	كل نفس سترى ما علمت
أف للدينيا فكم تحذعنا	كم عزيز في هواها خذلت
رُبَّ ربح لأناس عصفت	ثم ما إن لبثت أن سكنت
فكذاك الدهر في تصريفه	قدم زلت وأخرى ثبتت
أين من أصبح في غفلته	في سرور ومرادات خلّت
أصبحت آماله قد خيبت	وديّار لهو قد خربت
جز على الدار بقلب حاضر	ثم قل يا دار ماذا فعلت
أوجه كانت بدوراً طلعا	وشموساً طال ما قد أشرقت
قالت الدار تفانوا ومضوا	وكذا كل مقيم إن ثبت
عابنوا أفعالهم في تربهم	فسل الأحداث عما استودعت
إنما الدنيا كظل زائل	أو كأحلام منام ذهبت

يا من هو في هوة الهوى قد هوى ، كم مسلوب بكف النوى
عما نوى ، أين المستقر عيشه ؟ أدركه التوى فالتوى ، أين الجبار الذي
إذا علق بالشوى شوى ، أين شعبان اللذات أدركه الطوى لما طوى
ليته لما ذهب الأصل ، تيقظ الفرع ، فارعوى ، إلى متى خلف ووعد
الدنيا كله خلف .

يا متعباً نفسه بالحرص ، والقدر ما يتغير * الراضي صرفه * كم
غرقت سفينة مهجة في بحلة حرص ، الطمع يخنق العصفور قبل
الفخ * لما قنعت العنكبوت بزواية البيت ، سيق لها الحريص وهو
الذباب ، فصار قوتاً لها ، وصوت به لسان العبرة . رب ساع لقاعد *
ترسل قلبك مع كل مطلوب من الهوى * ثم تبعث وراه وقت الصلاة
ولا يلقاه الرسول * فتصلي بلا قلب .

خلفت قلبك في الاطعان إذ نزلت بالملزمين زمان النفر بالنفر
ورحت تطاب في أرض العراق ضحى ما ضاع عند منى فاعجب لذا الخبر
لما طرقتا النقي كان الفؤاد معي فضل غني بين الضال والسمير
يا أرجل العيس تهنيك الرمال فما أغدو بوجدي غداً إلا على الأثر

على تفصيل الأمور والجمل * ما يرضى للقبر ، بهذا العمل ، يا
من قد حمل الخطايا ، وبئس ما حمل ، أفي سكر أنت أم في نمل ؟
لو علمت أن مكاوي الحديد ، قد أحميت للسمل * لم تفرق من اللباس
بين الحديد والسمل ، يا ثقیل الطبع كالرمل * فما يطربه الثقیل ولا
الرمل ، تعصي ثم تصر ، فتضيف إلى صفين الجمل ، يا من قد فقد قلبه
لا تيأس من عوده .

فقد يجمعُ اللهُ الشيتين بعدما يَظُنَّانِ كل الظن ألا تلاقيا

الهوى قاطن ، والصواب خاطر ، وقلع القاطن صعب * وإمساك
الخاطر أصعب ، الهوى متدير * والمواعظ نزالة ، ومع مداراة الجمل
تصل ، لما تزينت زخارف الدنيا * توائمت جهال الطبع لاتباع الهوى
فبعث العقل كافاً لهم ، فأقام عندهم ، موكلات بهم ، وكلما زاد
في قيودهم فكوا السلاسل ، وكلما تلا عليهم النصائح * أسمعوه
القبائح .

فواعجباً لمعرف ، بلى بمقاساة أنزال * ما يزال العقل يضرب الأمثال *
ويشرح العواقب * ولكن من يسمع ؟ * أحضر معه في خلوة ، واستحضر
صديق الفكر فإنه ثقة ، فإن خرجتم إلى المقابر قوي دليل النصيح *

مروا بثُصور المذنبين ، مُجدوا أخبارهم مرأً * وجوزوا على قُبور
الصالحين * فقد جوزوا في العاجل ذكراً ، إذا مات المؤمن بكى عليه
مصلاه من الأرض ، ومصعد عمله من السماء ، أربعين صباحاً * واعجباً
للبقاع ، تبكي عليهم * وتبكي منهم .

أما الوقوفُ فقد وقفتُ بدارهم وسألتُها لو أنّ داراً تفهمُ
وإذا رأيتُ طولَهم أبصرتُها طرساً ^(١) يخط به البلى وينمُ
نحلت لبينهم ولم اكُ عارفاً أن الديار بهم تصح وتسقمُ

يا له من عذل ، لو كان للمعاتب فهم * لحم منه والله لو كان فحم
(للشريف الرضى) ^(١) .

والحرُّ من حدّر الهَوانِ يُزايِلُ الأمر الجسيما
والعاجز المافون اقعُدُ ما يكون إذا أقيما

العبارات حظ النفوس * والإشارات قوت القلوب ، نزل بعض
أرباب المعرفة ، إلى الشط فصاح : يا ملاح تحملني ، فقال : إلى أين ؟
قال إلى دار الملك * فقال : معي ركاب إلى القطيعة ، فصاح الفقير .
لا بالله لا بالله * أنا منذ سبعين سنة . أفر منها ، دخل ذو فطنة إلى
دار قوم * فرأى حياً . وإلى جانبه مركان . قد زرع فيه صبر * فتواجد
فقال حب إلى جانبه صبر *

يا نازلين الحمى رفقاً بقلب فتى إن صاح بالبين داع باح مضمره
وقد يميل إلى المغنى يسأله أخو الغرام ولكن من يخبره
وما ذكرتكم إلا وهمت جوى وافة المبتلي فيكم تذكره
ولا عزمت على سلوان حبكم إلا ويخذلني قلبي وينصره

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمار الآخرة * قياماً كالأعلام .

(١) الطرس بالكسر : الصحيفة التي محيت ثم كتبت .
(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي ، أنظر ديوان شعره ٢ / ٤٢٨ .

على جواد الهوى * تقوى بأنفاسهم : نفوس أنفاس أهل التقوى *
يصوتون بالمنقطع * ويرشدون المتحير * ما بقي في الديار ديار .

نسيم الصبا إن زرت أرض أحبي فخصهم عني بكل سلام
وبلغهم أني رهين صباة وأن غرامي فوق كل غرام
وإني ليكفي طروق خيالهم لو أن جفوني تمتع بمنام
ولست أبالي بالحنان وباللظى إذا كان في تلك الديار مقامي
وتد صممت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

رحل القوم وتخلفنا * وبادروا أيامهم وسوفنا * وعرفنا طريقهم
لكننا انقطعنا * فسيروا بنا ، فإن لحقنا وإلا تأسفنا .

يا صاحبي إن كنت لي أو معي فعد إلى روض الحمى نرتع
حي كتيب الرمل رمل الحمى وقف وسلم لي على لعلع
وسل عن الوادي وأربابه وانشد فؤادي في ربي المجمع
وابك فما في العين من فضله ونب فدتك النفس عن مدمعي
واسمع حديثاً قد روته الصبا تسنده عن بانة الاجرع
وانزل على الشيخ بواديهم واشمم عشب البلد البلقع
بلغ تحيائي إلى ربهم وقل ديار الظاعنين اسمعي
رفقاً بنضو قد براه الأسي يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيب ليال خلت عودي تعودي مدنفاً قد نعي
إذا تذكرت زماناً مضى فويح أجفاني من أدمعي
أراجع لي وصلهم بعدها يا نفس إن لم يصلوا ودعي
يا نفس كم أتلو حديث المني ضاع زمانني بالني فاقطعي
يا قلب لا تسكن على بعدهم وأنت يا عين فلا تهجمي

الفصل التسعون

أخواني الا ذو سمع وبصر يعلم أن الأعمار فيها قصر ، إلا مثلح
ما في الغير من العبر إلا ذاكر بيت التراب والمدر .

تنبه فإن الدهر ذو فجعات وشمل جميع صائر لشتات
نخلف مأمولاتنا وكأننا نسير إليها لا إلى الغمرات
هل المرء في الدنيا الدنية ناظر سوى فقد حب أو لقاء ممت
وما حركات الدهر في كل طرفة بلاهية عن هذه الحركات
سيُسقى بنو الدنيا كؤوس حنوفهم إلى أن يناموا لا منام سبات
وما فرحت نفس ببلوى وقدرات عظات من الأيام بعد عظات
إذا بغت أشياء قد كان مثلها قديماً فلا تعتدها بعتات
واعقب من النوم التيقظ راشداً فلا بد للنوام من يقظات

يا من يحول في المعاصي ، قلبه وهمه ، يا معتقداً صحته ، فيما هو
سقمه ، يا من كلما طال عمره ، زاد إثمه ، أين لذة الهوى ؟ رحل
المطعوم وطعمه .

يا من سيجمعه اللحد عن قليل ، ويضمه • كيف يوعظ من لا
يعظه عقله ولا فهمه ؟ كيف يوقظ من قد نام قلبه لا عينه ولا جسمه ؟
ويحك تدارك أمرك قبل الفوت • أتتفع الاستغاثة ؟ والسم قد وصل إلى
القلب . إن الدرياق يصلح قبل اللسع ، ومذهب ابن سريج يستعمل
قبل الطلاق .

لمن أحدث القلب غائب ، لمن أعاتب والفكر ذاهل ، وآسفاً من

ضرب الخَرَّاج ، على بلد خراب ، ويحك ، أجمادُ أنت أم حيوان ؟
هذا الفهد على خساسة خلقه يصادُ بالصوت الحسن * ومتى وثب
على الصيد . ثلاث مرات ولم يدركه ، غضب على نفسه ، كم قد
وثبت على هواك مرة فلم تقدر عليه * فأين غضبك على التقصير ،
هيهات ليس عند الطاوس إلا حسن الصورة ، تفيق في المجلس لحظة
ثم تذكر الشهوات فيغمي عليك ، إن الغراب إذا سكر بشراب الحرص
تنقل بالحييف ، فإذا صحا من خماره ندب على الطلل ، لما عزت نفس
البيغاء زاحمت الآدمين في النطق ، وهي تتناول بكفها من جنس
مطاعمهم .

واعجباً لبهيم يتشبه بالناس * ولإنسان يتشبه بالبهيم * كل هذا
سببه الهمة * لا يطمعن البطال في منازل الإبطال ، إن لذة الراحة
لا تتناول بالراحة ، من زرع حصد ومن جد وجد .

وكيف ينالُ المجدُ والجسمُ وادعُ وكيف يُحاز الحمدُ والوفرُ وافرُ

أي مطلوب ينال من غير مشقة ؟ وأي مرغوب لم تبعد على مؤثره
الشفقة ؟ المال لا يحصل إلا بالتعب ، والعلم لا يدرك إلا بالنصب ،
ولاسم الجواد لا يناله بخيل ، ولقب الشجاع بعد تعب طويل (للمتنبى) :

لا يدركُ المجدُ إلا سيدُ فطن لما يشق على السادات فعَال
لولا المشقة سادَ الناسَ كلهم الجودُ يُفْقِرُ والأقدام قَتَّال

يا أعجمي الفهم ، متى تفهم ؟ * يا فرحاً بلذة عقباها جهنم *
ستدري متى تبكي ومتى تندم * إذا جثا الخليل ، وتزلزل ابن مريم *
يا عاشق الدنيا كم قتلت مقيم ؟ * ما للفلاح فيك علامة ، والله أعلم *
إن كان ثم عذر ، فقل وتكلم * غاب الهدهد من سليمان ساعة
فتواعده * فيا غائباً عنا طول عمره * أما تحذر غضبنا ؟ * خالفَ
موسى الخضر ، في طريق الصحبة ثلاث مرات * فحل عقدة الوصل

بكف (هذا فراقُ بيني وبينك) (١) أما تخاف يا من لم يف لنا قط ،
أن نقول في بعض زلاتك (هذا فراقُ بيني وبينك) .

أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب * لو صحت معرفتهم
بالمالك * لما استغاثوا يا مالك * وقع بينهم شخص ، ليس من الجنس *
كانت في باطنه ذرة من المعرفة * فكلما حملت عليه النار ، اتقاها بدرع
« يا حنان يا منان » كان موته في المعاصي سكتة * فقبر في جهنم * فلما
تحرك الروح في الباطن أخرج * رأى الأسباب بيد المسبب * فتعلق
بالاصل ، أخواني ، اليوم رجاؤنا للرحمة قوي * فكيف نصنع غداً ؟
إن ضعف *

هذا جزعي وما خلا مغناكم ما أصنع بعد بعدكم حاشاكم
أقسمت بكم لكم وحسبي ذاكم لا أذكر غيركم ولا أنساكم
أزعجتموني بتقلقلكم ، يا تائبين * أخرجتموني عن الحد ، يا
خائفين *

يا صبا نجد ويا بان الحمى أرفقا بي في الثني والهوب
يتقومون بمقالي * ويقومون على حر المقالي * ويخرج عاطل البطالة،
وهو خالي * وأنا أدري ما حالي (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) (٢) .

يا غادياً نحو هضاب الحمى بلغ رسوم الدار ما عندي
كم لي بتلك الدار من وقفة أشكو من الهجران والصد
يا ركب التوبة إن تزودتم فالتقوى وسرتم إلى الله فاحملوا معكم
رسالة متلهف يحتوي على حسرة محصر .

يا حادي العيس ترفق واستمع مني وبلغ إن وصلت عني
وقف بأكتاف الحجاز ناشداً قلبي فقد ضاع الغداة مني
وقل إذا وصلت نحو أرضهم ذاك الأسير موثق بالحزن

(١) سورة الكهف ، الآية ٩٨ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٨٦ .

عرض بذكرى عندهم عساهم إن سمعوك سائلوك عني
قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذب القلب بكل فن
يقول أملت بأن أزوركم في جملة الوفد فخاب ظني

يا معاشر التائبين بجرمة الصحبة ، لا تنسوني غداً بعثكم أغلى الملك
فلا تنسوا كرامة الدلال ، أعوذ بك يا إلهي أن تجعل حظي لفظي وآسفي
أصف واصفي ويشرب غيري .

فعندي زفير ما ترقى إلى الحشى وعندي دموع ما بلغن المآقيا

واحسرتا ، أأكون كالقوس رفعت السهم فمر ولم تبرح ؟ أأصير
كالإبرة تكسو غيرها وهي عريانة ؟ أشبه حال الشمعة أضاءت غيرها
باحترق نفسها ؟ .

أترى يرجع لي دهر مضى أترى ينفعني قولي تسمى
ويك يا عين أعيني قلقي إن توانيت فلا ذقت الكرى

إلهي أيقظني في الصبا ؟ وأقمتني أدل الخلق عليك ومزجت كأس
نظمي بعذوبة وجعلتني في اخباري معروفاً بالأمانة فركن إلي أهل المعاملة
ولو عرفوا إفلاسي ما عوملت ، إلهي طال ما اجتذبت العصاة بعد أن تهافتوا
في النار أفيصدرون واردة ؟ سيدي إن لم أصلح للرضا فالعفو العفو .

الفصل الحادي والتسعون

أخواني : أما ينبه على استعداد الزاد ؟ سلب الآباء وأخذ الأجداد
أما يحرك إلى التيقظ ؟ ونفي الرقاد عكس المشتبه ورد المراد .

(للشريف الرضى) : (١)

لنا كل يوم رنة خلف ذاهبٍ	ومستهلك بين النوى والنوابِ
ونأمل من وعد المني غير صادق	ونأمن من وعد الردى غير كاذب
نُراعُ إذا ماشيك اخمصُ بعضنا	وأقدامنا ما بين شوك العقاربِ
نعم إنما الدنيا سمومٌ لطاعمٍ	وخوفٌ لمطلوبٍ وهمٌ لطالبِ
وإنا لنهواها مع الغدرِ والقيلِ	ونمدحُها مع عِلْمِنا بالمعائبِ

أي مطمئن لم يزعج ؟ أي قاطن لم يخرج ؟ فرس الرحيل لنا سرج
وما جرى على الأقران أنموذج ، يا مختالاً في ثوب الصبا معجباً بمرطه ،
شرط المقام الرحيل وقد تقاضى بشرطه أما لك نبرة في رفع الزمان وحطه ،
أما ترى رقوم المنايا مكتوبة بخطه ، أما أعرب المسطور بشكل المرض
ونقطه . هلا تصور العاصي ساعة إنزاله إلى القبر وحطه ، أفلا يتذكر
الغني أخذ ماله على رغمه ومن أصل قرطه .

يا من قد قاده الهوى بلا خزامة ، لو قبلت مشورة العقل لم تتجرع

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر عام ٣٩١ ، أنظر ديوان شعره ١ /

مر لو وليت قدر . إن الزلزال يخفى على الخلق (ألا يعلم من خلق) (١)
صور إنه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيته ؟ .

هب البعث لم تأتينا رسله وجاحمة النار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق حياء العباد من المنعم

أقل نعمه أن أوسع عرصة الوجود لئلا يضيق نفس النفس بالحصر
وأجرى مجرى الهواء في جو الفضاء يقتسم بمكاييل الحياشيم فيصل بالعدل
إلى ذوات الذوات . واعجباً للغافلين عن هذا المنعم بماذا اشتغلوا ؟
أجهلاً بوجوده ؟ فهو أوضح من ضحى أم ميلاً إلى الدنيا ؟ فهي أغدر
من تاء بتمنام إن سلمت فنتت وإن تلفت قتلت ، وقع نخل على لينوفر
منتشر الورق فأحب ريحه فأقام فلما تقبض الورق وغاص ، هلك
العاشق .

أخواني : إياكم والذنوب فإنها أذلت عزيزز (إسجدوا) (٢)
وأخرجت مقطع (اسكن) (٣) لولا لطف (فتلقى) (٤) كان العجب ،
استراح آدم إلى بعض العناقيد ، فإذا به في العناقيد ، جاءه جبريل فسلم
عليه فبكى وبكى جبريل ثم قال يا آدم ما يبكيك ؟ قال : كيف لا
أبكي وقد حولني من دار النعيم إلى دار البؤس ، واعجباً بمجيء جبريل
زاد المريض ألماً .

آه لبرق لمعا	ماذا بقلبي صنعنا
أيقظ مني للغرام	مستهاماً موجعا
فبت من إيماضه	أسكب دمعي دفعا
يا برق أما تريني	للصنيع موضعا
فجئني غني أربعاً	أكرم بهن أربعاً
يا ناظراً أقسم من	بعد النوى لا هجعا

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(١) سورة الملك ، الآية ١٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٤ .

كبر	مذل	فارقهم	على	الرقاد	أربعاً
كم	كبد	قطعها	بين	الحبيب	قطعاً
حمل	وجدي	جلدي	أكثر	مما	وسعاً

خرج آدم يوم الكعبة فلما وصل طاف أسبوعاً فما أتمه حتى خاض في دموعه .

دموع عيني مزجد بين مثل الدوالي وهي الدوالي

فشمت به إبليس حين نزل وما علم أن نزوله إلى دار التعبد صعود كنزول الغائص خلف الدر صعود . رأى في بدايته طيناً قد صلصل وبذراً قد عفن ونسي أنه ستهتز طاقاته في ربيع (فتلقى) ^(١) وملك يا إبليس ما جرى على آدم وهو المراد من وجوده * (لو لم تذنبوا) ^(٢) قدح أريد كسره فسلم إلى مرتعش .

فلولا غليل الشوق أو لوعة الأسى لما خلقت لي أعين وجفون

لا يهولنك قوله (إهبطوا منها) ^(٣) فلك خلقتها وإنما أخرجت إلى مزرعة المجاهدة فإذا حصدت فعد إن قيل لك مرة (إهبط) ^(٤) ففي كل يوم تنادي ألف ألف مرة (والله يدْعُو إلى دار السلام) ^(٥) إن تعذرت عن الحضرة مرة فزيارة الحبيب ما تنقطع (هَلْ من سائل) ^(٦) الكرة تلقى من صاحب الصولجان بالطرد ثم هو يطلبها .

ترجو في المحب عتق من أنت له إن كان كذا الحب فما أعدله

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٢) ولفظه (لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ليفر لهم) رواه ابن حنبل (٢٨٩ / ١) عن ابن عباس مرفوعاً وهو حديث صحيح لغيره فقد ورد في عدة طرق وبعده ألفاظ ، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للإلباني ، حديث ٩٧٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٩ .

(٤) سورة الاعراف ، الآية ١٣ .

(٥) سورة يونس ، الآية ٢٥ .

(٦) أنظر البخاري ٣ / ٢٥ ، ٢٦ ، مسلم ١ / ٢١١ ، الموطأ ١ / ٢١٤ .

هيهات الحب يعتربه وله من حكمه قضى عليه وله

يا آدم ؛ قد ذقت حلاوة الذنب وتطعمت مرارة الندم ، فهل
وفت بتلك ؟ أين لذاتك ؟ إذا نزل الموت كيف حسراتك ؟ إذا وقع
الفوت :

ما أسرع ما انقضى زمان الوصل هل يرجع ماضى برد الشمل
من لي بهم وهل مفيد من لي يكفي ما بي فلا ترد في عذلي

يا صبيان التوبة اشكروا من نجاكم بالإجابة (وكنتم على شفا
حفرة من النار) ^(١) تذكروا عظمة من عاهدتم (ولا تنقضوا
الأيمنان بعد توكيدها) ^(٢) لا تزدروا أثواب الفقر فعليها أنوار
المهابة (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) ^(٣) لا
يصعبن على الخيل تضميرها فستفرح به يوم السباق إن قال لك رفاؤك :
لمش معنا ساعة فقل : أقعدني الخوف .

يا نديمي صحا القلب صحا فاطردا غني الصبا والمرحا
شمرا بردي للنسك ولا تعجبا من فاسد إن صلحا
زجر الحلم فؤاداً فارعوى ولحا الدهر امرأاً فيمن لحا

أيها 'ثائب قل لقلبك الراعي في رياض الهدى ، إحذر من لفته إلى
خضراء دمن الهوى ، فمرعاك أطيب ، وشرابك أعذب (ولئن لم
يفعل ما أمره ليسجنن) ^(٤) نسيم الريح يقوي الروح ما لم
يختلط به بخار ردى كذلك كلام المذكرين إذا سلم من بدعة كان قوتاً
للنفس وإن مازجه هوى هوى بصاحبه إلى العلل .

كلامي نهر يأخذ من بحر الكتاب والسنة ، صاف ما تغير قط ، يسقي
قلوبكم سباحاً بلا كلف وقد قنع من الخراج بالدعا هل في مجلسي نقص ؟

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ . (٢) سورة النحل ، الآية ٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٩١ . (٤) سورة يوسف ، الآية ٣٣ .

فيقال لو أنه أو عيب، فيقال إلا أنه أو رأيتم مثله ؟ فيقال كأنه ، آه لو كان من أعجمي ولكنه أبلغ بلفظي منزل المعنى وما طال سفر العبارة، المعاني واسعة الفيا في والألفاظ ضيقة العراض وما يقدر على حشو العرصة فوق ما تسع إلا مهندس لآلىء هذه المعاني لطاف، فأى سلك فهم دق إنتظمت فيه وإنما ينظم اللؤلؤ في خيط لا في حبل ، كلامي ثوب فصل على قدر أسماعكم فهو لا يصلح إلا لكم، لا تنكروا مدحي لأهل بغداد فهم فهم ، لهذا البلد بدل ؟ إذا مرضت الأفهام السليمة من وباء طعام العبارات الركيكة عمل لفظي في شفاؤها ولا رقي الهند كلم تداوى كل كلم ظلم ، قياسها بعذوبة الظلم .

جواهر كلها ينيم توجد مفقودة المثال
تجنب الغائصون عنها عجزاً وجاشت بحارها لي

الفصل الثاني والتسعون

يا ديار الأحباب أقوى جديدها ، أين أسودها ؟ أم أين غيدها ؟
أين ظباء الهوى ؟ مرت ومن يصيدها ، تساوي في القبور موالها وعبيدها ،
قف يا حبيبي بالرسوم وانظر نسخ النسيم بالسموم وتبديل الأفراح
بالغموم ، هيهات إن الدنيا لا تدوم إنها على قتلك تحوم * إثثار مثل هذه
لوم .

(للخفاجي) :

سل بعمدان أين ساكنه أو قل لنعمان أين أين السدير
أيها الظاعنون لا زال للغيث رواح عليكم وبكور
قد رأينا دياركم وعليها أثر من عفاكم مهجور
وسألنا أطلالكم فأجبت ومن الصمت واعظ ونذير
عجبا كيف لم نمت في مغانيها أسي ما القلوب إلا صخور
يا ديار الأحباب غيرك الدهر وكانت بعد الأمور أمور

أيها الباكي على أقاربه الأموات ، إبك على نفسك فالماضي قد فات
وتأهب لتزول البلايا وحلول الآفات وتذكر قول من إذا ذكرك قال
مات ، كأنك بما أتى الماضين قد أذاك * ولقد صاح بك نذيرهم ،
أنت غداً كذاك ، وليخرسن الموت بسطوته فاك ، إذا وافاك إنما اليوم
لهذا وغداً لذاك ، قرىء على قبر .

أنا في القبر وحيد قد تبرأ الأهل مني
أسلموني بذنوبي خبت أن لم تعف عني

يا هذا : لاحث الغاية لعين الشيب فصيح بخيل البدار مرحلة الشيب
تخط على شفير القبر « وقد أنجد من رأى حضناً » أنحمل مشاق السفر
من وراء النهر وتخطاطر بالوقفة من نخلة .

يا هذا إذا ركبت مركب الهوى فاجعل باتاني المركب لمحاسبة النفس
فإنه يشم كل يوم ريح ثرى الأرض فيعلم هل هو على خطأ أو صواب ؟
ومتى لم يعلم الطريق صدمه حجر فغرق .

يا من يحدث وكأنه ما يسمع ، متى لم ينصت سمع القلب ضاع
الحديث ، أترى ينطبع في شمع سمعك من هذا حرف ، تحضرون
المجلس فرجة ؟ وتجعلون رجاء النفع حجة ولا تسلكون إلى العمل محجة
(وما أبرئ نفسي) ^(١) واعجباً ، تجتمع العزائم في المجلس اجتماع
الثريا فإذا خرجنا صارت كبناث نعش لو تأملتم عيب الدنيا لهان طلاقها :

سرور الدهر مقسرون بحزن فكن منه على حذر شديد
فقي بمناء تاج من نضار وفي يسراه قيد من حديد
آه للدنيا ملكت القلب حين ملكت وأبقت الغم ثم أبقت .

ترودن منا كل قلب ومهجة وزودنا للوجد عض الأباهم
كم تألفت بحلو مذاقها ثم أتلفت بمر فراقها .

فليت عهدك إذ لم يبق لي أبداً لم يبق عندي عقابلاً من السقم
لما كان الصانع غائباً عن الإحساس سطرت قدرته في ألواح التكوين
عجائب الكائنات ثم وضعت الألواح في حجور العقول ليقراها أذهان
أطفال الطباع فإذا أحذق الصبيان وحفظ المكتوب بما السطور (إذا الشمس
كُوِّرَتْ وإذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) ^(١) .

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة التكوين ، الآية ١ .

أخواني : عيون يقينكم رمدة والفكر تبريد، من أيقن بالموت كيف
يفرح ؟ من علم قرب الحساب كيف يلهو ؟ من عرف تقلب القلوب
كيف يأمن ؟

كان سفيان الثوري من شدة خوفه يبول الدم فحمل ماؤه إلى الطبيب
فقال هذا ماء رهبان هذا ماء رجل قد فتت الحزن كبده ، وحمل ماء
سري إلى الطبيب فلما نظر إليه قال هذا بول عاشق قال حامله فسقطت
ثم غشي علي ثم رجعت إلى سري فأخبه ته فقال قاتله الله ما أبصره :

إذا أنا واجهت الصبا عاد بردها ومن حر أنفاسي عليه هيب
وقد أكثرت في الأطباء قولهم ومالي إلا أن أراك طبيب
قيل لبعض عقلاء المجانين لم سميت مجنوناً ؟ قال لما طال حبسي
عنه في الدنيا سميت مجنوناً لخوف فراقه :

قلبي بجبك ما يفيق وجفن عيني ما ينام
قد طال فيك الليل حتى ما يقال له انصرام
والنجم فيه راكد والفجر يمنعه الظلام
ليل بغير نهاية ولكل مفتاح ختام
في وصلك العيش الهني وهجرك الموت الزؤام

إن لم تكن مع القوم في السفر تلمح آثار الحبيب عليهم وقت
الضحى ، ترى في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه
زهاها الحسن أن تتبرقعا » .

قال بعض السلف : لقيت غلاماً في طريق مكة فقلت له : أما
تستوحش ؟ فقال إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة قلت : فأين ألقاك؟
قال : أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلاقائي وأما في الآخرة فإنها تجمع
المتقين . قلت : فأين أطلبك في الآخرة ؟ قال : أطلبني في جملة الناظرين
إلى الله تعالى . قلت : وكيف علمت ؟ قال : بغض طرفي عن كل
محرم واجتنابي فيه كل منكر ومأثم وقد سأله أن يجعل جنتي النظر إليه
ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .

(للشريف الرضي) : (١)

وما تَلَوَّمْ جَسْمِي عَنْ لِقَائِكُمْ
وَكَيْفَ يَقَعْدُ مُشْتَاقٌ بِحَرَكَةٍ
فَإِنْ نَهَضْتُ فَمَالِي غَيْرَكُمْ وَطَرٌ
وَكَمْ تَعْرِضَ لِي الْأَقْوَامُ بَعْدَكُمْ
إِلَّا وَقَلْبِي إِلَيْكُمْ شَيْقٌ عَجِلُ
إِلَيْكُمْ الْحَافِرَانِ : الشُّوقُ وَالْأَمَلُ
وَإِنْ قَعَدْتُ فَمَالِي غَيْرَكُمْ شُغْلُ
يَسْتَأْذِنُونَ عَلَى قَلْبِي فَمَا وَصَلُوا

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة ، أنظر الديوان ٢ / ٢٢٨ .

الفصل الثالث والتسعون

سبحان من فاوت بين القلوب فمنها ما لا يصلح إلا لخدمة الدنيا
ومنها ما لا يصلح إلا للتعبد ومنها روحاني مشغول بمحبة الخالق (للمتنبى) :

أروح وقد ختمتُ على فؤادي	بجك أن يحل به سواكـ
فلو أني استطعت غضضت طرفي	فلم أبصر به حتى أراكـ
أجك لا بيعضي بل بكلي	وإن لم يبق حبك لي حراكـ
ويقيح من سواك الفعلُ عندي	فتفعله فيحسنُ منك ذاكـ
وفي الأحباب مختص بوجد	وآخر يدعي معه اشتراكـ
إذا اشتبكت دموع في خدود	تبين من بكى ممن تباكى
فأما من بكى فيذوب شوقاً	وينطق بالهوى من قد تباكى

النهار يزيد في كرب المحب والليل يروحه السحر روضة نجدية يجد
فيها المحب ضالة وجده ، شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق ، لو رأيت
المحب في الليل يتقلقل ويناجي حبيبه ثم يتململ وكلما أزعجه الشوق تحير
وتبلبل ، وما ألد ما يصف حاله ويتعمل .

أحباي أما جفن عيني فمقروح	وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح
يذكرني مر النسيم عهدكم	فأزداد شوقاً كلما هب الريح
أراني إذا ما الليل أظلم أشرقت	بقلبي من نار الغرام مصابيح
أصلي بذكراكم إذا كنت خالياً	إلا أن تذكركم الأحبة تسبيح
يشح فؤادي أن يخامر سره	سواكم وبعض الشح في المرء ممذوح

لو لبس أحد المحبين حلة علم أنه من الزهاد ، كيف يخفي الليل
بدرًا طالعاً « كم بالغوا في كتم الحال ؟ وستر الحب محال :

اسائل عمن لا أريد وإنما أريدكم من بينهم بسؤال
فيعثر ما بين الكلام ورجعه لساني بكم حتى يتم بحالي
وأطوي على ما تعلمون جوانحي وأظهر للعذال أنني سال

كلما قوي حامل المحبة « زيد في حمله » نحن معاشر الأنبياء أشد
الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل «^(١) فوران قدر القلب من قدر شدة الإيقاد ،
كان يسمع لصادر الخليل أزيز من بعيد خوفاً من الله تعالى وكذلك نبينا
صلى الله عليه وسلم يصلي والخوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء ،
كان الوحي إذا نزل عليه وهو على ناقته أثر فيها فربما وتدت يديها
في الأرض وربما بركت لثقل الوحي .

(للشريف الرضي) .

أحست بناري في ضلوعي فأصبحت يحب بها حر الغرام ويوضع
تحنن إلا أن بي لأبك الهوى ولي لالك الألف الخليط المودع
وباتت تشكي تحت رحلي ضامراً كلانا إذن يا ناق نضو مفعج

أماعت قلوبهم بالخوف فهاتبهم الجوامد فالحجر يسلم على الرسول
صلى الله عليه وسلم والسكين لا تعمل في الذبيح ، مالك أيتها المدينة
وعادتك القطع ؟ قالت بلسان الحال : أخواني تحز رقاب الكفار ،
وأنا قد ابتليت بقطع عنق إسماعيل فقد وقفت مدهوشة بالبلوى فعندي
شغل ، قطع يد زليخا يجوز فأما يد يوسف فمشكل أتراك تخلو لك
عباراتي ؟ أو تفهم إشاراتي ، كم أجلو عليك عرائس المحبة ؟ ولست
كفوّاً ، وإنما يحل النظر لمن يعتقد ، أقل أحوال القوم رفض الهوى

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ٦٤ / ٢ ، وابن ماجه ٤٠٢٣ ، والدارمي ٢٢٠ / ٢ ،

والطحاوي ٣ / ٦١ وابن حبان ٦٩٩ ، والحاكم ٤٠ / ١ ، وأحمد ١٧٢ / ١ ،

١٧٤ ولفظه (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ..) الحديث .

وهذا كالمستحيل عندك ، كانوا إذا ابتلوا صبروا ثم صاروا إذا ابتلوا
شكروا ، ثم رأوا في البلى المبتلى ، فسكروا ، أين الذين أصفهم ؟ مروا
وعبروا .

ليس بالصب من يحرك بالشكوى	لساناً ويودع الدمع خدا
أيها الواثق الذي جعل الكتمان	بين الوشاة والحب سدا
صاح لولا صوفي الغرام لأجريت	دموعاً توفى على البحر مدا
قل لحي على اللوى والكثيب الفرد	جاد الحيا الكثيب الفرد
قد وقفنا من بعدكم نسأل البان	ضلالاً عنكم ونشكو الرندا
أين تبغي يا حادي الركب أفنيت	المطايا سيراً ذميلاً ووخدا
قف قليلاً في الربع وارفق فما أبقيت	منها إلا عظاماً وجلدا
فلدار الهوى علينا حقوق	إن تركنا اداءها كان اذا
يا بني الورد والوفاء وما أسمع	إلا قولاً وفاءً وودا
لم نقضتم من غير جرم عهداً	ما نقضنا منها على الرمل عهدا

كم أنشر بز المحبة ولا أرى إلا مفلساً ، تترهوا في السلع فسهل
على طي المنشور ، ما أحلى ذكر الأحباب ما أطيب حديث أولى الألباب
(لصردر) : (١)

ايه أحاديث « نعمان » وساكنه إن الحديث عن الأحباب أسمارُ
أفتشُ الريح عنكم كلما نفحتُ من نحو أرضكم نكبَاء معطارُ
تمكن الحب من حبات قلوبهم فأخرجهم إلى الوله فلو رأيتموهم
لقلم مجانين .

قد لج بي الغرام حتى قالوا قد جن بهم وهكذا البلبال
الموت إذا رضيتم سلسال في مثل هواك ترخص الآجال
كانت رابعة تقول : لقد طالت علي الأيام والليالي بالشوق إلى الله
تعالى .

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس ، أنظر الديوان ص ٢٧ .

أمرت . عنك بصبر وليس لي عنك صبر
يا آمري بالتسلي ما لي مع الشوق أمر

قال الشبلي : رأيت جارية حبشية فقلت من أين ؟ قالت من عند
الحبيب قلت : وإلى أين ؟ قالت : إلى الحبيب قلت : ما تريد من
الحبيب ؟ قالت : الحبيب .

وجدي بكم وصفو ودي لكم والقلب فمذ نأيتم عندكم
عني عين لبعدكم بعدكم لو شقوا قلبي لما رأوا غيركم

الفصل الرابع والتسعون

يا هذا اشتغلت بفنون تعليلك عن ذكر تخويلك وستسلب من أخيك
وخليلك وعلى تخييطك وتخيلك .

وَقَدْ جَدَّ الْمَجْهَـزُ فِي رَحِيلِكَ	كَأَنَّكَ بِالْمَاضِي إِلَى سَبِيلِكَ
بِقَوْلِهِمْ لَهُ أَفْرَغْ مِنْ غَسِيلِكَ	وَجِيءَ بِغَاسِلٍ فَاسْتَعْجَلُوهُ
إِلَيْهِمْ مِنْ كَثِيرِكَ أَوْ قَلِيلِكَ	وَلَمْ تَحْمَلْ سِوَى كَفْنٍ وَقُطْنٍ
فَأَنْتَ عَلَيْهِ مَمْدُودٌ بِطَوْلِكَ	وَقَدْ مَدَّ الرِّجَالُ إِلَيْكَ نَعْشًا
لِحَمْلِكَ فِي بَكُورِكَ أَوْ أَصِيلِكَ	وَصَلُّوا ثُمَّ أَنَّهُمْ تَدَاعَوْا
وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي نَزْوِكَ	وَلَمَّا أَسْلَمُوكَ نَزَلَتْ قَبْرُكَ
رَوْفٌ بِالْعِبَادِ عَلَى دُخُولِكَ	أَعَانَكَ يَوْمَ تَدْخُلُهُ رَحِيمٌ
فَدَعْنِي مِنْ قَصِيرِكَ أَوْ طَوِيلِكَ	فَسَوْفَ تَجَاوِرُ الْمَوْتَى طَوِيلًا
وَبِاللَّهِ اسْتَعْنَتْ عَلَى قَبُولِكَ	أَخِي إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِي
تَصِييِكَ فِي أَخِيكَ وَفِي خَلِيلِكَ	أَلَسْتُ تَرَى الْمَنَآيَا كُلَّ يَوْمٍ

أخواني : ما من الموت بد، باب البقاء في الدنيا قد سد كم قد في
القبر قد قد ؟ كم خد في الأخلود خد ؟ يا من ذنوبه لا تحصى إن
شككت عد ، يا من أتى باب الإنابة كاذباً فرد لقد حملت على نفسك
ما يثقلها ، فحسبك ما قد مضى أتقتلها ؟ يا طول سفرة الموت أولها أين
جزع النفس ؟ أين تململها ؟ كأنها بالمرض قد نزل يزلزلها وبعث إليها
رائد الأسف يستعجلها ، الحذر الحذر فقد فوق السهام مرسلها ،
الدروع الدروع فقد جلى السيوف صيقلها ما هذه الحصال المذمومة ؟
اتوثر العقول لذة مسمومة ؟ ما هذا الحرص ؟ والأرزاق مقسومة ،

أنسيت يوم تنشر الصحف المختومة ؟ أما تعلم أنها ستظهر قبائح مكتومة ؟
يا لها لوعظة بين المواعظ كالأيام المعلومة أحسن من الألىء المنثورة
وأعجب من العقود المنظومة العلم والعمل توءمان أهمها علو المهمة .

أيها المعلم تثبت على المبتدى (وقدّر في السرد)^(١) فللعالم رسوخ
وللمتعلم قلق ويا أيها الطالب تواضع في الطلب فإن التراب بينا هو تحت
الأخمص صار ظهور للوجه ، السهر مرقى إلى أطيب مرقد :
لهون في طلب الهوينا كامن وجمالة الأخطار في الأخطار

قلب العالم بحر ما للجنة قرار ، إذا نزل غواص الفكر ترقى إلى
ساحل اللسان قدر الامكان ، مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تفتح
لسرّ قلبه . سيحاً بعد سيح ، ويدخر أصفافها قوتاً للروح ، فإذا
تكاثرت عليه صاح السيل العالم ينفخ في صور فيه بعبارة التخويف فيموت
هوى المعاصي ، ثم ينفخ في صور التشويق فيحيي روح المعرفة فيخرج
التائب من قبر غفلته في كفن يقظته وقد بدلت الأرض غير الأرض فيفتح
له رضوان الرضا باب جنة الوصل .

لا تظنوا العالم شخصاً واحداً، العالم عالم تصانيف العالم أولاده
المخلدون دون أولاده ، من خلق للعلم شف جوهره من الصغر فتراه
ينفق في الجد بضاعة الشبية ويسابق سائق العجز ، يصل الكدود ليله
بنهاره ، كدود القز في زمان الشدة فإذا امتلاً وعاء قلبه
بما وعى نسج الفهم في زوايا الذهن من المعاني المستنبطة نسج القز فإذا
رأى عرياناً من العلم فأراد كسوته بعث الفكر فسل من لطائف اللطف
طاقات ثم أرسلها إلى صانع القوة فبالغ في تحسينها وتأنق في تلوينها ثم
ينسجها اللسان على منوال البلاغة فتظهر رقوم نقوشها عن شذود عقدتها
الظن الباطنة فإذا الثوب نسيج وحده ومثل تلك المطارف الطرائف لا
تبتذل إلا في عيد مجلس الذكر، ليس كل من ربي دود القز سلالا ولا
كل قزاز سقلا طونيا .

(١) سورة سبأ ، الآية ١١ .

آه ، من اشتراك الأسماء وتلقيب القصدير بالبيع ، ليس كل معدن
عرق الذهب ، ولا في بطن كل غزال مسك ، ليس من عام في قرار
البحر حتى وقع بالدر اليتيم كمن قعد على الساحل يجمع الصدف ، أمراء
العبارات رعية لفصاحتي ، ويك إنه كيل بلا ثمن سقى فصاحتي سيح
فقد تضاعفت علي زكاة الشكر ، سافر لفظي بيضائع فكري من أرض
قليبي إلى بادية فمي فسلم سلع النطق إلى منادى لساني هيهات فواكه
الأنفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة ليس لها ثمن * فهو يعرضها في
موسم النصح على تجار الإرادة ، فمن منكم يشترى حكمة بقبول ؟
قد يرى علو مكاني وينسى الدرج كم قد خضتُ بحراً ملحاً ؟ حتى
وقعت بعذب ، كم قطعت مهمها وحدي ؟ حتى سميت بالدليل أنضيت
مركب الجسم ورفضت شهوات الحس وواصلت الليل بالنهار في الجد
ولو قدت في دجى الهوى نار الصبر فإن وثقت بأمانتي فهذا تخيير الشراء :

شربت لأغلالي ، رحيقاً بسلسال	من الشاهق العالي على غير تصريح
فأصبحت نشوانا من الشرب سكرانا	وأطرب أحياناً بلا نغمة العود
وكم جبت من واد وسرت بلا حاد	وبت بلا زاد سوى ذكر معبودي

الفصل الخامس والقسعون

كم تنذر الدنيا وما تسمع ! وكم تؤنس محبها من وصلها ويطمع !
فالعجب من فطن غره سراب يلمع .

يأتي على الناس اصباح وامساء وكلنا لصروف الدهر نساء
خسست يا دار دنيانا وربتما يرضى الحسيمة أوباش أخساء
إذا تعطفت يوماً كنت قاسية وإن نظرت بعين فهي شوساء
وقد نطقت بأصناف العظاات لنا وأنت فيما يراك الناس خرساء
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت لهم عزة في الملك قعساء
نالوا يسيراً من اللذات وارتحلوا برغمهم فإذا النعماء بأساء

الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر فإن صفا عيش لحظة ندر ، ثم
عاد التخليط فيذر الورود فيها كالصدر ودم قتيها هدر .

المرء من دنياه في كلف ومآله فيها إلى التلف
ولكل شيء فائت خلف وحياتنا فوت بلا خلف

يا لاحقاً بآبائه وأمهاته لا بد أن يصير الطلا إلى مهاته ، يا من جل
همته شغل خياطه وطهاته يغلبه الهوى وهو غالب دهاته ، إن كان لك
عذر في تفريطك ، فهاته .

أخواني : مر الزمان وعظ الألباب ويكفي في الانذار موت
الأصحاب ، كم ترى في التراب من أتراب ؟ أغمدت تلك السيوف
في شر قراب تناولتهم يد البلى من كف استلاب ، ويحك ضياء الدنيا
ضباب ، وشراب الهوى سراب ، أترضى أن يقال قد خاب ؟ أما لهذا
عندك جواب ؟ كلما دخلنا من باب خرجت من باب .

(للشريف الرضى) :

أذكر تصاب والمشيبي نقاب وغير الغواني للمشيبي صحاب
أومل ما لا يبلغ العمر بعضه كان الذي بعد المشيبي شباب
وطعم لبازي الموت لا شك مهجتي اسف على رأسي فطار غراب
وانقل محمول على العين ماؤها إذا بان أحباب وعز إياب

لله در أقوام علموا قرب الرحيل فهبثوا آلة السفر وهونوا بالدنيا
فقتنوا منها مما حضر واستوثقوا بقفل التقوى من أذى النطق والنظر ؟
ما لك خبر بحالهم ولا عندك منهم خبر ، قاموا في الجدد وقعدت وسهروا
في الدجى ورقدت طالما نصبوا في خدمة المالك ، وناقشوا أنفسهم مناقشة
مماحك ، وآثروا بالزاد فزادوا على البرامك ، واختبروا بالبلى كالتبر عن
السابك ، هذه طريقهم فأين السالك ؟ أترضى بالتأخر عنهم ؟ هذا برائك
كأنك بهم وقد دخلت على الملاء الملائك ، كل يا من لم يأكل هذا
بذلك لما أريدوا أفيدوا لما شكروا المنعم زيدوا ولو فترواعن العبد قيدوا .
نام العلاء بن زياد ليلة عن ورده فجذب في نومه بناصيته وقيل له قسم
إلى صلاتك فما زالت الأخبار قائمة في حياته (نحنُ جعلناها
تذكيرة) (١) .

قال أبو سليمان : غلبتني عيني ، فإذا أنا بالخوراء قد ركضتني
برجلها وهي تقول : أترقد عيناك ؟ والملك يقظان ؟ قال : ونمت ليلة
أخرى وإذا بها توقظني وتقول : أتنام ؟ وأنا أرتي لك في الحدور منذ
خمسمائة عام .

(للنايفة الذبياني) : (٢)

أقول والنجم قد مالت أواخره إلى المغيب تبين نظرة حار
السمحة من سنا برق رأى بصري أموجه نعم بدالي أم سنا نار
أنبت نعمة على الهجران عاتية سقياً ورعياً لذلك العاتب الزاري

(٢) أنظر ديوان النايفة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١) سورة الواقعة ، الآية ٧٣ .

قلوب القوم في الدجى قلقة وافئدتهم من الخوف محترقة والنفوس
من هجر الحبيب فرقة وجفونهم من البكاء غرقة ، وعروق المحبة في
سويدائهم علقه وشفاههم بكأس المناجاة مصطحبة مغتبكة والآمال إليه
كل وقت منطلقة وما عادت قط إلا وهي بالرجاء عبة .

قل للمقيمين على وادي الحمى عني إذا أتيتهم مسلما
قد صار طيب العيش مذ فارقتكم على من بعدكم محرما
وكل شهد ذقته في وصلكم قد عاد من بعد الفراق علقما
لا عيش لي إن غبتم عن ناظري وإن حضرتم ربما وربما
إن سألوكم عن سقام قد رثي لي فيه أهل الأرض مع أهل السما
فقل لهم ما يشتكي من سقم لأنه يذكر فيه المسقما

واحسرة من مضوا وخلفوه ، لقد استبدل بالعسل الخل فوه ، آه على
عيش ولي ولا عودة وعلى حاد سرى ولا وقفة تالله لو ضارت العين
عيناً ما وف .

(للمهيار) : (١)

يا لنسيم سحرٍ « بحاجز » ردت به عهد الصبا ريح الصبا
سل من يدلّ الناشدين « بالغضا » على الطريق ويرد السلبا
أراجع لي والني هلهلة وطالع نجم زمان غربا
إذا اطمانت أضلعي تذكرت نواك فاهتزت جوى لا طربا

تالله ما تعشق الأماكن لذاتها ، بل لسابق لذاتها « لك يا منازل في
القلوب منازل » للمعاهد عهد عند المعاهدة كلما تذكره الصب صب
الدموع .

(للمتني) : (٢)

(١) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي المنصور الحسن بن علي بن المزرع ، أنظر ديوان شعر .

١٢٠/١ - ١٢٥ .

(٢) من قصيدة قالها عام ٣٤٢ ، الديوان ٣٤٧ - ٣٥٢ .

وما شَرَّقِي بالماء إلا تذكِّرا لاء به أهل الحبيب نزول
وما عشتُ من بعد الأحبة سلوةً ولكني للنائبات حمول
أما في النجوم السائرات وغيرها لعيني على ضوء الصباح دليل

أعرف الناس بالطريق من قد سلك إذا ذكرت منازل مكة حن
الحاج .

(للمهيار) : (١)

وإذا هب صباً أرضكم حملتُ ثربَ الغضى باناً ورندا
رُدَّ لي يوماً على « وادي مني »^(٢) إن قضى الله لأمر فات ردا
عجباً لي كيف أبقي بعدهم غير أن قد خلق الإنسان جلدًا

(١) من قصيدة كتبها الوزير أبي المعالي هنته بالتيروز، أنظر ديوان شعره ١/ ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٢) في الديوان « كاظمة » .

الفصل السادس والتسعون

يا من قد ملكته نفسه وغلبه حسه وقد دنا حبسه وستكف خمسه ولقد
أنذره جنسه ، عاتب نفسك لعلها ترعوي وسلمها إلى راض العلم عساها
تستوي أحضر دستور المحاسبة وحاسبها وانديها إلى الخير فإن أبت فاندبها.

(للمصنف)

يا وبيع نفس رضى بالسقم	وفرطت في عمر منصرم
تستر باللهو وتنس حفتها	وتؤثر البعد على التقدم
وكلما أصبحت أبكي فعلها	أضحت عناداً لي في تبسم
تفرح بالفاني فما تطلب ما	يبقى لها فمن يكون حكيم
أقول يا نفس اتقي من لم يزل	معروفه فوق وكف الديم
كم من ذنوب لك قدسترها	وعاد بالفضل وبالتكرم
وكم له من نعمة جاد بها	وكم وكم أولاك طيب أنعم
كم واعظ في كل يوم زاجر	وكم نذير زائر مسلم
وكم يناديك لسان عبرة	وأنت عن قول الهدى في صمم
أين الذين شيدوا واحترسوا	وأين من كان كثير النعم
مضى الجميع هل ترى من أثر	لهم وصاروا في بيوت الظلم
تبدلوا بالترب تربا كلهم	في قعر لحد ضيق منهدم
تفصلت عظامهم وحصلت	أعمالهم وأصبحوا كالعدم
وباشروا التراب بعد تعرف	وشرف وحجب وخدم
وسرر ودرى وطرف	وتحف ووصولة وكرم
ولذة في شهوة لذيدة	وعزة في عزمة وهمم
لو قيل قولوا ما مناكم طلبوا	حياة يوم ليتوبوا فاعلم

ويحك يا نفسُ ألا تيقظ
مضى الزمان في توان وهوى
لانتظري الموت سيأتي بغتة
وحرق وفرق وحسرة
وترحلين عن ديار الفة
من لي إذا نزلت لحداً مظلماً
من لي إذا قرأت ما أملتسه
من لي إذا أزعج قلبي حسرة
كيف الخلاص والكتاب قد حوى
يا نفس فاز الصالحون بالتقى
يا حسنهم والليلُ قد جنهم
ترنموا بالذكر في ليلهم
قلوبهم للذكر قد تفرغت
أسحارهم بهم لم قد أشرقت
سار وأوعدت عن طريق واضح
دعني أبكي ما حييت أبداً

ينفع قبل أن نزل قدمي
فاستدركي ما قد بقي واغتني
وأنت بين أسف وندم
وفيض دمع العين في تسجم
فانتبهي من رقعات النوم
هذا وكم من نازل لم يسلم
أصبح مسطور جرى بالقلم
وهل ترى يشفى بفوزي ألمي
كلّ فعالي وجميع كلمي
فأبصروا الرشد وقلبي قد عمي
ونورهم يفوق نور الأنجم
فعيشهم قد طاب بالترنم
دموعهم كلؤلؤ منتظم
وخلع الغفران خير القسم
دل على الرشد دليل العلم
فحق لي أبكي فلا لا تلم

يا عجباً لك تسمى باسم تاجر، وتخاصم على الدرهم وتشاجر،
وتصابر لربح القيراط الهواجر ^(١) وتغضب لأجل الجبة وتهاجر وترضى
في أفعالك باسم فاجر أما لك من عقلك ناه ولا زاجر ؟ يا من نومه كثير
وانتباهه نادر إن دعيت إلى التوبة سوفتها وإن قمت إلى الصلوة سفتها
وإن لاح وجه الدنيا ترشفتها، أما هي دار بلعة لضيئها ، تضيفتها أوليس
قد شبت وما عرفتها كم بادية في أرباح غير بادية تعسفتها؟ لقد استشعرت
محبتها أي والله والتحفتها ، تالله لو علمت جناياتها لعفتها، أنسيت تلك
الذنوب التي أسلفتها ؟ آه لبضائع عمر بذرت فيها وأتافتها، كم تعدد
بالإنابة ؟ وكل الوعود أخلفتها فما تلين قناتك لغامز ولا ترى ما تشتهي
فتجاوز ويحك ، بين يديك أهوال وهزاهز كم تقوم ولا تستوي ؟ من

(١) - الهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس ، أي وقت اشتداد الحر .

يغير الغرائز إبك لما بك واندب في شيبك على شبابك وتأهب لسيف
المنون فقد علق الشبابك .

قد كان عمرك ميلا فأصبح الليل شبرا
وأصبح الشبر عقدا فاحفر لنفسك قبرا

عجباً للطرف كيف اغتمض ؟ ولمكلف ما أدى المفترض ، يا من
كلما بنى على أن يلوذ بنا نقض ، يا من إذا أدى حقاً ، فعلى مضض ،
يا من إذا لاح له صيد الفاني جد ور كض ، يا من إذا قدر على جيفة
الهوى جثم وربض ، يا مشغولاً عن الجوهر بفاني العرض إثار ما
يفنى على ما يبقى أشد المرض :

ألا يا غافلاً تحصى عليه من العمل الصغيرة والكبيرة
يُصاحُ به ويُنذر كل يوم وقد أنسته غفلته مصيره
تأهب للرحيل فقد تدانى وأندرك الرحيل أخ وجيره
وكم ذنب أتيت على بصيره وعينك بالذي تأتي قريره
تحاذر أن تراك هناك عين وإن عليك للعين البصيره
وكم من مدخل لومست فيه لكنت به زكالا في العشيره
وقيت السوء والمكروه منه ورحت بنعمة فيه ستيره

هذا حادي الممات قد أسرع ، هذه سيوف الملمات تلمع ، هذه
قصور الأقران بلقع ، إن وصلت الدنيا فعلى نية أن تقطع ، وإن بذلت
فعلى عزم أن تمنع ، أفيتها حيلة أم في وصلها مطمع ؟ يا معرقاً في البلى قل
لي لمن تجمع ؟ إذا خلوت وتخلت فكيف تصنع ؟ أترى أنت عندنا ؟ أو
ما تسمع ؟ يا محبوساً في سجن هواه متى تتخلص ؟ لو عرفتنا ألفتنا لنا
أحياب لهم ألباب هم الباب شغلهم على الدوام المحراب حاضرون معكم
بالأبدان وبالقلوب غياب :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فإنه شغلي
وأديم نحو محادثي نظري إني قد فهمت وعندكم عقلي

ما نال الصالحون ما نالوا إلا بترك ما نطلبه وما نالوا ، كانت همهم
 في طلب الفضائل تغلي في القلوب غليان ما في القدر ، تخايل القوم لذة
 الثواب فسهلت عليهم مرارات الصبر وتصوروا خلود الأبدان فهان
 عليهم بذل النفوس ، جدوا في الجهد فما سكنوا حتى سكنوا الجنة ،
 وراحة المؤمن في الدنيا صفر من راحة ، فلو رأيتهم في الجنان يسرحون
 منطلقين في أغراضهم يمرحون لا يدرون بأي مطلوب يفرحون ،
 أبالنجاه من النيران ؟ أم بالخلود في الجنان ؟ أم بالخيرات الحسان ؟ أم
 برضى المليك الديان ؟ لقد نالوا بالمراد ، ما لم يكن في الحسبان ، من
 تلمح جولان مضمّر الصبر في لذيق العافية * وفرحة المفطر بعد انصاب
 الصوم وتناول العذب بعد عذاب الظما ، وسلامة الغريق بعد الإغراق
 في أذى الأذى ، وخلاص التجر من مصر ماصر المكس وتلاقي الأحباب
 على باب الطول بعد طول الفراق رأى من قوة قرّة العين ما لا يدخل تحت
 قياس بعد أن حديق ياس ، وقد وصفنا ما حصل للقوم وجملة المبذول من
 الثمن (بما صَبَرْتُمْ)^(١) .

قف بالمحصب واسئل أيها الرجل تلك الرسوم عن الأحباب ما فعلوا
 فما اسائل عن آثارهم أحدا إلا أجاب غراب البين قد رحلوا

الفصل السابع والتسعون

من ركب الهوى هوى به والنفس إذا استعملت التقوى تقوى به •
إن كنت يا صاح لبياً حازماً فكن لأسباب الهوى مُراغماً
لا تهو دنياك فإن جبهها رأس الخطايا تكسب المآتما
غرارة فكل من حلت له لا بد أن تذيقه العلاقما
ولنما تخدم من أهاتها كما تهين من أتاها خادما
فكن بها مثل غريب مصلح أزواده على الرحيل عازما
وبادر الأيام قبل فوتها مخاصماً للنفس أو مسالما
فإنما عمر الفتى سوق له يروح عنها خاسراً أو غانماً

يا من يخطي على نفسه ويقترف متى تندم وتعترف ؟ يا من بحسب
العاجل قد كلف ستعلم غداً جفن من يكف ، يا محبوساً في سجن الهوى
لو ارعوى أنف ، يا متردداً في التوبة سارع ولا تقف إلى متى أعمالك
كلها قباح ؟ إلى كم فساد ؟ متى يكون الصلاح ؟ ستفارق هذه الأجساد
الأرواح أما في غدو وإمسا في رواح ، سيفنى هذا المساء والصباح
وسيفنى البلى بالوجوه الصباح أفي هذا شك ؟ والأمر صراح ، أين شارب
الراح ؟ راح إلى قبر تسفي عليه الرياح ، خلى للبلبل والدود مباح لهما
اغتناب به ثم اصطباح ، عليه نطاق من التراب ووشاح عنوانه لا يزال مفهومه
لا براح ، مشغول عمن بكى عليه وناح ، أما هذا لنا عن قليل ؟ إنا لوقاح
كأنك بملك الموت قد صوت بالروح وراح فتأهب للثقلة على غفلة :

لم لادر بالبين حتى أزمعوا ظعنأ كل الجمال قبيل الصبح مزوم

هَذَا حَادِي الرَحِيلِ قَدْ اسْتَعْجَلَكُمْ فَالْبِدَارُ الْبِدَارُ خَلَوْا كَسَلَكُمْ وَدَعُوا
التَّوَانِي فَالتَّوَانِي قَدْ قَتَلَكُمْ، وَأَأسْفِي سَبَقَ الصَّالِحُونَ فَمَاذَا شَغَلَكُمْ (فَسْتَدْكُرُونَ
مَا أَقُولُ لَكُمْ) :

مَا عَلَى حَادِي الْمَطَايَا لَوْ تَرَفَّقَ رِيثَمَا أُسْكَبَ دَمْعِي ثُمَّ أَعْنَقَ
يَا فَوَادًا كَلِمًا قَلْتَ خَبِثَ نَارُهُ أَهْلَبُهُ الْوَجْدَ فَأَحْرَقَ
ذَلِكَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِهِ سَائِقُ الدَّهْرِ فَوَلَّى أَيْنَ يُلْحَقُ
زَالٌ إِلَّا خَطَرَةٌ مِنْ ذَكَرِهِ كَادَ إِنْسَانِي لَهَا بِالْدمْعِ يَشْرُقُ
يَلْذَعُ الْقَلْبَ إِذَا غَنَى عَلَى فَنٍّ أَوْ نَاحٍ قَمَرِي مَطُوقٌ

يَا مَعْدُودًا مَعَ الشَّيْبِ فِي الصَّبِيَّانِ يَا مَحْبُوسًا مَعَ الْبَصَرَاءِ فِي الْعَمِيَّانِ ،
يَا وَاقِفًا فِي الْمَاءِ وَهُوَ ظِمَانٌ ، يَا عَارِفًا بِالطَّرِيقِ وَهُوَ حَيْرَانٌ ، أَمَا وَعِظْتَ
بَلَّيَ الْقُرْآنَ ؟ أَمَا زُجِرْتَ بِنَايِ الْأَقْرَانِ ؟ أَمَا تَعْتَبِرُ بِصُرُوفِ الزَّمَانِ ؟
أَتَعْمُرُ الْمَنْزَلَ وَعَلَى الرَّحِيلِ السَّكَّانِ ؟ أَمَا يَكْفِي وَعِظُ ؟
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهِمَا فَانٌ) ^(١) تَسَافِرُ بِيضَائِعِ الْأَمَانَةِ وَمَا تَنْزِلُ
إِلَّا فِي خَانٍ مِنْ خَانٍ ، أَفَعَالِكَ كُلُّهَا مَكْتُوبَةٌ فَيَا لَيْتَ مَا كَانَ مَا كَانَ ، تَدْفِنُ
الْمَيْتَ وَلَا وَعِظَ كَالْعِيَّانِ ، ثُمَّ تَعُودُ غَافِلًا يَا قَرِيبَ ذَا النِّسْيَانِ ، وَيَحْكُ
أَمَا تَدْرِي أَنَّ الْهُوَى هَوَانٌ (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) ^(٢)

نَرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَنَسْكُنُ حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتُ
كَرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٌ لظُهُورِ ذُنُوبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِعَاتُ

يَا مُسْتَأْنَسًا بِظِلِّ مُتَقَلِّصٍ يَا حَرِيصًا عَلَى الْهُوَى وَالْمَوْتِ عَلَيْهِ يَحْرُصُ ،
يَا مَنْ إِذَا كَالِ فَمُطْفَفٍ وَإِنْ وَزَنَ فَمُتَلَصِّصٍ ، مَا تَتَخَلَّصُ مِنْ مُعَامِلٍ
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مُتَخَلِّصٌ ، تَفَكَّرَ فِيمَنْ أَصْبَحَ مُسْرُورًا فَأَمْسَى وَهُوَ مُتَنَغِّصٌ ،
وَمَتَى أَزْدَدْتَ لَذَّةً فَادْكُرْ قَبْلَهَا الْمُنْغَصَّ ، حَاسِبٌ نَفْسَكَ وَخَذَ عَلَى يَدَيْهَا ،
لَا تَرُخِّصُ حَائِطَ الْبَاطِنِ خَرَابٍ فَلَمَّاذَا تَجْبِصُّ ؟ .

(٢) سُورَةُ يَسَ ، آيَةُ ٦٠ .

(١) سُورَةُ الرَّحْمَنِ ، آيَةُ ٢٦ .

يا بن آدم أنت بين ذنب لا تدري أغفر؟ وحسنه لا تدري
أقبلت؟ فأين الإنزعاج؟ لما سرت عن الصالحين العواقب إستراحوا إلى
الأحزان وفزعوا إلى البكاء، كانوا يتزاورون فلا تجري في خلوة الزيارة
إلا دموع الحذر * كان أشعث الحرافي يزور حبيب العجمي فيبكيان
طول النهار .

باحث بسري في الهوى أدمعي ودلت الواشي على موضعي
يا قوم إن كنتم على مذهبي في الوجد والحزن فتوحوا معي
يحق لي أبكي على زلي فلا تلوموني على أدمعي

أخواني : أتدرون ما أقبل هذا التائب؟ أعلمتم ما أقدم هذا الغائب؟ .
سرى نسيم الصبا من حاجر فصبا فبات يشكو إلى أنفاسه الوصبا
ما يبرح البارق والتجدي يذكره نجداً ويلهبه وجداً إذا التها
يحق لمن رأى الراحلين إلى الحبيب وهو قاعد أن يبكي ولمن سمع
بأخبار الواصلين وهو متباعد أن يقلق .

أبصر الركب على الجزع ضحى فتوالى دمعه منسفا
يا خليلي بجرعاء الحمى سائلاً من حل ذاك الابطح
وخذا غني أحاديث الغضا بخل الراوي بها أو سمحا
واستملاها بدمعي واكتبا عن أخي الشوق إذا ما شرحا
وإذا هب الصبا قولاً له عد فقد هيجت قلباً ما صحا
يا أهل الحسي من كاظمة عاد مستور الهوى مفتضحا

إذا رأيتم قلقاً فارحموه وإذا شاهدتم باكياً فوافقوه وإذا عاينستم
واجداً فاتركوه .

خلني من العذل ما الفؤاد من قلبي
لا تسل فني كبدي شعلة من الشعل

يا أطفال الهوى أين أنتم والرجال؟ :

كم من حث وما أرى غير بطا لو حركت العزم نحونا فضل خطا
تعصى قصداً وتدعيه غلطاً تصمي عمداً وتزعم القتل خطا

يا هذا إذا هممت بخير فبادر لثلا تغلب، وإذا هممت بشر فسوف
هواك لعلك تغلب ، ثقف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك فإن سياسة
الأخلاق مراقبي المعالي .

قال بزرجمهر : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى من الكلب
والهر والغراب : قيل ما أخذت من الكلب ؟ قال : ذبه عن حريمه وإلفه
لأهله قيل : فما أخذت من الهر ؟ قال : رفقاها عند المسئلة ولين صياحها ،
قيل : ومن الغراب ؟ قال : شدة حذره .

لولا سخط نفس أبي بكر عليه لمفارقة هواها ما نال مرتبة
« أنا عنك راض » لولا عرى أويس ما لبس حلة « يشفع مثل ربعة
ومضر » يا كثير الذنوب متى تقضي ؟ يا مقيماً وهو في المعنى يمضي ،
أترك الهوى محموداً قبل أن يتركك مذموماً، إن فانتك قصبات السبق في
الزهد فلا تفوتك ساعات الندم في التوبة ، يا من كلما حرك إلى الجحد
الجحد سوف ، يا من شدد عليه الوعيد وما تخوف ، يا مريض الهوى بل
يا مدنف إن كنت لا تعرف الدواء فالطبيب قد عرف، هذا ممكن النصائح
ثم أنت بنفسك أعرف .

الفصل الثامن والتسعون

أخواني : من عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ولم يلتفت إليه، ومن تفكر في رحيل من كان لديه صار النهوض للترود متعيناً عليه .

رحل الأجرة عن ديارهم أهون بما أخذوا وما تركوا
وعلمتُ أين مضى الخليط فما أنا بالمبالي أية سلكوا
ونفوسنا كحماهم وقفت للصائدين ودونها الشبك
متضربات في حبالها وهي جناح ضمه الشرك
أن الملوك إذا هم احتضروا ودوا هنالك أنهم نسكوا

كم فرح بشهر وإهلاله متهلل لرؤية هلاله إختطفه الموت في خلاله ،
كم مائل إلى جمع ماله تركه تركة ومسر بائقاه ، هل رحم الموت
مريضاً لضعف أوصاله ؟ هل ترك كاسباً لأجل أطفاله ؟ هل أمهل ذا
عيال من جرا عياله ؟ كم راع قصراً ؟ وما راعى عن إبطاله كم أشرف
على شريف فلم ينظر في خلاله ؟ كم خرق درعاً نبيلاً بوقع نباله ؟ كم
أبتم طفلاً صغيراً ولم يباليه ؟ كم شد نفساً في سعة نعاماه وشماله ؟ كم
بعث عليلاً إلى البلى ؟ بعد التراقي إلى إبلاله فرقى روحه إلى التراقي
ولم ينظر في حاله .

أليس إلى الآجال نهوى وخلفنا من الموت حاد لا يغيب عجول
دع الفكر في حب البقاء وطوله فهمك لا العمر القصير يطول
ومن نظر الدنيا بعين حقيقة تيقن أن العيش سوف يزول
وما هذه الأيام إلا فسوارس تطاردنا والنائبات خيول

بينما محب الدنيا في اختيال ومرح، وكلما جاء باباً من أبوابها فتح ،
وكلما عانى أمراً من أمرها صلح ، فبينما هو في لذاته يدير القدرح، قدح
زناد العمر في حراق القدرح فمن يستدرك ما فات ؟ ومن يداوي ما
جرح ؟ .

بينما المرء غافل إذا أتاه من يد الموت سالب لا يصد
فتأهب لماله كل نفس عرضة الأسر إنما الأمر جد

إلى كم تعصي وتتمرّد ؟ وأقبح من قبحك أنك تتعمد، يا ردي العزم
يا سيء المقصد يا نقي الثوب والقلب أسود، ما هذا الأمل ولست بمخلد ؟
يا مستوراً على القبيح أم تجحد أما الطريق طويلة ؟ فمتى تتزود ؟ تخلص
من أسر الهوى فإنك مقيد أتشتري لذة ساعة بعذاب سرمد ؟

سييلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للإنسان من حمل عدة ولا سيما إن خيف صولة قاهر

يا مدمن الذنوب منذ كان غلاماً علام عولت قل لي علاماً ؟
أتأمن مأني من أتي حراماً ؟ قد ترى ما حل بهم ، إليك قد ترامى أين
المجتمعون على خمورهم والندامى ؟ كل القوم في قبورهم ندامى ، أما
ما جرى على العصاة يكفي أماما ؟ لقد ضيعنا حديثاً طويلاً وكلاماً ما
أرى ذلك إلا داء عقاما :

يا ليت شعري ما أدخرت	ليوم بؤسك	وافتنقارك
فلتترلن بمنزل	تحتاج فيه إلى	إدخارك
أفنيّت عمرك باغترارك	ومناك فيه	بانتظارك
ونسيت ما لا بد منه	وكان أولى	بادكـارك
ولو اعتبرت بما ترى	لكفـاك علماً	باعـتبارك
لك ساعة تأتيك من	ساعات ليلك أو	نهارك
فتصير محضراً بها	فتهي من قبل	احتضارك
من قبل أن تقلي وتقصي	ثم تخرج من	ديارك
من قبل أن يتأقل	الزوار عنك	وعن مزارك

متى تفيق من هذا المرض المراض ؟ متى تستدرك هذه الأوقات الطوال العراض ؟ يا عرض المنون كيف تبقي الأعراض ؟ أما الأعمار في كل يوم في انقراض ؟ لقد نبت قبل شكة السهم صكة المعراض ، أما ترى الراجلين ماضياً خلف ماض ؟ كم بنيان ماتم حتى تم ماتم ؟ وهذا قد استفاض ، إن الموت إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاض ، إن لم تقدر على مشاريع الصالحين فرد باقي الحياض ، إن لم يكن لك ابن لبون فلتكن بنت مخاض ، إلى متى ؟ وحتى متى ؟ أتعبت الرواض ، كلما بنينا نقضت ولا بناء مع نقاض ، يا من قد باع نفسه بلذة ساعة بيعاً عن تراض ، لبئس ما لبست أتدري ما تعترض ؟ يا علة لا كالعلل ويسا مرضاً لا كالأمرض ٢

لقد أخبرتك الحادثات نزولها ونادتك إلا أن سمعك ذو وقر تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا ونفسك لا تبكي وأنت على الإثر

يا مخالفأ من نهاء وأمره ، يا مضيعأ في البطالة عمره ، الزمان صولجان والعمر كرة الدنيا بحر ، والساحل المقبرة إحذر نوائها فإن مشاربها كدرة ، على أنها مزرعة يحصد كل ما بذره فلا تحتقر معصية فربما أحرقت شررة ، أما عرفت سر (ولا تقرباً هذه الشجرة)^(١) ، لو اقتنع اكتفى ولكن المحنة الشرة .

أخواني : كل مقاتل ليس معه سلاح عزم مغلوب ، إذا برز شجاع اليقظة بسلاح الجدد هشم وجه الأمل وهزم جيوش الزلل ، إذا استشعرت النفس زرمانقة الزهد ودخلت مترهبة دير العزوف وجدت أنيس (أنا جليس من ذكرني) الخلوة شرك لصيد الموانسة فأخفى الصيادين شخصاً ، وأقلهم حركة أكثرهم التقاطاً للصيد ما صادهر صاح ، وحل المخالطة يلزم المتهذب المتهذب رفع أذبال قميص الدين .

قيل للحسن ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوها ؟ قال لأنهم : خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره :

(١) سورة الاحراف ، الآية ١٩ .

أبدا نفوس الطالين	إلى طولكم نحن
وكذا القلوب بذكركم	بعد المخافة تطمئن
جنت بحبكم ومن	يهوى يحن ولا يحن
بحياتكم يا سادتي	جودوا بوصلكم ومنوا

رحم الله أعظما طالما نصبت وانتصبت ، جن عليها الليل فلما
تمكن وثبت ، وثبت إن ذكرت عدله رهبت وهربت ، وإن تصورت فضله
فرحت وطربت ، عرفت أذنبت عن خدمته إنها قد أذنبت ، هبت على
قلوبهم عقيم الحذر فاقشعرت وندبت ، فبكت عليها سحب الرجاء
فاهتزت وريت ، حسبك إن قوماً موتى تحيى بذكرهم النفوس وإن
قوماً أحياء تقسو برؤيتهم القلوب ، سلام الله على تلك القبور ورضوان الله
حشو تلك اللحود :

طلول إذا دمعى شكى البين بينها شكى غير ذي نطق إلى غير ذي فهم

أماكن تعبدهم باكية ومواطن خلواتهم لفقدهم شاكية ، زال التعب
وبقي الأجر وذهب ليل النصب وطلع الفجر ، جاء في الحديث : تحت
شجرة طوبى مستراح العابدين ، إنما يطيب مكان الإستراحة بإجراء
حديث التعب وإنما يلذ الظل البارد لمن تأذى بحر الهجير .

أخواني : مثلوا الإستراحة تحت شجرة طوبى يهون عليكم السفر
لأدبوا في السير . فقد لاح العلم :

لما وردنا القادسية	حيث مجتمع الرفاق
وشمت من أرض الحجاز	نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولن أحب	يجمع شمل واتفاق
وضحكت من طيب الوصال	كما بكيت من الفراق
ما يتنا إلا تصرم	هذه السبع البواقى
حتى يطول حديثنا	بصنوف ما كنا نلاقي

الفصل التاسع والتسعون

يا هذا : هون بأمر الدنيا نهن ، وقدّر أنها قط لم تكن ، واحفظ
دينك من مكرها وصن ، فمتى وفّت ومتى لم تخن ؟
(للمتنبي) :

لا تلق دهرَكَ إلا غير مكرث	ما دام يصحبُ فيه روحك البدنُ
فما يديم سروراً ما سرت به	ولا يردّ عليك الفائقُ الحزنُ
فما أضّر بأهل العشق أنهم	هووا وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم	في أثرِ كل قبيح وجهه حسنُ
تحملوا حملتكم كل ناحية	فكل بين على اليوم مؤتمنُ
ما في هوداجكم من مهجتي عوض	إن متّ شوقاً ولا فيها لها ثمنُ
سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لكم	ثم استمر مريري وارعى الوسنُ

إنما الدنيا حلم نائم، وقائلة راقدة، وَمَعْبَرٌ مُعْتَبِرٌ وضحكة مستعبر،
تالله ما أعجب بما لها من نظر في ما لها ، ولا بني قصورها من عرف
غرورها ، ولا مد باع الأمل فباع وشرى بها من تذكر مر شرابها ،
لأنها إذا طغت على الطعام تطنى وإذا بغى نكاحها على العفاف تبغى ،
وكأنها تقصد هلاك محبتها وتبغى ، وكم عذلت في فتكها بالفتى الفتى ؟
وتلغى ، أما دردرها فغرت ؟ فلما فرغت فغرت فاهما
فرغت للظعن ، أما سحبت قرون قارون مع أقرانه إلى القوار في
قرن ، أما كفكفت بكفها كف مكفوف حبها فأرتك فن ما يكون
فيك في كفن ، تالله لقد لقي الغبي غب غباوته فلما انجلي غيهب عيبته
رأى الغبن والغبن .

يا أرباب اللطم الشماط الموت بكم قد أحاط هذا العدو منازل فالزموا
الرباط ، ما هذه الفتور ؟ ومهر الحور الجذ والنشاط ، إياكم والزلل
فكم من دم أشاط ؟ أما سمعتم منادي (وتلك القرى أهلكناهم) (١)
أما ينذركم أعلام (وكذلك آخذ ربك) (٢) أما يفصم عزائمكم
(وكم قصصنا من قرية) (٣) أما يقصر من قصوركم (وبئر معطلة
وقصر مشيد) (٤) أما سمعتم هاتف العبر ينادي (فكلاً آخذنا
بذنبه) (٥) إذا رأيتم المبارزين بالخطأ قد اتسع لهم مجال الإمهال فلا
تستعجل لهم (إنما نملي لهم) (٦) بينا القوم على غرور سرورهم
(آخذناهم بغتة) (٧) يا سالكي سبيلهم إنخرفوا عن هذه الجادة .

يا هذا: ظلمك لنفسك غاية في القبيح ، إلا أن ظلمك لغيرك
أقبح ، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذه ، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه ،
لا تشابهن الحية فإنها تأتي إلى الموضع الذي قد حفره غيرها فتسكنه ، ولا
تتمثلن بالعقاب فإنه يتكاسل عن طلب الرزق ويصعد على مرقب عال .
فأي طير صاد صيداً اتبعه ، فلا تكون له همة إلا إلقاء صيده والنجاة
بنفسه، في الحيوانات أخيار وأشرار كبنى آدم فالتقط خير الحلال .
وخل خسيسها ، ولا تكن العصافير أحسن منك مروة ، إذا أؤذي أحدها
صاح فاجتمعن لنصرتها ، وإذا وقع فرخها طرن حوله يعلمنه الطيران .

يا هذا: تخلق في إعانة الأخوان بخلق النملة فإنها قد تجد جرادة لا
تطبق حملها فتعود مستغيثة بأخواتها فترى خلفها كالخيط الأسود قد
جئن لإعانتها ، فإذا وصلن بالمحمول إلى بيتها رفهنه عليها، هيئات إن
الطبع الردي لا يليق به الخير ، هذه الخنفساء إذا دفنت في الورد لم
تتحرك فإذا أعيدت إلى الروث رتعت ، وما يكفي الحية أن تشرب
اللبن حتى تمتج سمها فيه وكل إلى طبعه عائد ، إلا أن الرياضة قد

-
- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة الكهف ، الآية ٥٩ . | (٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ . |
| (٢) سورة هود ، الآية ١٠٢ . | (٦) سورة آل عمران ، الآية ١٧٨ . |
| (٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧١ . | (٧) سورة الإنعام ، الآية ٤٤ . |
| (٤) سورة الحج ، الآية ٤٥ . | |

نزول الشر جملة وقد تخفف ، كما أن غسل الأثر إن لم يزل خفف ،
إن دمت على سلوك الجادة رجونا لك الوصول وإن طال السرى .

يا هذا : القيل والجمل يَسْبَحان ولكن القيل مليح السباحة • والجمل
يسبح على جنب فيفتضح عند سباحة القيل ، ثم كلاهما يعبر ، إذا لم
تطق منزلة الحرب فكن من حراس الخيم إذا رأيت الباب مسدوداً في
وجهك فارض بالوقوف خارج الدار مع السؤال إذا لم تظفرك الحروب
فسالم ، أترى يصلح هذا القلب بعد الفساد ؟ أترى يتبدل بالبياض هذا
السواد ؟ كم أقول عسى أصلح ؟ ولعل وكلما استوى قدمي زن ، كم
تتغير الأحوال ؟ وما أتغير كم تصح لي الطريق وأتحول :

لله أمر من الأيام أطلبه هيهات أطلب شيئاً غير مطلوب
وحاجة أنقاضها وتمطلني كأنها حاجة في نفس يعقوب
إلى كم تقول سأتوب ؟ • ألم ينجل اللسان الكذوب :

كلما أملت يوماً صالحاً عرض المقدور لي في أملي
إقطع الدهر بظنٍ حسن واجلي غمرة ما تنجلي
وأرى الأيام لا تدني الذي ارتجى منك وتدني أجلي

إذا كانت كرة القلب بحكم صولحان الثقليل بطلت الخيل . لما
قرب جبريل وميكائيل إهترت الملائكة فخرأ بقرب جنسها من جناب
العزة ، فقطع من بين أغصانها شجرة هاروت وكسر فن ماروت ،
وأخذ من لبها كرة (وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) ^(١) فتزودت الملائكة في
سفر العبودية يزداد الحذر ، وقادت في سبل معروفها بخت التطوع
للمنقطعين (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) ^(٢) نوذي من نادى
الأفضال (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ^(٣) فسارت نجائب
الأعمال إلى باب الجزاء فصيح بالدليل (وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ) ^(٤) فقال
« ما منكم من ينجيهِ عمله » ^(٥) .

(١) سورة ص ، الآية ٧٨ . (٢) سورة الإنعام ، الآية ١٦٠ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ٥ . (٤) سورة الإسراء ، الآية ٧٤ .

(٥) ولغظه « لا يدخل احدكم الجنة بعمله .. » الحديث رواه البخاري ومسلم وابن
ماجه وابن حنبل .

فيا لسان القلق تكلم بعبارة الدمع لعله يقع في سمع القبول، فمراد
المرضى أنين المبتلي . النظر في هذه الأمور قلقل قلوب العارفين ، فكانوا
يكون الدماء، إجمعت اخوان القوم على القلوب فأوقدت نار الحذر ،
فكان الدمع صاحب الخبر فتم ، أقلقهم الخوف والفرق أطافت بقلوبهم
الحرق ، لباسهم ملفقات الحرق طعامهم ما حضر وانفق . يا نورهم إذا
جن الغسق يا حسن دمهم محققاً بالحدق إنقطع السلك . فسالت على نسق ،
فكثبت عذرها في الخلد لا في الورق، ذابت أجسامهم فلم يبق إلا رمق،
فلاحظهم العفو لطفاً بهم ورفق، لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون
بنوح الحمام ويهربون إلى القلوات وغاية لذاتهم الحلوات .

نواح الحمام مسخر للمشتاق لا يريد منه إجرة بينهما أنس ممزوج
بمنافرة :

إن كنت تنوح يا حمام البان للبين فأين شاهد الأحزان
أجفانك للدموع أم أجفاني لا يقبل مدع بلا برهان

الفصل المائة

يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة ، أينفق العمر النفيس في
نيل الهوى الخسيس ؟

جدّ الزمانُ وأنت تلعبُ والعمرُ لا في شيء يذهبُ
كم تقول غداً أتوبُ غداً غداً والموت أقربُ

أما عمرك كل يوم ينتهب ؟ أما المعظم منه قد ذهب ؟ في أي شيء ،
في جمع الذهب ؟ تبخل بالمال والعمر تهب ، يا من إذا خلا تفكر
وحسب ، فأما نزول الموت فما حسب ، لك نوبة لا تشبه النوب بين
يديك كربة لا كالكرب ، تطلب النجاة ولكن لا من باب الطاب ،
تقف في الصلوة إن صلاتك عجب ، الجسم حاضر والقلب في شعب ،
الجسد بالعراق والقلب في حلب ، الفهم أعجمي واللفظ لفظ العرب ،
أنا أعلم بك منك حب الهوى قد غلب ، ومتى أسرّ الهوى قلباً لم يفلح
وكتب .

يا آدمي أتدري ما منيت به أم دون ذهتك سترّ ليس ينجابُ
يوم ويوم ويفنى العمر منظوياً عام جديب وعام فيه اخصاب
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها فأريها أن بلاها عاقل صاب
والخزم ينجي أموراً كلها شرف والخرق ينجي أموراً كلها عاب

كأنكم بالدنيا التي تولت قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت
وذلت ، وبكؤوس الأسى قد انهلت وعلت ، وبمحمول الظاعنين على
الأسف قد استقلت ، متى يقال لهذه الغمرة التي جلت قد تجلت ؟

واعجباً لنفس ما تنته وقد زلت ، كلما عقدنا عقدة تنفعها حلت ،
كم مستيقظ وقد فات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت ، ويصيح
بنصيحه لقد صدقت ، وينادي الكسل أنت الذي عوقت فيجيبه أنت
من سيترك ما أفقت ، كم قدم إلى القبور قادم ؟ كلهم على فراش
الندم نادم .

أطاعوا ذا الخداع وصدقوه وكم نصيح النصيح فكذبوه
ولم يرضوا بما سكنوا مشيداً إلى أن فضضوه وأذهبوه
ألقوا^(١) بالقبيح وتابعوه ولو أمروا به لتجنبوه
نهامهم عن طلاب المال زهد ونادى الحرص ويلكم اطلبوه
فألقاها إلى أسماع غشر إذا عرفوا الطريق تنكبوه
وحل العيش متكت ضعيف ونعم الرأي أن لا تجذبوه
حسبتم يا بني حواء شيئاً فجائكم الذي لم تحسبوه
أدبل الشر منكم فاحذروه ومات لخير فيكم فاندبوه

إلى كم بالهوى تغري وتلهج ؟ أنسيت أنك عن محبوبك ترعج ؟
تفكر في حلة من البلى لك تُنسج ، يا من بضاعته كلها بهرج ، ضيقت
على نفسك . فلا مخرج ، لانتبه سريعاً فانخيول تسرج :

ولم يبق من أيام جمع إلى منى إلى موقف التجمير غير أماني

يا عبيد فلسه يا عدو نفسه تعانق الدنيا بيد الحرص عناق اللام للألف ،
وتترل الدرهم من القلب منزلة البرء من الدنف ، ترش ماء العيش حول
الحانوت وتنظر إلى الدرهم لا فيه ، وتنصب ميزان البخس ومكيال
التطفيف « والغدر ثالثة الأثافي » ويحك أتبحث عن حتفك بظلفك ؟
وتجده بـ سيفك مارن أنفك ، ما أكرم نفسه قط من لم يهنها ، فاحذرها
فكل ما يجري عليك منها ، حاسبها قبل يوم الحساب وزنها ، وخف
شين شينها إن شئت عزها وزنها ، واحفر لها زية العزلة وإن أبت فادفنها ،

(١) رضوا .

واحضرها على الرغم في رغام مسكها ومسكنها ، دنها بما التذت آلاتها
لا تهادنها .

هذه قصص النجاة ، قد أملتُها فعنونها ، هذه جوار شتات المواعظ
قد جمعتها فاعجنها ، يا موثق الأقدام بقيد العوائق ، أجود ما للعصفور
قطع السباق ، لو تفكر الطائر في الذبح ما حام حول الفخ ، من طلب
المعالي سهر الليالي ، لولا صبر المضر على قلة العلف ما قيل سباق :

هوّن في الليل عليها الغررا إن العلى مقيدات بالسرى
فركبت بسوقها رؤوسها حتى تخيلنا الحجول الغررا
علمها النوم على رباطها ذليلة ان تستطيب السهرا
قد تركت مطعمها لشوقها تقول كل الصيد في جوف الفرا

سينفث غيم التعب عن فجر الإجر ، كم صبر بشر عن شهوة
حلاوة ، حتى سمع كلمة خلوة ، كل يا من لم يأكل ما مد سجاف
نعم العبد على قبة (ووهبنا له) حتى جرب في أمانة (إنا وَجَدْنَاهُ
صابراً) (١) من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه .

كان بعض التجارين يبيع الخشب وكان عنده قطعة آبنوس ملقاة
تحت الخشب فاشتريت منه فدخل دار الملك بعد مدة فإذا بها قد جعلت
سريراً للملك فوقف متعجباً وقال : لقد كنت لا اعبأ بهذه فكيف
وصلت إلى هذا المقام ؟ فهتف به لسان المفهم نائباً عنها ، كم صبرت
على ضرب القوس ونشر المناشير ؟ حتى بلغت إلى هذا المقام :

جئت أشكو فاستوقفني إلى أن كلمتني من قبل ان كلمتني
وفدنتني من السقام ولكن انقدتني هماً إلى أن فدنتني

لمن أصفى واصف ؟ أي عزمك اتباعي فاقف ؟ الليل يضح من
طول نومك والنهار يستغيث من قبح فعلك :

(١) سورة ص ، الآية ٤٤ .

يا أيها الراقد كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته حظاً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى قنطرة الأرض لكم موعد

.

آخر الفصول المائة قال المنشئ : ولما أتممت المائة التي ضمنتها
رأيت الثلاثة الأول كأن الخارج عن الوعظيات لمشايتها القصص ، ففرمت
ها هنا ثلاثة عوضها لتخلص مائة وعظية والله الموفق .

الفصل الاول

أخواني : الموتُ مقاتل يقصد المقاتل ، فما ينعمك أن تقاتل .
(للمتنبى) :

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونربط السوابق مقربات وما ينجين من خيب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
يدفن بعضنا بعضاً وتمشي أوأخرنا على هام الأوالي
وكم عين مقبلة النواحي كحيل بالحنادل والرمال

لقد وعظ الزمان وما قصر وتكلم الصامتُ وما أقصر ، ولاح
الهدى فإنما الشأن فيمن أبصر ، ونطقت المواعظ بزجرٍ لا يُحصر ،
هلكت ثمودا بصبيحة وعادُ بريح صرصر ، وكسر كسرى وقصر
قيصر ، تالله ما يبالي ميزانُ الجزاء أربح أم أخسر ؟ ولا حاكم العدل
من أفلس وأعسر هذا أمر مجمل ، وفي غد يفسر .

أيها المتحرك في الدنيا ، لا بد من سكون ، لا يغرنك سهلها فبعد
السهل حزون . كم سبتك من حبيب ؟ وبعض القبح يهون ، ما فرحها
مستقيم ولا ترحها مأمون لأنها لدار الغرور ودائر الهون كم تلون ؟
ولكن أين العقل من مجنون ، فهلا أضعنا الحديث قلب هذا مفتون :

أيها السكران بالآمال قد حان الرحيل
ومشيب الرأس والقو دين للموت دبل

فانقبه من رقدة الغفلة والعمر قليل
وأطرح سوف وحتى فمها داء دخيل

كأنك بما يزعج ويروع وقد قلع الأصول وقطع الفروع ، يا نائماً
في انتباهه كم هذا المجوع ؟ أينفعك حين الموت جرّي الدموع ؟ إذا
رشق سهم التلف فطاحت الدروع وأتى حاصد الزرع وأين الزروع ؟
وخلت المنازل وفرغت الربوع ، وناب غراب البين عن الورق السجوع .

قرن مضى ثم نعى غيره كأنه في كل عام نبات
أقل من في الأرض مستيقظ وإنما أكثرهم في سبات
حول خصيب أثره مجذب فاذا خسر من المخصب للمجدبات

أما علمت أن الدنيا غدا إمارة ؟ أما برد لذاتها ينقلب حرارة ؟
أما ربحتها على التحقيق خسارة ؟ أما ينقص الدين كلما زادت عمارة ؟
أما قتلت أحبابها وإليك الإشارة ؟ إذا قال محبها هي لي ومعها أهلكته
وقالت « اسمعي يا جارة » .

إنما الدنيا بلاء	ليس لدينا ثبوت
إنما الدنيا كبيت	نسجته العنكبوت
إنما يكفيك منها	أيها الراغب قوت

يا من عاهدنا على الطاعة في الإعلان والإصرار ، كيف استحل حل
عقد التوبة وعقد الإصرار ؟ متى يخرج العاصي من هذه الدار ؟ شيب
وعيب ونهاية الإدبار ، ضدان بعيدان تلج ونار ، كم بينكم وبين
المتقين الأبرار ؟ ملكتم الدنيا وملكوها فالقوم أحرار ، كانت لهم إنفة
فاحتموا من العار ، وعرفوا قدر الزمان فأنتهبوا الأعمار ، فلو مددتم
أبواعكم ما كانت منهم كأشبار ، لو اطلعتم عليهم في أوقات الأسفار
لرأيتهم نجوم الهدى لا بل هي أقمار ، قاموا جميع الدجى على قدم الاعتذار
ثم تساندوا إلى رواحل البكاء والاستغفار ، وقوي كربهم فهبت لهم
نكباء لطف معطار ، رفعوا رسائل الجوى فعاد جواب الأبرار :

لا توقدوا في القلب ناراً الجحيم كفى سقامي لفؤادي غريم
ما زلت عن حبكم لحظة وحقكم إني عليه مقيم
وكلما هبت نسيم الصبا من نحوكم عشت بذاك النسيم

وأسفي ، متى رحلوا ؟ ليت شعري ، أين نزلوا ؟ .

أنجذت الدار بهم واهم الوجد معي

مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهز منهم الخوفُ
أفنانَ القلوب ، فانتثرت الأفنان . فاللسان يتضرع . والعين تدمع ،
والوقت بستان ، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان ، سورهم
أساورهم ، والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما در ومرجان ؟
أخذوا قدر البلاغ وقالوا نحن ضيفان ، باعوا الحرص بالقتاعة فما ملك
أنو شروان ؟ رفضوا حتى زمام المبيع وما باعوا بشنيان ، طالت عليهم
أيام الحيرة والمحب ظمآن ، اطلع من خوخة التيقظ بعين التأمل تـر
البرهان ، أين أنت منهم ؟ ما نأتم كيفظان ، كم بينك وبينهم ؟ أين
الشجاع من جبان ؟ ما للمواعظ فيك موضع القلب بالهوى ملان .

يا هذا : قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان ، واركب سفين
الصلاح فهذا الموت طوفان ، أ يكون بعد هذا إيضاح ؟ أو مثل هذا
تبيان ؟ يا لها من موعظة سحبت ذيل الفصاحة فحار سحبان ، بغدادية
امامية مستفتية لا تعرف ضرب خراسان .

الفصل الثاني

أخواني : أين الذين سلبوا ؟ سلبوا طال ما غلبوا فغلبوا ، عمّروا ديارهم فلما تمت خربوا ، وديفت لهم كؤوس المنايا فأكرهوا وشربوا :

سير الليالي إلى أعمارنا خَبَبٌ (١)	فما تبين ولا يعتاقها تعبُ
وهل يؤملُ نيلُ الشملِ ملتئمًا	سفر لهم كل يوم رحلة عجب
وما إقامتنا في منزلٍ هتفتُ	فيه بنا قد سكنا ربعة النوب
وآذنتنا وقد تمت عمارته	بأنه عن قليل دائرٌ خَرِبُ
ليست سهام قسى الموت طائشة	وهل تطيش سهام كلها صيب
ونحن أغراض أنواع البلاء بها	قبل الممات فمرميٌ ومرتقبُ
أين الذين تناهوا في ابتنائهم	صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا

أين أرباب الأمانى والأمل ؟ • أخذوا بين سكر الهوى والثلل .
والذي علا على علي العلا نزل ، وكأنه في الدنيا لم يكن وفي القبر
لم يزل .

كل حي فقصاراه الأجل	ليس للخلق بذا الموت قبل
نوب (٢) أبدت لعادِ قبلنا	إن من ذات العماد المرتحل
فانشوا عن ذلك الشرب السذي	صار علا لسواهم ونهل
ألبيت قوماً سواهم حليهم	ثم بزته فعادوا بالعطل

(٢) نزول الأمر .

(١) ضرب من المشي السريع .

فاسئل الإيوان عن أربابه كيف جدت بهم تلك الرجل
نقلتهم عن فضاء واسع يمرح الطرف به حتى يمل
نحن أغراض خطوط إن رمت عادت الأدرع لنا كالحلل
وإذا ما أخلفت أسهما فأصابت بطل القوم بطل

جز على القبور بقلب حاضر ، وسلها ما فعل الوجه الناضر ؟ ثم
افتح ناظر ناظر ، وخاصم نفسك على التواني وناظر .

ومسندون تعاقروا كأس الردى ودعا بسيرهم الحمام فأسرعوا
خرسٌ إذا ناديت إلا أنهم وعظوا بما يرضي اللبيب فأسمعوا
والدهر يفتك بالنفوس حمامه فلمن تعد كريمة أو تجمع
عجباً لمن تبقى ذخائرُ ماله ويظل يحفظهن وهو مضجع
ولعاقل ويرى بكل ثنية يلقي له بطن الصفائح مضجع
أثره يحسب أنهم ما أساروا من كأسهم أضعاف ما يتجرع

كم صاح بك واعظ ؟ وما تسمع وكم حصلت ما يكفي ؟ وما
تقنع . لقد استقرضك مولاك مالك فمالك تجمع ؟ وضمن أن نبت
الحبة سبع مائة وما تزرع ؟ تشتغل عن القرآن المنزل وتستمتع من مغن يتغزل ؟
تمشي إلى نجاتك مشي أقزل ^(١) وتخرج إلى الحرب وأنت أعزل ؟ ويحك
إن والي الحياة عن قليل يعزل كأنك بالسماء تمور وبالأرض تزلزل ،
تنصب ولا تدري أي الكفتين أنزل .

إخواني : غرقت السفينة ونحن نيام ، أبوكم لم يسامح في لقمته
وداود عوتب على نظره .

يا مظهرين ضد ما	به الكتابُ	وارد
إلى متى تبهرجسو	ن والبصيرُ	ناقد
كيف يكون حالكم	وهو عليكم	شاهد
عجبت من مستيقظ	والقلب منه	راقد

(١) مشية الأنزل : مشية المقطوع الرجل .

مضجع	لدينه	واللذنب	رائد
كانه	على مدا	مهملا	وخالد
فحسنوا	أعمالكم	فهي لكم	قلائد
ولا تضيعوا	واجباً	واجتهدوا	وجاهدوا

إخواني : أفياكم عازم على الصلح ؟ أمنكم محب يضج من الهجر ؟
أفياكم ذو وجد قلق من البين ؟ الوقت يقتضيك يا عاص، منادي القبول
على منازل الوصول يقول (وسارعوا) (١) .

الغيم	رطب	ينادي	يا غافلين	الصباح
فقلت	أهلاً	وسهلاً	ما دام في الجسم	روح

قد قيّد الطردُ قدميك وغل الأبعاد يديك ، أفما لك عين تبكي
عليك ؟

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

على نوح نَحَتْ السفينة ، وأن يصيح اركبوا، فما ذنبه إن تخلف
كنعان ؟ . إذا وقعت عزيمة العاصي على فراق دار المعاصي ، هياً
مركب القصد وزود سفر العزم وقام على أقدام الجدد ، وسعى على
طريق الرجاء خائفاً من عارض رد ، فيصبح به حيثئذ هائف القبول :
لئن قدمت من سفرة الهجر عيسكم تلقيتُها بالوصل من كل جانب

إخواني : ما قعودكم وقد سار الركب ؟ إلحقوهم في المنزل ، النجاء
النجاء من شر الخلاف ، ألوحا الوحا قبل لحاق الأسلاف ، الحذر الحذر
من خطوات الخطايا ، ألهرب الهرب قبل بث الأمانى بالمنايا ، قبل أن
تنزلوا الكفات وتلحقوا الرفات ، وبين ماذا حل من آفات آفات إلا
أن تعابنوا الوفاة وفات .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣ .

الفصل الثالث

عباد الله إنما الأيام طرق الجدد ، والساعات ركائب المجد ، وأيام العافية أوقات تستدرك ، وأحيان السلامة تنادي « من جداً أدرك »

كم للمنية من ضروب	بين الحوادث	والخطوب
تدع الحبيب بلا محب	والمحب بلا حبيب	
لا والذي هو قاذف	بالحق علام	الغيوب
وبحكمه يملئ لمن	يملي القبيح	على الرقيب
ما للنفوس مع المنية	في السلامة	من نصيب
هيهات أين يفوتها	لا بد من سهم	مصيب
من دب فوق الأرض أصبح	دارجاً بعد	الديب
فلإذا تغيب تحتها	فكفاه	بعداً بالمغيب
ولكم طويل العمر ليس	لعيشه	بالمستطيب
ولربما انتزع القصير	العمر من سعة	وطيب
لا تيأسن من البعيد	وخف مباعدة	القريب
فلكم حملت مع المريض	إلى الشرى	نعش الطيب

إخواني : إحدروا دنياكم فإنها خادعة ، وانتظروا حتوفها فهي لا ريب واقعة ، أيها العبد إلى متى تشتغل بها عن مولاك وهو غيور ؟ وكيف تغتر بغرير هوى يغري ويغور ؟ وكم عدلت عن العدل وحاضرت المحظور ؟ أنظن انبقاء وقلائد الفراق كالأطواق في النحور ؟ أما تعتبر بأقران قرنوا بقرائن أعمالهم في القبور ؟ أما مواضعهم تضعك على وضع الرضائع والفتور ؟ أما حلوا اللحود ؟ فحالت حل تلك البدور

أما منازلهم إذ نازلهم منازلهم زال عنهم السرور ؟ أبالى بفخرهم الموت ؟ لا بل بلبل تلك القصور أين هم الآن قل لي ؟ خلا خاليهم بالثبور ، مال بهم عن المال ما لا يرد وصرفهم صرف الدهور ، جرى بهم وما جار كما جرى الجار ، جرى المقدور ، أصبحت وجوههم الصبيحة مصطبحة شراب الدثور ، مبانيهم أبينت فلو أبينت لم تبين الأناث من الذكور ، انفصمت عرى الأوصال وحلوا بالخصال فذو الوصال منهم مهجور ، سكنوا بعد الودود مع الدود في اللحد كأمسور تكدر صافيتهم فمصافيتهم يحافيتهم وما فيهم معذور ، علا أعلاهم ، علا تراب كثير موقور ، وسكن المكين في كمين إمكانه فاستكان في مكان محفور ، بينا مترفهم قد اطمأن (وظنَّ أنَّ لَنَ يَحُور) (١) إذا الأذى كالحذا ، وكذا كل محتذ الغرور ، وكم قال واعتذر فلما لم يذر قيل هذا الهذر زور صب الصاب في من صبا ، فالصبا تسفي على منصبه والدبور ، وسيأتيك يا فتى ما أتى من عتا حتى في الرواح أو في البكور ، فانتبه فإن الموت يدور على ساكني الدور ، ويلتقط أرباب القصور بلا فتور ولا قصور ، وكأنك بالأمر قد فصل (وحُصِّلَ ما في الصدور) (٢) فمن جار قنطرة الهوى آب بتجارة لن تبور (ومن لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نَوْراً فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ) (٣) .

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في التمارق والديباج أفضت إلى السراب الحدود
وأطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سعوطهم والذود
وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعود

يا قليل البضاعة بل يا مفلس ترجو النجاة بالمعاصي ؟ لقد وسوس ،
أتلبس ثوب الشيب ؟ ثم تلبس ، جاء الصباح فنسخ حكم الخندس (٤)

(١) سورة الإنشقاق ، الآية ١٤ .

(٢) سورة العاديات ، الآية ١٠ .

(٣) سورة النور ، الآية ٤٠ .

(٤) الليل المظلم .

وأطرق النبلوفر لما حلق الرجس، يا من يقوم من المجلس كما يجلس ،
كن كيف شئت فلنما تجني ما تفرس ، ألك عذر قل لي ؟ الباطل يخرس :

كيف الرحيل بلا زاب إلى وطن ما ينفع المرء فيه غير تقواه
من لم يكن زاده التقوى فليس له يوم القيمة عذر عند مولاه

يا رب إليك منا نتظلم أحوالنا تنطق عنا وما نتكلم وقلوبنا من
ذنوبنا تبكي وتتألم ، وأنت العالم الذي تعلم ، أتركنا للجهل ؟
وأبونا منك تعلم يا من أخّر ما شاء كما شاء وقدم ، لا نجعلنا ممن إذا
رحل تَنَدَّم ، يا من نبه الفضيل وابن أدهم ، قد تركتنا الذنوب لا
نشتري بذرهم :

يا عمادي في شدتي ورجائي عند فقري وكوكبي في المعامي
ساعتي إن نأيت يوم ويومي مثل شهر والشهر مثل العام

يا صاحب الخطايا لست معنا، يا مقبلاً على الهوى ما أنت عندنا،
ضاعت حيلتي في تحصيل قلبك ، إشتدت حيرتي في تلافي أمرك ،
واعجباً ، أَخَوَفُكَ عواقبَ الأمور وما تتوب ، وأشرح لك أحوال
الصالحين وما تؤب ، ومتى سقطت شهوة الليل دنا الموت ، قد أوقدت
نارَ المواعظ إلى جانبِ كَسَلِكَ ونفسُ عَزِيمَتِكَ شديدة البرودة .
وقد اتفق الأطباء على أن النفس البارد في المرض الحاد دليل الهلاك :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
كان ما قد رأينا في أحببنا من الرحيل ونادى الدارليس لنا

والله ما فاز سوى الزاهدين ، ولا نال الربح غيرُ العابدين ، ونهاية
الكمال للمحيين كان همُّ القوم طلبَ النجاة ، وكانت لذتهم في
المنجاة ، فارتفع لهم القدر وعلا الجاه ، لو رأيتهم في الاسحار وقد
حار الخائف بين اعتذار واستغفار ولطائف ، يتخلل ذلك دمع غزير
ذارف ، يرمز إلى شوق شديد متكاثف، كانت عابدة تقوم من أول
الليل ونقول تشاغل الناس بلذاتهم وقد جثت ، إليك يا محبوب :

سروري من الدهر لقاءكم ودارُ سلامي مغناكم
 وأنتم مدى أُملي ما حييت وما طابَ عيشي لولاكم
 جنابكم الرحب مرعى الكرام فلا صوح الدهر مرعاكم
 حشا البين يوم رحلتُم حشايَ بنارِ الموم وحاشاكم
 فيا ليت شعري ومن لي بأنْ أعيشَ إلى يوم ألقاكم
 إذا ازدحمتْ في فؤادي المومُ أعلل قلبي بذكراكم
 وأستشقُ الريحَ من أرضكم لعلِّي أحظى برياكم
 فلا تنسوا العهد فيما مضى فلنسا مدى الدهر نساكم

تالله لقد حصل للقوم فوز الدارين ، ورضيتُم أنتم بالبين من البين ،
 تنبهوا يا نيام كم ضيعتم من عام ؟ ، الدنيا كلها منام ، وأحلى ما فيها
 أحلام ، غير أن عقل الشيخ بالهوى غلام ، علام قتلُ النفوسِ علام ؟
 هل هو إلا ثوب وطعام ؟ ثم يتساوى خز وخام ، ولذات طيبات
 ووخام ، إنما يعرف الفطناء لا الطعام ، آه للغافل إلى كم يلام ؟ أما
 توقظك الليالي والأيام ؟ أين سكان القصور والحيام ؟ دارت على الكل
 كأس الحمام (ويبقى وجهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ والإِكْرام) (١) إلى
 متى مزاحمة الانعام ؟ ردوا هذه الأنفس بزمام ازجروا هذه القلوب
 عن الآثام اقرؤا صحائف العبر باللسنة الأفهام ، موت البخيران شكل
 وأخذ الآء ان اعجام ، يا من أجَلَّه خَلَفَه وأَمَلَّه قدام ، رب يوم له
 مفتاح ، ما له ختام ، يا مقتحماً على الحرام أي اقتحام ، ستعلم من
 يبكي في العقبى ؟ عقبى الإجرام ، ويشارك الندامى على الندامى والمدام ،
 يا طويل المرض متى يرى السقام ، يا من إن قعد فللدنيا وكذا إن قام
 أول الدنيا هم وآخرها موت زؤام ، حل لها الفراق وحرم عليها الدوام
 سحبها لا يحطر وسماؤها قنام ، كنها عيب في عيب وذام في ذام ،
 أنعيها عند محبها ؟ متى يسمع العدل مستهام ؟ خلَّها واخرج عنها بسلام
 إلى دار السلام فالجنة رخيصة ثم ما تغلوا على مستهام ، خذها إليك نصيحة

(١) سورة الرحمن ، الآية ٢٧ .

من طب يداوي الأسقام ، يضع الهناء موضع النقب ويعرف أصل الآلام
ويركب المرهم عن خبر ويدبر كيف شاء الكلام ، ما بعدها نصيحة
نكفي والسلام .

آخر كتاب المدهش .

قد بلغ التمام والنهاية

وفرغ منه منشي عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم
الثلاثاء رابع عشر جمادي الآخرة سنة إحدى وتسعين
 وخمسمائة حامداً لله سبحانه ومصلياً على محمد وآله
 وصحبه ومسلماً آمين .

فهرست

() كتاب المدحش ()

الموضوع	الصفحة
المُصَنَّفُ والمُصَنِّفُ	٥
خطبة الكتاب	١٤
الباب الأول - في علوم القرآن	١٥
فصل في ذكر الخطاب بالقرآن	١٥
فصل في ذكر أمثال القرآن	١٦
فصول في عيون المتشابه	١٨
فصل في الحروف المبدلات	١٨
فصل في الحروف الزوائد والنواقص	٢٠
فصل في المقدم والمؤخر	٢١
أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر مرتبة على الحروف	٢٣
باب أو	٢٣
باب أدنى	٢٣
باب الإنزال	٢٣
باب الأرض	٢٣
باب الأمر	٢٤
باب الإنسان	٢٥
باب الباء	٢٦
باب الحق	٢٧
باب الخير	٢٧
باب الدين	٢٨
باب الذكر	٢٨

٢٩	باب الروح
٢٩	باب الصلاة
٣٠	باب عن
٣٠	باب الفتنة
٣٠	باب في
٣١	باب القرية
٣١	باب كان
٣٢	باب كلا
٣٢	باب اللام
٣٣	باب لولا
٣٤	باب من
٣٥	باب الواو
٣٥	باب الهدى
٣٦	الباب الثاني - في اللغة
٣٦	فصل في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها
٣٨	فصل منه في كلمات منفصلة كالمتصلة
٢٨	فصل منه في رد الكلام إلى ما يليق به
٣٩	فصل منه في تبين الكلام متصلاً مرة ومنفصلاً أخرى
٤٠	فصل منه في الجواب المقارن والبعيد
٤١	فصل منه في إقامة الحركة مقام معنى : وفي القلب
٤٢	فصل منه في تكثير أسماء لمسمى واحد
٤٣	فصل منه في اختلاف الأسماء باختلاف المحل وغيره

الصفحة	الموضوع
٤٧	فصل منه في العام والخاص
٤٨	فصل منه قريب له
٤٩	الباب الثالث - في علوم الحديث
٤٩	فصل في ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم
٤٩	ذكر نسبه
٤٩	ذكر اسمائه
٥٠	ذكر عماته
٥٠	ذكر أزواجه
٥٠	ذكر أولاده
٥٠	ذكر مواليه
٥١	ذكر مؤذنيه
٥١	ذكر كتابه
٥١	ذكر نقباء الأنصار
٥١	تسمية من جمع القرآن حفظاً
٥١	تسمية من كان يفتي على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٢	تسمية من تأخر موته من الصحابة
٥٢	تسمية فقهاء المدينة السبعة
٥٢	منتخب من ذكر الاوائل
٥٢	فصل منه
٥٣	فصل منه

٥٣	فصل منه
٥٣	فصل منه
٥٤	منتخب في ذكر المنسوين إلى غير آبائهم
٥٤	فصل في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء
٥٥	فصل في التشابه خطأ
٥٥	فصل في المشترك بين الرجال والنساء
٥٦	فصل منه قريب له
٥٧	منتخب من الأسماء المفردة
٥٧	منتخب من مشته الأسماء
٥٨	فصل من مشته النسبة
٥٩	أحاديث أهمل فيها تبيين الأسماء (أنس - عطاء)
٦٠	(عمرة - حماد)
٦٢	منتخب من المتفق والمفترق
٦٤	الباب الرابع - في ذكر عيون التواريخ
٦٤	فصل منه في الأقاليم
٦٥	فصل منه في الجبال
٦٥	فصل منه في الأرض
٦٥	فصل منه في أعمار الأنبياء
٦٥	فصل منه في تسمية الحواريين
٦٦	فصل منه في الملوك
٦٦	فصل منه في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً
٦٧	فصل منه قريب له

٦٨	فصل منه قريب له
٦٨	فصل منه في عجائب النساء
٧٠	فصل في الجذوب وعموم الموت
٧١	فصل في الزلازل والآيات
٧٦	الباب الخامس - في المواعظ وهو قسمان .
٧٦	القسم الأول في القصص وفيه فصول
٧٦	الفصل الأول في قصة آدم عليه السلام
٧٩	الفصل الثاني في بناء الكعبة
٨١	الفصل الثالث في قصة نوح عليه السلام
٨٢	الفصل الرابع في قصة عاد
٨٤	الفصل الخامس في قصة ثمود
٨٥	الفصل السادس في قصة الخليل عليه السلام .
٨٦	الفصل السابع في قصة الذبيح عليه السلام
٨٨	الفصل الثامن في قصة ذي القرنين
٩١	الفصل التاسع في قصة قوم لوط
٩٤	الفصل العاشر في قصة يوسف عليه السلام
٩٨	الفصل الحادي عشر في قصة أيوب عليه السلام
١٠٠	الفصل الثاني عشر في قصة شعيب عليه السلام
١٠١	الفصل الثالث عشر في ذكر بداية موسى (ع)
١٠٣	الفصل الرابع عشر في تكليم الله عز وجل موسى (ع)
١٠٦	الفصل الخامس عشر في قصة انخضر عليه السلام
١٠٨	الفصل السادس عشر في قصة بلعام وموسى (ع)
١١٠	الفصل السابع عشر في قصة قارون

- ١١٢ الفصل الثامن عشر في قصة داود عليه السلام
- ١١٤ الفصل التاسع عشر في قصة سليمان مع بلقيس
- ١١٦ الفصل العشرون في قصة مريم وعيسى عليهما السلام
- ١١٩ الفصل الحادي والعشرون في قصة يحيى بن زكريا (ع)
- ١٢١ الفصل الثاني والعشرون في قصة أهل الكهف
- ١٢٣ الفصل الثالث والعشرون في بداية أمر نبينا (ص ع) ورضاعه
- ١٢٦ الفصل الرابع والعشرون في قصة الغار وانصديق
- ١٢٧ الفصل الخامس والعشرون في قصة أهل بدر
- ١٢٨ ذكر من شهد بدرًا مرتباً على الحروف
- ١٣٤ الفصل السادس والعشرون في تزويج علي بفاطمة عليهما السلام
- ١٣٧ القسم الثاني في المواعظ وفيه مائة فصل
- ١٣٧ الفصل الأول في قوله تعالى (هو الأول والآخر)
- ١٤١ « الثاني في قوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله ...) الآية
- ١٤٥ « الثالث في قوله (وأذن في الناس بالحج)
- ١٥٠ « الرابع موعظة أولها أخواني قد نمي إليكم أمر من نما
- ١٥٤ « الخامس موعظة أولها أيتها النفس تدبري أمرك وتأملِي
- ١٥٩ « السادس موعظة أولها إخواني إنتهوا من رقعات الاغمار
- ١٦٣ « السابع موعظة أولها أخواني ذهبت الأيام
- ١٦٧ « الثامن موعظة أولها الشهوات تفر وتغر
- ١٧٠ « التاسع موعظة أولها الزمان أنصح المؤدبين
- ١٧٤ « العاشر موعظة أولها أخواني الدنيا غرارة غدارة

- الفصل الحادي عشر موعظة أولها أيتها النفس أقلمي عن الجناح ١٧٨
وتوبي
- « الثاني عشر موعظة أولها عجباً لذاكر الموت كيف ياهو ١٨٣
- « الثالث عشر موعظة أولها كم أخرج الموت نفساً من ١٨٧
دارها
- « الرابع عشر موعظة أولها لقد خوفنا الموت بمن أخذ منا ١٩٠
- « الخامس عشر موعظة أولها أخواني الدنيا دار الآفات ١٩٤
- « السادس عشر موعظة أولها يا من نسبه معرق في الموتى ١٩٨
- « السابع عشر موعظة أولها الدنيا دار المحن ٢٠٢
- « الثامن عشر موعظة أولها أيها المشغول باللذات الفانيات ٢٠٦
- « التاسع عشر موعظة أولها عجباً لراحل مات وما تزود ٢١١
للرحنة
- « العشرون موعظة أولها يا من يمشي على ظهور الحفر ٢١٦
- « الحادي والعشرون موعظة أولها يا ساعياً لنفسه في المهالك ٢٢٠
- « الثاني والعشرون موعظة أولها أيها الحاطب على أزرد إلخ ٢٢٤
- « الثالث والعشرون موعظة أولها أخواني شمروا عن سوق ٢٢٨
الأدب
- « الرابع والعشرون موعظة أولها يا طويل الأمل ٢٣٢
- « الخامس والعشرون موعظة أولها يا من يعظه الدهر إلخ ٢٣٦
- « السادس والعشرون موعظة أولها يا مخدوعاً قد فتن ٢٤٠
- « السابع والعشرون موعظة أولها أن الدنيا مذ أبانت محبتها ٢٤٤
إلخ
- « الثامن والعشرون موعظة أولها تبتظ لنفسك يا هذا وانتبه ٢٤٨

الفصل التاسع والعشرون موعظة أولها أخواني تفكروا في
مصارع إلخ ٢٥٢

« الثلاثون موعظة أولها أخواني البدار البدار ٢٥٦

« الحادي والثلاثون موعظة أولها يا جامعاً المال لغيره ٣٥٩

« الثاني والثلاثون موعظة أولها يا هذا لو عاينت قصر أجلك ٢٦٢

« الثالث والثلاثون موعظة أولها يا من بين يديه الأهوال ٢٦٦

« الرابع والثلاثون موعظة أولها أخواني رحيل من رحل عنا ٢٧٠

« الخامس والثلاثون موعظة أولها يا هذا إنما خلقت الدنيا ٢٧٤

لنجزها

« السادس والثلاثون موعظة أولها أيها المغتر بالدنيا ٢٧٨

« السابع والثلاثون موعظة أولها أخواني جدوا فقد سبقتم ٢٨١

« الثامن والثلاثون موعظة أولها ألا يعتبر المقيم منكم بمن ٢٨٥

رحل

« التاسع والثلاثون موعظة أولها أيها الغافل في إقامته ٢٨٩

« الأربعون موعظة أولها أخواني إعتبروا بالذين قطنوا ٢٩٢

« الحادي والأربعون موعظة أولها ما هذا الحب للدنيا ٢٩٥

« الثاني والأربعون موعظة أولها يا من قد أسره الهوى ٣٠٠

« الثالث والأربعون موعظة أولها يا هذا من اجتهد ٣٠٤

وجد

« الرابع والأربعون موعظة أولها أخواني شحم المنى هزال ٣٠٨

« الخامس والأربعون موعظة أولها أخواني البدار البدار ٣١٢

« السادس والأربعون موعظة أولها يا مجتنباً من الهدى إلخ ٣١٥

« السابع والأربعون موعظة أولها واعجباً لنفس تدعى إلى ٣١٨

الهدى

- الفصل الثامن والأربعون: موعظة أولها من علم أن هبابة الدنيا هباء ٣٢٣
- « التاسع والأربعون موعظة أولها عجباً لراحل عن قليل ٣٢٦
- « الخمسون موعظة أولها أخواني من تفكر في ذنوبه بكى ٣٣٠
- « الحادي والخمسون موعظة أولها أين اللاهون بالمزاح ٣٣٤
- زاحوا
- « الثاني والخمسون موعظة أولها العزلة حمية البدن ٣٣٨
- « الثالث والخمسون موعظة أولها يا طويل الأمل ٣٤٢
- « الرابع والخمسون موعظة أولها أيها القائم على سوق ٣٤٦
- الشهوات
- « الخامس والخمسون موعظة أولها يا من شاب ومات ٣٥٠
- « السادس والخمسون موعظة أولها يا من أيام عمره في حياته ٣٥٣
- معدودة
- « السابع والخمسون موعظة أولها أخواني قد كفت ٣٥٦
- الكفات إلخ
- « الثامن والخمسون موعظة أولها ما زالت المنون ترمي إلخ . ٣٦٠
- « التاسع والخمسون موعظة أولها يا من سيب قلبه في مراعي ٣٦٣
- الهوى
- « الستون موعظة أولها أخواني تفكروا في الذين رحلوا ٣٦٧
- « الحادي والستون موعظة أولها يا من أيامه تعظه ٣٧١
- « الثاني والستون موعظة أولها يا من قد غلبته نفسه ٣٧٥
- « الثالث والستون موعظة أولها يا هذر عاتب نفسك على ٣٧٩
- تفريطها
- « الرابع والستون موعظة أولها يا مشغولاً بتلفيق ماله ٣٨٣

- ٣٨٦ الفصل الخامس والستون موعظة أولها أخواني اعرفوا الدنيا
وقد سلمتم
- ٣٩٠ « السادس والستون موعظة أولها يا مشغولاً بأمله
- ٣٩٣ « السابع والستون موعظة أولها أخواني المستقر يزول
- ٣٩٧ « الثامن والستون موعظة أولها أخواني من عامل الدنيا خسر
- ٤٠٢ « التاسع والستون موعظة أولها يا من قد أرخى له في الطول
- ٤٠٥ « السبعون موعظة أولها يا تائباً في بوادي الهوى
- ٤١٠ « الحادي والسبعون موعظة أولها أخواني ألا ناظر لنفسه
- ٤١٤ « الثاني والسبعون موعظة أولها يا من كانت له معنا معاملة
- ٤١٨ « الثالث والسبعون موعظة أولها واشوقاه إلى أرباب
الإخلاص
- ٤٢٢ « الرابع والسبعون موعظة أولها أخواني سار المتقون ورجعنا
- ٤٢٦ « الخامس والسبعون موعظة أولها أخواني الخلوة مهر
بكر الفكر
- ٤٣٠ « السادس والسبعون موعظة أولها أيها المقصر عن طلب الزاد
- ٤٣٤ « السابع والسبعون موعظة أولها إذا هبت رياح المواعظ
- ٤٣٩ « الثامن والسبعون موعظة أولها المحب يتعلق بكل شيء
- ٤٤٥ « التاسع والسبعون موعظة أولها يا هذا قد سمعت
أخبار المتقين
- ٤٤٩ « الثمانون موعظة أولها يا مقيماً في دائرة دار الغير
- ٤٥٣ « الحادي والثمانون موعظة أولها يا من أنفاسه عليه معدودة
- ٤٥٧ « الثاني والثمانون موعظة أولها عجباً لمن رأى فعل
الموت بصحبه

- ٤٦١ الفصل الثالث والثمانون موعظة أولها أخواني أعجب
العجائب لشيخ
- ٤٦٤ « الرابع والثمانون موعظة أولها أخواني دنا رحيلكم
- ٤٦٩ « الخامس والثمانون موعظة أولها يا من كل يوم يقدم
إلى القبر فارط
- ٤٧٣ « السادس والثمانون موعظة أولها أخواني المقروح به من
الدنيا هو المحزون عليه
- ٤٧٧ « السابع والثمانون موعظة أولها يا من يرحل في كل لحظة
- ٤٨١ « الثامن والثمانون موعظة أولها أخواني أيام العافية غنيمة
- ٤٨٥ « التاسع والثمانون موعظة أولها آه لنفس أقبلت على العدو
- ٤٨٩ « التسعون موعظة أولها أخواني ألا ذو سمع وبصر
- ٤٩٣ « الحادي والتسعون موعظة أولها أخواني أما ينبة على
استعداد الزنا
- ٤٩٨ « الثاني والتسعون موعظة أولها يا دار الأحباب
- ٥٠٢ « الثالث والتسعون موعظة أولها سبحان من فاوت بين
القلوب
- ٥٠٦ « الرابع والتسعون موعظة أولها يا هذا إشتغلت بفنون تعليلك
- ٥٠٩ « الخامس والتسعون موعظة أولها كم تنذر الدنيا وما تسمع
- ٥١٣ « السادس والتسعون موعظة أولها يا من قد ملكته نفسه
- ٥١٧ « السابع والتسعون موعظة أولها من ركب الهوى هوى به
- ٥٢١ « الثامن والتسعون موعظة أولها أخواني من عرف ما
بين يديه
- ٥٢٥ « التاسع والتسعون موعظة أولها يا هذا هون بأمر الدنيا هن

- ٥٢٩ الفصل المائة موعظة أولها يا من أنفاسه محفوظة
- ٥٣٢ آخر الكتاب وختمه بفصول ثلاثة بدل الثلاثة الأول
- ٥٣٣ الفصل الأول موعظة أولها أخواني الموت مقاتل
- ٥٣٦ الفصل الثاني موعظة أولها أخواني أين الذين سلبوا سلبوا
- ٥٣٩ الفصل الثالث موعظة أولها عباد الله إنما الأيام طرق الجدد